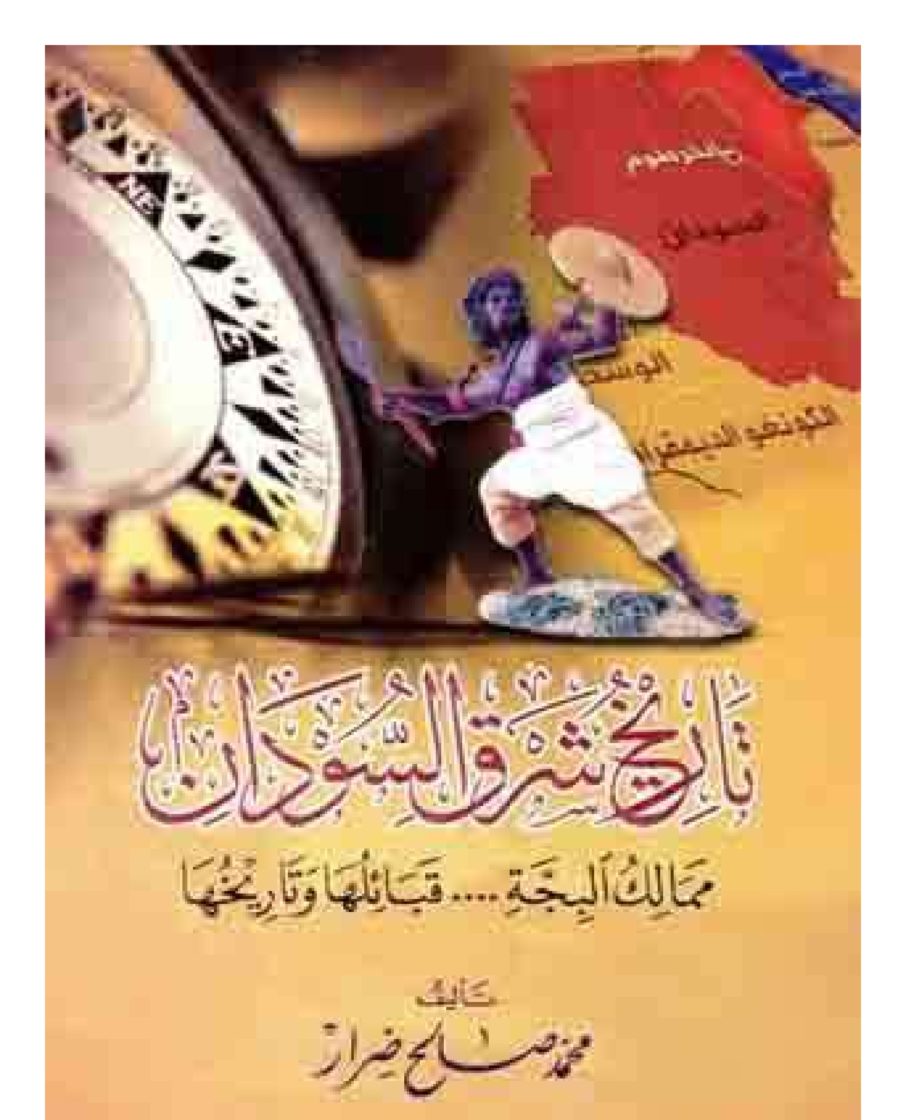

تاريخ شرق السودان
ممالك البجة.... قبائلها وتاريخها
تأليف
محمد صالح ضرار

تاريخ
شرق السودان
ممالك البجة
قبائلها وتاريخها

تأليف

محمد صالح ضرار

الجزء الأول

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



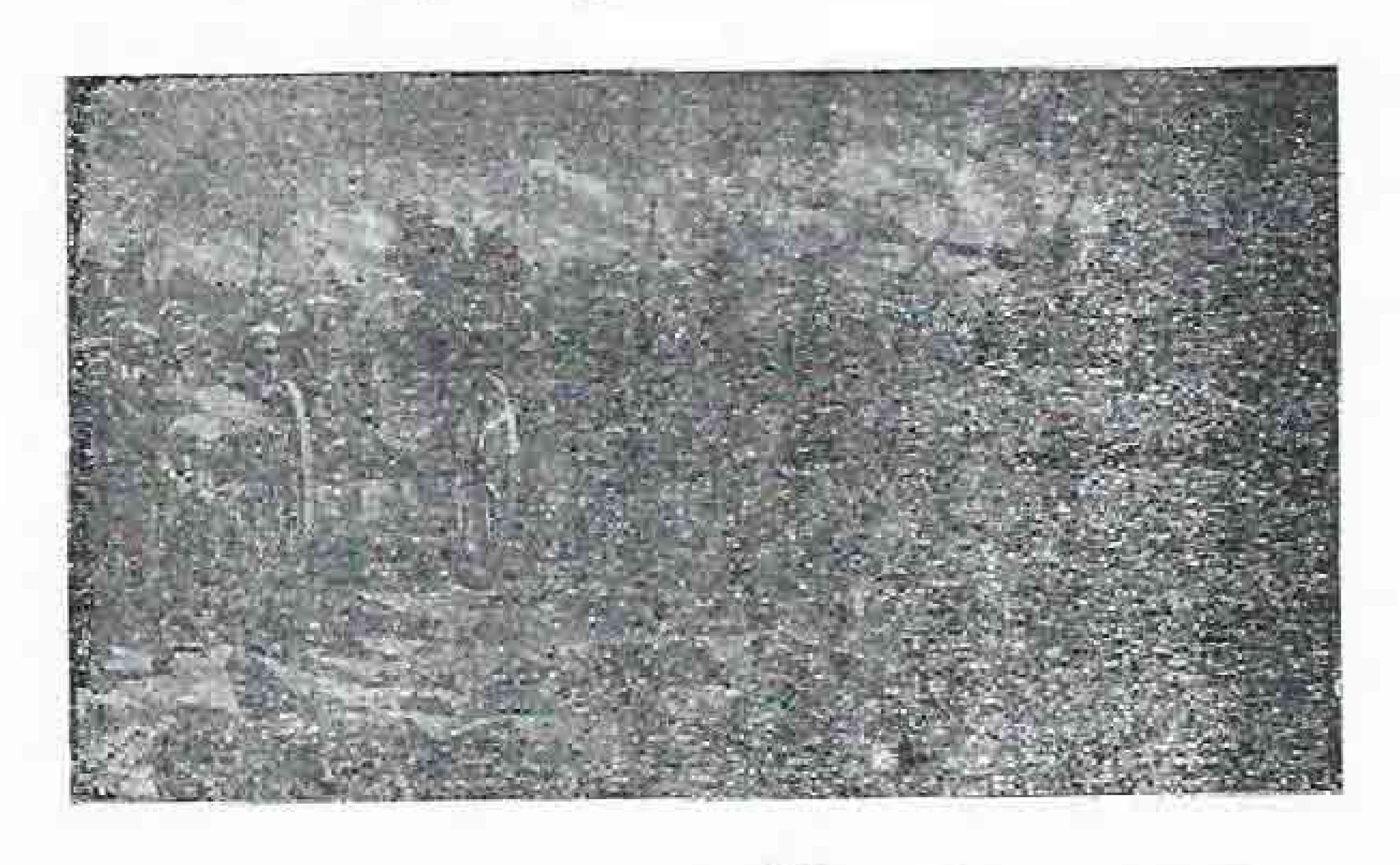
محمد صالح ضرار عندما بدأ البحث والدراسة

٣١/٨/١٩٣٧

الاهـــداء

من الشاعر البريطانى كبلنج

إلى الرجل البجــاوى



إلى البجاوى ذى الشعر الأشعث :

لقد التحمنا فى معارك ضد كثير من الرجال عبر البحار وكان بعضهم يتسم بالشجاعة ، وبعضهم لم يكن كذلك وكان هناك الباثيون ، والزولو والبورميون بيد أن البجاوى كان أروع الجميع .

إذ أننا لم نستطع أن نحصل منه حتى على شروى نقير . فقد كان يقبع بين الأشجار ، ثم يهب واثبـا على فرساننا ، فكم قتل منهم فى سواكن عندما كان يلعب بقواتنا كما يلعب القط بالعصفور .

لهذا فإننى أتقدم بهذا الإهداء الك أيها البجاوى فى وطنك السودان .

إنك رجل داهية الظلام ، ولكنك محارب من الطراز الأول .

إننا هنا نقدم لك شهادتك ، وإذا أردتها ممهورة فإننا سوف نجيء إليك، وستكون لنا معك جولة ثانية فى أى وقت نشاء .

ولقد كانت لنا دورات فى تلال خيبر وأخذنا فرصتنا هناك ، أما البوير فقد أداروا رءوسنا رغم بعدنا عنهم ، وسلط البورميون فينا برودة إيراوادى ، أما شياطين الزولو فقد نافسونا فى الأسلوب ولكن كل ما أصابنا من هؤلاء لم يكن يساوى قطرة مما جرعنا إياه ذلك البيجاوى .

نعم : إننا حين التقينا بالبيجاوى رجلا برجل فإنه قد صرعنا جميعاً ، وقلبنا رأساً على عقب . وجرعنا الويل . وبعد كل ذلك تعلق صحافتنا بأننا صمدنا ولم نتزحزح عن أماكننا .

لذلك فإننى أقدم لك هذا الإهداء أيها البيجاوى إننى أقدم لك هذا الإهداء لك ولزوجتك وطفلك . كانت الأوامر التى صدرت إلينا تقضى بأن نحطمك ، وبالفعل فقد جئنا لنقوم بذلك .

لقد أجهزنا عليك ببنادق المارتينى، ولم يكن ذلك من الإنصاف فى شىء . ولكن بالرغم من كل الظروف القاسية التى واجهتك فإنك يأيها البيجاوى قد حطمت المربع .

لم يحدث أن حصل هذا البيجاوى على أى شهادات ، وليست لديه ميداليات أو أوسمة .

لذلك فعلينا أن نشهد له بمهارته التى أظهرها فى استعمال صارمه ذى الحدين . إنه عندما يثب من بين الأشجار ، وقد حمل ترسه المستدير المدبب الوسط ، ورمحه العريض السنان .

فإن باستطاعة هذا البجاوى أن يذيق بأسلحته تلك فى خلال يوم واحد فقط ما يجعل الجندى البريطانى السليم يجتر تلك الذكرى المريرة لمدة عام كامل.

لذلك فإليك هذا الإهداء أيها البجاوى ، وإلى أصدقائك الذين فقدوا حياتهم ، ولو لم نكن قد فقدنا بعض زملائنا الذين كانوا يعيشون معنا فى ما كفينا لكنا شاركناك فى تنديدك بأعمالنا .

ولكن كما تعلم فإن الأخذ والعطاء هو سنة الحياة وإننا سنقول بأن الصفقة كانت عادلة ، لأنك إن كنت قد خسرت أعدادا أكبر منا فإنك دون شك قد استطعت أن تهشم المربع .

* * *

إنه يهجم على الدخان عندما نتوقف عن التقدم . وقبل أن نتبين الموقف نراه وقد أهوى بسيفه على رءوسنا .

إنه زهرة الديزى ، إنه جوهرة ، إنه حمل وديع ، إنه قطعة من المطاط المهووس بالإنطلاق ، إنه الشىء الوحيد فى هذا العالم الذى لا يعطى مثقال ذرة من الأهمية لكتيبة المشاة البريطانيين .

لذلك ، فإليك أيها البجاوى وأنت فى وطنك السودان هذا الإهداء .

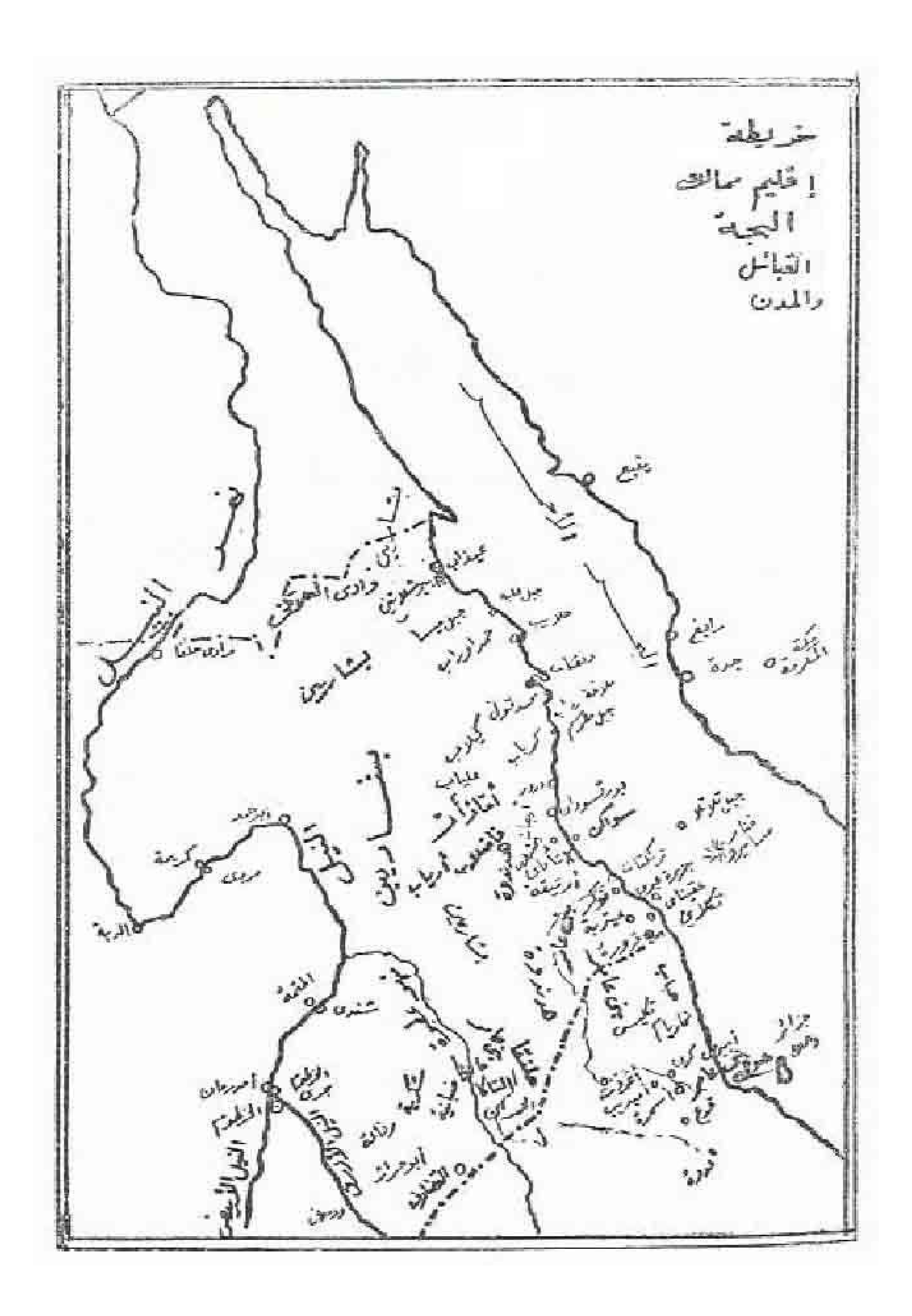
إنك رجل فقير ، ولكنك محارب من الطراز الأول .

إليك هذا الإهداء أيها البجاوى ذو الشعر الكث . نعم ، إليك أنت أيها المارد الأسود الجبار هذا الإهداء لأنك أنت حطمت المربع البريطانى .

من

ريارد كبلنج

شاعر الإمبراطورية البريطانية



خريطة
إقليم ممالك
البجة
القبائل
والمدن
ينبع
جدة
رابغ
بشارية
سواكن



نقلت هذه الخريطة من كتاب مملكة الفونج في سنار
بالانجليزية التي ألف أ. ج. س. كروفورد

THE FUNJ KINGDOM OF SENNAAR
BY O. G. S. CRAWFORD

وهذا الكتاب مع ... وقد استعنا بمؤلفه
كتب نادرة اطلعوا عليها قبل تاريخ اليعقوبي
ورحلة ابن حوقل في هذا الإقليم منذ ألف عام

م. حسن. حمد
١٩٥٧م

الجـــزء الأول

أقاليم البجـة وأصلها

مملكة قبائل بني عامر ـ قبائلها وحوادثها

تاريخ قبائل الامارأر والبشاريين

محمد صالح ضرار
١٨٩٢ ـ ١٩٧٢

اهتم محمد صالح ضرار بتاريخ كل ما اتصل بإقليم البجة من قبائل وأحداث وتراث . وكرس وقتاً كبيراً فى تدوين كل ما استطاع أن يلم به من تاريخ هذا الإقليم . وكما يبدو من سطور مقدمته . فإن النفثة الأولى التى جعلته يكتب تاريخ البجة . هى الكلمات الحماسية التى ألقاها الأستاذ الشيخ ماضى أبو العزائم على التلميذ الصغير محمد صالح ضرار . وهو فى مدرسة سواكن وكان أبو العزائم قد تحدث للتلاميذ حديثاً ثوريا عن أمير الأمراء عثمان أبو بكر دقنه . وجذبت شخصية الأمير المؤرخ محمد صالح ضرار وحملته على دراسة أعمال الأمير وتاريخ قيادته كما حملته على دراسة إقليم البجة .

والكاتب هو ابن الشيخ ضرار على عمدة قبيلة المجيلاب والافاندة . واسمه مركب من اسمين كما جرت عادة كثير من السودانيين فى ذلك . ولكنه كان فى بعض الفترات يدعى باسم صالح ضرار ومن ثم فإن أبناءه كتبت أسماؤهم بدون ظهور اسم محمد فيها . ولكن بعد شبابه أصبح اسم محمد لا يفارق الإسم الثانى وعرف بأنه محمد صالح ضرار .

كتب مؤرخنا العديد من المؤلفات . فهو بالإضافة إلى كتاب تاريخ سواكن الذى ظهرت طبعته الأولى سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) فقد طبع كتاب « حياة تاجوج والمحلق » وما زالت المؤلفات التالية معدة للطبع وهى :

١ ــ تاريخ أرتريا والصومال باعتبار هذين القطرين كانا أجزاء من السودان فى القرن الماضى .

٢ — تاريخ إقليم البجة .

٣ — تاريخ قبائل الحلنقة والهدندوة والملهيتكنات والسيقولاب والرشايدة .

٤ — تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وأرتريا .

٥ — تاريخ قبائل بنى عامر بالسودان وأرتريا .

٦ — تاريخ قبائل الامارأر والبشاريين .

وبالإضافة إلى ذلك فقد دون حوادث للمهدية فى كسلا وكتب صفحات عديدة عن الأمير عثمان أبو بكر دقنة ، وغير ذلك من المقالات والمحاضرات . وربما كان من المفيد أن أنقل هنا بعض ما كتبه عن نفسه بخط يده فى بعض أوراقه .

١ — الإسم : محمد صالح بن ضرار على .

٢ — القبيلة : ملهيتكناب فخذ العجيلاب البكرية .

٣ — القبيلة (العجيلاب) تسكن منطقة عقيتاى جنوب توكر على سواحل البحر الأحمر .

٤ — ولدت بعقيتاى فى ١٣ ذى الحجة سنة ١٣١٠هـ .

٥ — درست القرآن بالجامع الشافعى بسواكن وأنا ابن عشر سنين .

٦ — دخلت مدرسة سواكن الأميرية سنة ١٩٠٣ . وأتممت بها تعليمى . ونلت الشهادة وقبلت بالثانوى سنة ١٩٠٨ ، فحالت المصاريف دون إلتحاق بالكلية (كلية غردون) .

٧ — فى سنة ١٩٠٩م إلتحقت بالخدمة فى شركة التلغراف الشرقى ، EASTRN TELEGRAPH وكنت أقضى أوقات فراغى فى قراءة الصحف

السياسية والمجلات العلمية والمكاتب التاريخية التي كانت تزخر بها « غرفة المطالعة الأدبية » بسواكن .

٨ — وكرست من وقتي ساعتين كل يوم لدراسة الفقه وقراءة القرآن بالتجويد على الشيخ بشير محمد كريت الأرتوقي بجامع السيد محمد عثمان تاج السر (الميرغني) .

٩ — وفي أول يناير سنة ١٩١٦م تركت أكل اللحوم والأسماك وكل مافيه روح واكتفيت بالألبان والعدس حتى كانت سنة ١٩١٩ ، فعدت إلى ماقبل سنة ١٩١٦م من الحياة .

١٠ — كلما سافرت إلى أي جهة من إقليم البجة أو اجتمعت بوالدي (ولد سنة ١٨٤٥ تقريبا وتوفي سنة ١٩٢٠م) وأعمامي وكلهم اشتركوا في جميع حوادث شرق السودان وبايعوا الأمير عثمان دقنه سألتهم عن أحداث القبائل وتاريخها .

١١ — دونت أشعاراً كثيرة بلغت بني عامر (تبيجري) والبجاوية . وبعضها يرجـــــع إلى ماقبل أكثر من ثلاثمائة سنة ففيها الحوادث المهمة ، والوقائع الحربية ، والتشكيلات القبلية ، ووصف المراعي ، والمناهل ، والأراضي ، وذكر الشجعان والأجواد ، والبخلاء . الخ ووجدت كثيرين ممن يصفون لي الحوادث الواردة في الشعر القديم ، وفي لغة التيجري يلتزمون الروي بالقصائد الطويلة أما بالبجاوية فهي مثل الدوبيت (بيتان فقط) .

١٢ — طول خدمتي بهذه الشركة كان سببا في اتصالي بمشايخ شيوخ سواكن والبوادي خصوصا نظار القبائل ، وكلهم كانوا من القراء والكتاب وقد عاصر أكثرهم الحكم التركي والمهدية .

١٣ — كنت نظراتجيا ، ثم اشتغلت محاميا حتى سنة ١٩٥٣م فأحلت إلى المعاش .

١٤ — كنت أقتنى دائما كتب الأدب والإجماع والتاريخ خصوصا ما كان خاصا بتاريخ السودان ، ومذكرات رواد السودان منذ سنة ١٥٢٠م حتى يومنا هذا وأكثرها بالعربية والإنجليزية .

١٥ — إجادتى للغتين السابقتين (التيجرية والبجاوية) أعانتنى على الاتصال وفهم ما أريد معرفته من مؤرخى القبائل الذين لا يجيدون العربية ، فكل ما دونته من الحوادث معرب أما من اللغة البجاوية أو التيجرية .

١٦ — عاصرت شيوخا لا يتكلمون إلا فى حوادث الماضى البعيد والقريب ودراستى للأدب العربى على بعض المدرسين حببت إلى البحث عن تاريخ حياة أمة البجة ، بل كل السودان لأن الأمة التى ليس لها ماضى (قديم) ليس لها حاضر (جديد) وكرست أبحاثى عن إقليم البجة (شرق السودان) لثقتى بأن لهم تراثا قديما يجب أن يبعث .

١٧ — وفى سنة ١٩١١م نادى الدكتور .. صن يات صن .. بالصين للصينيين ، وقبله فى سنة ١٨٨٠م نادى السيد أحمد عرابى باشا « مصر للمصريين » فكنت أنادى « بالسودان للسودانيين » ولم أحد عن هذا المبدأ فى كتاباتى ومقالاتى منذ سنة ١٩٢٢م (وهو أول تاريخ لمقالى عن المهدى وعثمان دقنه) . إذا كان يتلخص فى : « لقد أحسن المهدى صنعا بقتل غردون إذ كف ضغط الجيش الإنجليزى على دقنه حول سواكن » .

١٨ — أحب طبع كل مؤلفاتى الجاهزة (أولا) مثل حياة تاجوج والمحلق ، ثم تاريخ سواكن أرتريا والصومال ، وتاريخ قبائل الحباب والحماسين

(بالسودان وأرتريا) ، ثم تاريخ قبائل إقليم البجة مثل تاريخ كسلا والحلنقة وبنى عامر والهدندوة والامارأر والبشاريين والارتيقة (رهط الأمير عثمان دقنه) وحوادث المهدية ... الخ .

١٩ — لما رأيت أن الأسانيد التاريخية متوفرة لدى كتب قديمة ومعلومات كثيرة عن قبائل البجة استحسنت الاشتغال بها .

٢٠ — ابن خلدون لم يذكر شيئا عن الإقليم الذى أكتب عنه أو وقع عليه اختيارى ، ولكنى أفضل عليه المقريزى الذى ألف كثيراً عن العرب والسودان ومصر ، ثم نقل عن المؤرخ السودانى ابن سليم الأسوانى الذى ضاع كتابه عن البجة وعلوة والنوبة ... الخ .

٢١ — أنا اعتبر أول مؤرخ عربى هو أحمد بن يعقوب الذى كان فى أوائل القرن الثالث للهجرة .

٢٢ — الشاب من العشرين إلى الثلاثين تكون نفسه ونابة ودمه ثائراً ، ومن الثلاثين حتى الأربعين يتردد ، ومنها للخمسين يعمل (حساب) أى يعتريه التردد والهواجس وتربية الأولاد والمنزل .. الخ ، ومن الخمسين لايخشى إلا الله ويترفع من كل الصغائر .

٢٣ — لم يستفد البجة كمجموعة أو أفراد من حكومات الأحزاب مؤتلفة أو مختلفة إلا الحزازات والضغائن وكراهية البعض وتحطيم كل المشاريع النافعة لتطويرهم ، ولم تفتح هذه الحكومات عندنا حتى خلوة بسيطة ، هذا بخلاف ما أغدقوه على سائر المديريات ، انظر كيف كانت وزارة الأحزاب تنتخب من كل مديرية وزيراً وتحرم إقليم البجة من وزير بل من مدير لأى مصلحة ، مع أن الكفاءات جمة وموجودة .

٢٤ — أحب أن يحكم السودان باللامركزية ، أو النظام الذى اقترحه السيد عبد الرحمن على طـه ، كل مديرية أو ولاية على حدتها حتى التعليم الثانوى .

٢٥ — لم أجد أى صعوبة إلا من الوحوش الكاسرة ليلا فى الغابات والأحراش ، وكدت يوما من الأيام أن أموت عطشا فى سنة ١٩٤٢م لولا أن أدركنى رفيق بالماء من مكان سحيق .

٢٦ — كل بجاوى أو مؤرخ سودانى يستفيد جداً من مؤلفاتى ويمكن لكل باحث أن يعمل منها تحليلات علمية ، ولو أننى قد عملت ملخصا تاريخيا لكل قبائل إقليم البجة ، لا أوافق على طبعه أو إخراجه إلا بعد استكمال التاريخ الكبير .

٢٧ — ليس لدى أى وقت لقراءة المؤلفات الحديثة ، وأما السودان فى قرن فليس فيه أى شىء عن إقليم البجة بتاتا إلا بعض كلمات عن الأمير عثمان دقنه ، والسبب أن الإقليم المذكور كان منفصلا عن السودان انفصالا حتى سنة ١٩٠٥ م إذ وصلت سكة حديد النيل بالبحر الأحمر (لا أدرى ماذا فى سائر الكتب عن الأمير عثمان دقنه الذى كتبت أنا عنه نحو خمسين صحيفة من الفولسكاب بعنوان « حوادث المهدية بكسلا » وستكون بسوا كن وضواحيها أضعافا مضاعفة) وهذا جا كسون والمدام سارتوريس فالأول يمدح قومه ويشنع بالأنصار . والثانية كانت بالعكس تذم الجيوش التركية المحاربة للأمير عثمان دقنه ، وتمدح خططه الحربية وأساليبه العسكرية . ونحن نكتب فى كل شىء الحقيقة المستقاة من الوطنيين الذين اشتركوا فى المعارك ودع المستعمر لكتابهم وما يروق لديهم ولدى أنفسهم فإن كتاباتهم كلها لا تخلوا من الأغراض والتشنيع بالوطنيين .

٢٨ – كل الكتب المؤلفة عن السودان مفيدة جداً ، ومن لم يستند عليها أو يقتنيها فلا يصح له أن يكتب حرفاً واحداً عن وطنه ، ليت جمعية التاريخ بالكلية أو بوزارة الداخلية تسمح بطبع كتاب الشيخ إبراهيم عبد الدافع (الفونج والسلطنة الزرقاء) . أو تاريخ الشيخ الزبير ودضوه . وغيرها من المخطوطات .

٢٩ – الاستعداد الفطرى لدراسة التاريخ أولا ، ثم اقتناء الكتب الخاصة بما يريد المؤلف الكتابة عنه ، وأهم شىء هو المراجع التاريخية .

٣٠ – لامؤاخذة فى تطرفى ضد عهد الأحزاب، وقد كنت حزبياً ولكنى رأيتها تهدر الكفاءات وتجعل الشاة وراعى الشاة سيان ، وهذا يتجافى مع ديمقراطيتى الإسلامية .

ملحق ملحوظة :

لم أترك مكانا مأهولا ، أو منهلا مشهوراً فى إقليم البجة إلا وزرته ، واجتمعت بسكانه ومشايخه (من عيذاب شمالا وحلايب حتى قررورة فى الجنوب) ، أما نهر أتبره فقد طفته شرقا وغربا . وأقمت بين سكانه . ولكل قبيلة نطقها المختلف عن الأخرى لايدركه إلا الخبير بالألفاظ البجاوية والتيجرية .

كنت أطوف هذا الإقليم وكان محظوراً على مثلى السير خلال ديار البجة لأنها كانت تسمى « مناطق مقفولة » .

محمد صالح ضرار

هذا ما كتبه المؤرخ عن نفسه ، ونعود الآن لنقول :

تبلغ عدد الصفحات التاريخية التى كتبها المؤلف ألفاً ومائتى صفحة من الفولسكاب ، وهو بالإضافة إلى تدوين التاريخ والأشعار البجاوية باللغتين التبجوية والبجاوية ، فإنه سجل بعض القصص التراثية ، قصة عمر باشقير البنى عامرى وغرامياته وأشعاره باللغة التبجوية، وقصة محمود الفالج الهدندوى وغرامه وتعذيب ممتاز باشا له . وما جاء على لسان محمود من شعر بجاوى يفيض بالألم والأحزان . كما ترجم ذلك الشعر باللغة العربية .

كان مؤرخ قبائل إقليم البجة يهوى الأدب . وفى بداية حياته ألف بعض المقامات . وأهمها المقامة الترمسية . التى كان يذكرها أستاذنا الفاضل الشيخ مجذوب جلال الدين . عندما كنت طالباً فى كلية غردون عام ١٩٣٧ . وكان ينشد قول المؤرخ فى المقامة .

كل النبات النض دون الترمس   وليائميه الفخـــــر دون الأنفس

وهى من تراثه الباقى لدينا . كما أنه كان يتلذذ بإخراج المسرحيات التى كان يمثلها على حمّو ومختار البتمّو نى كأبطالها . وغيرهما من الشباب فى بورتسودان، واتسع وقته لإنهاض كرة القدم فى إقليم البجة . فكان مستشار فريق السواكنيين فى بورتسودان منذ سنة ١٩٢٦م وكذلك فى سنكات . فقامت على أكتافه وأقرانه نهضة رياضية بجلاء فى الصور الفوتوغرافية التى احتفظ بها والتى مازالت باقية مع مخلفاته .

بذل هذا المؤرخ جهداً فى الحصول على السيوف الأثرية فى شرق السودان . وكان يجمع العصى النادرة أيضا ويهدى من هذه وتلك لزواره فى البيت مع ما يأخذون من علم دقاق فى ساحته .

وما زلت اذكر ما رأيته فى طفولتى فى منزلنا من حشود لأفراد قبائل البجة من شيب وشيوخ أكل الدهر عليهم وشرب . وهم يسكنون فى منزلنا حيث تقوم أمى (رحمها الله) بإعداد الفطور لهم من اللقيمات بالسكر أو العسل ، ومن العصيدة التى تعوم فى السمن البلدى وقد تكدس السكر فيها أو طلى على جدرانها العسل . ولم تكن تقدم لهم الفول والبيض لأنهم لا يأكلون الأول ويحتقرون الثانى احتقارهم للدجاج وآكليه . وكانت أمى عليها الرحمة تملأ الأطباق باللحم والأرز والسمن ليأكل هؤلاء الأعاريب . وكنت أشاهد أبى المؤرخ وهو يجلس الساعات الطوال على برش الصلاة أمام أحد الأعاريب يستمع إليه وهو يتحدث بلغة غير العربية وينقل ما يقول أوراق أمامه عرفت فيما بعد أنها باللغة العربية . لقد كان يوم دارنا آحاد وعشرات من أولئك الشيوخ لينقل عنهم مؤرخنا . وكان فى آخر النهار يدفع للواحد منهم عشرة قروش نظير ما أعطى من أخبار . لقد كان يقدر ما عندهم من أخبار قدراً عظيماً ، وما كانوا يعلمون أن ما قصوه عليه يساوى كل ذلك المبلغ . كان ذلك على ما أذكر حوالى سنة ١٩٢٩م وما بعدها ، أما ما كان قبل ذلك فلا تعيه ذاكرتى .

أن ما كتب المؤلف من مخطوطات نأمل أن تظهر قريباً تباعاً حتى تظهر للعالم الحديث العطايا القيمة التى وهبها هذا المؤرخ لعالم التاريخ والاجتماع . والقراء والدارسون سيحددون قيمة العطايا التى قدمها محمد صالح ضرار . وسيرة هذا المؤرخ قد سارت بعيداً عند علماء الغرب بحكم اهتمامهم واتصالهم به منذ بعيد والاعتراف بدائرة تخصصه . فما من دارس للدرجات العليا إلا وجلس إليه واستمع منه إلى ما لديه من معرفة وأحاديث .

وهذا الكتاب « تاريخ قبيلة الجعليين والأماراب والبشاريين وبني عامر والحلنقا والمهيرية والكناب والسيقولاب والرشايدة وغيرهم من سكان شرق السودان» إنما هو نموذج للجهد الذي بذله المؤلف في إخراج مطالعات الطلاب الحتمية وطالبي العلم والراغبين في دراسة علم الاجتماع وتطور الجماعات.

ضرار صالح ضرار
ابن المؤلف

الارض والناس
فى اقليم البجــة

تبلغ مساحة السودان الشرقى ما يقرب من ١١٠،٠٠٠ ميلا مربعا تمتد من الشمال على الحدود المصرية السودانية من موضع بئر شلاتين شمال ميناء حلايب، وإلى الجنوب حتى ميناء مصوع بارتريا . أما من ناحية الغرب فحدود هذا الإقليم تشمل الأراضى والتلال المحاذية للنيل من الشمال حتى عطبرة واسكن لاشأن لها بسهول النيل ، ثم أنها تحوى نهر عطبرة وضفافه إلى الحدود الحبشية . أما من ناحية الشرق فإن شواطىء البحر الأحمر هى حدوده النهائية .

فى هذه البقعة تسكن قبائل البجة المختلفة منذ آلاف السنين ، وانتشرت جماعاتها وأفرادها يضربون فى وديان السودان الشرقى ، ويرقون جباله ، ويقطعون صحاريه وسباسبه وهم على ظهور جمالهم يرعون بأبلهم وماشيتهم وضأنهم وأغنامهم ، لا يزرعون إلا الذرة والدخن وهى الحبوب التى يصنعون منها خبزهم وطعامهم . ولا يغلون منها إلا ما يكفيهم مؤونة عامهم . فإن لم تهطل الأمطار فى الموسم التالى ضاقت حالهم ، ونضب ماؤهم ، وماتت أنعامهم وضمرت أجسامهم .

والبجاوى فى مظهره صغير المبنى ، متوسط القامة ، خفيف الحركة سريعها ، يقفز إلى أعلى فى خفة الطير ، وإلى الأمام فى سرعة الفهد ، ووجهه نحيل بيضاوى وفكه غير عريض ولكنه ينزل فى زاوية حادة إلى الذقن فتصبح كأنها زاوية المثلث . أما أنفه فحسن الاستقامة جميل التكوين ويبدو مثالا حسنا للأنف القوقازى . وبشرة البجاوى بنية تشوبها حمرة ، وشعره ناعم تغلب عليه الأمواج .

أما الأرض التي يسكن عليها فليست كلها بالأرض الكريمة التي تهب وتعطى ، ولذلك فإن سكانها جبلوا على التقشف وحياة الجدب حتى أجسادهم ضامرة ، ووجوههم نحيلة . ولما قلت مطالبهم فى الحياة احتفظوا بكبريائهم وكرامتهم ، وبحبهم لحياة الاستقلال الفردى مع شعور عظيم بالشجاعة والتضحية والإنتصار للقريب وللقبيلة ، والابتعاد عن كل مظاهر أجنبى ، وعدم الثقة فيه أو الاعتماد عليه .

ماذا يريد البجاوى فى حياته غير قليل من الماء والخبز ، ومرعى لإبله وسائر أنعامه ، وبضعة أذرع من قماش حول جسمه ، ثم يتمنطق بسيفه ، ويمسك برمحه ويملق ترسه ، ويمشى بعصاه الغليظة المحنية من أسفلها يضرب بها الحيات والثعابين ، ويطرد بها الكلاب ، ويلوح بها على ماشيته ، وينزلها على رأس أعدائه ! فهو يقضى النهار بطوله فى صيف محرق دون أن يتجرع قطرة ماء ، وتمضى عليه عدة ليال لايتذوق فيها طعاماً ، وهو بحاله راض قد وطن نفسه على أن تلك هى المعيشة الهانئة التى لم يكتشفها أحد غيره بعد .

بالرغم من سعة الأرض التى يسكنها البجاوى إلا أنه حريص أشد الحرص على كل شبر فيها ، فهو لايتنازل عنها لغيره ولو أدى ذلك إلى القتال ، وهو حريص على مرعاه وعلى ما فى أرضه من كلأ وعشب وشجر ، ويدافع عنها كما يدافع غيره عن أسمى ممتلكاته ، ثم هو لايسمح لغيره بحفر بئر فى تلك الأرض مهما درت البئر من ماء له ولغيره لأنه يعلم أن ذلك يعنى نزوح عدد من الناس للسكنى فى ذلك الرقعة من الأرض . ومن حفر بئراً فى أرض البجاوى كمن حفر قبراً له لذلك تراه يمانع ويجاهد دون ذلك مهما كلفه الجهد من جهاد ، فهو لايحب أن يجاوره أحد فى أرضه ، وقل أن يؤمن بالتعايش السلمى

والتبادل التجاري في منطقته لأنه بفطرته يشعر بأن ذلك إنما يجلب شر الأجنبي إلى بلاده لأن فيه استقراراً للغريب في أرضه ، ومشاركة له في السيادة والملكية ومن ثم كان البجاوي دائماً يؤمن بالاكتفاء الذاتي في ملبسه وفي مأكله ومشربه ، وفي مايطلبه من متع الحياة .

كان البجاوي يرمق سواحله على البحر الأحمر بكثير من الشك والترهيب. ولعلهم الشعب الوحيد في التاريخ الذي سكن على شواطىء البحار ولم يشتغل بالملاحة والتجارة، أو يهتم بالتجارة بين بلدان العالم القديم . فسواحل السودان الشرقي لم يخرج منها ملاحون يجوبون الأقطار الأخرى،ولكنها كانت تستقبل رواد التجارة بموانئها دون أن يكون لهؤلاء التجار نفوذ على داخلية البلاد . فلم يبن البجة مراكب تجارية تجوب عرض البحر كما كانت الأمم التي عاصرتهم تفعل كالمصريين أو السبئيين أو الحميريين أو البطالسة والرومان . كلا فالبحر وأمواجه لم يستهو البجاوي مطلقاً . بل أن مافي جوف البحر من حوت ولآلىء لم يغر البجة لخوضه في سبيل الطعام والغنى ، فهم اكتفوا بسفينة الصحراء واستعاضوا عن المراكب بالجمال، وعن لآلىء البحر بالأحجار من عقيق وغيره مما قد يجدونه في أرضهم ، وعاشوا أمة برية طيلة حياتهم . وهم لا يستطيبون السمك فلا يأكلونه، ولا تجذبهم رائحته أو شكله ،بل قد يعجبون من أولئك الذين يأكلونه بشهية ، ولكنهم لايقيسون شيئاً بلحم الضأن من بلدهم والتمر الذي تجلبه المراكب من العراق منذ قديم الزمن .

إن المنفذ الوحيد إلى أجزاء كثيرة من أفريقيا كان في موانىء السودان الشرقي وخاصة في مينائه العتيق التاريخ سواكن ، فقد كانت سواكن تخدم كل أجزاء السودان الحديث ، بل ومنها تمضي القوافل إلى أواسط أفريقيا وإلى

غيرها فى عصور التاريخ المختلفة . ففى عصور الفراعنه كانت البهارات والأبنوس والفهود والأسود والقرود والعاج من أهم ما تتطلبه المدنية الفرعونية . لذلك صارت سواكن ميناء لها أهميتها الخاصة . وكذلك كان الأمر فيما تلا ذلك من عصور . وعندما انتشر الإسلام فى أفريقيا ووصل إلى غربها أصبحت سواكن ذات مكانة خاصة فى نقل الحجاج بين ضفتى البحر الأحمر . وهكذا نشأت هذه الميناء التى كانت أهم ثغر على البحر الأحمر منذ فجر التاريخ حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلاد . ومع هذه المدينة نمت مدن أخرى فى السودان الشرقى، وكانت لكل منها أهميتها الخاصة فى حقبة أو حقب من تاريخ الجنس البشرى . فتاريخ سواكن جزء مهم من تاريخ السودان الشرق إن لم يكن أهم الأجزاء على الإطلاق ، فسواكن مدينة إلتقت فيها عدة حضارات عن طريق التجارة ، وأسهمت فى بث تلك المدنيات إلى كثير من أجزاء السودان . ومع أنها أثرت على من سكنها من البجـة إلا أن تلك المدنيات أخفقت إخفاقاً عظيماً فى أن تجد طريقها نحو حياة البجاوى لتغير فى شكلها أو رتابتها . لقد وقف البجاوى صامداً ضد كل فن أدخلته مدينة سواكن على نفسها أو نقلته إلى بقية أجزاء السودان . أما أراضى البجة فإنها احتفظت بأصالتها وعراقتها حتى القرن العشرين . فلما تأثر السودان عامة بما نقلت سواكن بدأ التأثير يلحق بإقليم البجة حين أشرفت سواكن على الموت مبنى وإن لم تمت معنى [1] .

---

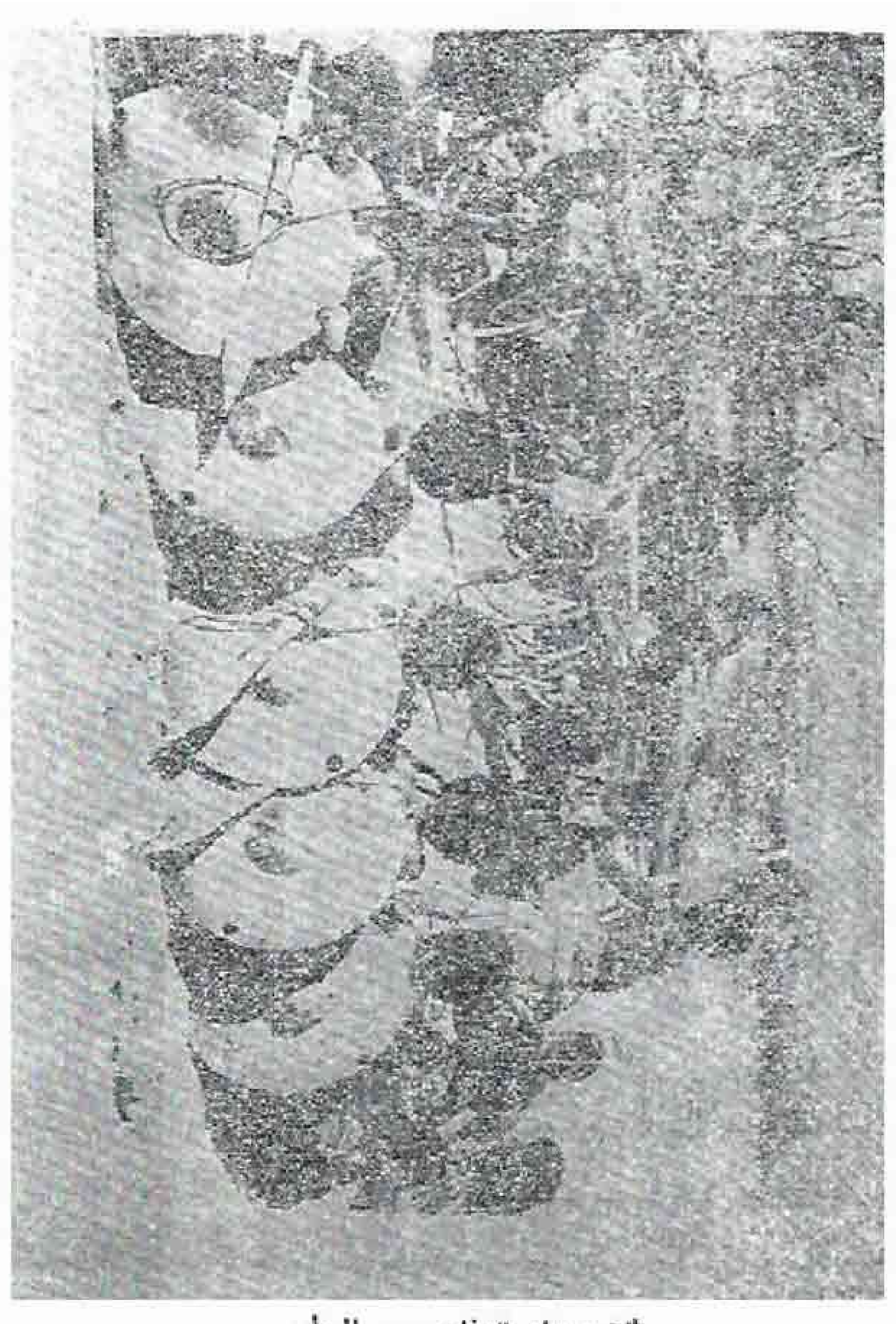
(1) ارجع الى كتاب : تاريخ سواكن والبحر الاحمر — للمؤلف نشر الدار السودانية للكتب ١٤٠١ ﻫ — ١٩٨١ م — الطبعة الاولى .

ثم نعود إلى هذا البجاوى الذى سكن فى هذه المنطقة لنرى أهميته فى التاريخ العالمى قديمه وحديثه . ففى أرضه بالشمال تقع مناجم الذهب البراق الغنية ، وقد بهر ذلك الذهب الفراعنة ، ثم حذا حذوهم البطالسة والرومان ثم العرب ، فكانت هناك خلافات وحروب بين البجة وبين تلك الأمم المتعاقبة . وكان السودان الشرقى يمثل الجسر بين المدنيات القديمة وما تتطلبه من حاجات أفريقية فى سبيل العيش المترف الرغيد فى قصور الملوك والأمراء والأغنياء . وكان رجال البجة دائماً بالمرصاد يعرقلون ويداهمون ويهاجمون ذوداً عن كل شبر من بلادهم . وما زالوا فى دفاعهم المجيد ذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر حين استولت على السودان قوات الحكومتين المصرية والبريطانية . ولم يتوقف كفاحهم قبل سقوط عدد منهم ضحايا الاستعمار حين هبوا مطالبين باستقلال البلاد فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

أنهم يعرفون مسالك وديانهم ، ومسارب جبالهم ، ودروب صحرائهم ومنابع مياههم ، ولكنهم قليلو الكلام مع الغريب ، بعيدو التعاون معه كثيرو الشك فيه ، فلا يعطونه سراً من أسرار بلادهم ، أو خبراً من أخبار حاضرهم أو ماضيهم ، فمن يدرى عما إذا كان هذا الغريب صديقاً أم عدواً . وعلى كثرة مايتحدث البجاوى مع ابن جلدته يقل حديثه مع الغريب فلا يكاد يرد على سؤال ، أو يجيب على استفسار . وتكتنف أقواله ستائر الغموض العميق . فهو يبتعد عن كل مكان يكثر طراقه . ولئن سكن كل الناس فى موطن نبع المياه فإن البجاوى لايروق له أن يكون قريباً من مصدر الماء لأن الماء طراقا كثيرين ، وهو يحب العزلة ، ويبعد عن الجماعة . ففى العزلة استقلال فردى كامل ، وفى الجماعة قيود يفرضها المجتمع . وهو لايحب التقيد ولذلك

قل أن تجد بجاوياً نزل بأهله فى نبع الماء ويكفيه أن يملأ قربته مرة كل عدة أيام فيشرب هو وأهله قليلا قليلا، وقد يجود على من يطرق مكانه باللبن الحليب والثريد ولكنه يفكر مرات ومرات قبل أن يقدم قدحاً من الماء خاصة إن كان الطارق حضريا يرشف الماء من الظمأ رشفا ينهك مدده المحدود من الماء.

ولا يتسنى للمؤرخ التدوين الصحيح لتاريخ السودان الشرقى مالم يكن هو من أبنائه الذين يجيدون لغة المنطقة البجاوية، ويعلمون عادتها وتقاليدها، فيبدهم وحدهم زمام الحقائق، لأن عاداتهم تقضى عليهم بعدم الاطمئنان لغير بنى جلدتهم مهما كان الباحث الأجنبى صديقاً أو مخلصاً أو مقـربا. ولذلك لايعتد بكتابة الأجانب فى كثير من الشؤون المتصلة بصميم حياة البجة، وخاصة ما كان له علاقة بالخلافات القبلية، أو الحرب أو الثورات، فإنهم يخفونها لئلا يحاسبوا هم وأحفادهم بموجبها ويجب على المؤرخ أن يكون حافظاً لأكثر أشعار السكان وأمثالهم بلغتهم لأنها النبراس الذى يضيئه وينير السبيل أمامه على كثير مما حدث فى الزمن السالف. ولقد قضيت زهرة شبابى وكهولتى كذلك أرتاد القرى والبوادى فى الجبال والسهول الواقعة بين عيذاب شمالا ومصوع جنوبا، وشرق النيل حتى سنار ثم أم حجر بالحبشة وأنا استشف الحقائق والأخبار لأضعها بين يدى القارىء فى هذا السفر.



الاستعداد للدفاع عن الوطن

أصـل البجـة

تضاربت أقوال المؤرخين فى أصل البجة الذين تحدث عنهم بعض المؤرخين الـكلاسيكيين كما أورد أخبارهم مؤرخو العرب . وأخذ كل من هؤلاء المؤرخين يبحث عن أصل البجة وعن موطنهم الأول كما أنهم وجدوا أن اسم البجة لم يكن هو الاسم السائد الذى أطلق على سكان إقليمهم البجة فى كل العصور ، بل إن هذا الاسم كان عرضة للتغيير بحسب تغيير الأمم التى كان لها اتصال بالبجة . ولـكن تلك الأسماء لم تغير فى حقيقة وضعهم كسكان لتلك المنطقة .

وقد اتفق كل من داود روبيني اليهودى والمسعودى على أنهم من أبناء كوش ابن كنعان وبذلك أصبح البجة فى رأيهما من الساميين الذين نزحوا من بلاد العرب . وأورد الدكتور جواد على نقلا عن استرابو أن العرب كانوا يسكنون إلى الطرف الثانى من الخليج العربى فى البحر الأحمر ما بين مصر والحبشة على الساحل المسمى بسكان الـكهوف تمييزا لهم من عرب الجزيرة .

أما شقير فانه لم يختلف كثيراً مع الرأى السابق إذ قال : « إنه من الثابت المقطوع به والمؤيد بالقرائن التاريخية والطبيعية أنهما (أى البجة وشبه السود) من سلالة غير سلالة السود . وأنهما من أقدم شعوب إفريقيا بعد السود . ولم ينشأ فيها بل هاجرا إليها من آسيا عن طريق مصر والبحر الأحمر من عهد بعيد . أما ملامحهم وعاداتهم وأخلاقهم فجميعها عربية محضة ، وأبدان البجة صحاح ، وبطونهم خماص ، وألوانهم مشرقة » . فكل قول لا يعترف بأن أصل البجة من جزيرة العرب لا تسنده أى حقيقة .

انضم جورجى زيدان إلى رأى شقير أيضا فذكر . إن أمه الشاسو من عرب الشام هاجرت إلى إقليم البجة واستوطنت بين النيل والبحر الأحمر كما يتنقل فيها بدو هذه الأيام . وكان قدماء المصريين يسمون هذه البادية تَشَرْ TASHAR وتعريبها الأرض الحمراء تمييزا لها عن وادى النيل واسمه (كيمى) وتعريبها الأرض السوداء . ولم يكن الشاسو يقتصرون فى مضاربهم على تلك الصحراء بل كانوا يرحلون بينها وبين طور سينا . وكلمة شاسو معناها عرب ، واشتهروا بالسطو ونهب أموال سكان وادى النيل[1]، ويقال لهم المكسوس.. أ هـ . ويبدو أن زيدان ذهب بعيداً فى محاولته لمعرفة أصل المكسوس فجعلهم من اقليم البجة ولكن ليس هناك حتى الآن من الأدلة التاريخية ما يثبت هذا الرأى .

قامت عدة محاولات من جانب الجيولوجيين لمعرفة أصول البجة ، وكان من بين المشتغلين فى ذلك السير ولاس بدج الذى ذكر بأن البحث فى مقابر البلاس حول جبل ماماں أوصل إلى نتيجة لاتقبل الجدل بأن جماجم أصحابها سامية أى أنها من عنصر راق[2] . وهذه المقابر تحفظ تحتها أجساد البجة الأقدمين وعثر عليها منتشرة فى عديد من جبال البجة بالبحر الأحمر .

غير أن بعض المؤرخين كان يرى فى أصل البجة آراء تختلف عما أوردنا، فهناك الهمذانى كان يرى أنهم من ذرية سام بن نوح، وذكر الطبرى أنهم جنس من الاثيوبيين وكان قول المسعودى يعارضه فى الرأى إذ أنه كان يرى أنهم

---

(١) وربما اقتبس البجه غزو مصر والنوبة من هؤلاء العرب ، كما كانوا يغزون الحبشـــة .

(٢) مقابر البلامس حول جبل ماماں (بدج : السودان المصرى) .

عرب قطعوا نيل مصر ثم افترقوا فسارت منهم طائفـــة ميممة بين الشرق والغرب وهم النوبة والبجة والزنج ، وسار فريق منهم نحو الغرب وهم أنواع كثيرة . وأما البجة فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر ، وتشعبوا فرقا ، وملـكوا عليهم ملـكا .

ويقول الدكتور جواد على بأن بقايا ثمود كانت على سواحل البحر الحبشى (الأحمر) وأن البجة فى تلك العصور كان يطلق عليهم البلامس ، ثم سموا البجة . وفى كتاب « الطواف حول البحر الإرترى » وصف شـامل لأصول البجة .

ونحن أوردنا كل هذه الشواهد من عدة كتب ومراجع لنثبت لكل من يجهل أصول البجة أن يعلم أنهم أمة سامية وأنهم عرب . وينـدر جداً فيمن يسكن هذا الإقليم أن يحرم من صلة وثيقة أو ضئيلة بهؤلاء البجة من الأمم العربية التى هاجرت قبل وبعد انتشار الدين الإسلامى .

وفى جزيرة العرب كانت تدور حرب طاحنة بين نفس السكان أى العرب العاربة والمستعربة .

ظهرت فى العراق عدة آثار كانت سبب هزيمة أولئك الذين أنـكروا وجود عاد وثمود معتمدين على كتب التوراة ، كما طبعت مراجع كثيرة وقيمة جداً فى العراق عمّن بصفق البحر الأحمر ، وكذلك أساطيل بنى الأحمر (الفونيقيين) التجارية ، وكيف أنهم ربطوا المواصلات من « جنة عدن » (مسبوتيميا) العراق إلى الخليج الفارسى فالمحيط الهندى والبحر الأحمر إلى خليج العقبة والسويس ، ثم مدينة صور والبحر الأبيض المتوسط .

وفى كتابنا « تاريخ سواكن والبحر الأحمر » ذكرنا كيف أن سفن

عيذ حورام كانت تزود موانى، البحر الأحمر بالواردات والصادرات كل ستة شهور .

أما ما كتبه الدكتور محمد عوض فى تاريخه عن قبائل شمال السودان المنقول جله عما كتبه المستعمرون من الإنجليز الذين خانهم الحظ فى الاطلاع على مؤلفات مؤرخى العرب ، إذ كان كل اعتماده واستشهاده من (S. N. & R.) مجلة السودان فى رسائل ومدونات) . وإذا أساء الإنجليزى فى كتابته عن البجة نقلها الدكتور بنصها وفصها وحللها بوتوش من المثالب حتى توغر صدر أبناء البجة خصوصا على الإنجليز . ونحن لا نلوم الإنجليز ، ولكن نلوم أخانا المسلم الذى استعان بهم على إخضاعنا وإذلالنا ، كما استعين بهم قبلها لعرابى باشا وإخوانه . وإنى لو أردت الرد على الأخطاء الموجودة فى كتابه لذهب وقتى سدى ، إذ لا يمكن أن نتفق لأنه يرى أن كلمة « بجة » من اختراع الإنجليز ، وأنا أقول إنها أقدم من ذلك عند الفراعنة والبطالسة والرومان والعرب . والدكتور ضرب بكل ذلك عرض الحائط . وكنت أود أن تؤلف جمعية من كل أبناء السودان ليدحضوا ما قاله عن قبائلهم ، وإنكاره امروبتهم التى سأبين فيما بعد كيف كانت هجرة العرب إلى السودان . أما ما ذكره الدكتور والمستر كلارك عن أخلاق البجة فقد بزّ كل منها صاحبه فى معائبنا ومثالبنا ، وأثبتا لكل منصف جهلهما عمن يكتبان ، فكلاهما فى جوبه مذموم .

وبينما يرى سليمان عبد الرحمن المصرى أن البجة عنصر من عناصر المصريين والأثيوبيين اتخذوا مسا كنهم فى الصحراء الشرقية يقرر الدكتور جواد بأنهم بقايا ثمود كانت على سواحل البحر الأحمر وهو بذلك يؤكد ساميتهم .

هذه هى أقوال بعض المؤرخين فى أصل البجة وفيها يرجح القول بأنهم أمة سامية وذلك بحسب ما كتب أو اعتمادا على ما اكتشف من جماجم فى القبور .

وجاء فى دائرة المعارف الانجليزية . . إن لفظة البجة تطلق على مجموعة من قبائل واسعة الانتشار، وهم من قدماء المهاجرين الساميين » ويقال لهم فى كتب الاقدمين البلامس وبليمس » وقد وصفهم هيرودتس (سنة ٤٠٦ ق م) بطول القامة وجمال الجسم خاصة فى الرجال . كما تحدث عنهم استرابو (سنة ٢٤ م) فأطلق عليهم عدة أسماء إذ يقول . . ويسكن الأجزاء السفلى على جانبى مروى على طول النهل من ناحية البحر الأحمر الميجاباريون والبليميون الخاضعون للاثيوبيين والمجاورون للمصريين . ويقع التروجاوديتيون الواجهون لمروى على مسيرة عشرة أو اثنى عشر ستاد [1] من النيل .

من هنا يظهر لنا أن فى ذلك التاريخ كان البجة يسمون بالبليميين كما أن هناك جماعة أخرى كان يطلق عليها التروجاوديتيون وذلك فى العهد الكلاسيكى ولكن لا شأن لهم بالبجة لأن تلك المنطقة لم يسكنها البجة مطلقا .

وقد عرف قدماء المصريين سكان السودان الشرقى واتصلوا بهم وظهر فى نقوشهم لفظ « البقة » وهو لفظ قريب جدا من البجة . أما جيرانهم من الجنوب الشرقى وهم سكان مملكة أكسوم فإنهم دونوا فى آثارهم لفظة بوقيته على سكان الاقليم الذى نحن بصدده وهو فى حد ذاته لا يختلف كثيراً عن اضرابه من الألفاظ . ويضيف بعض المؤرخين أن هناك شعبا آخر

---

(١) كل ستاد يساوى ستمائة قدم اى ٣ر١٨٥ مترا .

يسكن مع البجة يدعى المزابو اتخذ مسكنه فى الجبال بين سواكن وبربر على النيل ولكن هذا الشعب لم يعد له وجود الآن .

ليس فى الاختلاف بين الألفاظ المتقاربة من البجة ما يدعو إلى التشكك فى أصل هذه الأمة البجاوية أو فى موطنها . ومثل هذا الاختلاف طبيعى لأنه قد يكون ناتجا من اختلاف لهجات البجة أنفسهم حسب مناطقهم ، وإن نظارات البجة الخمس الآن يختلف نطق كل منهما عن الآخر فى الكلمات والأسماء والمسميات والألفاظ .

ومن بين الأسماء التى أطلقت على سكان إقليم البجة دون التحديد فى أمرهم ما ذكره فوتيوس من أنه بعد خليج العقبة تأتى أرض جماعة يسمون بابثانى وهى أرض منبسطة سهلة وبها مياه غزيرة ، وهى منخفضة تغطيها الحشائش والأعشاب والنباتات التى يبلغ ارتفاعها قامة إنسان ، وهى مليئة بالجمال الوحشية وبالغزلان والأغنام والبغال والثيران ، وبها أيضا كثير من الأسود والذئاب والفهود . ويليها خليج يسكن عليه بيت ميثروماتى الذين يصطادون الوحوش ويقتاتون بلحومها ، وهم الذين تقع فى مقابل ساحلهم تلك الجزر الثلاث . ويبدو أن حديث فوتيوس فيه خلط بين الحقيقة والخيال ولكن ما يسترعى الاهتمام هو لفظ ميثروماتى القريب من لفظ المزابو وهم الذين قيل إنهم كانوا أيضا من سكان إقليم البجة .

أما الاسم الحالى لسكان الاقليم فهو البجة وهم تحت نظارات هى الهدندوة ، والأمارأر ، وبنى عامر ، والبشاريون والحلنقا . أما ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية من أن العبابدة والشكرية من قبائل البجة أيضا فليس صحيحا لأن هذه قبائل عربية نزحت إلى السودان بعد انتشار الإسلام وليس لها علاقة بالبجة .

البجة في عصر الفراعنة

يستدل من الآثار المصرية أن قبائل البجة المجاورة لمصر كانوا كما هم في هذا العهد يخالطون الحضر على النيل فيأتون من صحرائهم بالمواشي وخشب السنط والفحم والصمغ والعسل وجلود الحيوانات والحجارة الكريمة ويقايضون بها الأقوات والأنسجة . وكان المصريون يسالمونهم لمنع تعدياتهم والإنتفاع بتجارتهم ويجعلون لمشايخهم جعلا معلوماً يجرونه عليهم في كل سنة فيتعهدون بحماية الطرق وحفظ الأمن . قال ابن سليم ولكنهم لم يكونوا يقيمون طويلا على هذا الهدوء بل كان خصب وادي النيل يغريهم فيغزون أهله من وقت لآخر ، فينهبون ويسلبون ويعودون بغنائمهم إلى منازلهم الصحراوية . وكان المصريون كلما فرغوا من حروبهم في الشمال يبعثون السرايا إلى تلك الصحراء وغيرها ويبنون المراكب الكبيرة في القصير ويرتادون بها موانيء البحر الأحمر فيعودون بالجزية وهي من محاصيل تلك البلاد حتى سواحل المحيط الهندي .

وكان ملوك الفراعنة يضعون أيديهم على جميـــــع المناجم كي ينفردوا باستخراج خيراتها . فالآن ترى أحجار الطحن والأنوار التي يدخلون بها إلى الكهوف متناثرة حول كل المناجم . وإني شاهدت أن التراب الذي كان الفراعنة يسحقونه أنعم من الذي تسحقه آلات العصر الحديث في كل المناجم . وتوجد مناجم مقفولة لم تلمسها الأيدي بعد الفراعنة[1] . وذكر أحد الانكليز في مذكرة ما كان يلاقيه البجة من الهلاك والمرض في البحث عن المعادن على أيدي الفراعنة .

---

(1) طلعت قمة أحد الجبال فوجدت جميع أدوات استخراج الذهب المستعملة منذ قبل الاسلام سليمة وعلى ابواب المنجم احجار كبيرة حركنا احدها لنتحقق مما خلفه فوجدنا الباب الذي يدخل منه المنقبون . وتركت ذكر اسمه لان صديقي يريد أن يضع يده على امتياز البحث .

وأول ملك مصرى عرفه التاريخ كفاتح للبلاد السودانية هو سنفرو فى حوالى سنة ٢٧٢٠ ق . م . وقد هاجم هذا الملك القبائل السودانية المتحدة من بلاد النوبة وأرض البجة ، وأطلق على هذه القبائل ذات الأقواس وذلك لأن السودانيين كانوا يستعملون القوس فى حروبهم . واستطاع سنفرو أن يتغلب على خصومه بعد حروب دامية انتهت بأن أخذ كثيراً من الغنائم والأسلاب ، كما أجبر البجة وسكان النيل على دفع الجزية إلى بلاط فرعون . ويذكر سنفرو أنه عاد إلى مصر من غزواته بسبعة آلاف أسير من النساء والرجال و ٢٠٠,٠٠٠ رأس من الضأن والبقر .

ثم هدأت فترة الانتفاضات السودانية واستمر السودان تابعاً لمصر حتى عهد الأسرة السادسة (حوالى ٢٤٢٣ ق . م) إذ بدأت قبضة المصريين على وادى النيل والبحر الأحمر تقوى ، واستطاع يونا الحاكم المصرى على البحر الأحمر وشمال السودان أن يخضع كل السكان خضوعاً تاماً ، بل إنه استطاع أيضاً أن يجند كثيراً من سكان إقليم البجة وشمال السودان فى الجيش المصرى ، كما كوّن منهم فرقاً أرسلت لمحاربة القبائل البدوية التى كانت تهاجم مصر عبر جزيرة سيناء . وبفضل هذه الفرق البجاوية السودانية تمكن المصريون من تأمين حدودهم الشرقية الشمالية عبر شبه جزيرة سيناء .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا العهد كان عهد استقرار راجت فيه التجارة بين السودان ومصر . وكان من أهم دعائم هذه التجارة القبائل البجاوية التى كانت تستعمل جمالها فى نقل البضائع من أجزاء إفريقيا الوسطى والشرقية إلى ربوع مصر . وكانت قوافل العاج وريش النعام والعطور واللبان وأخشاب السفن تسير على أوسع نطاق بين القطرين .

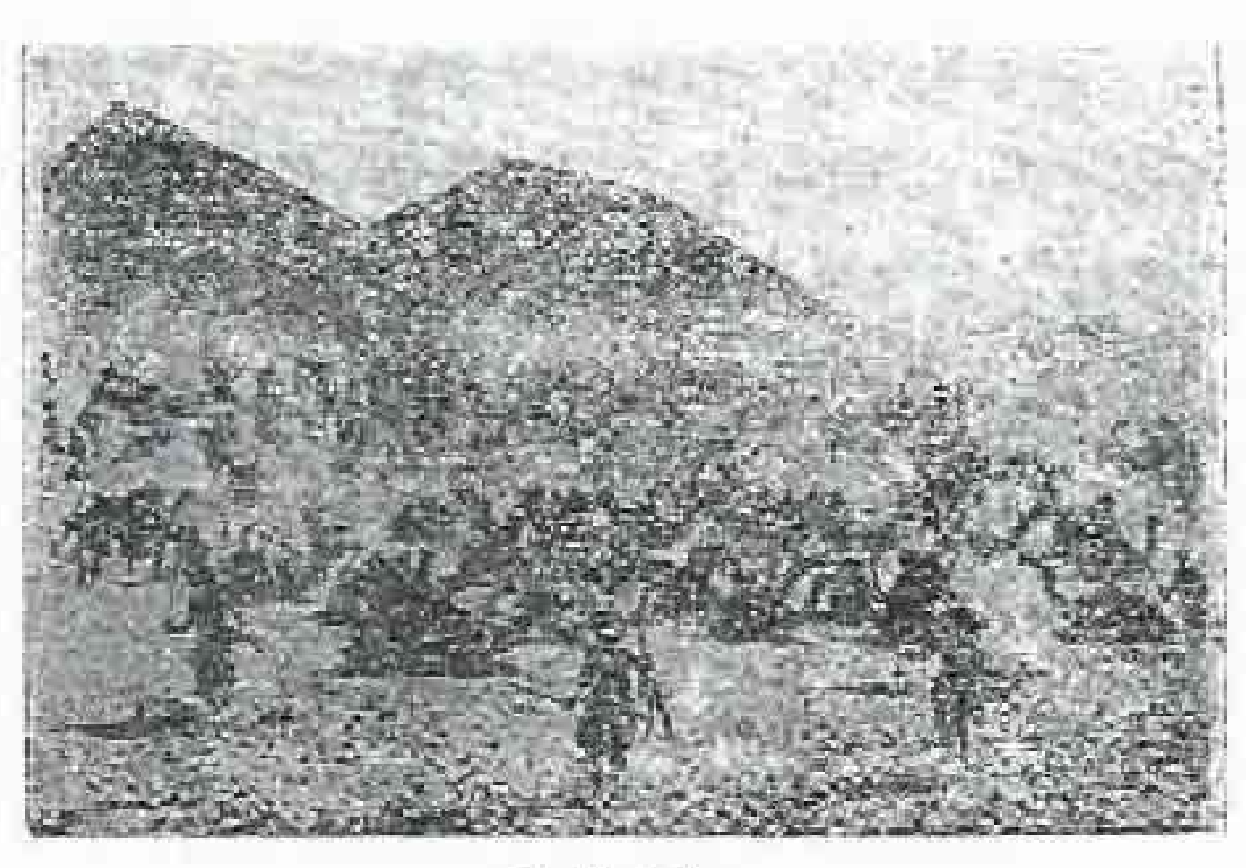
وعندما احتلت المملكة المصرية الوسطى (٢١٥٠ — ١٥٨٠ ق٠م) العرش الفرعونى بدأت بنشاط جديد نحو الجنوب والجنوب الشرقى من الحدود المصرية وخاصة فى عهد الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٩٧٠ ق٠م) إذ ظهرت حاجة الحكام المصريين إلى مزيد من الذهب والرقيق لأقامة مشاريعهم البنائية ، وكان للمصدر الوحيد لهذين الصنفين هو السودان : الأوسط للرقيق والسودان الشرقية للذهب ٠ وقام أمنحات الأول بحملات ناجحة ضد البجة حتى تم له إخضاعهم ٠ وأجبرهم على استغلال مناجم الذهب الواقعة فى وادى العلاقى ٠ وقد كتب أحد كبار الموظفين المصريين فى السودان آنذاك واسمه ساحاتور فى مسلة كيف أنه أجبر البجة على العمل فى المناجم هناك فكان شبانهم يحفرون لاستخراج الخام من الذهب ويطحنونه ، بينما يغربله المسنون ، وكان هذا التسخير مما سبب عديداً من الثورات البجاوية على الحكم الفرعونى ٠ ولكن لم تكن كلها ناجحة إلى الحد الذى استطاع فيه البجة أن يستقلوا بأوطانهم استقلالا كاملا ٠

واستمر النشاط المصرى نحو استغلال الأراضى السودانية بشكل أوسع فى عهد أمنحوتب الأول وتحتميس الأول (١٥٥٥و-١٥٤٠ ق٠م) وأضعفا شوكة النوبة ، وأجهزا على قوة البلاهس فى الصحراء الشرقية حتى أن قواتهم لم تستطع أن تهدد طرق القوافل المصرية التى تحمل الذهب والأبقار وسائر المنتجات الأخرى ٠ وكان لهذه السيطرة الأثر الكبير على الخزائن المصرية المملوءة ذهباً والتى اكتشفت فى مقبرة توت عنخ آمون فى القرن العشرين ٠

ولم تفتر همة المصريين عن زيادة إنتاج الذهب من مناجم البجة . فى

عهد سيتى الأول (١٣١٣ ق.م) بدأت محاولات جديدة فى هذا الشأن لحفر كثيراً من الآبار تدر دراً متواصلا من الماء للقوافل والعمال المسخرين الذين كانوا يستخرجون الذهب . ولم يتوقف هـذا العمل فى عهد رمسيس الثانى (١٢٩٢ ق . م) بل ازداد توسعاً وإنتاجاً . ولولم يكن العمل يجرى على طريقة تسخير الرقيق لـما استطاعت مصر أن تستفيد الفائدة القصوى من تلك المناجم . ولـكن وجود الرقيق بأعداد كبيرة فى تلك العهود جعل من الممكن أن تستغل تلك المناجم إلى الحد الذى أظهر مبلغ غنى قدماء المصريين ومبلغ ثرواتهم الضخمة من الذهب المستجلب من جبال البجة .

وضعفت مصر بعد ذلك ، وضعفت قبضتها على القبائل البجاوية المحاربة فاستعادت قبائل البجة حيويتها واستقلالها ثم مالبثت أن ناوشت كل الدول التى استعمرت مصر بعد ذلك بإغاراتها المتكررة على الحدود المصرية .



ساعة الصقر

العهد الرومانى

لم يتصل الرومان بالبجة طوال القرن الميلادى الأول ، ولم تكن إحدى الأمتين تعرف شيئاً عن الأمة الأخرى . ويبدو أن البجة كانوا بمثابة الأمة الخرافية بالنسبة للرومان الذين قال أحد مؤرخيهم « إن البجة قوم تنمو رؤوسهم من تحت أكتافهم » ولعل هذا يدل على أن البجة حتى ذلك القرن لم يتعدوا فى الهجوم على الرومان وعرقلة تقدمهم من الأراضى المصرية نحو بلاد النوبة والبجة .

غير أن فترة الهدوء التى كانت تسود الحدود الرومانية ما لبثت أن اعترتها سلسلة من الغارات والانتفاضات بسبب محاولة الرومان بسط نفوذهم على الأراضى الواقعة جنوبى أسوان ورغبة البجة فى منع الرومان من التغلغل إلى تلك المناطق، وكان الرومان كسابقيهم من فراعنة مصر يريدون فتح التجارة مع السودان وعبور أراضى البجة ، واستغلال الذهب والأحجار السكرية من جبالها وأراضيها .

ولعل أول هجوم بجاوى على الرومان كان فى سنة ٢٥٠م وذلك فى عهد الامبراطور ديسياس . واستمرت المناوشات بين الجانبين حتى تم التوصل إلى هدنة والدخول فى مفاوضات بين الجانب الرومانى والبجاوى . فأرسل الملك (تهرمن) البجاوى بأزمون بن بيزى رئيساً لوفد المفاوضات وتباحث مع تربيونيوس إلسى فى أمر الحدود الرومانية . ويبدو أن الجانبين توصلا إلى اتفاق مؤقت بحيث يمتنع البجة عن مهاجمة الإمبراطورية الرومانية المتاخمة لهم .

لكن سرعان ما رأى البجة أن الهدنة لم تعد فى مصلحتهم ولذلك فإنهم

تقدموا فى عام ٢٦١م وتوغلوا فى حدود مصر حتى صدهم بوليوس فيرمليانوس مما اضطر ملك البجة إلى الركون إلى المهادنة حتى تحين فرصة أخرى.

وفى عام ٢٧٣م زادت متاعب الرومان كثيراً فى مصر لأن الملكة زنوبيا ملكة تدمر أبدت نشاطا عظيما فى هجومها على الرومان فى مصر واستطاعت أن تعقد تحالفا مع كثير من الفئات المصرية المتذمرة من حكم الرومان لمصر واتفقت أيضا مع البجة فى جنوبى شرق مصر على فتح جبهة أخرى للرومان حتى يشتد الضغط الحربى عليهم. واستجابة للتحالف مع زنوبيا قام البجة بهجوم عنيف على الرومان واستطاعوا أن يتقدموا داخل الحدود المصرية إلا أن حلفاءهم من التدمريين أصيبوا بالهزيمة مما أدى إلى خروجهم من المعركة، فاتجه الجيش الرومانى لمساندة جيوشه بالحدود الجنوبية وتمكن من صد الهجوم البجاوى الذى وصل إلى مقربة من موقع سوهاج، وأخذ القائد الرومانى بروبس فى تعقب البجة حتى تم طردهم من مصر فى عام ٢٧٤م. وقد وقع بعض البجة أسرى فى أيدى الرومان. ويضيف المؤرخ فوبسكوس أن بعض أولئك الأسرى كانوا من العرب الذين عبروا إلى إقليم البجة وأصبحوا من رعايا ملك البجة.

لم تستسلم البجة لتلك الهزيمة واعتبروها هدنة يستجمعون فيها استعداداً لقتال شديد وفى عام ٢٧٦م ذكر فوبسكوس أن بروبس النائب الامبراطور الرومانى الذى تولى مصر من ٢٧٦م إلى ٢٨٤م غزا البجة وقهرهم وأرسل منهم أسرى إلى روما، ولكن البجة جددوا الهجوم، وعبروا الحدود بجيش قوى استطاع أن يكسب انتصارات خاطفة على الرومان، واستولى بسرعة فائقة على مناطق كثيرة من مصر وتخطى موقع سوهاج الحالى وبات خطره عظيما

على الرومان . وذكر نوبسكوس أن بروبس النائب للامبراطور الرومانى الذى تولى مصر من ٢٧٦م إلى ٢٨٤م أعد جيشا قويا لمجابهة الغزو البجاوى والتحم معهم فى عدة مواقع غير فاصلة ، وأخذوا هم فى التقهقر إلى حدودهم حتى إذا وصلوها لم يستطع بروبس التوغل فى أراضيهم خوف عصاباتهم وصحرائهم ، ولكنه تمكن من القبض على عدد من الأسرى البجاويين فأرسلهم إلى روما ليظهروا فى استعراضاتها العسكرية المعتادة ، وقد أذهل شكلهم ومظهرهم الرومانيين .

ازداد ضغط البجة على الرومان سنة ٢٩٧م وذلك فى عهد الامبراطور ديوكليشيان فاضطرت الامبراطورية الرومانية إلى الإنسحاب من كل الأراضى الواقعة جنوب الشلال الأول ، واتخذت منه نهاية لحدودها الجنوبية . ثم أن ديوكليشيان أمر باسكان أمة النوباتيين (وقد يكونون هم النوبة) ليسكنوا فى تلك المنطقة أملا منه فى أن يكونوا درعا حصينة ضد غارات البجة المتكررة . وبالرغم من هذا الإجراء فإنه كان مضطرا إلى مصانعة النوباتيين والبجة معا حتى لا يغيروا على مصر ، فاتفق معهم على أن يدفع جزية سنوية لكل من الامتين . وطالب البجة بأن يسمح لهم بالحج إلى معابدهم الوثنية فى جزيرة الفيل حيث كانوا يشتركون هم والنوباتيون والمصريون فى عبادة الإله ايزيس الذى كانوا يعتقدون أنه واهب الخطب لبلادهم . ورضى ديوكليشيان بهذا الشرط إذ لم تكن المسيحية بعد قد أصبحت الدين الرسمى للامبراطورية .

أما بعد عام ٣٣٣م وهو بعد اعتناق قسطنطين للدين المسيحى فقد بدأ البجة يشعرون بقوة الضغط المسيحى عليهم لا من الشمال فحسب ولكن من الجنوب الشرقى أيضا إذ أنه فى عام ٣٩٥م هجم الملك أزانا ملك اكسوم

المسيحى على قبائل مملكة البجة ، وتقدمت جيوشه من الجنوب فى محاولة ناجحة لتحطيم مملكتى البجة والنوبة فى عاصمتها مروى القديمة التى كانت ما زالت تدين بالوثنية ، وتمكن الملك أزانا من الانتصار عليهم نصرا حاسما مكنه من تحطيم بلادهم ، وبهذا أزال إحدى الدولتين السودانيتين الكبيرتين ولم يبق غير البجة ليواجهوا خطر مواصلته للغزو من الجنوب وخطر الرومان من الشمال . واستمر هذا التهديد للبجة حتى بلغ أقصاه فى عام ٣٩٠ م حين قام ثيودوسيوس الأول الرومانى باغلاق المعابد الوثنية فى جزيرة الفيل ومنع كلا من النوبة والمصريين والبجة من عبادة الأوثان ، ثم أجبر المصريين على اعتناق المسيحية ، وتضايق النوباتيون من ذلك ، وتمسك البجة بصلابة بحقهم فى اعتناق الدين الذى يرون غير عابئين بالضغط الرومانى وما يمكن أن يتبعه من اضطهاد .

وبدلا من أن تنهار مملكة البجة بسبب ما تعانيه من أزمات حربية بسبب الحصار الرومانى من الشمال والأكسوس من الجنوب استطاعت أن تشد من قواها مرة أخرى : وما حانت سنة ٤٠٧ إلا كانت مملكة البجة أقوى ما تكون عليه وجهزت كل إمكانياتها لحرب جديدة ، حتى إذا حانت سنة ٤٢٩م عبرت جيوشها الصحراء الشرقية متدفقة نحو أصوان حيث عبروا النيل ووصلوا إلى « واحة خارجة » التى كانت معقلا رومانيا مسيحيا ، فأبادوا الحامية وأسروا سكانها المسيحيين وعادوا أدراجهم إلى بلادهم .

ومنذ حلول القرن الخامس للميلاد أصبح البجة سادة الموقف حتى فى أراضى النوبة لا ينازعهم فى ذلك أحد ، وتقلص النفوذ الرومانى إلى درجة استطاع معها البجة تأسيس مملكة ثابتة جنوبى أصوان . وتعاقب على تلك

المملكة عدة ملوك مختلفين وراءهم بعض الآثار التى تثبت سطوتهم وممالكتهم لكنهم لم يكتبوا انتصاراتهم أو يخلدوها بلغتهم البجاوية التى لم تكن تكتب ؛ ولما أراد ملكهم خاراشين أن يسجل مقدرته لجأ إلى أحد الكتاب المصريين الذين يعرفون اللغة اليونانية فكتب له الوثيقة التالية باليونانية[1].

« وأنا خاراشين — ملك البجة - أكتب إلى أبنـــاء خاراشين وشارابانسكور وشارحيت أننى سمحت لك بإدارة جزيرة تاری ، ولا أسمح لأحد غيرك بالتدخل فى ذلك . أما إذا حاول الرومان خلق الصعوبات والمتاعب وامتنعوا عن دفع الجزية المعتادة فاعلم بأنه ليس فى استطاعة فيلارخ أو هابيوترانواس أن يمنعاك من إجبار الرومان على دفع الجزية المعتادة لهذه الجزيرة » .

شعر الرومان بأنهم أخطأوا بإحضار النوباتيين الوثنيين فى أرض النوبة ليكونوا دولة حاجزة بينهم وبين البجة لأن النوباتيين اتحدوا مع البجة فى التخلص من الخطر الرومانى ، ورأى الامبراطور ماشيانوس أنه لابد له من كسر شوكة البجة والحد من تمرد النوباتيين ولذلك فإنه أرسل قائده المظوم ما كسيموس سنة ٤٥٢ م بجيوش عظيمة لضرب البجة الضربة القاضية . واستطاع القائد الرومانى كسب بعض المعارك الميدانية ، لكن البجة كانوا قد عقدوا العزم على عدم الخوض فى معركة حاسمة مع جيش يفوقهم عدداً وسلاحاً ، واكتفوا بالمناوشات والهجوم الخاطف ثم التقهقر إلى الصحراء ، ولما لم يجد ما كسيموس فرصة للقضاء عليهم لجأ إلى الدبلوماسية فدخل معهم فى مفاوضات انتهت بصلح وإقامة هدنة بين الجانبين ، فاحتفظ البجة لأنفسهم بالحق فى إقامة

---

(1) ماكمايكل . تاريخ العرب فى السودان .

شعائرهم الدينية الوثنية فى معابد إيزيس بجزيرة الفيل سنوياً ، ومن هناك يحملون الإله إيزيس إلى أوطانهم كما جرت العادة بذلك على أن تتوقف غاراتهم الحربية على مصر مدة مائة عام . ثم أطلقوا سراح أسرى الرومان كما قبلوا تسليم بعض من أبنائهم ليكونوا رهائن فى أيدى الرومان حتى لا تتوالى إعتداءاتهم . ويبدو أن الرومان قد قبلوا استمرار دفع الجزية السنوية للبجة نظير محافظتهم على هذه المعاهدة .

غير أن البجة لم يكن من رأيهم إيقاف غزواتهم مدة قرن وكانوا فى مفاوضتهم مع ماكسيميوس يقولون بأنهم سيتعهدون بذلك طيلة قيادة ماكسيميوس بمصر أو طيلة حياته ، ولكن القائد الرومانى استغل قوته وأجبرهم على التعهد لمدة قرن فرضوا بذلك وهم يضمرون شيئاً آخر .

لما مات ماكسيميوس بعد ذلك بعدة أعوام زحف البجة نحو مصر وهاجموا القوات الرومانية وأجبروها على التقهقر أمامهم حتى خلصوا رهائنهم من أيدى الرومان ثم عادوا إلى ممتلكاتهم سالمين ولم يتمكن الرومان من ملاحقتهم .

كانت سنة ٥٤٣م[١] نقطة تحول فى تاريخ السودان عامة والبجة خاصة ، ففى تلك السنة أرسلت الامبراطورة تيودورا بعثة دينية إلى السودان تدعو فيها ملك النوباتيين إلى اعتناق مذهبها المنوفيزى ، واستطاع المبشر جوليان الذى أرسلته من اكتساب قلب الملك إلى الدين المسيحى ، ولكن ما لبث أن أرسل الامبراطور جستينيان بعثة تبشيرية مناوئة لبعثة زوجته واستطاعت

---

(١) السودان فى رسائل ومدونات .

أن تكسب الملك النوبي إلى العقيدة الأرثوذكسية ، وأصبحت أرض النوبة منذ ذلك التاريخ حليفا دينيا للرومان وانتهت عداوتها معهم ، وبقى البجة وحدهم منفردين ، وأصبحوا هم القادة من الوثنية والمناهضين للمسيحية ، وأضحت مملكتهم محاصرة ، فإلى الشمال الرومان ، وإلى الغرب النوبة وفى الجنوب أكسوم ، وكلها دول معادية لها . ولما رأى الرومان العزلة السياسية التى صار عليها البجة أرادوا أن يضربوا ضربتهم القاضية ، فأغلقوا المعابد الوثنية بجزيرة الفيل ، وحملوا آلهتها الوثنية إلى القسطنطينية غير عابئين بغارات البجة التى قد تهددهم فى مراكزهم . واتحد الرومان والنوبة ضد البجة ، وربما بتشجيع وإعانات من الرومان نهض ملك النوبة المدعو سلكو فى منتصف القرن السادس الميلادى وأعد جيشاً عرمرما ، فهاجم مملكة البجة والتحموا فى قتال عنيف انتهى بانتصار القوات المسيحية على القوات البجاوية ، وسجل الملك سلكو انتصاره ذلك على جدران معبد كلابشة تالمشا[1] :

« أنا سلكو - ملك النوبة وكل الأثيوبيين - ذهبت إلى مدينتى تالميس وتافيس وهناك حاربت البجة مرتين حيث منحنى الله النصر عليهم ، ثم حاربتهم مرة ثالثة وانتصرت أيضاً ، كما استوليت على مدنهم ، وعسكرت بجيوشى هناك ثم عقدت صلحا معهم بعد أن أقسموا لى بأوثانهم ، فوثقت بهم وصدقتهم لأنى أعلم أنهم رجال صدق وأمانة » .

يبدو أن ذلك كان آخر عهد مملكة البجة بالضراوة والحروب ، ويعتقد بعض المؤرخين[2] أن الضربة كانت نهاية مملكتهم . لكن التاريخ فيما بعد

---

(١) أمرى : الكنز النوبى .
(٢) نفس المصدر .

يثبت أن أمة البجة لم يحدث أن ضعفت حربياً لأنها استقبلت العرب بعد الرومان بنفس القوة الحربية التى ضعضعت سلطة الرومان فى مصر، واحتفظوا بروحهم الحربى حتى الآن . لقد ألفوا الحرية والاستقلال فلم يكونوا يقبلون أى سلطان عليهم ولم تكن هزيمة النوبة لهم إلا هزيمة مؤقتة إذ أنهم عاشوا فى ممالكهم قرونا عديدة بعد انهيار ممالك النوبة المسيحية .

كان أول لقاء حربى بين البجة والعرب فى أيام الفتح العربى لمصر بقيادة عمرو بن العاص . وكانت العلاقات بين الرومان والبجة قد طرأ عليها كثير من التحسين والوفاق إلى الحد الذى طلب فيه القائد بطلوس الرومانى النجدة من النوبة والبجة لمواجهة الغزو العربى . وخرج الملك البجاوى مسكسوح[1] لمساعدة مصر بخمسين ألف مقاتل من البجة معهم ألف وثلاثمائة فيل على كل فيل عشرة من الشجعان ويعززهم جنود ملك النوبة فاليق . وكانت بين هذه الجنود البجاوية جنود قبائل الأناك[2] ، وقد قدموا من وراء سواكن وجعلوا من جلود الفهود دروعا لهم ، ووضعوا على شفاههم العليا خواتم من النحاس . وهؤلاء الأناك هم الذين بنوا قبور عامان فى جبال المدندوة وبنى عامر . وكثر القول فى أصل الأناك ، وبعض المؤرخين يرى أنهم من بقايا قدماء المصريين الذين هربوا من وجه البطالسة أو الرومان واختلطوا بالبجة . وعلى كل حال فإن جنود البجة التى وقفت فى وجه عمرو بن العاص استماتت فى قتال المسلمين ، وهاجمتهم هجوماً عنيفاً ، أما النوبة فإنهم استخدموا سهامهم فى ضرب المسلمين فى أعينهم حتى أطلق عليهم العرب « رماة الحدق » ولكن

---

(١) السيديدج .

(٢) يرد هذا الاسم فى أكثر أجداد قبائل البجة خصوصاً البشاريين .

لم تكن هذه النجدة البجاوية النوبية ذات أثر فعال في تقرير مصير المعركة لأن عمرو بن العاص استطاع أن يتغلب على جيوش الحلفاء بسبب الإمدادات العسكرية التي كان يرسلها له عمر بن الخطاب وبذلك تم له الاستيلاء على مصر .

يقول بلج إنه كان هناك ملك اسمه (سنفرو) كان قبل المسيح بثلاثة آلاف وسبعمائة سنة وأراد فتح السودان لنفس الأسباب التي انتحلها محمد على باشا وهي تجنيد السودانيين السود وتسخيرهم[1] .

(1) أما البجة فكان الغرض استرقاقهم عند التنقيب عن الذهب والزمرد وسائر الاحجار الكريمة (من بلادهم) .

الهجرة العربية قبل الاسلام

شهد السودان الشرقي عدة موجات سامية نزحت من جزيرة العرب إلى السواحل الغربية من البحر الأحمر . وكما رأينا من قبل فإن أكثر المؤرخين درجوا على القول بأن البجة من عنصر سامي نزح منذ قديم الزمان إلى ذلك الأقليم، واستمرت بعض القبائل العربية في هجرتها إلى السودان قبل الإسلام، وكانت أشهر تلك القبائل التي نزحت قبيلة بَلِيّ وقد كتبها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى بفتح الباء وكسر اللام وياء مشددة بالفتح . ويضيف القلقشندي بأن هذه القبيلة هم بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاعة بن حمير ، وكان قضاعة مالكا لبلاد الشحر « وقبره بجبل الشحر » ولهم بقايا بالديار المصرية بصعيدها الأعلى منهم بنو ناب وغيرهم . والنسبة اليهم بَلَوِيّ بزيادة واو مكسورة قبل ياء النسب[1] .

ويقول جرجي زيدان إن بليّ وجهينة هما القسم الغربي من بطون قضاعة اجتازوا البحر الأحمر وسكنوا مابين صعيد مصر وبلاد الحبشة حيث كثروا هناك ، ولما زال ملكهم على يد قبائل البشاريين والأمارأر والهدندوة وبني عامر أنشأوا مملكة في مصوع سنة ٩٦٥ هـ ١٥٥٧ م » ولاتزال سلطة قبائلهم بأيديهم[2] .

وتعد قبيلة بَلِيّ من أقدم القبائل العربية التي هاجرت إلى هذه الديار

---

(١) وفي الاسلام رحل الى مصر من الشام ثلث قضاعة (بلي) .

(٢) يقول شكيب ارسلان : ولا تزال بقايا هذا العنصر (بلي اوحدارب) الممتاز يحتفظ بعظمته وتقاليده وعاداته العتيدة محل احترام كل القبائل البجاوية وتكفيهم فخرا إن كل شخص منهم ينتسب اليهم .

البجاوية بعد الشامو وثمود وغيرهما ، وكانت هجرتها قبل ظهور الإسلام بقليل ، وهى بطن من بطون قضاعة التى يقال عنها فى كتب المؤرخين بأنها أول من نزح من قبائل معد . وكان السبب فى نزوحها حرب وقعت بينها وبين ربيعة بسبب فتاة ربيعية يعشقها رجل قضاعى من بنى نهد ، فانتصرت مضر وأنمار وإياد لربيعة ، وانتصرت علك لقضاعة — فأجلوا عن أماكنهم وتيمموا نجد ماعدا قبيلة بلى فإنها يممت اليمن ونزلت مأرب ثم ارتحلت منها إلى ما بين تيماء والمدينة .

وقال ابن خلدون : « إنهم اجتازوا إلى العدوة الغربية من البحر الأحمر وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكثروا هناك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأزعجوهم وضايقوا المصريين » .

وقبائل بلى هى أول من نقل اللغة العربية إلى إفريقيا . فجاوروا قبائل البجة ، ولكنهم لم يختلطوا بها . فأطلقت البجة كلمة « بَلَوْيِيتْ » على اللسان الذى تتكلمه « بلى » أى اللغة العربية ، وهى مالم تكن مفهومة عندهم ، ولذلك نسبوها لأول من تكلمها فى ديارهم . كما أن « البلى » كانوا عنصرا عربيا يترفع عمن سواه من أمم افريقيا ، واعتبروه سيدا عليهم ، إذ وفد ومعه اخلاق عالية ، وادعى السيادة على أمة البجة بما جلبه معه من الفضائل . كما أطلق على كل سيد من « بلى » « بَلَوْيُونْ » وتعريبها رئيسنا أو سيدنا أو بَلَوِيبْ ، وبالبنى عامرية « بَلَوَايٍّ » أو « بَلَوَاى » وكلها تؤدى معنى السيادة والزعامة . كما أن البجة والبجاوية تؤدى لمعنى عكس ذلك . وكان البليون يأنفون من مصاهرتهم أو مخالطتهم حتى ضاعت عروبتهم اللغوية

واتخذوا البجاوية لساناً إذ اضطرتهم سنة الحياة الاجتماعية كي يتزوجوا بنات رؤساء البجة ، ونشأ ابناؤهم وهم يتكلمون لغة أمهاتهم . وكما يقول الافرنج : إن أول ما يتعلمه الطفل من الألفاظ هو ما تنطقه أمه بلسانها : Mother's tongue ولا يزال هـذا القياس سارياً إلى اليوم . والأم التي تجيد العربية والبنى عامرية والبجاوية يتكلم بنوها هذه اللغات الثلاثة بطلاقة وسهولة . وأنا أقول لكم هذا عن علم مقرون بتجربة وخبرة ، ولا يمكن لأي باحث عن أصول البجة وتاريخهم أن ينجح ما لم يحسن الكلام بثلاثتها ويحفظ أمثالها وأشعارها . وهو لا يحتاج إلا إلى صـبر وقوة وعزم وتمضية وقت الفراغ في تدوين كل صغرى وكبرى من الحوادث والأشعار خصوصاً ما كان منها بين شاعرين .

يقول شقير بك في تاريخه : إذا أردت أن تسأل البجاوى عن معرفتـه بالعربية فيجب أن تنسبها إلى « بَلِيّ » فتقول له بَلَوِيِيتْ تِكَيّتِيناً (هل تعرف لغة بلى أى العربية) فإما أن يرد عليك بإحدى الكلمتين (كَاَ كَنْ) أى لا أعرف ، أو (أَكِيتِين) أى أعرف . وكذلك في البجاوية (بِدَاوِيِيتْ) والبنى عامرية التي يقال إن أول من تكلمها أهل اليمن وساحل إرتيريا وقبيلة ثمود ويهود اليمن ، وهـذا موضوع يحتاج لبحث كثير في المستقبل . وقد وقفت قبائل بلى حائلا دون انتشار المسيحية في شرق السودان حتى جاء الاسلام مع العرب فاعتنقوه[1] . واشتهر البليون بالشجاعة والعزم

---

[1] بعض مؤرخي الغرب يدعى أنهم اعتنقوا المسيحية وهذا خطأ واضح اذ لو كان ذلك حقا لما تنازلوا عنه بسهولة ولاعتبرهم أمراء الحرب نميين في مساعداتهم وهذا ما لم يكن .

حتى هابهم كل من حولهم من الأمم وخصوصا الحدارب فهم شوكة القوم ووجوههم .

العرب والبجة والنوبة

كانت هناك قبل الإسلام وقائع حربية متعددة بين البجة والنوبة خاصة بعد أن اعتنق النوبيون الدين المسيحى وبقى البجة على وثنيتهم . وكانت البجة أقل قوة ونظاماً من النوبة حتى أنها قبلت سيادة النوبة الاسمية عليها . وفى هذا العهد الذى ضعفت فيه البجة قبيل الإسلام انصهرت فيه عدة قبائل من البجة فى النوبة ومنها الزنافج أو زنافج كما كتبها الرحالة الوزانى بوركهارت. وهذه إحدى قبائل البجة التى انتقلت إلى النوبة قديما ، وقطنت فى ضواحى شنقير (بين أبو حمد وبربر) وهم على حدة فى الرعى والكلأ واللغة (البجاوية) ، لا يخالطون النوبة ولا يسكنون قرام ، وعليهم وال من النوبة واليوم لا يعرف لهم مقر إذ اندمجوا نهائياً فى النوبة والعرب . وقبل هجرة (البلويب) من الجزيرة العربية كان الزنافج أكثر عددا منهم غير أنهم أصبحوا تبعاً لهم وصاروا خفراء لهم يحمونهم ويعدونهم للواشى . ولكل رئيس من البلويت (الحدارب) قوم من الزنافج فى جماعته ، فهم كالعبيد يتوارثونهم[1] بعد أن كانت الزنافج أظهر عليهم . وأسلموا فى إمارة عبد الله

---

(1) كانت هذه العادة متأصلة فى بنى عامر والعجيلاب والحباب فانهم كانوا يعاملون البجة الذين تحت سلطانهم هكذا طيلة تلك العصور التى ورثوا فيها ملك البلويب وازالوه . فلما كانت سنة ١٩٤٧ م فى يوم ٣ مارس اعلن مدير كسلا المستر هانكوك بحضور المستر اندروبول مفتش طوكر بان القبائل المستعبدة قد تحررت . وكان أول عميد قبيلة وافق على ذلك هو الشيخ محمد ضرار على .

ابن سعد بن أبي سرح سنة ٣٠ هـ . ولم أستطع العثور على بقاياهم الآن بين البجة ، ولكن هذا لا يمنع أنهم موجودون في منطقة أخرى لأن كثيرا من القبائل السودانية كانت تنتقل إلى أماكن بعيدة ، ومثال ذلك فقد وجدت بين قبائل الحباب في إرتريا بقايا من قبيلة بني حلبة التي تسكن أساسا في دارفور بغرب السودان .

لما ظهر الإسلام في السودان سكن جماعة من المسلمين [1] أماكن معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب ، ونزح إلى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، فاشتدت شوكتهم ، وتزوجوا من البجة ، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر ابن نزار ممن سكن في تلك المنطقة . ويضيف المسعودي بأن صاحب المعدن آنذاك (سنة ٣٣٣ هـ - ٩٤٤ م) هو بشر بن مروان بن إسحق ، وهو من من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن ، وثلاثين ألف محارب على النجب من البجة والحدارب (البلويت) وهم مسلمون من بين سائر البجة . وكان بشر أصوان بنو كنز الدولة ، وهم خليط من الحدارب وربيعة ، كما أنهم أمراء ممدوحون مقصودون ، صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن عزام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم ولما أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي جيشا إلى كنز الدولة وأصحابه ترحلوا من البلاد ، فدخلوا بيوتهم فوجدوا فيها قصائد في مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن ابن الزبير قال فيها :

---

[1] المسعودي .

ونَجِدُهُ إن خانه الدهر أَوْسطا ... أناس إذا ما أنجد القول أتهموا

أجاروا فما تحت الكواكب خائف ... وجادوا فما فوق البسيطة مُعْدِمُ

وأنه أجازه عليها ألف دينار ، ووقف ساقية تساوى ألف دينار .

وأبناء كنز الدولة قاتلوا النوبة وملكوها ثم اندمجوا فيها وهم الذين بنوا جامعاً بدنقلة يأوى إليه الغرباء .

تركت الإسهاب فى حوادث النوبة لعلمى بأن فى بنيها من يقوم بكتابة تاريخها مطولا ، ولا بأس أن نأتى بما قاله المقريزى عن بنى كنز الدولة :

« فأصلهم[1] من ربيعة بن نزار ، وكانوا ينزلون اليمامة ، وقدموا أرض مصر فى خلافة المتوكل على الله حوالى سنة ٢٤٠هـ فى عدد كثير . وانتشروا فى النواحى ، ونزلت طائفة منهم بأعالى الصعيد ، وسكنوا بيوت الشعر فى براريها الجنوبية وأوديتها . وكانت البجة تشن الغارات على القرى الشرقية فى كل وقت حتى أخربوها . فقامت ربيعة فى منعهم عن ذلك حتى كفوهم . ثم تزوجوا منهم ، واستولوا على معدن الذهب بوادى العلاق ، فكثرت أموالهم واستوت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة ، واختطوا قرية تعرف بـ « الشماس » وحفروا بها آبارا . وكانت عيذاب لبنى يونس من ربيعة ملكوها عند قدومهم من اليمامة . ولما قتل اسحق بن بشر خلفه أحد بنى عمه (من بلبيس) وهو أبو عبدالله محمد بن على . وأشهر رجال ربيعة هم بنو مسروق ، وإليه ينسب كنز الدولة حامى أسوان . فنزل إلى أسوان ، وأنشأ مكانه المعروف بساقية شعبان . ولم يزل رئيساً على ربيعة حتى مات . فقام برئاستهم

---

[1] البيان والاعراب .

بعده ابنه أبو المكارم هبة الله ابن الشيخ أبى عبد الله محمد بن على ، وهو وهو الذى ظفر بأبى ركوة الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه . فأكرمه الحاكم إكراما عظيما ولقبه « كنز الدولة » ، وهو أول من لقب بذلك منهم ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يعرفون بكنز الدولة حتى قتل آخرهم فى ٧ صفر سنة ٥٧٠هـ .

وبنو كنز الدولة هم الذين خضدوا شوكة البجة ومنعوهم من غزو صعيد مصر ، كما أباحوا لقبائل العرب استثمار المعدن تحت حمايتهم ، ونشروا بينهم تعاليم الدين الإسلامى حتى انتشر فى جميع مناطقهم . واختصوا برعايتهم الحدارب[1] وجعلوهم فى أيديهم قوة يعتد بها فى توطيد الأمن وبث الطمأنينة فى دائرة نفوذهم فى الصعيد والأماكن التابعة من مملكة البجة .

ومن قبائل البجة الكبيرة فى التاريخ « ديحيون » ، قال عنهم ابن سليم الأسوانى إنهم جنس مولد بين علوة والبجة ، وقد بحثت عنهم أو من يعرف عن أسمهم شيئا فلم أعثر على أخبارهم ؛ ولعل ممن يأتون بعدى من يوفق إلى محل وجودهم .

وللمسافة بين وادى العلاقى وأول قبيلة بجاوية مثل الرنافج تبلغ خمسة وعشرين مرحلة فى بادية يقل فيها الماء ويكثر التبر . وهى المملكة الخامسة التى اتخذ ملكها « بقلين » عاصمة لإقامته . ويقول ابن سليم إن حدود الرنافج ربما امتدت إلى « شنقير » قرب بربر ، ومن شنقير طرق إلى سواكن وباضع (مصوع) وجزائر دهلك الواقعة شمال مصوع على بعد ثلاثين ميلا ، وجزائر

---

(1) البلاغ لسليمان عبد الرحمن .

البحر (عيرى وكَلِفِيّا وأخواتهما) التى لجأ إليها من نجا من الأمويين[١] بعد إخراجهم من أرض النوبة وذاقوا الأمرين فى هربهم هذا إذ فقدوا كثيرا منهم . وفى تلك الجزائر الواقعة شرق قرى عقيعان انشأوا عمارات وحضارة عربية نجد آثارها هناك[٢] كتب عنها المهندس المعمارى لليجر هبرت فى رسائل ومدونات السودان .

وكانت مملكة البجة والنوبة تابعتين لمصر منذ الإسلام حتى استولى السلطان سليم التركى سنة ٩٢٤هـ على مصر فسلخ مملكة البجة عن القطر المصرى وألحقها بإمارة الحجاز ، وبقيت مملكة النوبة تابعة لمصر . وانضم إقليم البجة كله إلى السودان سنة ١٨٦٥م بما فى ذلك إرتريا والصومال الإنجليزى ، ولولا أن الخديوى محمد على باشا استولى على السودان سنة ١٨٢٠م وقضى على امبراطورية الفونج لبقيت ممالك البجة الخمس إلى اليوم (فى السودان بكامل حدودها) .

كان ملوك هاتين الأمتين يتبارون فى غزو ريف صعيد مصر ، كما كانت الإنتقامات من كلا الأمتين باهظة جدا . ولم تمكن بينهم هدنة محترمة ، أو معاهدة نافذة المفعول ، إذ تنتقض قبل أن يجف مدادها ، حتى فى عصر الإسلام ، فهم فى قتال مع كل مستعمر يملك القطر المصرى منذ أيام الفراعنة الشداد ، ثم البطالسة والرومان والعرب والأتراك . فكان خراب المدن سهلا جدا عند

---

(١) لما رأى بنو امية ان القتل بالجملة سيكون نهايتهم تشتتوا واختفوا فى البلاد (اليعقوبى) .

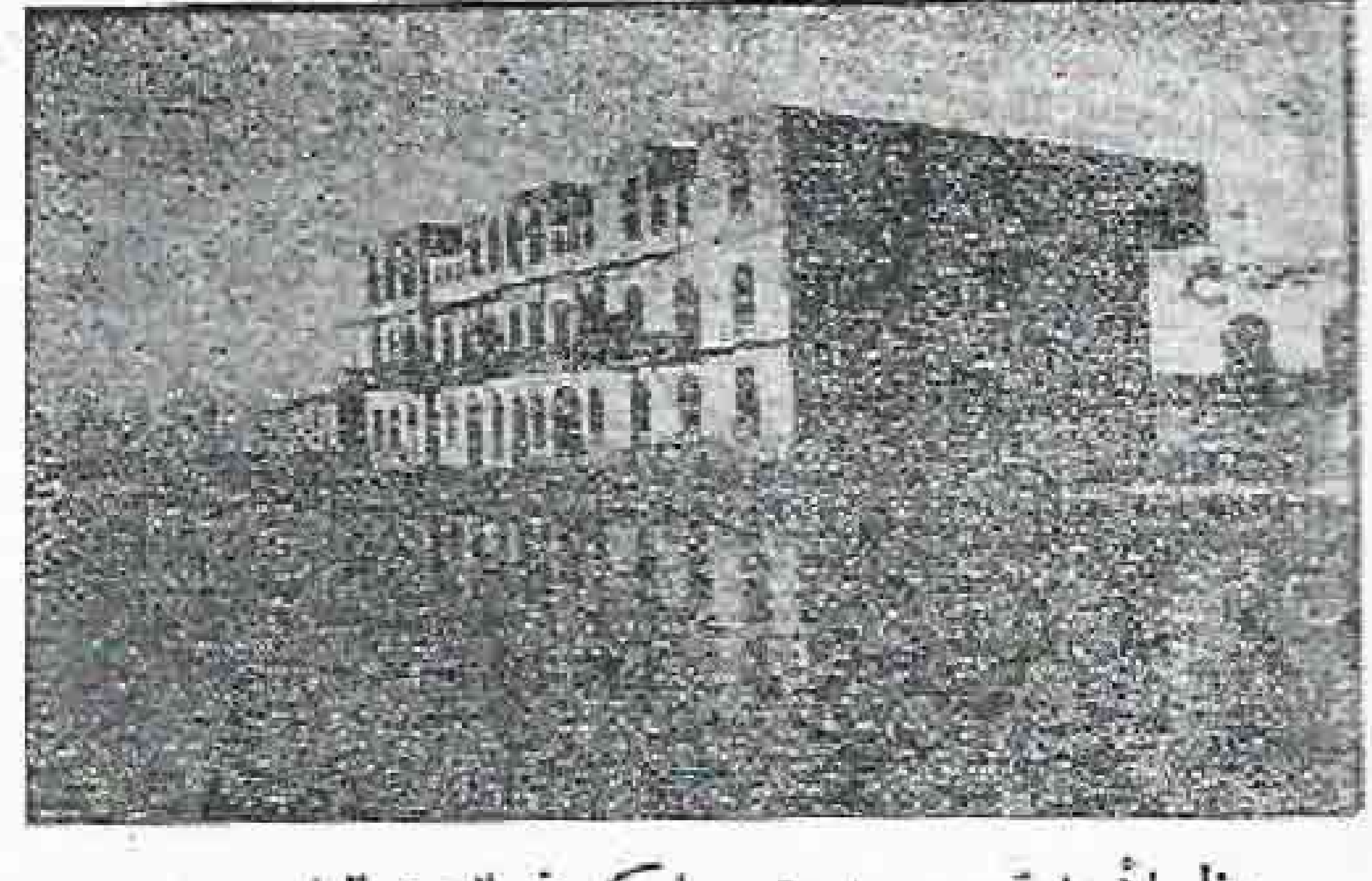
(٢) زارها قبلنا كثيرون من علماء الاثار ووجدوا ان تاريخ وفيات سكانها يبدأ سنة ١٣٣ هـ (٧٥٥ م) وكان خرابها سنة (١١٧٠ م) ولكننا دونا مشاهداتنا خصوصا المسقر كرونوتنه .

الغزاة ، وهذا داود ملك النوبة يحدثنا التاريخ أنه غزا مدينة عيذاب (الميناء الرئيسى لحجاج بيت الله الحرام من المصريين والسودانيين) سنة ٦٧٤هـ وفسد فيها وأحرق ديارها وقتل الرجال ، وسبى النساء ، واسترق الأطفال ، وتوجه إلى أصوان وأحرق السواقى التى حولها ، وعاث فيها فساداً . فلما سمع والى قوص بذلك توجه إليه بجيش كثيف ، ولكن داود هرب وتمكن الوالى من القبض على قائد خيله وأمره ورجاله ، وبعث به إلى الملك القاهر بيبرس الذى أرسل جيشاً عظيما لفتح دنقلة ، فتم فتحها ، وهرب داود وتعين مكانه ابن أخته المدعو « سكندة » ووالده من بجة عيذاب . فحال تولية السلطة أفرج عن كان بأيدى النوبة من أهل عيذاب وأصوان من المسلمين . ولم تقم بعد ذلك لعيذاب أى مدنية (مثل سواكن القوم) بعد أن كانت مدينة زاهرة بالعمران والتجارة . فتجار الهند واليمن والحبشة يقصدون الديار المصرية من هذا الطريق المشهور باستتباب الأمن فيه ، فتقهقرت كثيراً بعد أن كانت من أعظم مراسى الدنيا ، ولقد أطلنا فى تاريخها عند ذكرها[1] .

وكانت عيذاب مقر مالك البجة الحدربى فى الإقليم الشمالى وفيها جامع ينسب إلى القسطلانى شهير البركة ، وفيها قاض قد درس فى الأزهر الشريف .

---

(1) تاريخ سواكن والبحر الاحمر للمؤلف : الدار السودانية للنشر سنة ١٤٠١ / ١٩٨١) .



منظر لأحد قصور مدينة سواكن فى القرن التاسع عشر
وأوائل القرن العشرين : منزل على جاويش .

هجرة العرب الى السودان بعد الاسلام

عندما فتح العرب مصر في أيام عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » تدفقت أمـــواج من القبائل العربية نحو مصر طلباً للرزق والجهاد . ولم يـكن كل الراحلين من المجاهدين ، بل كانت هناك القبائل العربية التى ذهبت لتجد لنفسها حياة أفضل من تلك التى كانوا يجدونها فى جزيرتهم ، ولما وصلوا إلى مصر وجدوا أنها لا تناسبهم ، وأخذوا يزحفون جنوبا وراء المراعى وتخفيفا للزحام لأن مصر المدينة الأمطار لا تصلح لقوم رحل ، ماشيتهم الجمال ، فدخلوا دنقلة واندمجوا فى مملـكة النوبة وقبائل البجة[1] .

وفى أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) نادى رجل من قبيلة بَلِيّ فى الشام « بالقضاعة » ، فبلـغ ذلك الخليفة ، فكتب إلى عامله فى الشام كى يرحّل ثلث قضاعة[2] ، فسُيِّروا إلى مصر . وكانت بلى متفرقة بأرض مصر أول أمرها فى الإسلام ، ثم اتفقت هى وجهينة واستوطنوا الأراضى التى حول ميناء عيذاب .

ولم تتوقف هذه الموجات العربية المهاجرة إلى السودان عن طريق مصر أو البحر الأحمر مطلقاً ، فقد استمرت طيـلة العهود ، ودونها عدد من مؤرخى العرب فى كتبهم فقد ذكر المسعودى أن النوبة كانت (قبل ظهور المسلمين) أشد من البجة إلى أن قوى الإسلام وظهر ، وسكن جماعة من المسلمين بلاد معدن الذهب وبلاد العلاقى وعيذاب ، وسكن فى تلك الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار .

---

(١) حضارة السودان أحمد عثمان القاضى .

(٢) كان بعضها قد رحل الى السودان قبل الاسلام كما رأينا .

وكانت أسوان أهم نقطة لالتقاء العرب فى مصر ، وقد سكنها خلق كثير من العرب من قحطان ونزار وربيعة ، وخلق من قريش[1] ، وأكثرهم منتقل من الحجاز ، ولهم نخل كثير هناك ، وقد ابتيعت من النوبة فى دولة الأمويين والعباسيين . ومن أسوان كان العرب ينزحون جنوبا إلى السودان فى أوسطه وشرقه حيث كانت تطيب لهم الإقامة . وكانت أسباب تلك الهجرات كما ذكرها ابن سليم الأسوانى فى تاريخه (المفقود) هى أن العرب المسلمين بعد فتح مصر هاجروا إلى السودان من مصر وبلاد العرب إما فرارا من الحكام وطلبا للرزق حتى ملأوا بلاد النوبة العليا .

ومن بين أسباب فرار العرب من الحكام ما كان فى مصر أيام حكم المماليك الذين ضيقوا الخناق على العرب بشتى الطرق مما اضطرهم إلى التوغل جنوبا نحو السودان . وفى عهد[2] المماليك كان العربان فى الوجه القبلى يتعدون على المصريين ويقلقون راحة البلاد ، وينهبون كل مايقع تحت يدهم ، ويستعملون القوة فى النهب والسلب . وضج منهم أهل المناطق المتاخمة للسودان فأصدر السلطان أمره إلى الجنود بقتل العرب وحرق ديارهم . فاستنبطوا طريقة لايمكن للعربى أن يفلت منها أو يتخلص[3] ، وهى أنهم كانوا يقولون للعربى قل « دقيق » فإن نطقها صحيحة بالقاف قتلوه ، وإن نطقها خطأ بأن قال « دِئِيق » كما هو النطق المصرى تركوه لأنه غير عربى ، وكانت هذه الحيلة والاضطهاد من أهم أسباب هجرة العرب إلى القطر السودانى فرارا من مصر .

---

(١) مواسم الادب .
(٢) المقريزى .
(٣) نفس المصدر .

كذلك كانت الهجرات عندما انتقل الملك من ذرية الظاهر بيبرس إلى المنصور قلاوون ، فقد بعث سنة ٦٨٦هـ العساكر إلى النوبة بعد أن استنفر العربان من أولاد أبي بكر الصديق وأولاد عمر بن الخطاب وأبناء شريف وشيبان وأبناء كنز الدولة وغيرهم من العرب وبني هلال ؛ وساروا جميعهم[1] مع النيل متجهين إلى السودان حتى بلغوا دنقلة ، واقتتلوا مع النوبة وهزموها وتوغلوا خلفها مسيرة خمسة عشر يوما .

ولما أسلمت النوبة في سنة ٧١٩هـ وذلك أيام السلطان الناصر بن قلاوون انقطعت عنهم الجزية ، وانتشرت العرب وزاد عدد السكان ، وأسلم سلطان دنقلة وتسمى بمحمد بن كنز الدين . وكانت تلك الحادثة من أهم الحوادث التاريخية في بلاد السودان عامة إذ أفسحت المجال للسيطرة العربية الإسلامية على كل من الدين المسيحي الذي كان منتشراً في البلاد الواقعة في ضفاف النيل، وعلى الدين الوثني الذي كانت تدين به البجة قاطبة في السودان الشرقي . وكانت أهم تلك القبائل والبطون العربية التي نزحت إلى السودان من جزيرة العرب سواء عن طريق البحر الأحمر بالسفن أو عن طريق طور سينا والقطر المصري حسبما ورد في كتب المؤرخين هي :

١ — أبناء أبي بكر الصديق وهم بنو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق ، ومنازلهم بالبرجين وسقط وسكرة وطحا المدينة من بلاد الأشمونيين كما ذكر الحمداني . وقد اختلط كثير منهم بقبائل البجة .

---

(١) المقريزي .

٢ — وأبناء الزبير بن العوام من بني مصعب بن الزبير ، وهم جماعة يعرفون بجماعة محمد بن وراق استوطنوا الوجه القبلي أول أمرهم .

٣ — بنو هلال وهم فرع من بني عامر بن صعصعة من هوازن .

٤ — بنو العباس وقال عنهم ابن سليم إنهم أكثر القبائل التي هاجرت إلى السودان وتليهم في الكثرة جهينة .

ويضيف المقريزي [١] أنه قد أخذ كثير من القبائل العربية الرحالة في الهجرة إلى السودان في أوائل القرن الرابع عشر الميلاد فانطلقت جهينة [٢] وحلفاؤها من فزارة نحو الجنوب والمغرب تاركين بني كنز الدولة وعكرمة في شمال النوبة ومصر العليا .

وبسبب نزوح هذه القبائل العربية إلى السودان أصبح الكثير من السودانيين يرجعون نسبهم وأصلهم إلى العرب حتى قال أحد الكتاب الانجليز « يزعم كل الكواهلة والحسانية بأنهم من نسل الزبير بن العوام ، وكذلك تزعم قبائل البجة الذين يقطنون شرق السودان أنهم من أولاد كاهل » . ولكن تشكك ريد [٣] ليس في موضعه وذلك لأنه يجهل طبيعة علم الأنساب عند القبائل العربية واهتمامهم وحرصهم على ذلك . ولعل من أنجع الأقوال في مثل هذا الشك ما قاله جرجي زيدان من أن « أشعار العرب وأقوالهم وأمثالهم وأخبارهم شاهدة بمحافظتهم على النسب وعنايتهم بالرجوع

---

(١) البيان والاعراب .

(٢) عرب السودان : ما كمايكل .

(٣) المستر ريد أحد الاداريين البريطانيين بالسودان سابقا ، وكان مديرا مديرية النيل الابيض .

إلى أجدادهم من قحطان أو عدنان » . وكان الخلفاء يحضون المسلمين على حفظ أنسابهم والتدقيق بها . ولا يطلب من المهاجر أو المجاهد ممن لا يعرف القراءة والكتابة إلا أن يغزو وفي يده سلسلة نسبه ، وقد كانوا يرحلون وبيد الواحد منهم المصحف الشريف والفروة وسلسلة النسب بين صفحات المصحف ، وفي الثانية يحمل السيف للجهاد . وقد كان عمر بن الخطاب يحرص على المحافظة على الأنساب ، وهو الذي يقول « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا »[1] ، وكان عمر يقسم العطاء على حسب الأنساب القبلية وما زال العرب في السودان حتى الآن لا ينتسبون إلى قراهم ومدنهم ولكن إلى قبائلهم وبطونهم .

ومن ثم نرى أن عرب السودان الذين احتفظوا بأنسابهم العربية لم يبعدوا عن الحقيقة قيد أنملة . كما أن كل الشواهد التاريخية تثبت تلك الحقائق . وأما قبائل البجة التي شك ريد في عروبتها فهي قبائل الأمارأر والبشاريين والسلمية والرغوياب والعامراب التي اندمجت في بني عامر والحباب . وكلها تحتفظ بسلاسل أنسابها منذ أن وطئت أقدام أجدادها البلاد واختلطوا بالبجة سكان البلاد الأصليين .

أما هجرة العرب إلى السودان الشرقي واختلاطهم بالبجة فقد كان أساسه الرغبة الملحة في تعدين الذهب من جبالهم كما كانت تفعل الأمم السابقة التي جاورت البجة . ولم يكن التعدين من السهولة بمكان لأنه تسبب عن حروب كثيرة بين العرب والبجة كما سنبين في ما يلي من صفحات .

---

(1) ابن خلدون .

غزو البجة لمصر في العهد الاسلامي

اشتد هجوم البجة على ريف صعيد مصر فى أوائل القرن الثالث للهجرة ، فرفع والى أسوان الأمر إلى أمير المؤمنين المأمون بن هارون الرشيد ، فأمر بخروج عبد الله بن الجهم إليهم سنة ٢١٦هـ (٨٣١م) فكانت له معهم الحروب. وبعد ذلك تهادنوا وكتبت المعاهدة الثانية مع العرب[1] ، وكل المعاهدات كانوا لا يتقيدون بها خصوصا بعد إنشائهم لمملكة البجة فى شرق السودان ، وناصبوا مصر العداوة والخصومة ، وانتهكوا حرمة حدودها ، وتوغلوا فى بلاد الصعيد ، فكانت الأموال تسلب ، والمواشى تنهب ، والأرواح تزهق لأوهى الأسباب ، فلا حرمة الجوار تمنعهم ، ولا دين فيقلعون عن الشر والأذى ، ولا عهود أو مواثيق تقيدهم عن إتيان هذه المصائب مع جيرانهم[2] ، وكأنهم كانوا يرونها نزهة أو رياضة يتمرنون على إتيانها ، حتى جاء الإسلام ورفرفت أعلامه على أرض الكنانة فى سنة ١٨هـ (٦٤٠م)[3] ، وبهذا الفتح اختلط العرب المسلمون بالبجة فى المملكة التى كانت قائمة فى شمال إقليم البجة بالصحراء الشرقية ، حتى كانت أيام خلافة سيدنا عثمان بن عفان فعزل عنها عمرو بن العاص وولى عليها أخاه من الرضاعة عبد الله ابن أبى سرح الذى غزا النوبة سنة ٢٦هـ فتجمع إليه بعد عودته من النوبة على شاطىء النيل لفيف

---

(١) كانت بين البجة والرومان معاهدة سنة ٣٢٣ ب.م بأمر الامبراطور ديوقليشيان وحفظت هذه الوثيقة فى هيكل ايزيس .

(٢) هكذا كان حال البجة مع الحبشة فقد كان شجيجها شديدا جدا ولكن لا يوجد تدوين يوضح لنا ما لا قوة على أيدى ممالك البجة الغربية والجنوبية .

(٣) وقيل سنة ٢٠ هـ .

من البجة ، فسأل عن شأنهم فأخبر أنه ليس لهم ملك يرجعون إليه ، فهان عليه أمرهم وتركهم ، فلم يكن لهم عقد أو صلح . وهـذا التساهل هو الذى حدا بهم كى يستخفوا بما يصدر منهم ، فطالما غزوا شرق مصر وجنوبها فى الجاهلية والإسلام وخربوا قرى عديدة مما يليهم من الصعيد .

وكان أول من عقد معهم الهدنة فى أواخر القرن الأول الهجرى هو عبدالله ابن الحجاب السلولى، فقد عقد معهم معاهدة أمان وحسن جوار على أن يعطوه ثلثمائة من الإبل فى كل عام حين ينزلون ريف مصر مجتازين بتجارتهم غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا ، فإن قتلوه فلا عهد لهم ، وألا يؤووا عبيد المسلمين ، وأن يردوا أبقيهم إذا وقعوا إليهم . وكان نائب ملك البجة مقيما بالريف المصرى رهينة . وهذا النائب هو من الحدارب (بيت المملكة) وهم شوكة القوم ووجوههم المشهورون بالشهامة والشجاعة ويخضع لسلطانهم أشد بطون البجة فى ذلك العصر وهم الزنانج (زنانج)[1] .

وكثرت أذية البجة للمسلمين الذين يريدون استثمار المناجم والإستيلاء عليها شيئا فشيئا حتى تذوب وتنصهر القومية البجاوية فى العنصر القادم حديثا من الشمال أو من جزيرة العرب حاملا مشعل النور والهداية إلى طريق الحق والصواب . وقد تم كل ذلك ولكن بعد قتال عنيف ودماء زكية طاهرة أريقت فى الدفاع عن الأوطان وكنوزها العامرة بالتبر والجوهر والفضة .

---

(1) كانوا يأخذون من البجاوى فى كل شاة يأخذها أربعة دراهم وفى البقــرة عشرة .

معاهدة بين البجة والعرب سنة ٢١٦ هـ :

هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الثغور عامل الأمير أبي اسحق ابن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين لكنون ابن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان : إنك سألتني وطلبت إلىّ أن أؤمنك وأهل بلدك من البجة ، وأعقد لك ولهم أماناً علىّ وعلى جميع المسلمين ، فأجبتك إلى أن عقدت لك على وعلى جميع المسلمين أماناً ما استقمت واستقاموا على ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبالها من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد مابين دهلك وباضع (مصوع) ملكاً للمأمون عبد الله بن هارون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ، وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين ، إلا أنك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البجة وعلى أن تؤدى إليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة ، وذلك مائة من الإبل ، وثلاثمائة دينار وازنة داخلة في بيت المال ، والخيار في ذلك لأمير المؤمنين وولاته . وليس لك أن تخرم شيئاً عليك من الخراج . وعلى أن كل أحد منكم إن ذكر محمداً ﷺ أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكر به أو قتل أحداً من المسلمين حراً أو عبداً ، فقد برئت منه الذمة — ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وذمة أمير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة المسلمين ، وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذراريهم . وعلى أن أحداً منكم إن أعان المحاربين على أهل الإسلام بمال أو دله على عورة من عورات المسلمين أو أثر لعزائمهم ، فقد نقض ذمة عهده ، وحل دمه . وعلى أن أحداً منكم إن قتل أحداً من المسلمين عمداً أو سهواً أو خطأ ، حراً أو عبداً أو أحداً من أهل ذمة

للمسلمين، أو أصاب لأحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالا ببلد البجة ، أو ببلاد الإسلام ، أو ببلاد النوبة ، أو فى شىء من البلدان براً أو بحراً ، فعليه فى قتل المسلم عشر ديات ، وفى قتل العبد للمسلم عشر قيم ، وفى قتل الذمى عشر ديات من دياتهم ، وفى كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعافه . وإن دخل أحد من المسلمين بلاد البجة تاجراً أو مقيما أو مجتازاً أو حاجاً ، فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم . ولا تؤوا أحداً من أبق للمسلمين . فإن أتاكم أبق فعليكم أن تردوه إلى المسلمين . وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا صارت فى بلادكم بلا مؤونة تلزم فى ذلك . وعلى أنكم إن نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهروا سلاحا ولا تدخلوا المدائن والقرى بحال ، ولا تمنعوا أحداً من المسلمين الدخول فى بلادكم والتجارة فيها براً أو بحراً . ولا تخيفوا السبيل ، ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ، ولا أهل الذمة . ولا تسرقوا المسلم ولا الذمى مالا، وعليكم أن لا تهدموا شيئاً من المساجد التى ابتناها المسلمون « بصيحة » و « هجر » وسائر بلادكم طولا وعرضا، فإن فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة . وعلى أن كنون بن عبد العزيز يقيم بريف مصر وكيلا يفى للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ، ورد ما أصابه البجة للمسلمين من دم ومال ، وعلى أن أحداً من البجة لا يعترض حد القصر إلى قرية يقال لها « قبان » من بلد النوبة حد الأعمدة .

. عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين لكنون بن عبد العزيز كبير البجة الأمان على ما سمينا وشرطنا فى كتابنا هذا وعلى أن يوافى به أمير المؤمنين فإن زاغ كنون أو عاث فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم من البجة . وعلى كنون

الوفاء بما شرط لعبد الله ابن الجهم - وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلقه من الوفاء والميثاق ، ولكنون بن عبد العزيز ولجميع البجة عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين ، وذمة الأمير أبي إسحق ابن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم ، وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم ما وفى كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه . فإن غير كنون ، أو بدل أحد من البجة فذمة الله جل اسمه وذمة أمير المؤمنين ، وذمة الأمير ابن إسحق ابن أمير المؤمنين الرشيد ، وذمة عبد الله بن الجهم ، وذمة المسلمين بريئة منهم . وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا بن صالح المخزومي من سكان جده وعبد الله بن اسماعيل القرشي . ثم نسقة جماعة من شهود أسوان .

عمل البجة بموجب هذه المعاهدة نحو خمسة عشر عاما ثم تغلبت عليهم عوامل أهمها حب السلب والنهب ، فبدأوا غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم إلى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله ، فندب لحربهم محمد بن عبد الله القمي وهو من الأمراء الحازمين وسنأتي على قتاله للبجة فيما بعد .

لما أراد ملك البجة إلغاء المعاهدة بدأ بطرد العرب من جميع المناجم والمدن وامتدت سرايا غزواته إلى بلاد الوجه القبلي ، وهذا هو الذي أغضب الخليفة في بغداد خصوصا منعهم دفع الخراج . ولا شك أن استثمار المناجم معتبر من أكبر أسلحة الاستعمار ، ولذلك قرروا الخلاص منها بأي ثمن . وطلاب الحرية لا يمكنهم أن ينالوها أو يحصلوا عليها مالم يتخلوا من قيود مثل هذه المعاهدة التي كانت جميعها في صالح العرب . ومن يدرس أخلاق البجة يتحقق بأن أكره

شيء عندهم هو السيطرة وأخذ الأموال بالقوة مثل « الخراج » . ونحن قرأنا في التاريخ كيف أن العرب أهل الردة رفضوا أداء الزكاة لأول الخلفاء إذ اعتبروها إتاوة تدفع لقريش . فما بالك بالبجاوى المقيم في وطنه بين أهله وعشيرته يأتيه الأجنبي من الخارج فيطالب منه أن يكون شريكا له في نياقه وبقره ويضع يده عليها بدون أى تعب . فإذا رضيها تحت ضغط من القوة اليوم لن يقبل أداءها غدا وسيحطم قيودها عند سنوح أول فرصة ، ولم يرض بها إلا بعد أن قهرته حكومة شديدة أزالت دولا عديدة من الوجود ، وغنمت تيجان ملوكها ، وقذفت بهم في العراء ، وقضت على ما كان لديهم من مدنية وحضارة . ولقد تعلمنا من المستعمر أن أغنى الأمم هي التي تملك مناجم الحديد والرصاص والنحاس والذهب والفضة والزيوت (حديثا) وكل هذا متوفر بكثرة في إقليم البجة الذى كان أهله يقاتلون ويحاربون الغزاة الأوائل من الفراعنة والبطالسة والرومان وغيرهم . ولله در الملك كنون الذى رأى أن مصلحة أهله وعشيرته تمزيق تلك القصاصة من الورق بالسيوف البواتر .

قتال البجة للعرب ٢٣٢ — ٢٤٧ هـ للواثق (٨٤٧ — ٨٦١ م):

حافظ البجة على نصوص المعاهدة المبرمة بين كنون وابن الجهم ، ثم عادوا إلى غزو الريف من صعيد مصر وقتلوا من وجدوه بالمعدن من المسلمين ، وكان ذلك في أيام جعفر المتوكل على الله بن المعتصم . فكتب له صاحب البريد بمصر [1] بخبرهم . فأنكر المتوكل ذلك وشاور الناس في غزوهم . وأخبروه

---

(١) اسمه يعقوب بن ابراهيم الباذ عيسى مولى الهادى وهو المعروف بقوصرة .

البجة أهل بادية وأصحاب إبل وماشية ، وأن الوصول إلى بلادهم صعب لأنها مفاوز ، وأن بين بلادهم وبلاد المسلمين مسيرة شهر في أرض قفرة وجبال وعرة ، وأن كل من يدخلها من الجيوش يحتاج أن يتزود لمدة يتوهم أن يقيمها إلى أن يخرج إلى بلاد الإسلام . فإن جاوز تلك المدة هلك وأخذتهم البجة باليد . فأمسك المتوكل عنهم ، فطمعوا وزاد شرهم حتى خاف أهل الصعيد على أنفسهم منهم . واستاء الحكام من نقض المعاهدة والغزو مع أن البجة كانت تأخذ نصف المحصول ممن يعملون في المعادن ، ويدفعون منه للسلطان سنويا أربعمائة مثقال تبر قبل أن يطبخ ويصفى . وتوالت السنون وكثرت الشكوى وخرجت قبائل البجة من بلادها إلى معادن الذهب والجوهر وهي على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البجة ، فقتلوا عدة من المسلمين ممن كان يعمل في المعادن ويستخرج الذهب والجوهر ، وسبوا عدة من ذراريهم ونسائهم . وذكروا أن المعادن لهم في بلادهم ، وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها[1] وأن ذلك أوحش جميع من كان يعمل في المعادن من المسلمين . فانصرف المسلمون عنها خوفاً على أنفسهم وذراريهم . فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والفضة . فولى المتوكل أحد رجاله وهو محمد بن عبد الله المعروف بالقمي (من مدينة « قم » الفارسية ومن أبناء أبي موسى الأشعري)[2] محاربة البجة ، وولاه معادن تلك البلاد وهي قفط والأقصر وإسنا وأرمنت وأسوان . وكتب إلى عنبسة بن إسحق الضبي العامل على حرب مصر بإعطائه جميع ما يحتاج إليه من الجند . فخرج عنبسه إلى أرض

---

(١) تاريخ الطبري .

(٢) منها كانت هجرة عائلة فضيلة القاضي عبد القادر حسين لتولي القضاء الشرعي بمدينة سواكن بعد الفتح التركي سنة ١٥٢٠ م .

البجة وانضم إليه جميع من كان يعمل فى المعادن وقوم كثير من المتطوعة . فكانت عدة من معه نحوا من عشرين ألفاً بين فارس وراجل ، وأرسل عن طريق القلزم (الضفة الغربية من البحر الأحمر) سبعة مراكب محلوءة بالدقيق والزيت والتمر والسويق والشعير . وأمر رؤساء السفن أن يوافوه بها فى ساحل البحر من أرض البجة . وسار القمى حتى جاوز معادن الذهب ، فخرج إليه ملكهم « على بابا » (أو لباب) وابنه الأمير « فيعس » فى جيش كبير ؛ وكانت البجة على إبلهم بالحراب . فجعلوا يتقاتلون أياما متوالية ؛ فيتناوشون ولا يصدقون المحاربة . وجعل ملك البجة قتاله شبه مهادنة لكى تطول الأيام طمعا فى نفاد الزاد والعلوفة التى معهم فلا يكون لهم قوة ، ويموتون هزالا فتأخذهم البجة بالأيدى . فتقدمت الازوواد ، ولكن المراكب قد وصلت بمكان يسمى « ضبيه »[1] ، فحمل جيش الملك على بابا على الأمير القمى ورجاله، واستمرت الحرب بينهم سجالا حتى اقترح أحـــد رجال القمى أن يستعملوا الأجراس وسلاسل الحديد فى أعناق خيلهم[2] ، ويهجموا بها على الجمال التى اشتد رعبها ونفورها من الضوضاء ، فنفرت بأصحابها إلى الجبال والأودية حتى أدركهم الليل وذلك فى أول سنة ٢٤١هـ . وبعد أيام جاءه مندوب الملك طالبا الهدنة . وكان القمى قد غنم تاج الملك . فأعطاه الأمان ورد إليه بلاده التى احتلها على أن يؤدى ما عليه من متأخرات الخراج . وعاد القمى ومعه الملك على بابا بعد أن استخلف ابنه « فيعس » على مملكته وأن تستأنف حياة العمل فى المعادن كما كانت قبل الحرب .

---

(١) واقعة بقرب محمد قول .

(٢) قبائل البجة التى تجيد القتال على الخيل أشهرها الحلنقة والكميلاب وبنى عامر . وويلعلياب وبوظينى الهدندوة والحمران .

ولما وصل الملك على بابا مع القمى العراق وجد الخليفة المتوكل بمدينة «سر من رأى» فخلع عليه وعلى المشايخ الذين[1] كانوا معه حللا من الحرير والديباج، كما كسا جمل على بابا رحلا مليحا واعترف له المتوكل بالسيطرة الكاملة على طريق مابين مصر ومكة المكرمة، وانتدب عليهم سعداً الايتاخى الخادم فولى سعد محمد القمى فرجع إليها ومعه الملك «على بابا» وهو على دينه، وكان معه صنم من حجارة كهيئة الصبي يسجد له. وأقام القمى بأصوان مدة وترك في خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تزل الولاة تأخذ منه حتى لم تبق منه شيئا.

واستلم الملك على بابا دية البجة الذين قتلهم القمى وجيشه كتعليمات المتوكل، وأن يكون الدفع يوم عيد الأضحى سنة ٢٤١ هـ. وحافظ على بابا بما تعهد به وهو عدم منع مسلمى العرب من استخراج الذهب، فكثر المسلمون فى المعدن واختلطوا بالبجة وظهر التبر بكثرة طلابه، وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان. والملك على بابا هو من قبيلة «بلى» التى يقال لها بالبجاوية «بلويب» وبالبنى عامرية «بَلَو»[2] أو «بَلَاو» كما فى بعض الكتب. وهذه القبيلة كانت لهـا السيادة على البجة. وقال المقريزى إن الملك على بابا سافر

---

(١) ووضع على رأس الملك عمامة سوداء (شعار بنى العباس) بدلا من التاج. وكان معه فى رحلته هذه سبعون شابا بحرابهم وزيهم الذى كان يمثل الفتوة البجاوية فكانت أنظار العامة والخاصة ملتفتة اليهم وهم بباب الخليفـــة.

(٢) هى القبيلة العربية الثانية فى الهجرة الى السودان قبل الاسلام وقد اعتمدنا أن البجة هى السامية الاولى بهذا الاقليم.

معه ابن ملك النوبة[1] ، فكانت تزين لهما ويسيران على المدن حتى التقيا بأمير المؤمنين فنظراً إلى مابهرهما من حال العراق فى كثرة الجيوش ، وعظم العمارة مع ما شاهداه فى طريقهما .

فى أواسط القرن الثالث للهجرة كان تنازع السلطة بين رجلين من قريش ببلاد البجة والنوبة على أشده ، فهذا العلوى إبراهيم بن محمد من ذرية عمر بن على ابن أبى طالب جمع جموعاً كثيرة وعسكر حول مدينة أصوان ، ووقف له بالمرصاد عبد الله بن عبد الحميد العمرى ينازعه السلطان ، ويجمع حوله القبائل لقتاله . فلما تمت استعداداتهما الحربية اشتبكا بجيشيهما فى قتال شديد ثم انهزم العلوى واختلف مع أصحابه فانشقوا عليه وناصبوه العداء ، فتركهم ، ومضى إلى عيذاب . فأجاره نائب ملك البجة ، وأعد له سفينة أبحرت به وأهله إلى جـــدة ومنها إلى مكة المكرمة ، وهنا خلا الجو فى بلاد البجة والنوبة للعمرى .

وفى رواية محمد بك موسى ناظر المدندوة ، أن الرياح عرقلت سير السفينة من عيذاب إلى جدة ، فاتجهت نحو الجنوب وألقت مرساها فى الشيخ برغوث حيث أقامـو أياما ، ثم هبت عليهم عاصفة هوجاء مصحوبة بأهوية وأتربة أخفت شمس الظهيرة ، فتسابقوا إلى طلوع السفينة ، وتخلفت بالبر إحدى بنات العلوى ، فضلت الطريق حتى أمسى عليها الليـل ، فرأت ناراً فضاء ، فقصدتها . وكان الحى من السادة الكميلاب إذ أخـذوها إلى سواكن ، وأصبحت هذه العلوية الهاشمية هى جـدة المدندوة وستبين ذلك فى تاريخ المدندوة إن شاء الله .

---

[1] اسمه قيراكبى بن زكريا أى (جورج) .

البجة والعرب سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م) :

فى هذا التاريخ قدم على البجة أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد العمرى بعد محاربته للنوبة ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب ، فكثرت بهم العمارة فى البجة حتى صارت الرواحل التى تحمل الميرة إليهم من أصوان ستين ألف راحلة غير الجلاب (السنابيك) التى تحمل من القلزم إلى عيذاب . ومالت البجة إلى ربيعة وتزوجوا منهم . وقيل إن البجة تحالفت مع ربيعة على قتل العمرى ، وأخرجوا كل من خالفهم من العرب وحرموه من التنقيب عن الذهب فى ديارهم . وتصاهرت ربيعة مع رؤساء البجة (اليلوياب) وبذلك كف ضررهم عن المسلمين .

وفى سنة ١٥٩هـ (٨٧٣م) يوم العيد أقبل البجة نحو مصر فنهبوا وعادوا غانمين ، وفعلوا ذلك مرات ، وكان على مصر إذ ذاك عبد الحميد بن عبد العزيز ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب فخرج غضبا لله وللمسلمين وكمن لهم فى طريقهم فلما عادوا من آخر غزواتهم خرج عليهم وقتل مقدمتهم ومن معه ، ودخل بلادهم فنهب مالا يحصى . وتابع عليهم الغارات حتى أدوا إليه الجزية التى لم يدفعوها قبل ذلك . وسنأتى على كيفية قتله .

أجمعت جميع كتب مؤرخى العرب على أنهم كبدوا البجة خسائر فادحة فى الأرواح والأموال أما هم أى كتاب العرب مثل الحكومة الفرنسية اليوم بين تذكر خسائر الجزائريين بعشرات الألوف ، وأن خسائرهم طفيفة أو لاتذكر ، مع أن الواقع والمعروف عند كل الأمم والدول دائما أن خسارة المهاجم ضعف خسارة المدافع ، والمحقق المدقق فيما تنشره الدول المستعمرة عن

خصومها يعتريه العجب عندما يحصى سكان مثل الجزائر أو كينيا — إذ يثبت الإحصاء أن السكان قد انقرضوا مع أن القتال بينهما على أشده . وهذا يذكرنا بحوادث المهدية وقتال الأمير عثمان دقنة للإنجليز الذين يقولون بأن خسائر الأمير خمسة آلاف وخسائرهم مائة وعشرون جندياً، ثم تكون النتيجة عودتهم إلى سواكن منهزمين متسابقين إلى باب السور وخيل الأنصار تعمل فى أقفيتهم ، وفرسانها يتلاعبون بالرماح والصوارم البيض .

قال المقريزى فى خططه : ثم كثر المسلمون فى المعدن فخالطوا البجة ، وأسلم كثير منهم خصوصا الحدارب وهم شوكة القوم ووجوهم ، وهم مما يلى مصر من أول حدهم إلى العلاقى وعيذاب التى يعبر منها إلى مدينة جدة .

وجاء فى كتاب الإعلام عن عبد الحميد العمرى أنه تأثر من الشجعان ، وكان عابدا وصالحا بمصر . حارب البجة بدون إذن من السلطان أحمد ابن طولون سنة ٢٥٩هـ (٨٧٣م) فسير إليه السلطان جيشا كثيفا ، فلما التقوا تقدم العمرى وقال لمقدم جيش السلطان إنى لم أخرج لفساد ولم أوذ مسلما ولا ذميا ، وإنما خرجت طلبا للجهاد . فا كتب إلى ابن طولون بخبرى . فلم يجبه وقاتله فانهزم جيش ابن طولون وعاد من سلم منه إلى السلطان وأخبروه بالخبر . فلامهم على قتاله وقال : نصر عليكم ببغيكم ، وتركه . وبعد مدة فاجأ العمرى غلامان له فقتلاه وحملا رأسه إلى ابن طولون فسألهما عن سبب قتله فقالا أردنا التقرب إليك — فقتلهما .

البجة والإسلام سنة ٣٣٢هـ (٩٠٤م) :

قال شقير بك فى تاريخه : وما زال الإسلام يمتد حتى عم صحراء البجة كلها وأزال منها عبادة الأوثان .

أشهر ملوك البجة بعد الإسلام :

هو بشر بن مروان بن إسحق وأبوه من ربيعة وأمه من البجة . وبسط أمراء هذا البيت نفوذهم على هذه الممالك المترامية الأطراف وتولوا حكوماتها بتقليد من مصر[1] ، وكان يلقب أمير البجة « الحدربى » نسبة إلى ذلك القصر الممتاز . وكان يكتب له فى الأبواب السلطانية المصرية حتى أوائل القرن التاسع الهجرى بالعنوان الآتى :

« المجلس السامى الأميرى الحدربى »[2] :

قال الأستاذ سليمان عبد الرحمن : وأغلب الظن أن هذا الرسم بقى لأمراء البجة من أهل هذا البيت حتى آخر عهد المماليك .

الأمير ممرة بن مالك :

قال القلقشندى فى صبح الأعشى أن هذا الأمير كان فى أيام دولة الناصر قلاوون وأنه كان أميراً جليلا ذا عدد جم وشوكة ملكية يغزو الحبشة وأمم السودان ، ويأتى بالنهاب وبالسبايا ، وله أثر محمود وفضل مأثور . وفد على السلطان فأكرم مثواه وعقد له لواء وشرف التشريف وقلده وكتب إلى ولاة

---

(١) من حدود ما بين دهلك وسوع الى أسوان .

(٢) وهذا أيضا عنوان أمير سواكن وهو أيضا من البلويب .

الوجه القبلي عن آخرهم وسائر العربان بمعاضدته ومساعدته والركوب لله و معه متى أراد . وقلده إمرة عربان القبائل مما يلي قوص . و كتب له منشوراً بما يقتضيه من الولاد وتقليده بأمرة عربان القبلة مما يلي قوص، وإلى حيث تصل غايته وتركز رايته .

وبقيت مملكة البجة في العائلة الحدربية إلى عهد السلطان سليم سنة ٩٢٣هـ حيث أمر بسلخها عن مصر وولى عليها أمراء واتبعها للحجاز ، وكذلك سواكن ومصوع حتى سنة ١٨٤١ م فانضم إقليم البجة للسودان (حكومة الخديوى محمدعلى باشا) وذلك بعد زوال مملكة الفونج التى ظهرت سنة ٩١٠هـ واستولت على بلاد البجة سنة ١٠٠٠هـ تقريبا برئاسة الشيخ عجيب المانجلوك(١) ثم انضمت سواكن ومصوع إلى السودان سنة ١٨٦٥ م وخفضت سلطة أميريها إلى عموديتين(٢) .

---

(١) هو ثاني وزراء الميدلاب أما السلطنة فكانت بيد الأمويين . وكان امراء الميدلاب يصاهرون نظار القبائل فاذا رزقوا ولداً جعلوا الرئاسة له باعدائهم له كل الملابس والمراسيم حتى يضمنوا عدم ثورة القبيلة عليهم وسنفصل ذلك .

(٢) كانت إمارة سواكن محل عدة منازعات بين الحدارب والارتيقة التى توطد مركزها في عهد السلطان محمود العثمانى اذ اصدر مرسوما بذلك (في أواخر القرن الثانى عشر الهجرى) .

ممالك البجـة

حسب مقتضيات العصور المختلفة، كانت بالسودان ممالك تقوى وتضعف والبحث عن كل الممالك التى قامت بالقطر السودانى يحتاج إلى أبحاث ومراجع لاتتفق لعاجز مثلى أن يتحصل عليها بسهولة ، ولو أنه لدى من المراجع عن إقليم البجة مايضىء سبيل التدوين أمامى — اللهم إلا النزر اليسير فإنى لم أقدر على الحصول عليه ، وربما كانت أكبر مملكة بجاوية هى التى ذكرها الأستاذ سليمان عبد الرحمن فى (البلاغ) عن ذكره للبجة .

البجة فى القرن الرابع للميلاد

أقام البجة المملكة الرابعة[1] ، فى شرق السودان إلى ساحل البحر الأحمر فيما بين حدود الحبشة وسمت أصوان ، واتخذوا حاضرتها « سواكن » ومرفأها « عيذاب » .

وكانت هذه المملكة لاتفتر عن إنتهاك حرمات الحدود المصرية والتوغل فى الصعيد ، والتعرض للأرواح والأموال ، لاترهبها القوة ، ولا تصدها المواثيق . وتمتد حدودهم من صحراء (قنا) إلى مايقارب حدود الصومال ، واتخذوا مساكنهم فى الصحراء الشرقية من وادى النيل ، وهم إلى هذا العصر قبائل جسيمة . وهم من حدود مصر إلى جنوبى مصوع وجزائر دهلك .

---

(1) كانت هذه الممالك الأربع قد قامت فى المنطقة على النحو التالى :
(1) الأولى فى السودان الاوسط وعاصمتها سوبة ، والثانية على النيل فى شمال السودان وعاصمتها دنقلة ، والثالثة مملكة البجة بين أصوان وصحراء قنا حتى مصوع ، وعاصرت هذه الممالك مملكة اكسوم فترة من الدهر وهى المملكة الثالثـــة .

وملوك البجة الآن هم نظارهم ، وهم :

١ — ناظر البشاريين : الشيخ أحمد كرار أحمد .

٢ — ناظر الأمارأر : الشيخ محمد أرباب أحمد .

٣ — ناظر الهدندوة : الشيخ محمد الأمين ترك .

٤ — ناظر الحلنقة : الشيخ جعفر على شكيلاى .

٥ — ناظر بنى عامر : الشيخ إبراهيم محمد عثمان .

ومنذ فجر تاريخ السودان كانت هناك أمتان اشتركتا فى حوادثه ، فكانت إحداهما هى تلك التى تسكن فى حوض النيل ببلاد النوبة والتى سميت ببلاد كوش أو النوبة وغير ذلك من الأسماء التى اشتهرت بها ، أما الأمة الثانية فهى أمة البجة التى كانت تجوب الصحراء الشرقية نحو البحر الأحمر . وانقسمت البجة إلى عدة ممالك متفرعة عن مملكتها الرئيسية ، وكانت دائما تقف صفا واحداً وسداً منيعا ضد المغيرين من المستعمرين والمعتدين . وبالإضافة إلى ذلك فإن مملكة البجة درجت على انتهاك حرمات الحــــدود المصرية والتوغل فى صعيد مصر والتعرض للأرواح والأموال لا ترهبها القوة ولا تصدها المواثيق .

على أن الزمان فعل فعله فى وحدة المملكة البجاوية حتى إنه لما زارها ابن حوقل قبل ألف عام[1] ، لم يجدها متحدة فى مملكة واحدة بل وجدها قد

---

[1] كذلك كتب اليعقوبى عن مملكة البجة وأورد هذا التقسيم الداخلى لممالكها الخمس توفى اليعقوبى حوالى سنة ٨٧٢ م . وابن حوقل حوالى سنة ٩٧٧ م .

انقسمت إلى خمس ممالك لكل منهما حدودها وسلطانها . وهذه الممالك هي :

١ — مملكة ناقص : وهي تبدأ شمالا من أول الحدود المصرية وفي غربها السودان .

٢ — مملكة بقلين وهي تقع بين خور بركة وساحل البحر الأحمر المجاورة لمملكة جارين .

٣ — مملكة بازين : وهي تقع بين مملكة علوة وبقلين .

٤ — مملكة جارين : على السواحل الجنوبية حتى جبل دورا (بقلة) قرب نقفة .

٥ — مملكة قطاع : تبدأ من نقفة حتى شهر (مصوع) .

ومن يتأمل هذه الممالك على الخريطة يجد أن قبائل البجة الخمس الآن قد ورثت أراضي هذه الممالك ، كما ورثت ألقابها فقد كان زعماؤها يحملون لقب ملك ولهم مظاهر خاصة في خلق الشعور العام نحو وظائفهم الملكية . فقد كان لكل ملك منهم كرسي للحكم عرف في السودان باسم « ككر » وهو العرش الذي يجلس عليه الملك ، أما رأسه فقد كان يغطيه بتاج أو طاقية من الذهب تسمى « أم قرين » ويصحب ذلك من شارات الملكية سيف أوربي صقيل ونقارة (طبل) يقرع في المناسبات وعند الأزمات . ولم يفقد هؤلاء الملوك ألقابهم الملكية إلا بعد أن فتح محمد علي باشا شرق السودان سنة ١٨٤١ فأزال الملك وألقابه وأبدلها بكلمة ناظر قبيلة . وما زال هذا اللقب مستعملا لزعماء القبائل الكبار حتى اليوم .

لقد ورثت قبائل البجة الحاضرة ممالك أسلافهم السابقين وأصبح الموقف الآن كما يلى :

١ — قبائل البشاريين ويسكنون فى منطقة مملكة ناقص .

٢ — قبائل الأمارأر وهم يعيشون فى منطقة مملكة بقلين .

٣ — قبائل الهدندوة وينتشرون فى بقاع مملكة بازين .

٤ — قبائل بنى عامر ومواطنهم على السواحل الجنوبية .

٥ — قبائل الحلنقة ويقطنون فى كسلا وما حولها .

البجة وابن حوقل

ذكر ابن حوقل فى رحلته منذ ألف عام أنه وجد القبائل الآتية بإقليم البجة، ولى معرفة بأكثرها، وهى باقية إلى عصرنا هذا ، فمثلا يوجد منها فريق عامر :

١ — رقبات السودان(١) .

٢ — عَيْدَكْ — وصوابها عَيْدَقْ : وتوجد بقاياها فى جبل بهذا الإسم بجوار مجو .

٣ — سَتَبُوْ : وصوابها سَتْبُو(٢) .

٤ — أيتمَه : أقليتها بالسودان .

٥ — أما حِنْدِبيه .

٦ — وخيكيا (كيخيا) فرحلت إلى إرتريا بعد الوقائع بين الهنى عامر والبلويب فى القرن الثامن للهجرة ، وهم اليوم أقلية حول مصوع .

٧ — وأما مَنْسَعْ : فتنقسم إلى ثلاث نظارات كبيرة بإرتريا ، وهى : بيت شحقن ، وبيت أبرهى وجمجان :

٨ — أرتيقة : وهى معروفة وكذلك هدندوه ، وتمسكيك ، والأخيرة من بقايا البجة التى انضمت للهدندوة ، واحتفظت بمنازلها فى أركويت(٣) .

---

(١) اما رقبات ارتريا فهى كثيرة ، ولها نظارة خاصة هناك .

(٢) غالبيتها بارتريا .

(٣) رؤساؤها من مسلمى كاليكوب الهدندوية ، ويسكنون « تك كِليداَنْ » بين أسمرة وكَرَن .

٩ — كُوْبَاب : وهم من بطون « أُتمَنْ » (أى ذرية عثمان بن الشيخ عجوب الماعَلوك المهد اللابى) من قبيلة الأَمَارْأَرْ .

١٠ — حِرِمْبَابْ : وصوابها « حِرِمْ تَبا »(١) .

١١ — كَابِرُو :

١٢ — تَجْرِبرو ، فإننى لم أجد أى خبر عنهما .

فلو تمكنت وتحصلت على نسخة من رحلة هذا المؤرخ العربى لازدادت معرفتى بأهل ذلك العصر من قبائل البجة التى طاف بغالبيتها المجاورة للجبال الساحلية (شواطىء البحر الأحمر) .

ويظهر أن جهله باللغتين البجاوية والبنى عامرية حالتا دون تعمقه فى الداخل والوصول لشواطىء نهر عطبره والقاش وكسلا .

ولقد عرّبنا هذه النبذة من كتاب « دولة الفونج » تأليف المستر كروفورد وهذا المؤرخ تحصل منى على نسخة من سلسلة نسب الأشراف (ذرية السيد محمد الحسينى) وكذلك سلسلة نسب الهدندوة ، وقد تفضل فنشرها فى مجلة « السودان فى رسائل ومدونات »(٢) ، وعمل مضاهاة بين نسختى ونسخة المستر دوجلاس نيوبولد فى أسماء أجداد الهدندوة ، فأنا عرّبت الأسماء ، وهو تركها بالبجاوية . فمثلا قلت « جعفر » بدلا من « كِلاَىْ » ، فالأول سماه به

(١) كانوا يسكنون بجبال بنى عامر ، ثم استقروا فى جبل واحد اطلق عليه اسمهم ، وقد بقيت منهم اقلية ضئيلة اندمجت فى قبائل الحماسيين العامرية .

SUDAN NOTES AND RECORDS (٢)

ولكن العرب تيمنا باسم « جعفر الطيار » ولمعرفة البجة بهذا الإسم اكتفوا باسم « كِلاَىْ » وهو « طِيار » ، وكان الصواب حلهفا الكليبا .

وقلت « يوسف » ، وقال « تَأَشُرُكْ » أبوها كول ، وقلت « حمزة أبو قايد » ، وقال « حَلَآبْ » وقِسْ على ذلك فى تصحيح أسماء سائر قبائل البجة وتعريبها .

البجة والصليبيون :

فى سنة ٥٧٨هـ طمع البرنس ريتولد دى شاتيلون فى الإستيلاء على أراضى الحجاز ، فأنشأ المراكب ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل (١) ، ثم ركبها وشحنها بالرجال وآلات القتال وجعلها قسمين : قسما سار إلى جزيرة قلعة إيله (سيناء) ، فمنع أهلها من ورود الماء فنال أهلها شدة ، وضيق عليهم . والقسم الثانى سار نحو عيذاب وأفسد فى السواحل ، ونهب وأخذ ما وجد من المراكب الإسلامية وما فيها من التجار ، وبغتوا الناس فى بلادهم على حين غفلة لأنهم لم يعهدوا بهذا البحر إفرنجيا لا تاجراً ولا محاربا ، وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن أخيه صلاح الدين ، فعمر أسطولا فى بحر القلزم بقيادة الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، وشحنه بالرجال المصريين ذوى التجربة من أهل النخوة والدين ، وساروا إليه فظفر بمراكب العدو بعدما حرقها وأخذ

---

(١) الحروب الصليبية ـــ اما ريتولد فهو صاحب الكرك بالشام وكان من اشد امراء الصليبيين عدواة للمسلمين وقد عزم على المسير فى البر الى المدينة المنورة . وكان دائما ينقض عهوده فجمع جيشه واستعد لذلك ، ولكن خوفه من عز الدين فرخشاه صاحب دمشق؛ منعه من تنفيذ رغبته .

جندها ومن هرب منهم فى البرية تتبعته العرب وأحضرته إليه . ثم سار نحو عيـذاب يقتفيا أثر الباقى من مراكب الصليبين فوجدهم قد قتلوا أهل عيذاب[1] ، وأسروهم ونهبوهم وساروا ، فتبعهم فوجدهم قد قطعوا طريق التجار وشرعوا فى القتل والنهب ، وتوجهوا إلى أرض الحجاز ، فعظم البلاء على الناس ، وأشرف أهل المدينة المنورة ومكة المكرمة على خطر . وسار لؤلؤ يتبعهم ، فوصل ميناء رالتبج بالحجاز (ساحل الحوراء) فأدركهم هناك فأوقع بهم من القتل والأسر ، فلما رأوا العطب وشاهدوا الهلاك خرجوا إلى البر واعتصموا ببعض تلك الشعاب . فنزل لؤلؤ من مراكبه إليهم وقاتلهم أشد قتال ، وأخذ خيلا من عرب البلاد فركبها وقاتلهم فرسانا ورجالا ، فظفر بهم وقتل أكثرهم وأخذ الباقين أسرى وأرسل بعضهم إلى منى لينحروا بها عقوبة لمن رام إخافة البلد الحرام . وعاد بالباقين إلى مصر فقتلوا جميعا لئلا يدل من يظل منهم حيا على تلك الجهات ، وكانوا على مسيرة يوم من المدينة المنورة فأدركهم المسلمين وأخذوهم عن آخرهم بعد جهاد طويل استمر أكثر من شهر ونصف .

---

(1) قال ابن جبير ان الافرنج اخذوا سفينة للبجة اتت بالحجاج من جدة، واخذوا فى البر قافلة كبيرة اتت من قوص الى عيذاب وقتلوا الجميع ، واخذوا مركبين كانا مقبلين بتجار من اليمن . وأحرقوا اطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لميرة مكة والمدينة . وأحرقوا نحو ستة عشر مركبا اخرى ، وقد انتشرت اخبارهم وسلطتهم على شاطىء البحر ولجوا الى برية الحجاز .

وادى العلاقى

فى كتب التاريخ والرحلات ورد اسم هذا الوادى المشهور بكثرة الذهب فى المنطقة الشمالية من إقليم البجة المجاورة اليوم لمساكن العبابدة والبشاريين وقد كتبنا عنه كثيرا فيما سبق . لكن عثرنا على فصل كتبه الدكتور جواد على العراق فى كتابه « تاريخ العرب قبل الإسلام » : يكاد أن يكون المقصود به وادى العلاقى : قال الدكتور عن المؤرخ ديدورد روس : إن جبل (شابينوس CHABINUS) يسكنه شعب اسمه : ديباه DEBAE يعنى بتربية الإبل لأنه يعيش عليها فيشرب ألبانها ، ويأكل لحومها ، ويحارب عليها ، وينتقل عليها من مكان إلى مكان . ويخترق أرضه نهر يحمـــل مع مياهه تراب الذهب (التبر) ويصب فى البحر ، غير أن الناس لا يعرفون كيفية استخلاص الذهب وتنقيته . وهم لا يسمحون للغرباء بالنزول عندهم إلا إذا كانوا بيتواء BEATIAE أو من : بيلوبونس PELOPONESI لاعتقادهم أنهم ينحدرون وهؤلاء من صلب جد واحد هو « هريقلوس » .

فقال الدكتور جواد إن هذا الجيل وهذه القبائل فى إقليم العسير ، وأن النهر المذكور ينبع من مدينة صبيا SABYA ويصب بقرب جيزان . ونحن نقول إن سكان وادى العلاقى من البجة كان جل اعتمادهم ومعاشهم على الإبل ، وقد حاربوا الفراعنة والبطالسة والرومان والعرب على ظهور هذه الإبل بخلاف عرب الجزيرة الذين كانت حروبهم على الخيـل من عهد اسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام .

وسأترك لأبناء البجة بحث الألفاظ والأسماء لأنى أراها أقرب إلى اللغة البجاوية .

المعـادن ببلاد البجـة

الزمـــــرد

قال الجاحظ أن معجم الزمرد لايوجد إلا فى بلاد البجة — وقال المسعودى إن الموضع الذى فيه الزمرد يعرف بالخربة وهى مفازة وجبال — والبجة تحمى هذا المكان وإليها يؤدى الخفارات من يرد حفر الزمرد .

والزمرد الذى يقتلع من هذا المعدن أربعة أنواع :

الأول منها : يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمنا . وهو شديد الخضرة كثير الماء . تشبه خضرته بأشد مايكون من السلق خضرة . وهذا اللون غير كدر ولا ضارب إلى السواد .

الثانى منها : يدعى بالبحرى ومعناه فى التسمية هو أن ملوك البحر من السند والهند والزانج (زابجون بورما) والصين ترغب فى هذا النوع من الزمرد وتباهى فى استعماله ولباسه فى تيجانها وأكاليلها وخواتيمها وأسورتها ، فسمى بالبحرى كما ذكرنا ، وهو ثانى المر فى الجودة وتشدد خضرته .

الثالث منها : يعرف بالمغربى ، ومعناه فى هذه التسمية وإضافته إياه إلى المغرب ، هو أن ملوك المغرب من الأفرنجة والأندلس والصقالبة والروس وإن كان أكثر هؤلاء الأمم متصلين بالجربى وهو مابين المشرق والمغرب على حسب ماذكرنا من ديار ولد يافث بن نوح يتنافسون فى هذا النوع من الزمرد كتنافس من ذكرنا من ملوك الهند والصـــين فى النوع المعروف بالبحرى .

الرابع منها : هو المسمى بالأصم وهو أدنى الأنواع وأقلها ثمنا لقلة مائه

وخضرته . وهذا النوع يتفاوت فى اللون من الخضرة والقلة . وجملة الوصف بهذه الأنواع الأربعة فى الجودة والمبالغة في الثمن هو أكثرها ماء ، وأصفاها وأكثرها خضرة ، وأنقاها من السواد والصفرة ، وغير ذلك من الألوان مع تعرى هذا الجوهر من التوشيه . فإذا سلم مما ذكرنا كان نوعه غاية فى الجودة ونهاية فى الوصف . وفى حجارته ما يبلغ الخمسة المثاقيل فى الوزن إلى أن ينتهى إلى حد العدسة فى المقدار . وآفات هذا الجوهر المتنوع كثيرة منها الريم ، والحجارة ، والعروق البيض التى تشوب هذا الجوهر وتوجد فيه ، ولا يقتنا كر من ذوى الدراية بهذا الجوهر . والحيات والأفاعى والثعابين إذا أبصرت الزمرد الخالص سالت أحداقها . وإن الملسوع إذا سقى من الزمرد الخالص وزن دانقين على الفور آمن على نفسه من سريان السم فى جسده . ولا تقرب الحيات من معدنه وأرضه . وهو حجر لين رخو يتسكاس إذا ورد على الماس وقد كانت ملوك اليونانيين ومن تلاهم من ملوك الروم تعظم شأن هذا الجوهر وتفضله على غيره من سائر الجواهر لما اجتمع فيه الخواص العجيبة والمنافع الكثيرة . وقد يوجد على ظهر الأرض فى هذا المعدن فى وهادة وجباله وما انخفض وارتفع من أرضه نوعان منه ، وهما المغربى والأصم المقدم ذكرهما . والزمرد يكثر فى السنة التى تكثر فيها الصواعق والرعود والبروق . وبوادى البجة المالكة لهذا المعدن (الزمرد) تتصل ديارها بالعلاق الذى فيه معدن الذهب اهـ .

ولقد رأيت هذا الجوهر وهو خشيم أى بعد استخراجه من المنجم وقد اشتراه الشيخ محمد السيد البربرى سنة ١٩٢٠م بمدينة سواكن

معــدن الذهب

يوجد ببلاد البجة خصوصا الشمالية منها أى بأرض البشاريين والأمرأر عدة جبال كلها مناجم مملوءة بالذهب الكثير . وأقول هذا عن تجربة ومشاهدة بالعين . ولكن أين المال الذى يصرف على استخراج الذهب . والناس هنا فى السودان يحاولون كأفراد استخراج الذهب والميجا والمنجنيز والحديد وهذا مستحيل لأن هذه الخيرات يجب أن تتآلف شركات وطنية كى تستخرجه من الكهوف والمغاور التى كان الفراعنة واليطالسة والرومان يسخرون البجة فى العمل بها حتى جاء الإسلام وأبطل العمل فى الجبال وانتقل إلى السهول والوديان وخصوصا وادى العلاقى .

وحاول الخديوى محمد على باشا البحث فى البادية المذكورة ولكن للأسف لم ينجح الخبير الفرنسى فى العثور على آثار الفراعنة فى الجبال ولذلك ألغى البحث عام ١٨٣٦م .

وجاء الرحالة المستر أوغسطوس وايلد Mr. A. WYLDE إلى سواكن وسار منها بالجمال حتى اكتشف عدة مناجم حول جبيت المعادن وأوبو وأونيب فى أوائل المهدية سنة ١٨٨٥م . وبعد الفتح الثانى جاءت عدة شركات انجليزية لم تنجح منها إلا الأولى . فلما استنزفت محتواه الجبل توفى مديرها فتعطلت آثارها وورثتها شركة أبناء المرحوم الشيخ سعيد عبدالله باعشر ، غير أن بحثهم لم يحقق رغبتهم ، فانتقلوا من « أوكو وا كوا ان » إلى جبال تو كتيب وهنالك استقر بهم المقام وبدأوا فى البحث والتنقيب . وإنهم وإن كانوا فى دور الإنشاء وجلب الآلات والمعدات (وما أغلاها وأ كثرها)

تدل تباشير عملهم تدل على أنهم رجال كد وعمل مع أولئك العمال الشكادين .

ويبعد هذا المنجم عن بورتسودان نحو ثلثمائة ميل . وله طريقان أحدهما عن محمد قول وجبيت المعادن وهو طويل ، والثانى عن طريق عقبة فكسيب تمريق هندى وهو قصير .

ونأتى هنا لذكر الحقيقة وهى أن بلدان وجبال البجة كلها معادن . وكلما سعد الباحث إلى داخليتها عثر على أجود وأكثر الذهب والتبر . قال المسعودى : « وخبره أن فيها الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنطيس والزمرد ». والبجة تنقصهم رؤوس الأموال لإستخراجها فأين أرباب الثروات والمستثمرين فإن الأيدى العاملة متوفرة جداً فى إقليم البجة . ولم تكن هذه كل الثروة البجاوية، بل فى أوديتهم شجر الأهليلج والمقل والشيح والسنامكى وشجر البان والنخيل والسدر والدوم والرياحين وسائر الخضروات ونحوها مما ينفع الناس . وهذا وادى العلاقى الذى كان العرب يبحثون عن الذهب فيه .

قال ابن جبير فى رحلته إنه واد فيه خلق كثير كالبلد الجامع ، وفيه آبار عذبه يشربون منها . ومعدن الذهب عندهم متوسط فى الصحراء . لا جبل حوله والرمال لينه وسباسب سياله . فإذا كان أول ليالى الشهر العربى خاض الطلاب تلك الرمال، فينظرون التبر يضىء بين الرمل ويعلمون مواضعه ، ويصبحون فيجىء كل منهم إلى كوم الرمل الذى عمله ، فيحمله على هجينه ، ويمضى إلى الآبار فيغسله ويصوله ويستخرج منه التبر ويلغمه بالزئبق ثم يسكبه

فى الهوادق (آلات لتصفيه الذهب) فمن ذلك معاش سكان الوداى
المذكور .

وننتقل إلى أخلاق البجة منذ القدم فإنها لم تتغير إلى اليوم منذ آلاف
السنين وهى تدل على أنهم تحلوا بسهم وافر فى مكارم الأخلاق قبل أن يختلطوا
بالعرب أو يدينوا بالإسلام .

من أخلاق البجة

قال نعوم بك شقير «أما البجة فلونهم بين قائم ويشبهون بدو العرب جداً في الملامح والأخلاق إلا أنهم أشكس أخلاقاً» . وروى العارفون عنهم أخباراً تدل على كرم الأخلاق وطيب النفس ، منها أن رجلا من الحمدندوة من عمودية البشكواب يدعى الشيخ محمد بن عبد الله جاء إلى إحدى عموديات القلاب نيو الحمدندوية يسألهم الصفح عن قتيل قتله أهله من رجالها . فطعنه واحد منهم بحربة في جنبه ليمنعه التوسط في الصلح . فلم يلتفت إلى الطاعن بل لم يزل يرجو العفو والكف عن طلب الثأر والدم يسيل من جنبه . فلما رأى القلاب نيو أنه صابر على الضيم إلى هذا الحد حياءً بحقن الدماء تنازلوا عن ثأرهم إكراماً له ، وحملوه عندهم أياما على الرحب والسعة . فهم يحتقرون الموت ولهم صبر على مضض الأيام . ومن غريب أخلاقهم أنه إذا جاء الجدب واشتد الجوع أغلق الواحد منهم باب داره على نفسه وأولاده وانتظر الموت جوعاً ولم يسأل أحداً خوفاً من التعيير بالسؤال . وفي سنة ١٣٠٦ هـ بتوكر حدث كثير من هذا . والمريض مهما اشتد ألمه لا ينطق بكلمة تدل على تألمه وكذلك المضروب لا يبدي أقل توجع مهما اشتد عليه الضرب . والمسوق إلى القتل لا يبدي أقل جزع أو خوف . ومن أكبر العيوب عندهم الفرار من القتل ، فإذا ارتكب أحدهم جناية استوجبت القتل وقف في مكانه ينتظره بالتسليم وكامل الصبر . وكثير مثل هذه الأخلاق في كل قبائل البجة لها حوادث مماثلة ولكل أجملناها وهي لدى كل سوداني اعتيادية .

مملكة قبائل بني عامر

قبائلها وحوادثها



محمد صالح ضرار

وهو يتقدم في أبحاثه وسنه

مملكة قبائل بنى عامر فى مملكة البجة الكبرى

نشأتها وتطورها

لقد سبق أن ذكر فى الباب الأول من هذا الكتاب أن مملكة البجة الكبرى كانت تنقسم إلى خمس ممالك كما ذكر ذلك كل من اليعقوبى وابن حوقل. وكانت هذه الممالك هى : ناقص (أو نقيس) ، ثم بقلين ، وبازين وجارين ثم قطعة أو (قطاع) كما وردت فى النصوص العربية أحيانا . وقد وجد أن هذه الممالك الخمس تحدد الآن مناطق قبائل البجة الرئيسية وهى من الشمال إلى الجنوب (البشاريين) ، والأمارأر ، والهدندوة والحلنقا وبنى عامر ، وهذا ما أوضحه المؤرخ فى هذا السفر .

ولما كنا الآن بصدد الحديث عن مملكة بنى عامر التى ورثت أراضى مملكة جارين بعد أن تناول المؤلف الحديث عن بقية الممالك الأخرى فى هذا السفر ، فإننا نود أن نقول بأنه لا يعرف بالضبط متى اتخذت هذه المملكة اسم « بنى عامر » ولكن يبدوا أنه عندما قوى ساعد هذا الرهط من السكان ، وانتشر فى كل أنحاء المنطقة تغلب اسمه على بقية السكان الآخرين من بجة أصليين ، وعرب نازحين سواء أكان ذلك قبل الإسلام أو بعده .

ولهذا الإسم العربى الأصيل أهمية كبرى فى تاريخ المنطقة لأنه من الأسماء العربية الأصل القليلة التى وجدت لنفسها مكانا فى إقليم لا ينطق سكانه باللغة العربية إذ أن سكان مملكة البجة يتحدثون كما نعرف لغتين إحداهما اللغة التبيداوية (أو الهدندوية) ، والأخرى البنى عامرية أو التيجرية السامية والتى يطلق عليها أيضا « الخاساوية » . وهذا الإسم العربى الأصيل يجعل من الأهمية

بمكان البحث عن أسباب هذه التسمية وعن غربلة الأحداث والتحكيمات التى أدت إلى إطلاق هذا الإسم العربى الأصيل عليها .

ويبدو أن هذا الاسم قد انتشر بعد أن توقفت رحلات مؤرخى العرب وجغرافييهم ، ونجد أن ابن حوقل الذى زار المنطقة فى القرن العاشر الميلادى لم يذكر هذا الاسم ، بل إنه ذكرها على أنها مملكة جارين ، كما أنه ذكر أسماء الكثير من القبائل البجاوية الأخرى والتى مازالت تحتفظ بأسمائها حتى الآن ، ولعل هذا الاسم (أى بنى عامر) ظهر أولا فى المناطق الجنوبية من المملكة مثل مناطق باضع (أى مصوع) وما جاورها ، ثم انتشر فى بقية مناطق البنى عامر بامتداد أراضيها وصولا إلى تخوم سواكن وكسلا ، وسائر منطقة التاكا .

وتمتد مملكة جارين (بنى عامر) على سواحل البحر الأحمر من جنوبى سواكن حتى تصل إلى جنوبى مصوع وتشمل مصوع وجزائر دهلك ، ويجرى فى أرض هذه المملكة خور بركة الموسمى الذى تزرع دلتاه بالقطن والحبوب منذ فجر التاريخ . وهذه المنطقة تمثل الجزء الجنوبى الشرقى من أراضى مملكة البجة . وتمتد هذه المملكة فى أنحاء كثيرة من إرتريا الحالية ، وتلتف جنوبا حتى تصل إلى التاكا (كسلا) التى كانت ملتقى عدد من قبائل البجة وهى الحدندوة والحلنقا وبنى عامر .

ويجب ألا يغرب عن البال أن أراضى مملكة البجة الكبرى التى اعترفت بها الخلافة العباسية كانت تمتد من منتهى حد أسوان من أرض مصر إلى حد مابين دهلك وباضع (مصوع) . وقد جاء هذا التحديد فى نص المعاهدة التى

أبرمت بين الخليفة المأمون بن هرون الرشيد وبين الملك كنون بن عبد العزيز ملك البجة وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين للهجرة (سنة ٢١٦ هـ) . (راجع معاهدة العرب مع البجة فى هذا الكتاب) .

وقد قامت مملكة بنى عامر التى كانت تدعى جارين فى هذا الجزء من السودان الشرقى ، ووصفها اليعقوبى المتوفى سنة ٨٧٢ م حين تحدث عنها بأن « لها ملكا خطيراً » ، مما يشير إلى أن هذه المملكة أخذت دورا بارزا فى القوى الموجودة فى المنطقة ، وهى الحبشة والخلافة العباسية ومملكة البجة السودانية .

وكانت هذه المملكة قد تأثرت بالهجرات العربية المتلاحقة من شبه الجزيرة العربية كغيرها من الأجزاء الشمالية من مملكة البجة ، وكما رأينا فإن البجة الأقدمين أنفسهم إنما كانوا من قدماء العرب الذين نزحوا من بلادهم وقد أجمع علماء الأجناس على أنهم وقدماء المصريين من عنصر واحد وقد أصبحوا مزيجا من الحاميين والساميين على مر التاريخ . ولم يكن البحر الأحمر فى يوم من الأيام عائقا عن مثل هذا الاتصال وهذه الهجرات ، وما لم يكن يتم من نزوح عبر البحر الأحمر يتم عن طريق سيناء وصولا إلى الساحل الغربى البحر الأحمر كما حدث لقبيلة بلى قبل الإسلام وبعده ، فقد انتشرت هذه القبيلة أوسع انتشار فبلغت الشام الكبير شمالا وانتهى طرفها الآخر فى مصوع (باضع) جنوبا فى البحر الأحمر . ولكن على مر العصور كثرت الهجرات العربية إلى شمال شرقى إفريقيا حيث الأراضى البجاوية فوصلت إلى المنطقة التى بين عيذاب شمالا على الحدود المصرية السودانية حتى مصوع جنوبا ، بل وشملت أراضى العفار الإفريقى جنوبى مصوع (سواحل القرن الإفريقى) ، وتوغلت

فى الهضاب الحبشية داخل أراضى إثيوبيا، بل إن الحبش أنفسهم إنما هم إحدى تلك القبائل اليمنية التى هاجرت إلى الحبشة وأكسبتها اسمها القديم قبل أن تتبنى اسم أثيوبيا فى هذا القرن .

ويقول السير ولاس بدج فى كتابه تاريخ أثيوبيا[1] « أما سواحل البحر الأحمر ، فإنه منذ قيام أول مملكة حبشية فى شمال شرق إفريقيا وهى مملكة أكسوم وذلك فى القرن الميلادى الأول ، فإنه لم يعرف كيان واضح ثابت لسلطان مملكة حبشية فى هذه الجهات » بينما كانت مملكة البجة قائمة على وحدة أراضيها ، وجيشها الموحد الذى كان يدافع عن بلاده منذ أن خاض الحروب مع الفراعنة .

وكان من بين القبائل العربية التى هاجرت إلى إقليم البجة أفواج من قبيلة بَلِىّ ، وقد انتشرت هذه القبيلة فى سائر أنحاء مملكة البجة كما رأينا ، وقلد بعض أفرادها الزعامة على عشائر المملكة ، وتوافدت عليها قبائل عربية أخرى من أكبرها ربيعة وجهينة وبعض بطون قريش وغيرها فى العصور الإسلامية . وأخذت هذه الوفود تقلص من نفوذ الأسر الحاكمة السابقة لها عن طريق الزواج من بنات زعمائها وتوريث أبنائهن الحكم بدلا من أخوالهم كما كان متبعا فى ذلك العصر ، حتى لم يبق فى آخر الأمر سلطان لأبناء قبيلة بلى إلا فى مصوع حيث وجدهم الأتراك العثمانيون فى القرن السادس عشر هناك ، وأقروهم على حكمهم للجزء الجنوبى الشرقى من مملكة جارين البجاوية ، واعترفوا بهم حكاما على نواحى مصوع وما جاورها من قبائل بنى عامر ،

---

(١) صفحة ١٠ من المقدمة .

وأطلقوا على هذا الحاكم البلوى لقب « نائب » ، واستمر حكم هذه الأسرة على تلك الجزيرة وما حولها حتى الاستعمار الإيطالى .

وبالإضافة إلى قبيلة بلى العربية التى نزحت إلى مملكة جارين قديما ، فقد نزحت قبائل أخرى ربما كان من بينها قبيلة بنى عامر اليمنية أيضا ، واستطاعت هذه القبيلة بسبب كثرتها وقوتها أن تجعل اسمها طاغيا على كل سكان المملكة فى آخر الأمر كما حدث فى قبائل البشاريين والأماأرار والهدندوة شمالا . وقد امتصت كل هذه الشعوب العرب النازحين عن طريق الاختلاط والتزاوج ، وجعلوهم يتكلمون بلسانهم التبداوى (البجاوى) ، ويتزيئون بزيهم ولباسهم ، أما البجة فقد أخذوا عن هؤلاء النازحين الدين الإسلامى بعد ظهوره فاعتنقوه وناصروه أقوى مناصرة .

ويقول كل من ترمنجهام و كروفورد نقلا عن الكونت روزينى إن قبيلة بنى عامر بن كنو قد رحلت من اليمن إلى السودان الشرقى ، وربما كان ذلك بعد انهيار السد ، ثم انتشرت مع بلى وغيرها فى جنوبى شرقى مملكة البجة لتكون إحدى ممالكها الخمس .

وقبيلة بنى عامر بن كنو هذه ربما كانت إحدى المخاليف اليمنية التى ذكرها اليعقوبى حين أورد أسماء أربعة وثمانين مخلافا فى اليمن ، وهم الذين كان يتسكرن منهم كور اليمن ، وكان من بين هذه المخاليف مخلاف بنى عامر وربما رحل جزء كبير من هذا المخلاف إلى الشواطىء السودانية الجنوبية (بين مصوع وسواكن) مع من كان ينزح من القبائل اليمنية : وانتشروا بين هاتين المينائين كما فعل الرشايدة فى القرن التاسع عشر الميلادى . واستقرت بنى عامر هناك فى مملكة جارين البجاوية ؛ ولما تكامل عددها وقوى مركزها

بعد عدة قرون تغلب اسمها على سائر أهل المنطقة من بجة وعرب، فأخذ ينتشر هذا الاسم ليطغى على غيره حتى إذا ظهرت مملكة الفونج ازداد نفوذا وذيوعا .

وقد ذكر أبرهة الحبشي في مخطوطة له عن سيره إلى البيت الحرام في غزوته المشئومة التي كانت نكالا عليه أن جيوشه التقت بمقاتلي قبيلة بني عامر في جنوبي الجزيرة العربية ، وأنه بمساعدة كندة استطاع أن يتغلب على بني عامر وربما وكانت كندة هذه قبيلة كندة العربية التي كان لها شأن في تلك المنطقة كما أن قبيلة بني عامر التي ذكرها أبرهة قد تكون هي التي نزح بعض بطونها إلى السودان الشرقي على دفعات بين حين وآخر ، وازدادت هذه الهجرة بعد منتصف القرن السادس الميلادي .

ومنذ انهيار سد مأرب قبل سنة ٥٤٢م فإنه كانت تكتنف مناطق جنوبي الجزيرة العربية والساحل الإفريقي المقابل حركات هجرات نشطة سببتها معرفة المسالك البحرية عبر البحر الأحمر بواسطة المعينيين ثم السبئيين ثم الحميريين ، وضعف الأحوال الاقتصادية والزراعية في اليمن وضيق العيش واضطراب الأحوال الدينية والسياسية، والصراع المرير بين اليهودية والمسيحية، وما حدث من اضطهاد ديني بمختلف الأشكال . فكان أن لجأت كثير من العشائر اليمنية إلى أراضي مملكة البجة التي لم تعرف الاضطهاد ، والتي كانت تنعم بالرخاء وحرية اختيار المراعي الواسعة والأراضي الزراعية الوفيرة في خور بركة وغيره مع وفرة المياه في الخيران .

وعندما انهد سد مأرب تضاعفت حركة الهجرة لقبائل اليمنية فسارت

جنوباً وشمالا ، وشرقا وغربا حتى صـــــــــدق فيهم المثل العربى « تفرقوا أيدى سبأ » .

ويبدو من ذكر أبرهة لبنى عامر فى وثيقته تلك أنه كان على علم بوجود بعض بطون قبيلة بنى عامر فى الســواحل الســودانية (الإرترية) لأنه لم يذكر أى قبيلة أخرى فى وثيقته غيرها ، ولعلها كانت ذات شهرة وقوة سياسية ونفوذ اقتصادى وعسكرى إذ أنها تـكاد تـكون القبيلة العربية الوحيدة التى وقفت أمام جحافل أبرهة بأفياله وجنوده وهى التى قابلت جيشه حتى استعان عليها بكندة كما ذكر مما يدل على قوة شكيمتها ، ولم تستطع أية قبيلة عربية أخــرى أن تقف أمامه وهو يتقدم فى محاولته الشرسة لهـــدم الـكعبة المشرفة .

وهكذا نجد أن هذه القبيلة التى نزح كثير من أفرادها إلى السودان قبيل الإسلام قد تركت شيئا فشيئا آثاراً بعيدة على مملـكة جارين البجاوية .

عندما نزحت قبيلة بنى عامر وغيرها من القبائل العربية إلى الأراضى الســودانية الساحلية لم تـكن تتحدث اللغة العربية الفصحى لأن هذه اللغة لم تـكن قد أخذت معالمها المعروفة الآن ، ولم تـكن هى اللغة السائدة الوحيدة فى الجزيرة العربية ، بل كانت هذه القبائل تتحدث لغة عاميه قريبة من العربية هى المسماة باللغة « البنى عامرية » ، والتى عرفت بين سكان المملـكة البجاوية أيضا باللغة « التيجرية » . وكما يلاحظ القارىء فإن لفظة « تيجرى » تبدو وكأنها مشتقة من لفظة « تجارة » ثم نسبت إلى « توبجر » تصغــيرا لتاجرمع

إحداث التبديل العربي في اللفظ ، وهذا يعني أنه من الممكن أن تكون هذه اللغة المنسوبة إلى تاجر قد انتشرت أيضا في تلك المنطقة بسبب تحدث قبائل بني عامر ابن كندة وتجارهم القادمين من جنوبي الجزيرة العربية بها . وتحدث غيرهم من تجار العرب بها أيضا ، وربما كانت لغة عربية سائدة في ذلك العهد لأنه حتى الآن نجد كثيراً من كلماتها منتشراً في اللغة العربية الفصحى واللهجات اليمنية[1] . وهناك لفظ ثالث يطلق على هـذه اللغة بل وعلى بعض العشائر الساكنين منذ القدم في إقليم البجة ، إذ يُطلق على هـذه اللغة أيضا اللغة « الحاساوية » ، وقد تستبدل الحاء أحيانا خاء (كما يحدث في بعض اللهجات العربية أحيانا) ، ولعل هذه الكلمة مشتقة من الحسا أو الإحساء التي ربما نزحت منها جماعة تتكلم لهجة كالبني عامرية أو ربما اختلطت اللهجات هناك في مملكة جارين الهجاوية حتى خرجت منها لغة بني عامر الحالية ، أو ربما كانت اللغـة البني عامرية ، لغة عربية بدائية لم تتبلور إلى الفصحى بعد ، أو ربما كانت قد تطورت واختصرت قواعدها وإعرابها ؛ وعلى كل حال فإن مجال البحث لتحقيق مثل هذه التكهنات ، وعلاقة السودان بسائر مناطق الجزيرة العربية ، وتحديد موقع القبائل مجـال واسع للبحث والتعريف ، ويمكن التوصل إلى حقائق أوضح إذا أخذ الباحث في الحسبان العادات والملابس ، وطرق دفن الموتى ، والرعى وغير ذلك .

وقد ذكر المسعودي أنه عندما زار جزيرة سواكن حوالى سنة ٣٣٢ هـ كان يحكمها ملك الحاسا (أو الخاسا) وهو ملك مسلم .

وكل هذا يدل على أن سلسلة الهجرات العربية النازحة إلى إقليم البحر الأحمر السوداني لم تتوقف على مدى التاريخ .

---

(١) يقول المؤلف ان ثلاثة اخماس اللغة البني عامرية من اللغة العربية

ويذكر ترمنجهام أن البنى عامر « يمثلون الخاصية البجاوية برأسهم الطويل ، وحجمهم المتوسط ، وتقاطيعهم المنتظمة كتقاطيع الأوربيين ، والأنف المستقيم الضيق ، والبشرة الصفراء التي تميل إلى اللون النحاسي البني والشعر المتموج أو المجعد ولكنه ليس مفلفلا ، والشفاه التي غالبا ماتكون عريضة ، ولكنها ليست مقلوبة ؛ وباللحية الخفيفة القليلة الشعر » .

ويبدو من كتابات المؤرخين ، وما تناقلته الروايات ، وما أطلق على اللغة التي يتكلم بها سكان هذه المنطقة . وما سميت به هذه القبائل سواء في المخطوطات أو السلالات أو غيرها أنها هي أصل كل القبائل التي تتحدث بهذه اللغة ، ولكن كان يحدث أحيانا أن تهاجر بطون عربية كبيرة خاصة بعد الإسلام ، أو زعماء قرشيون ، أو من يدعون القرشية أو الشرف ، أو غيرهم إلى هذه المملكة ، فإنهم يتخذون من بعض عامة البجة شعوبا صغيرة لهم ، ويسطون زعامتهم عليهم ، ويتخذونهم عشائر لهم ، فتنقسم القبيلة على نفسها رغم أن اللغة والدين والعادات لم يمسها التغيير . وهذا ما نجده يحدث عندما وصل زعماء قبيلة الحباب والألمدة وبيت أسقدى والمجيلات وغيرهم إلى البلاد ، وهم من قريش كما ظهر في تاريخهم . وكذلك قبائل الحماسين وسائر قبائل الإقليم أو المملكة حتى أصبحت هذه المملكة تتألف من عدة ممالك صغرى كبقية أنحاء السودان منضوية في تحالف (فدريشن) تحت مملكة كبرى . غير أن أصل الشعوب التي ضموها إليهم هي من البجة ، ولكنهم انضووا تحت ألويتهم بسبب الطموحات الإنسانية ، والأبعاد الجغرافية ، والإنقسامات السياسية ، والاعتداءات الأجنبية ، والاختلافات العائلية .

وإن كل هذه الممالك البجاوية الصغرى كانت في الأصل تحت راية ملك

البجة وعاصمته هجر والذى اعترف له المأمون بالسيادة على أراضيه من حد أسوان إلى مصوع .

وفى القرن السادس عشر الميلادى انضمت مملكة بنى عامر إلى الحلف السنارى وهو الحلف الذى أقامته سلطنة الفونج فى سنار ، ودخلت فيه كل الممالك السودانية تقريبا التى تكونت من القبائل المختلفة التى كانت تدين فى معظمها بالدين الإسلامى ، وكانت مملكة بنى عامر التى تقع فى الطرف الشرقى البعيد من السودان من بين تلك الممالك التى دخلت فى الحلف بسبب الروابط الدينية والعربية والتاريخية التى تربطها بممالك السودان الأوسط ، وكانت سلطنة الفونج قد ورثت أراضى ممالك النقابة المسيحية التى كانت تربطها بمملكة البجة روابط المصير الواحد منذ فجر التاريخ ومنذ مواجهاتهم للفراعنة والأشوريين والفرس واليونان والرومان والعرب .

ولما استقر رأى مملكة بنى عامر على تقوية السلطنة الزرقاء (سلطنة الفونج) بالدخول فى حلفها ، أرسلت وفدها إلى ملوك سنار ، وهؤلاء أرسلوا مندوبا من السلطان السنارى ليكون ممثلا له فى مملكة بنى عامر . وكان هذا المندوب من قبيلة الجعليين العباسية ، فأقام بين بنى عامر وتزوج ابنة زعيمهم ، وأصبح أبناؤه يمثلون العائلة الحاكمة لقبائل بنى عامر نيابة عن سلطنة الفونج ووزارة العبدلاب وذلك بعد أن اندمجوا بفعل تلك المصاهرة والمواطنة مع زعماء البلو السابقين ؛ وهكذا استمرت مملكة هذه القبيلة فى السلطنة السنارية وانضمت سواحل البحر الأحمر لها من سواكن حتى مصوع وكان أن أعطى زعيم قبائل البنى عامر من قبل سلطان الفونج الطاقية أم قرون (رمز للتاج) والككر (رمزا للعرش) ، ونقارة (طبلا كبيراً) رمزا للسلطة والجيش التى قلدها له سلطان سنار ، وقد استمرت هذه العلاقة السياسية بين مملكة بنى عامر

العربية حتى جنوبي مصوع بالمملكة الزرقاء حتى انهيار هذه المملكة على يد الأمير اسماعيل بن محمد على باشا سنة ١٨٢١ ميلادية .

ولم تنقطع هـذه العلاقة بين مصوع ومن فيها من بنى عامر وبين سائر أجزاء السودان التى احتلها محمد على باشا إذ أن محمد على باشا ومن بعـده الخديوى إسماعيل كانا قد ضما تلك المناطق عن طريق استئجارها من السلطان العثمانى إلى ممتلكاتها فى السودان بما فى ذلك زيلع وهرر وملحقاتها وذلك فى سنة ١٨٦٥ ميلادية ، غير أن التغيير الكبير الذى حدث هو فى الإقليم الذى أطلقه محمد على باشا على ممالك السودان المختلفة كما ذكر المؤلف ، إذ انتزع السلطات أو الملك من كل ملوك القبائل ، وأطلق عليهم لقب « نظار » ، وبذلك فقدوا جميعا صفتهم الملوكية العريقة ، والهالة العظيمة التى كانت تحيط بهم عند التعامل مع بعضهم بعضا أو عند التعامل مع الدول الأخرى .

ولكن لما ظهر الإستعمار الغربى فى إفريقيا ، وجرى تقسيمها بأسرها تقريبا إلى مستعمرات أوربية ، كان الجزء الجنوبى من مملكة بنى عامر من نصيب إيطاليا . ووضعت مصوع كجزء من تلك المستعمرة لتكون ثغراً لها حتى تستولى إيطاليا على الحبشة فى أول فرصة ممكنة وذلك بالرغم من بعد موقع مصوع الجغرافى من الأراضى الحبشية المغلقة الشاهقة . وقامت الثورة المهدية بالسودان ، وضعفت قبضة مصر على تلك المناطق فى إرتريا التى كانت تسمى السودان الشرقى وحاكمها هو غردون حاكم عام السودان ، ويحكم المنطقة مونزنجر وتقدموا وسلخت إيطاليا هذه الأجزاء من أراضى مملكة البجة وضمت إليها أراضى أخرى وأسمت المستعمرة إرتريا إحياء للبحر الإرترى الذى كانت ترد إليه السفن الرومانية المبحرة من مصر فى العهود الرومانية ، وبهذه السياسة فقدت مملكة بنى عامر

جزءاً كبيراً من أبنائها وأراضيها ، وضاع على السودان ذلك الجزء من وطنه الذى اعترف له به المأمون بن هارون الرشيدى والذى ورثه السلطان العثمانى حتى سلمه للخديوى اسماعيل ، وفى الواقع فإن إيطاليا قد سلخت ثانى قبائل بنى عامر بأراضيها من مملكة البجة الأصلية ومملكة الفونج وضمتها إليها أولا ، ثم وضعتها الأمم المتحدة تحت الحـــــكم الفدرالى الإثيوبى حتى ضمها الإمبراطور هيلا سيلاسى بطرقه الخاصة نهائيا إلى إثيوبيا فى آخر الأمر . وقد أخذ أبناؤها الآن يحاولون إحياء أمجادهم التاريخية واستعادة مافقدوه من حرية ومشاركة للعالم فى بناء مدنية تقوم على مبدأ الحرية والمساواة والتقدم .

لم تكن قبائل بنى عامر ومن معها من قبائل أخرى عندما نزحت من الجزيرة العربية قبائل رعوية فحسب ، بل كانت أيضا قبائل فيهم الزرع والفلاحون . وقد كانوا يعرفون الزراعة والحرث بفضل ما كان لديهم من مخلاف فى كور اليمن إذ كانوا يعتمدون فى معيشتهم على الزراعة من مياه سد مأرب ، ولذلك فإنهم عندما استقروا فى الأراضى السودانية التابعة لمملكة البجة لم يتوغلوا فى أرض الحبشة كما فعلت قبيلة الحبش العربية من قبلهم إذ استقر هؤلاء فى الهضاب ، ولكن بقى أكثر قبائل بنى عامر حول الوديان والأراضى الزراعية والخيران . وكانت الزراعة فى خور بركة منذ قبل القرن الرابع الميلادى تقوم على سواعد البجة الأصليين من سكان المنطقة الذين اشترك معهم بنو عامر فيما بعد فى هذا المجال الزراعى ، وقد عرفت هذه القبيلة زراعة القطن من سكان إقليم البجة السابقين الذين كانوا يمارسونها من قبل ، وكانت الأفواج الأولى من القبائل اليمنية التى نزحت إلى شرق السودان الجنوبى

قد أخذت اعمل فى هذه الزراعة مع البجة . ويخبرنا الملك عزانا الأكسومى (حوالى سنة ٣٩٥م) بأنه خرج فى حملة عسكرية لتأديب البجة والنوبة الحمر والنوبة السود فى تلك السنة ، وأنه أحرق مزارع قطنهم التى وجدها أمامه ، ولاشك فى أنه اخترق أراضى توكر وخور برّكة – تلك الأراضى التى كانت وما زالت تزرع قطنا وذرة ودخنا كلما جرى فيها الماء فى الخريف كما هو الآن . وقد ذكر عزانا فى كتابته هذه أسماء كل من البجة والحاسا والنوبة الحمر والسود على أنهم من بين الشعوب التى حاربها وانتصر عليها ، مما يظهر على أنهم كانوا يتفقون فى حلف واحد ضد اعتداءاته التى تكررت دون أن ينجح فى إخضاعهم أو الاستيلاء بشكل نهائى على بلادهم .

ولمملكة بنى عامر وقبائلها أهمية استراتيجية وتجارية فى التاريخ القديم والحديث ، فهى بحكم مقاومتها الضاربة لأبرهة عندما غزا مكة المكرمة ، ومنذ خروجه من اليمن ، كانت تحمل راية المقاومة الحربية ضده وبذلك صارت حلفا لقريش وخاصة زعيمها عبد المطلب ، وربما يكون قد أدى هذا الاعتداء إلى تقارب فى العلاقات بين قبائل البجة الجنوبية ومسلمى قريش من المهاجرين الأوائل ، وما قدمته هذه المملكة البجاوية الجنوبية من مساعدة المهاجرين الأوائل من المسلمين حين خرجوا من مكة المكرمة قاصدين نجاشى الحبشة . وربما كانت ميناء مصوع أو باضع حسب اسمها القديم هى موضع المقام هؤلاء المهاجرين المسلمين . وقد ذكر كروفورد فى كتابه عن مملكة الفونج فى سنار (ص١٢٦) « أن مصوع كانت متصلة منذ البداية وعلى مر التاريخ بقبائل إقليم بنى عامر والذى كان بكل تأكيد جزءا من أراضى

ستار ، وأنها كانت آخر موطن لأصدقائنا البلو (بلى) الذين أصبحوا يحكمون فيها باسم نائب ».

وبسبب وجود مملكة البجة فى مصوع فإن هجرة المسلمين الأوائل لم تواجه صعوبات أو اعتراضات من جانب سكانها ، وكما عرف عن قبائل بنى عامر حتى الآن فإنهم بطبيعتهم كزراع كانوا وما زالوا يعيشون حياة استقرار ، ويستقبلون التجار الجوالة لبيع سلعهم ، لهذا فإنهم قبلوا لجوء المهاجرين المسلمين بترحاب . ويصف السير ولاس بدج فى تاريخه عن إثيوبيا هذه العلاقة فيقول بأنه فى سنة ٦١٥م هاجر أحد عشر رجلا وأربع نساء من مكة المكرمة ووصلوا إلى ميناء شعبة بالقرب من جدة حيث استقلوا سفينتين وأبحروا عليهما عبر البحر الأحمر إلى الحبشة بأجر قدره نصف دينار للشخص الواحد ، وطاردهم القرشيون ولكن وصلوا إلى شعبة بعد أن كانت السفن قد أبحرت بهم وقد سميت هذه بالهجرة الأولى لتمييزها عن الهجرة الثانية التى كانت أكبر حجما وأكثر نفراً » .

ولنا أن نلاحظ أن المهاجرين الأوائل لم يسلكوا طريق البر إلى اليمن ومنها عبر باب المندب إلى سواحل البحر الأحمر الغربية ، ولكنهم آثروا الإبحار من شعبة على طريق البحر الأحمر جنوبا إلى ميناء مملكة جارين وهى باضع (أى مصوع) .

ولما لم تكن للحبشة سواحل إذ أنها أرض مغلقة ، فقد كان لابد لهؤلاء المهاجرين من أن ترسو سفنهم فى ميناء مملكة جارين أى باضع مع ملاحظة وجود حرف الضاد فى باضع مما يوحى بأنها عربية محضة ، وقد كتبها البرتغاليون

أحيانا BAZI مما يدل على أنه اختلط عليهم الأمر فى مخرج حرف الضاد ونطقه فلم يستطيعوا أن يميزوا بينه وبين حرف الظاء ، وما زال كثير من المتحدثين باللغة العربية يخلطون بين هاذين الحرفين حسب القبائل التى ينتمون إليها . وإذا أخذنا فى الحسبان ماذكره كروفورد عن باضع تأكد لدينا أن المهاجرين الأوائل من المسلمين حلوا ضيوفا على مملكة جارين البنى عامرية بحكم الروابط القديمة بين قريش وسائر العرب فى كل مهجر ، ولقد كان سكان هذه المملكة من بجة وعرب همزة الوصل بين العرب وأراضى الحبشة عبر مناطقهم فى إرتريا الحالية وذلك فى عهود ماقبل الإسلام وما بعده ، وكانت لمملكة جارين تجارة رائجة بفضل نشاط أبنائها فى الزراعة والصيد ، وكان من أهم صادراتها عبر التاريخ القطن والدخن والذرة والسمن وريش النعـــام والإبل والضأن والحيوانات المتوحشة التى كان يؤم بسببها الصيادون والتجار بلادهم لشرائها منهم وتصديرها للعالم الخارجى منذ أقدم العصور . وقد كان البجة هم الذين ينقلون التوابل من العالم الشرقى عبر أراضيهم ويحرسون قوافلها حتى تصل قوص فى صعيد مصر ، ثم من هنالك تنقل إلى الإســكندرية فمناطق أوربا المختلفة . وقد كان من الصعوبة بمكان نقل هذه التجارة عبر الأراضى الحبشية فى الماضى بسبب مرتفعاتها الشاهقة ووعورة طرقها وإنعدام الأمن فيها . ولكن سهول ممالك البجة وممراتها وإبلها جعلت التجارة تروج فى مناطقها . كما كانت جزرها القريبة من الشواطىء مثل سواكن ومصوع وعيرى (جزيرة الريح) خير ما ترسو عليه السنابيك والجلاب والفلق فى عهود التاريخ المختلفة »[1] .

---

(١) انظر كتاب تاريخ سواكن والبحر الأحمر للمؤلف .

وكانت هذه المملكة ملجأ دينيا عندما يشتد الاضطهاد الديني كما حدث للمسيحيين في نجران حين قام ذو نواس اليهودي باضطهادهم وحرقهم في الأخدود فقد فر من وجهه كثير من أبناء اليمن المسيحيين ورحلوا إلى سواحل البجة في مملكة جارين بسهولة العبور إليها ولكونها ملجأ أمينا من ذلك الاضطهاد الديني . ولما ظهر الإسلام بنوره ، وزاد اضطهاد قريش المسلمين نصح النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ليبقوا فيها حتى تنفرج الغمة وقد نزل هؤلاء المهاجرون على مملكة جارين البني عامرية كما رأينا - حتى بلغوا نجاشي الحبشة ، ولو أرادوا البقاء هناك لوجدوا من الترحيب والتمجيد ما وجدته مملكة سنار الإسلامية ودولة المهدي من نصرة وإعزاز ، وما وجدته دولة الخديوي اسماعيل من مؤازرة .

وسواء أكانت هذه المملكة قد سميت على قبيلة بني عامر اليمنية المناضلة التي نزحت مع من نزح من القبائل العربية قبل الإسلام أو كانت هي من أبناء بني عامر بن كنتو كما ذكر أبناء القبيلة للكونت روزيني في إدتريا كما حدثهم بذلك أبناؤهم ، أو كان هذا الاسم يرجع إلى عامر بن علي نايت الجعلي العباسي كما يرى مؤرخنا، فإنه لاريب في أن هذه مملكة عريقة الجذور في شرق السودان ، وأن أراضيها كانت جزءاً من أراضي مملكة البجة الكبرى التي امتدت من أسوان حتى انتهت في مصوع وجزائر دهلك .

وفي الصفحات التالية يبين مؤرخنا محمد صالح ضرار تفاصيل تاريخ قبائل هذه المملكة أي مملكة بني عامر .

تطلق هذه الكلمة على ناظر عموم قبائل بنى عامر (باللسان العامرى) ويقال له بالبجاويه عند متكلميها من البجة « وَهَدَأْ » والأخيرة يلقب بها كل نظار أقليم البجة عند متكلمى البجاوية وهم سكان غرب خور بركة والقاش ، وأما سكان الشرق حتى سواحل البحر الأحمر فلا يجيدون إلا الأولى . وهى سهلة الكتابة غير أنها تحتاج لاشكل (أوضحنا ذلك) .

وسنبدأ بيت النظارة أولا ، ونوضح عصر كل ناظر وحوادثه . ونبين الأسانيد التى اعتمدنا عليها فى حقيقة النسب وصحته . فنقول إن رهط النظارة يقال لهم النابتابْ وهم ينتسبون إلى رجـــل من الجعليين[1] يقال له « على نابت »[2] ابن أبى القاسم بن محمد الطريح بن أحمد سُوِيْنِق بن شاع الدين ابن عَرْمان .

تلقى على نابت دراسة القرآن عند أخواله فى جهة مَلْهابْ ، وقد هاجر والده الشيخ أبو القاسم من مدينة المتمة حوالى سنة ٩٢٥هـ ، فدخل سوبة وسافر منها إلى بلدة عامرة يقال لها « رِيرَة »[3] وكانت تسكن حولها قبيلة

---

(١) وجدت هذه المقدمة مكتوبة فى سجل صغير عند الشيخ الحسن ابن صالح ابراهيم سنة ١٩٢٠ وكان وكيلا لنظارة بنى عامر بكسلا . وكـــان اجداده يحتفظون بها حتى لاتضيع أصولهم وفروعهم .

(٢) أمة من قمود النبيتكناب .

(٣) بقى من آثـــارها بئر مشهورة وقد أصبحت ملكا لقبائل الشكرية . ولكن النبت الى اليوم يحنون اليها ويتغنون بمائها العذب ومراعيها الطبيعة . ويقول أحفادهم لولا القوة والحيل التى استعملت ضدهم لما بارحوها .

من البجة تسمى لَبَتْ (LABAT) ، فأقام بها زمنا ثم رحل منها إلى مدينة «التاكا» (كسلا) ثم أراضى القاش ، ثم ارتحل إلى وادى «إمبوريب» «IMBOUREIB» .

ثم سافر مع جماعة من المهليتكنات إلى جهة المهاب وأقام مع القمود وتزوج بامرأة منهم ، ثم رزق منها ولدان سمى أحدهما «القاسم» فمات صغيراً أما الثانى فسمى «عليا» وهو على نابت[1] الذى بعد أن أخذ كفايته من العلوم الدينية قام للدعاية الإسلامية بين الوثنيين من سكان إقليم البجة فتوجه نحو جبال مَرُوِيَتْ وأَسَرَمَ دِيرهيب[2] ASA :AMA - DERHIB ونزل ضيفا على ملك البجة المقيم فى تلك الناحية وهو المدعو دقال محمد بن إدريس أَدَرْ أَيِيبْ ADAR AYEIB وتعريبها أحمر اليدين لأنه كان يصبغ يديه بالحناء . وأول عمل أتاه الشيخ على نابت هو فتحه خلوة لتدريس القرآن ، وطلب ذات يوم من الملك أن يزوجه ابنته فرضى بعد أن استشار أقاربه ، ولكن بعضهم اعترض على ذلك وقالوا كيف نزوج ابنتنا لمن لانعرف أصله[3] ، وبيتوا النية على الكيد له . ولكن الملك زوجه إياها ، واستاءت النساء من الزواج فقلبن واجهة البيت إلى الغرب وتطاولن بهجو الملك وصهره . وهذه العادة لانجدها اليوم إلا فى القبائل الإثيوبية .

---

(1) كان جماعة من البجة يسألونه عن مقدمه فيرد عليهم بقوله (متهكما) «نبت من الأرض» ولذلك اشتهرت ذريته بأبناء «نابت» . وملك البجة كان من البلو .

(2) هى مثل قبور بلامس ماهان و «تندرة» بأرض الشيود يقال وتعريبها «التلال المسبعة» .

(3) كانوا يسكنون فى عكات نأف Akkat - na-af «وتعريبها ظفر النوم»

وبعد الانتهاء من مراسيم القرآن انضم الشيخ على نابت إلى أصهاره ونجح في نشر تعاليم الدين الإسلامى ، وأمر الملك كل القبائل أن تعتنق الدين الإسلامى سريعا . فكان النجاح حليفه ولم يتخلف عن الدعوة إلا سكان تأف من البلد ، فهجموا ذات يوم على قرى بنى عمومتهم ، وقتلوا الشيخ على وكل من دافع عنه . وانتزعوا النحاس من بيت الملك حمدْ ، وبذلك انتقلت النظارة ، ودمروا الخلوة وطردوا منها الطلاب وأنذروا المليتكتاب بالحرب إذا حاولوا إرسال أحد طلابهم للدعاية الإسلامية . وبعد مضى زمن وضعت زوجة الشيخ على غلاما سموه « عامر » حسب وصية والده : وكان دائما يذكر لأصهاره بأنه جَعَلِيّ من المتمة ، وأنه محتفظ بنسبة فى طى المصحف. ونشأ عامر فى كنف جده وأخواله حتى بلغ سن الرشد ، وتشاجر ذات يوم مع أحد الشبان وتشاتما ، فقال له الشاب « نحن قتلنا والدك ، والرجل الذى تناديه بوالدى هو خالك ، واتخذنا من جمجمة والدك مدا نكيل به الحبوب فغضب عامر من كلامه وذهب إلى أمه وطلب منها أن تقول له الحقيقة . فحاولت إخفاءها ، ولكن أمام إلحاحه اعترفت بكل شىء ، وسلمته مخلفات والده[1] ، وهى السيف والمصحف والفروة . فسافر إلى جهة مَلْهَابْ وأخبرهم بما أصاب والده الشيخ على . فأرسلوه مع إحدى القوافل إلى التاكا ثم إلى شندى ، وهنالك تقدم بنفسه إلى مَكْ الجعليين ، فتحققوا من صحة نسبه ، فسرد لهم كل ما أصاب والده ، وكيف أنه قتل مظلوما . وذكر لهم زوال مملكة جده وأخواله واستيلاء خصومهم عليها . فاستاء الملك ووزراءه وطلبوا أن يقوم مع عامر بعض المتطوعين من الشبان ، وطلب من ملك سنار نجدة

---

(1) تتفانى قبائل بنى عامر فى أخذ الثأر وسرعة الانتقام الى يومنا هذا.

أخرى من أبناء العبد اللاب ، فكانوا نحو مائتي فارس على خيولهم . فاشترط وزير العبد اللاب أن تكون البلاد تابعة لسنار وأن يكون ملكها « عامر » ، فوافقوا جميعهم . فعاد عامر يقود فرسانه حتى وصل إلى قود في ملهاب تدلهم جماعة من الخبراء بالطرق ومساكن خصوم عامر في عكات ناف . فأغاروا عليها وذبحوا كل من وجدوه من البلويب واستولى عامر على النقارة وشتتوا شمل سكان القرى ، وأوقعوا فيهم الرعب بالخيول التي لم يألفوا القتال عليها . فطلبت القبائل الأمان ، وخضعت لسلطة عامر . فنادى مناديه بالأمان ، وخضعت قبائل البجة والحماسين لسلطة عامر ، وتبوأ عرش أخواله ، ومنع الناس من مطاردة البلو ومن معهم ، وأعلن العفو العام عن كل المخطئين معه أو ممن اشتركوا في قتل والده وذويه . وبعد عام أرسل الغنائم والزكاة من الإبل وسائر المواشي مع الفرسان إلى شندى وسنار[1] .

فاعتمدت حكومة السلطنة الزرقاء « مملكة بني عامر »[2] .

ثم تزوج عامر بإحدى بنات أخواله ، ثم بدأ بتعيين بعض القراء من المهيوكتاب لنشر الدين الإسلامي وإنشاء الخلاوى في القرى البعيدة والقريبة ، وتنفيذ الأحكام الشرعية بين المتخاصمين ، وأن تكون المعاملات بمقتضى الكتاب والسنة ، وأن تدفع الزكاة في مواعيدها ، وأن يكون لعامر عشر المحصول من

---

(١) لم يكن في حاجة لابقائهم معه لان القبائل البقية عامرية كلها مسالمة ولاتميل للشر الا في حالة الثأر فقط .

(٢) اجتمعت آخر عائلة من البلويب في جهة «قمرته» فدحرها عامر بعد قتال استمر ثلاثة ايام . وتفرق بقيتهم في ارض الحباب ومصوع واندمج من بقى منهم في البجة وخضع لسلطة عامر .

السمن والعسل . واستمرت هذه العادة تعطى للرؤساء حتى انتهت المواثيق وسادت حالة المراعى بجهات العقيق . أما فى إرتريا فالحالة طيبة جدا ولم تنهو مراعى عليه فى القرون السابقة . ويروى أن قبائل قود أعطت للشيخ على بعضا من نياقها الزهيرية « جهيرى » وسبق أن أعطوا لابنتهم مثلها حينما تزوجها أبو القاسم الشاع الديقابى . واليوم تسمى هذه الإبل «فوطات» لأنهم وضعوا على أمها فوطة — وهى عزيزة عند النايتاب .

وأشهر من نقلنا عنهم تاريخ بنى عامر هو الشيخ محمد نور على ضرار ، والشيخ أكد موسى (شيخ مشايخ بنى عامر وقد توفى سنة ١٩١٩ بعد أن نيف على المائة عام[١] والشيخ جعفر كشه ، وكثيرون غيرهم أمثال الشيخ محمد بن إدريس محمد عبيد بيت معلا ، وإنى أعتبر نفسى مقصرا فى تاريخ بعض القبائل التى لم يتسنى لى بلوغها بسبب سوء المواصلات أو قلة تعدادها لأن كثيرا منها اعترتها الشيخوخة والهرم .

قال نعوم بك شقير « إن مملكة بنى عامر » قامت فى الصحراء الشرقية وخور بركة شرقا وغربا بين العقيق على البحر الأحمر وبلاد الحبشة ، وشمالا بالمدندوة جزاء خور بركة حتى سواحل البحر الأحمر . وهى مؤلفة من أربع قبائل مختلفة وهى :

(١) البجة والخاسة (٢) وبنو عامر (النابتاب) (٣) المجيلاب (ملهيتكتاب) (٤) بيت معلا (الحماسين) . قيل إن بنى عامر جاءوا من

---

(١) سجل اسمه المستر ريتشارد هل فى كتابه (رجالات السودان) .

الحجاز فملكوا البجة والخاسة ، ثم جاء المجيلاب والنابتاب[1] وهم أبناء نابت من الجعليين فملكوهم جميعاً ، وقد انضمت إلى سلطة عامر عدة قبائل أخرى .

ونحن نخالف نعوم فى اسم « بنى عامر » إذ أنه اسم أطلق على هذه القبائل من مملكة الجعليين (لأنه ابنهم) ، وكذلك من مملكة الفونج ، ولو أن فى فى بطون بنى عامر عدة قبائل عربية .

ونأتى هنا على وثيقة صحيحة تؤيد جعلية « عامر بن على نابت » ، ولاتمام الفائدة كنت قد كتبت ملخصاً طيباً وأسميته « حياة العباس وبنيه » ولكنه فقد منى فى بطون أوراق التاريخ إذ كنت أريد أن أزين به تاريخ كل العباسيين خصوصاً بنى عامر والجمليين والهدندوة والعباسية الخ . . فإذا عثر عليه أحد الأنجال فليضمه فى مقدمة تاريخ الأمير عثمان ابن أبو بكر دقنه[2] .

---

(1) هم بيت نظارة القبائل اليوم .

(2) وجدت هذا الملخص .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . أما بعد :

فإن معرفة الأنساب من الأمور المهمة الصعاب لقوله صلى الله عليه وسلم : تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم . وقال رجل « تعلم الأنساب علم لاينفع وجهل لايضر » هذا فى زمن التحابب والتوادد . وأما زمننا هذا وهو زمن التباغض والتحاسد واجب تعلم الأنساب لأن آخر الزمان تحصل فيه الفتن بين ملوك العرب ، والعجم ويتغلب العجم بتملك العرب ، وتجهل الأنساب ولا يتخلصون من ذلك إلا بالأنساب . والنسب يثبت بالإشاعة . والناس مأمونون على أنسابهم إلا من ادعى شرفا فإنه يطالب بإثباته لضيق ذلك الحال ، فإن لم يثبت يعاقب شرعا(١) وأما غير ذلك فلا . فإن من حفظ نسبا من أبيه وجده وحازه فإنه على ما حازه ، ومن نفا عنه وادعاه لغيره كلف بالبينة . فإن لم يثبت ما ادعاه ، حد شرعا . ويوافق ذلك ما قاله مالك « الناس فى أنسابهم على ما حازوا وعرفوا كحيازة الأملاك » . ومن ادعى خلاف ذلك كلف بإقامة البينة وإلا حدّ .

(فصـــل)

فى الشرف وما يلحق به ، فأقول وبالله التوفيق « قال عليه الصلاة والسلام » الشرف لى ولعمى حمزة والعباس . وكل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبه ونسبه فحسب الدين والتقوى ونسبة ذريته الخاصة وهو ذرارى

---

(١) كان القاضى عبد القادر حسين بمحكمة سواكن الشرعية ومن سبقوه من القضاة كثيرى التحقيق فى الأنساب القرشية ويحدون كل من يدعى كذبا النسب الهاشمى .

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم من الإمام على رضى الله عنه . وهما ذرية سيدنا الحسن أو الحسين . وكل نسب يلحقه بالشرف يقدم على غيره قطعا .
وأما النسب إلى قريش فإنه يقدم على غيره حيث انتهى إلى عدنان ، فيكون صحيحا لقوله صلى الله عليه وسلم« قدموا قريشا ولا تقدموها» وعلى هذا إن ابن الشريفة ليس بشريف — الشرف الخاص على ما ذهب إليه ابن عرفه وأبو حنيفة — وإن التفاخر بالأنساب مذموم شرعا . فلا ينبغى لأحد أن يفتخر بنسبه على غيره مطلقا . إلا إذا رأى احتقاراً أو أراد أن يعرف نسبه لصلة رحم على ما ذكر فى القرآن الشريف .

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله تعالى « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ لا يتساءلون » .

فاذن الكرم عند الله يحصل للعبد بالتقوى . وقال صلى الله عليه وسلم . إن الله أذهب عنكم غيبة الجاهلية وفخرها بالآباء والأجداد. مؤمن تقى، أو فاجر شقى . أنتم بنو آدم وآدم من تراب . إذا كان الأصل واحدا فكيف يتكبر الفرع بعضه على بعض إلا من خصه الله تعالى بالعلم والتقوى فإن له الشرف بذلك قطعا .

(فصــل)

فى أصول العرب وبعض من قبائلها وأبناء العباس ، فنقول وبالله التوفيق:

« إن قبائل العرب كثيرة على ما ذكر فى كتاب السمرقندى ، وكتاب البحران » وغيرهما من كتب الأنساب ، وهاك ما اشتهر منها وهى : حمير ، وطى ، وتغلب ، ولخم ، وجذام ، وهمدان ، ومفاخر ، وبيصر ، وحفضه ،

وكلب ، والأزد ، ومزنيه ، وجهينه وغيرها فهذه كلها تجتمع فى جد واحد وهو الحس بن قحطان بن الحس بن النبى إبراهيم عليه الصلاة والسلام والله أعلم .

أولاد العباس

أما أولاد العباس المذكور عشرة وهم : الفضل ، وعبد الله ، وقثم ، وعبيد الله ، والحارث ، ومعبد ، وعبد الرحمن ، وكثير ، وعون ، وتمام : على ما قاله الحافظ بن حجر فى فتح البارى شرح صحيح البخارى . وقيل أحد عشر : سعد على ماذكره محيى الدين بن العربى فى المسامرات . ويقوى العدد الأول قول ابن عباس تموا بتمام فصاروا عشرة ، يارب اجعلهم كراما بررة . وقال إن لكل منهم قرية ببلدة نائية من بعضها لأنه لم يرتبوا أبعد قبورا من بنى العباس . وكذلك فإن عبد الله بالطائف ، والفضل بالشام ، وعبيد الله بالمدينة ، وقثم بسمرقند ، وسعد بأفريقيا . وكان للعباس ثلاث بنات : أم حبيبة وأمنة وصفية ، وأكثر أولاده من لبابة أم الفضل وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أما بنو مواليهم فلم تعلم لنا تفصيلا سوى ما ثبت من أولاد ولده حبر الأمة عبيد الله رضى الله عنه — فان المشهورين منهم ثلاثة « على والفضل وأحمد » .

أما على فذريته بيت الخلافة المعروف عند الأمة بالخلافة العباسية . وأما الفضل فذريته بنو أسعد المعروفة بذرية أبو مرخة وسيأتى سلسلة نسبه عند نسبة « جُمَل » . وأما أحمد — على ما قيل — لم يترك له ذرية . وقد توفى سيدنا العباس رضى الله عنه فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة ٣٢ هجرية وله من العمر ثمانون عاما .

«أسباب الهجرة»

أما سبب خروجهم إلى بر السودان والغرب والحبشة وذلك كان فى ولاية الخليفة أبى محمد عبد الله السفاح وهو أول من تولى من بنى العباس فنزع الملك من يد مروان الذى قيل فيه إنه آخر ملوك بنى أمية . ولم يزل السفاح المذكور فى قتل بنى أمية وأتباعهم حتى أخلى منهم الأرض ، فهرب سليمان الأموى إلى أرض الحبشة ، فأقام بها زمنا طويلا ، فبلغه أن السفاح جاد فى طلب بنى أمية بعد تفرقهم فى البلاد حتى لحق بمحمد بن الوليد بن هاشم فى بلاد الأندلس فقتله . وهرب سليمان المذكور من أرض الحبشة إلى أرض السودان وتزوج بنت ملك من ملوك السودان واستولدها على ما سيأتى ذكره . واستوطن بسنار حتى صاروا ملوك السودان المشهورين بدولة الفونج . ولقد خرجت العرب أيضا فى زمن الحجاج إلى أرض السودان بطريق السويس والبحر الأحمر حتى وصلوا إلى بلاد الغرب . ثم عادوا إلى دُنقلة والنيل ، وتغلبوا على النوبة وجهينة حتى صاروا أهلا للسودان [1] إلى وقتنا هـذا .

«نسبة الجعليين»

أما نسبة قبائل جُعُل فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ الكامل المرشد الولى الصالح الفقيه العالم العلامة محمد بن عيسى بن عبد الباقى بن عبد الحق ابن علوان بن صالح بن الحسين بن دهش بن بدير بن سمره بن سرار فإلى

---

(1) أعددنا بحثا خاصا لهجرة الأمويين من دنقلة عن طريق صحراء اقليم البجة نقلا عن تاريخ اليعقوبى «مصمص» .

نقلتها من مكة المكرمة من الشيخ الكامل المغرب العارف بأنساب الناس وهو نقلها من الشيخ سالم السنهوري فإن قبائل جعل من سرار ومن لم يتصل به فليس بجعلي أي « عباسي » .

من جهة جعل ، وهاك عمود نسبه — وهو سرار بن السلطان حسن المعروف بكودم بن أبي الديس بن قضاعة بن خزقام بن مسروق بن أحمد اليماني بن ابراهيم المشهور بالجعلي ادريس بن قيس بن يمن بن الخزرجي نسبة إلى أمه من الخزرجي بن عدنان بن قصاص بن كرب بن هاطل ابن باطل بن ذي الكلاع الحميري نسبه إلى أمه من حمير ابن سعد الأنصاري (نسبة إلى أمه من الأنصار) بن الفضل بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان .

وهذا هو المتفق عليه . وعدنان بن أد بن أدد بن مقوم بن ناحور ابن يترح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بن تارح بن ناخور بن شاروخ بن ارعوين بن فالج بن عبر ابن هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن سهلاييل ابن أبي خنيث ابن يانيس بن شيث بن آدم عليه السلام ، وآدم من التراب والتراب من الزبد ، والزبد من الموج ، والموج من البحر ، والبحر من الظلمة ، والظلمة من الدخان ، والدخان من النور المحمدي ، والنور المحمدي من النور الالهي ، والله أعلم بالصواب .

أما القبائل التي تنشأ من الأجداد ما بين سرار وعبد الله بن العباس ولم

تحضر لبر السودان أو الحبشة أو بلاد الغرب أو مصر فإنها انتهت ببلاد الحجاز ، وإلى الآن فروعها باقية بها و كذلك أولاد العباس الآخر .

« جعل »

أما تسمية جعل بهذه الاسم فإن لهم جدا أسود اللون مثل الجعل فسمته عمته « جعله » فاشتهر نسبه بذلك ، وسميت به القبيلة ولنرجع إلى ذكر سرار وفروعه « أولاد سرار » .

أما أولاد سرار بن كردم ثلاثة : سَمْرَة ومُسَمَّير ومصار :

أما أولاد سمرة فأربعة : بدير ، وعبد الرحمن أبو الشويحات ، وتركى ، أبو الطريفية ورباش جد الربا شاب ، ومُسَمِّيرْ أولاده أربعة : القريّات والقُنَن والقصاص والبطحان . وفى السمرقندى أن الباطحين من آل بطحت ابن دجانة .

وأما أولاد مصار فأربعة : سعد الفريد — والأشقاء معهم ثلاثة : صبيح أبو مرخه ورباط ونبيه . أما أولاد أبو مرخه فثلاثة حمد الأكرت جد الماجدية والكرتان — وحميد القوام جد التوايمية ، وحميدان جد العوينية .

أما أولاد حميدان فثمانية : غانم وشايق (أشقاء أمهم حاقة بنت رباط) ، وحسب الله ومطرق أشقاء : أمهم حاشية القمر الفوتجاوية ، وغنيم ، وغنوم وجميع ، وملك ، الزين وهم أربعة أشقاء .

وأما أولاد غانم فثلاثة : ضياب وضواب وجموع . أما أولاد ضيـاب اثنان : بشارة وناصر . أما أولاد بشارة : الميرفاب والزيداب والعبد الرحاناب والفاضلات والرباطاب والسرحاب إلى غير ذلك من أولاد بشارة ، ومسكنهم

من بربر إلى أرض الزوره وناصر جد الناصراب . أما أولاد ضواب فإثنان : عرمان وأبو خمسين : أما أولاد عرمان فثلاثة عشر : جبل وجبر وعبد العال وعدلان وزيد ومكابر وشاع الدين وسعد ونصر الله وعبد ربه ومسلم وشبيب وأبو بايه . وأما أولاد أبو خمسين فاثنان : محمد وحمد البهكرى ، محمد جاب الحاداب ناس الجريف والقرياب والبلياب والكتياب ، وحمد البهكرى جاب ، الأوجاب ناس ولد فرج الله . أما أولاد عدلان ثلاثون . الكراسكة أربعة أمهم بنت على كركوس ، والشنتاب أربعة : نافع ونفيع أشقا . أولاد أبو سماوية ، ومحمد جد المحمداب ، وعلى عبوده أشقاء أولاد بنت ولد شغل الكمالية . وعبد المعبود وعبد الدايم أشقاء ، وأبو سليمان وبركات أشقاء وثلث محمد فريد والشيخ عبود فريد والعرض فريد وعبد الرحمن فريد وأبو بكر فريد . أما أولاد عبد الدائم فخمسة عشر منهم المرتقل وأبو بيصرون والمرشكول وأبو الحداد والكتاوى وضواب وفارس والقدو والسدو وأبو ضريوه وعلى بويو وأحمد أبو الفلاليت ومحمد دنقال . وأما أولاد عبد المعبود ثمانية : محمد الأصفر وبلول القيده وتيس شقل وكتكيت وبعبوش وعبد السلام وموسى الحضير محمد الأصفر جاب الصقر وكتكيت جاب الكتكيتاب وموسى جاب الحيراب والتامراب والموسياب والحضير جاب القيال جد القلاب وبعبوش جد البعايش وعبد السلام جاب : سند وعبد الدايم جاب الحلواتيت والكيتولاب ، وسعد وإدريس جاب الكلامين ، وأبو بكر جاب أولاد عبد الدايم . وجضوعه جاب ناس عبد الله ولد الدليل .

وأبو حيس جاب غناوه وكلهم بجبال إدريس . وأما أولاد عبد العال أربعة وعشرون : حمد جاب كبوش وتنديل ومحمد وعبد الكريم وجبارة

وحسب الله وموسى وعمر وخضر وجاد الله ورافع ومجزور وكتبود وكشر وبشر وتسعة كلى والعاشر الشيخ ناوى ذريته مع البطحانى — وأما أولاد رباط فخمسة عوض جد العوضية ، وقريش جد القريشاب وخنفر جد الخنفرية وعبيط جد العبطية ومقبل جد المقابيل وتويه جد التبيهات — أما أولاد سعد الفريد . قحطان وسلمه وفهيد . أولاد قحطان سبعة : صبيح جاب الصبحدية وفضل جاب الفضيلة ومحمد الضب جاب الضهانية اهـ .

وهذه النسبة قد نقلتها من عدة إنساب تزيد على ستة وعدة كتب أشهرها السمرقندى وكتاب البحران وغيرها من كتب الأنساب الصحيحة نسأل الله تعالى أن يكون قرين الصحة وأن تستفيد منه الأمة العربية بالسودان حتى تكون أصلا للمأخذ عند ذوى الشأن — يا رحمان وصل يا منان على سيد ولد عدنان[1] واختم لنا بحسن الختام يا حنان آمين .

ملحوظة :

نقلها الشيخ العاقب نور الهادى

قد تمت هذه النسبة بعون الله تعالى وحسن توفيقه على يدى الفقير إلى رحمة ربه القدير الحصر أحمد الباشا بن محمد معروف غفر الله لنا ولوالدينا واقاربها وسامعها وجميع المسلمين آمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) لقد حذفت منها انساب القبائل التى لا تنتسب الى سيدنا العباس ابن عبد المطلب — اذ جل غايتنا هنا هو حصر ذريته حسب ما دونها احفاده بالسودان : محمد صالح ضرار .

«الشيخ عــامر»

هو عامر بن على نابت الشاع الدينا بى الجعلى من نسل عرمان بن ضواب وأمه بنت وَهَدْ أ (الملك محمد بن إدريس آدارْ أبيضْ (أحمر اليدين) . وأما والدة على نهى من قُمُودْ[1] ، اللهيتكتاب البكرية ، وكان وَهَدْ أ محمد ملكا على البجة ، وأصله من قبيلة « بَلِي » بَلَوْ أو بَلَوِيبْ . وكانت سلطته ممتدة من حدود توكر حتى مصوع .

وكان عامر لا يعرف شيئا عن حقيقة والده ، فلما بلغ أشده سأل والدته من أبيه فذكرت له أن أخواله البلو صاهرون ثم خالفوا ملكهم (أباها) وقتلوه ، ثم أعطته مخلفاته كما أسلفنا فى الروايات السابقة ، فأخذها عامر وسافر حتى وصل مدينة شندى وعرض نفسه على الجعليين فعرفوا والده وأرشدوه إلى أقاربه (ذرية عرمان) ، ثم تقدموا به إلى ملكهم كما جاء فى الروايات السابقة .

ونحن بعد بحث وتدقيق فى عدة من كتب الأنساب الخطية والمطبوعة اعتمدنا صحة كل هذه الأنساب القرشية . والشيخ عامر بن على نابت أنشأ هذه المملكة مما يدل على أنه من أعظم رجال (البنى عامر) عصره إذ أزال دولة ثم بنى على أنقاضها مملكته المشهورة باسمه إلى اليوم ، وهو معدود من الأفذاذ الذين سمحت بهم الأيام .

---

(1) قيل ان اللهيتكتاب اعطوا على نابت ناقة من نياقهم التى هاجروا بها من الحجاز الى السودان ، ولاهميتها عندهم كانوا يضعون عليهــــا نقطة حمراء ولذلك سميت «فوطلت» ، ولايزال نسلها موجودا عند جميع النابتاب .

وعاش الشيخ عامر فى توطيد مملكته حتى توفى ولم يعقب إلا ولداً واحداً هو الشيخ ناصح .

« الشيخ ناصح »

اشتهر هذا الناظر بالتقوى حتى إن القبائل جميعها ارتاحت لسياسته الرشيدة وأحكامه العادلة ، وعاد إليه بعض القبائل التى فرت مع البلو عند إنهزامهم من عامر .

وقد رزق الشيخ ناصح خمسة أولاد ذكور هم :

أبتعد ، وعلى ، وأكد ، وإدريس ، وعوض الله : ولإدريس بن ناصح بنت تزوجها رجل من الأرتيقة (المنوبات) ذرية الشريف علم الدين[1] ، الذى كان أميرا على سواكن فى عصور المماليك[2] وله من الأولاد تسعة هم : عمر ، حامد ، عوض ، حسن ، وحميدة (أبو الصرة) ويقال لذريته وَدْفَاىْ وشنيا[3] وهؤلاء سكنوا جميعهم فى مكان واحد وضموا إليهم كل من جاورهم من قبائل البجة والحماسين حتى تكاثر نسلهم وازداد تعدادهم فأطلق عليهم اسم « عد عامر » .

أما ناصح فقد أنشأ بنوه « عد أصح » . و « عامر » الذى تفرع من بنيه

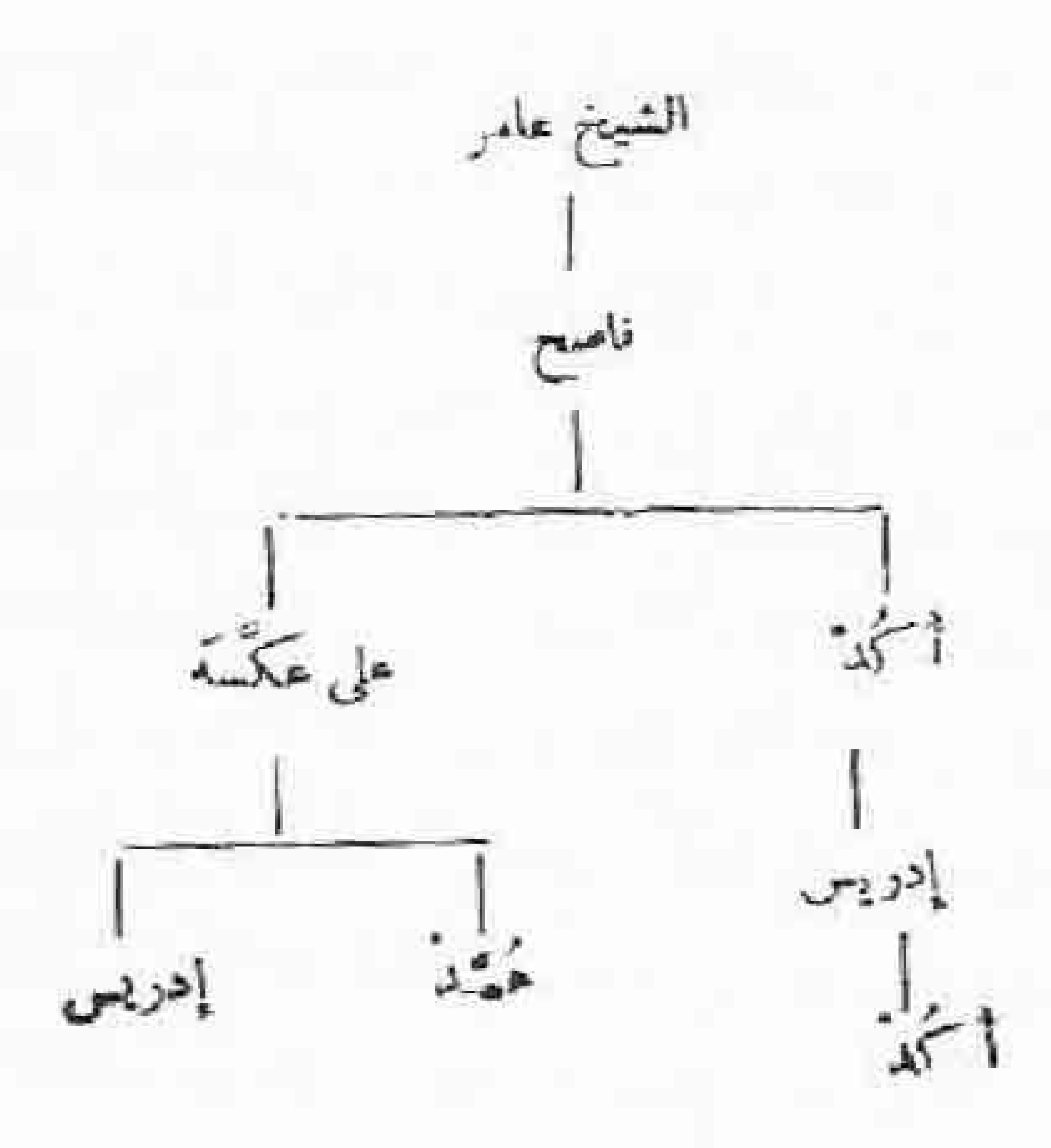
---

(١) يقول الشيخ جعفر كشه ان علم الدين من الشكرية وهذا خطأ صححناه معه بعد ان احضرنا جماعة من المنوباب الأرتيقة (علمن) .

(٢) أوضحنا ذلك فى تاريخ سواكن .

(٣) تعريبها قديم او كبير وفاى معناها «زمام» للأنف أو الأذن .

« عد عامر » و « قلتانا » التى تنتمى إليه حصة « عد قلتانا » وعد على حَلَمْ (الأَلَمْ) ، ولما توفى الشيخ ناصر خلفه على المملكة ابنه « على » المشهور بعلى عَكَّسَه .



حال توليته رئاسة القبائل أمرها بأن تلقبه بالشيخ على ناصح . وكان شديد الأحكام ، فأمر كافة قبائل بنى عامر بألا ترحل بتاتا من حوله حول جبل عَكَّاتْ نَأْف (١) أو شرقها إلى سهول توكر والعقيق ، فأطاعته القبائل (وبدأت فى الاستقرار) خوفا من أحكامه الصارمة لمدة سبع سنين . وبعدها جاء رؤساء القبائل إلى أخيه أُكُدْ » واستشاروه فى أوامر أخيه التى لا تطاق . فقال لهم إن خير الطرق هى أن تتفرقوا من حوله ويرحل كل منكم إلى حيث

(١) هذا المحل مشهور برداءة طقسه وقلة مائه وسوء مراعيه — واعتادت القبائل أن ترعى فى اى مكان ترتاح فيه .

بحد المراعى الطيبة . فاستصوبوا رأيه ونفذوه شيئا فشيئا . ولما سئلوا عن أسباب تشتيتهم وتفرقهم كانوا يجيبون « ابتلانا الله برئيس يطلب عكس ماتريد » . ولهذا السبب أطلق عليه اسم على عَـكْسَه . فاستاء من رحيلهم من عاصمته وسافر إلى سنار لمقابلة ملك الفونج وحمل معه مالا كثيرا . فلما تقدم لملك الفونج أكرمه جدا وأرسل معه فرقة من السوارى لتأييده . وحال وصوله إلى عَـكّات تَأَف توفى إلى رحمة مولاه .

ويقول الشيخ إدريس صالح (ناظر بنى عامر السابق) إنه سمع من الشيخ أكد موسى أن وفاة على عكسه كانت من الغيظ لأنه ربط ثوبه وحزم به بطنه بشدة لم يفتح عنها الثوب نحو شهرين ، فجرحت بطنه وخرجت منها الديدان وسقط ميتا من الألم . ثم تولى بعده أخوه الشيخ أكد وكان محبوبا لدى القبائل .

« دقلل أكد »

DIGLAL

لُقِّبَ أكد بعد وفاة أخيه بلقب « دِقْلَلْ » للتفخيم والتعظيم ، ويرون أنه مماثل للملك ، وتولى النظارة بعد وفاة أخيه بحضور قائد الخيالة التى حضرت من سنار ، وتولى إرضاء كل القبائل الناضبة وأعادها إليه . ويعادل وظيفة دقلل فى الحساب « كَنْتِيباىْ » ، وعند متكلمى البجاوية شمالا تعادلها كلمة « وَدَدْأ » وبمعاز ناظر بنى عامر بالقبين، فمتكلمو البجاوية يقولون له« وَدَدْأ» وبالتيجرى يُدعى « دِقْلَلْ »[٢] ويقال إنها من ألقاب مملكة الفونج يوم قتل فارس قبيلة حَفْرةَ[١] . وقد أطلق على محل إقامة دقلل اسم « دَقَه دقلل » Daga ، ويطلق اسم « دقه طَلَّـيم Talleem » وهى عبارة عن قرى كثيرة مجاورة لبعضها البعض فى سهل واسع فسيح ويكون غالبا معروفا ومشهورا بحسن طقسه ، والأسود هو محل وجود « دقلل »(والسواد نسبة للسكان) فى القنوب أو هاقنوب (سهول البحر الأحمر) يكون « الاقة » فى « هَيْدِبْ » أو فى « حَلاَّبِيبْ » شتاء (قرب عدوبنة) ، وفى الصيف يقيم فى « هَوَشَابِتْ » بأعلى خور بركة بجوار أَغُرْدَتْ . أما « دقه طَدَا » فيطلق

---

(١) ستوضح ذلك عند ذكر «حفرة» .

(٢) هذه الوظائف عربتها الحكومة التركية بكلمة « ناظر بنى عامر» ناظر الهندوة ، وناظر الشكرية ، وناظر الامارار ، وناظر الحلنقه ، وناظر البشاريين» . وأما زعيم الارتيقة بسواكن فكان يلقب «بارتية» وتعريبها «أمير» حتى كانت سنة ١٨٦٥ م فخفضت الى «عمدة سواكن» حينما ضمها الخديوى اسماعيل باشا للسودان .

على القرى التى ترحل مع الإبل التى يملكها دقلل إلى المراعى الخصبة . ولقد شاهدت فى سنة ١٩٢٣ م « دقه « طلَـيم » ، ودقه « طَدَه » (وهو الأبيض نسبة لبياض الإبل) ، وكان أكثر سكان الأول يقيمون فى أغردت، وبعضهم فى تسِنَى وكلا للانتفاع بمياه خزانات القاش. [والشيخ عمر بن الشيخ محمد على سمى منازله « دقه عد الشيخ حامد » بارتر با.] وكذلك أطلق على منازل الأطلندة أيام رئاسة الشيخ جمع بن عجيل « دقه افلنده » دمرته قبائل بيت معلا . وكذلك الشيخ هاسرى خامد سميت منازله « دقه عد هاسرى » وقد أخى عليه الذى أخى على ليد . ويقال اقرى قبيلة بيت معلا إيتليلى Eyotleli أى المنازل التى لا يمكن التحقق منها لكثرتها . ويقال لمنازل كنفيباى حباب « دِقّى Diggi » . ولا يسمح كل من هؤلاء الرؤساء أن تسمى منازله بدقه أو دِقّى ، كما وأن بعضا من رجال بنى عامر يطلقون على أبنائهم اسم « كنفيباى » مع أنه لقب خاص بناظر الحباب . وبالعكس عند الحباب إذ يسمونه أبنائهم باسم « دِقلل » وهو مالا تسمح بتسميته نظارة بنى عامر . وفى أيامه ظهرت حصة .

- « إتكتى » وتعريبها أصحاب الإبل البيضاء . وقد خلف دقلل أكثر من الأولاد إدريس – إبراهيم – على – آدم – شاور – نور ، وانقرضت ذرية الأخيرين وأما آدم فلم يبق من ذريته إلا ثلاثة رجال لهم قرية تسمى « شَدَّق Chaddaq » .

ولهم شيخ اسمه محمد يتحصل منهم الضريبة . وقد ورث من آبائه سيفا جيدا معدودا من خيرة سيوف بنى عامر . ولكثرة اختلافاتهم حكمت المحكمة على أن يحمله كل منهم ثلاث سنوات تنتهى بآخر يوم من رمضان الثالث وبذلك انتهى الخلاف .

عليندوة

Aleudewa

هم ذرية على ، وقد ازدادوا سريعا حتى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، فقل عددهم وكادت مواشيهم أن تنقرض ، وأصبحوا حصة ضئيلة ، وهم خلاف العمودية التي يقال لها « عد على » .

عد ابراهيم

وأما إبراهيم فهو جد عمودية « عد إبراهيم » التي كانت تقاتل عد عمر و (سيأتي ذكرها) .

« دقلل ادريس بن اكد »

تولى النظارة بعد وفاة والده في حَلاييب : حيث كان دقه دقلل بالقنوب ودفن دقلل أكد في جبل عَدَارتْ غرب قرى عدوبنه . أما ابنه دقلل إدريس فقد اشتهر بالتقوى وفي أيامه حضر الشيخ محمد ابن فايد (الشريف الحسني (أقدم الفايداب) وتزوج بابنة دقلل إدريس ، ورزق منها ابنه الشيخ حامد شيكاي[1] وقد انفصل عن دقلل اخوانه إبراهيم وعلى وآدم بعد توليه بزمن قصير وهذه عادة في أبناء الرؤساء فإنهم ينشقون على أخيهم الأكبر أو أبناء عمومتهم الصالح إذا تولى منصبا رفيعا حتى يأخذوا منه شيئا مما تحت يده ، ويجتهدوا في حسن معاملة من تحتهم من العربان وغالبيتهم من البجة التي استوطنت هذا الاقليم منذ أقدم أزمنة التاريخ . وبعض أبناء المشايخ يرون أن العربان ميراث تركه والدهم الشيخ المتوفى فيرفعون الشكاوى

---

(1) تصغير لكلمة شيك (شيخ) وهو لقب والده .

والدعاوى العريضة لأرباب الحل والعقد كما حدث أن رفعت ضد كاتب هذه الأحرف فى الخرطوم ، وصرفوا أموالا كثيرة بدون جدوى إذ انتشرت الحرية وذهب الاستعباد مع الاستعمار إلى حيث لا رجعة .

ولما توفى دقلل إدريس أكد خلف من الأبناء أربعة : اكد — موسى — حامد — على . وقد فعلوا مع أخيهم دقلل أكد الأكبر كما فعل أعمامهم مع أبيهم وهو تقسيم العربان بينهم .

« دقلل أكد بن ادريس »

تولى النظارة بعد وفاة أبيه ، ولكن إخوانه وأبناء أعمامه أفسدوا عليه أمر العربان وانضم إليهم صغار المشايخ ، فلم يكترثوا لكلامه وخالفوا كل ما كان يقوله لهم . فاتفق مع أخيه الأصغر موسى بن ادريس أن يأخذ معه هدايا كثيرة من أموال والدها ويسافر بها إلى ملك سنار ويهديها إليه حتى ينتدب لتأييد أخيه الناظر أكد فرقة من الخيالة تعيد إليه احترامه السابق . فلما وصل سنار قدم شكواه فنصره ملك سنار وأرسل الخيالة لتأييده واعترف له بالملك ومنحه « طاقية من الذهب الخالص » (يقال لها أم قرين[1] وسيفا

---

(1) لاتزال باقية لليوم عند دقلل محمد طاهر بن جيلانى الحسين ، وأما السيف فقد طلبه رجل من أبناء تكليس من دقلل حمد بن أكد المذكور وكان متزوجا بأخت التكليسى وبقى معهم نحو مائة سنة ، ثم باعه التكليسى للشيخ عمر محمد على بألف ريال ، ثم اشتراه من الأخير دقلل الحسين بثمانمائه ريال تساوى سنة ١٣٣٠ هـ وفى سنة ١٣٤٩ هـ أهداه دقلل الحسين الى البرنس امبرتو سافوى عمانويل (ولى عهد ايطاليا) عندما زار ارتريا سنة ١٩٢٨ . وقد اعطيت طاقية مثلها من الذهب لدقلل حينما زار ايطاليا سنة ١٩٣٠ م

جيدا يسمى (البِينَاى) وكسگراً (كوسيا) . فلما وصل الجيش ومعه هدايا الملك خضع كل العصاة واستقامت الأمور وهدأت المشاغبات .

وتزوج دقلل أَكد بابنة رئيس بيت بَحَالَيَاىْ وكيل بحــــر نجاشى فى سواحل العقيق (ذكرنا ذالك فى تاريخ حباب بيت بَحَابْلاَّئىْ (أخوال كاتبِ هذه الأحرف) . ولم يعقب منها دقلل أى ذرية ، ويظهر أن زواجه كان سياسيا فقط ليأخذ معها بعض العربان أمثال وِلْتُهُو التى رفض رئيسها الأموتى أن يكون تابعاً ، بل رفض دفع العادة ، واكتفى بدفع الزكاة ورضى بها دقلل . وإلى اليوم هذا العنصر الأموى لم تفارقه حب الشهرة وحسن السمعة مثل جدهم « أبو سفيان ابن حرب » . ولدقلل أكد من الأولاد : همد حَشِيرْ إدَيُو (محمد القصير اليدين) وهو جد قبائل « واس » والثانى على بكيت جد همد على بكيت : والثالث همد هو جد « همد أكد » .

«دقلل همد حشير اديو»

تولى مملكة بني عامر بعد وفاة والده ، ومكث سبع سنوات ، ثم توفي في خور بركة . وكان يكره الرحيل إلى القنوب . وترك من الأولاد : إبراهيم وثلاثة صغار ؛ رفضت قبائل بني عامر أن تولي ابنه إبراهيم وولوا عمه موسى ابن إدريس .



الطاقية أم قرين نقلا عن كتاب « معالم تاريخ السودان »
الأستاذ الشاطر بوصيلي

« دقلل موسى بن ادريس »

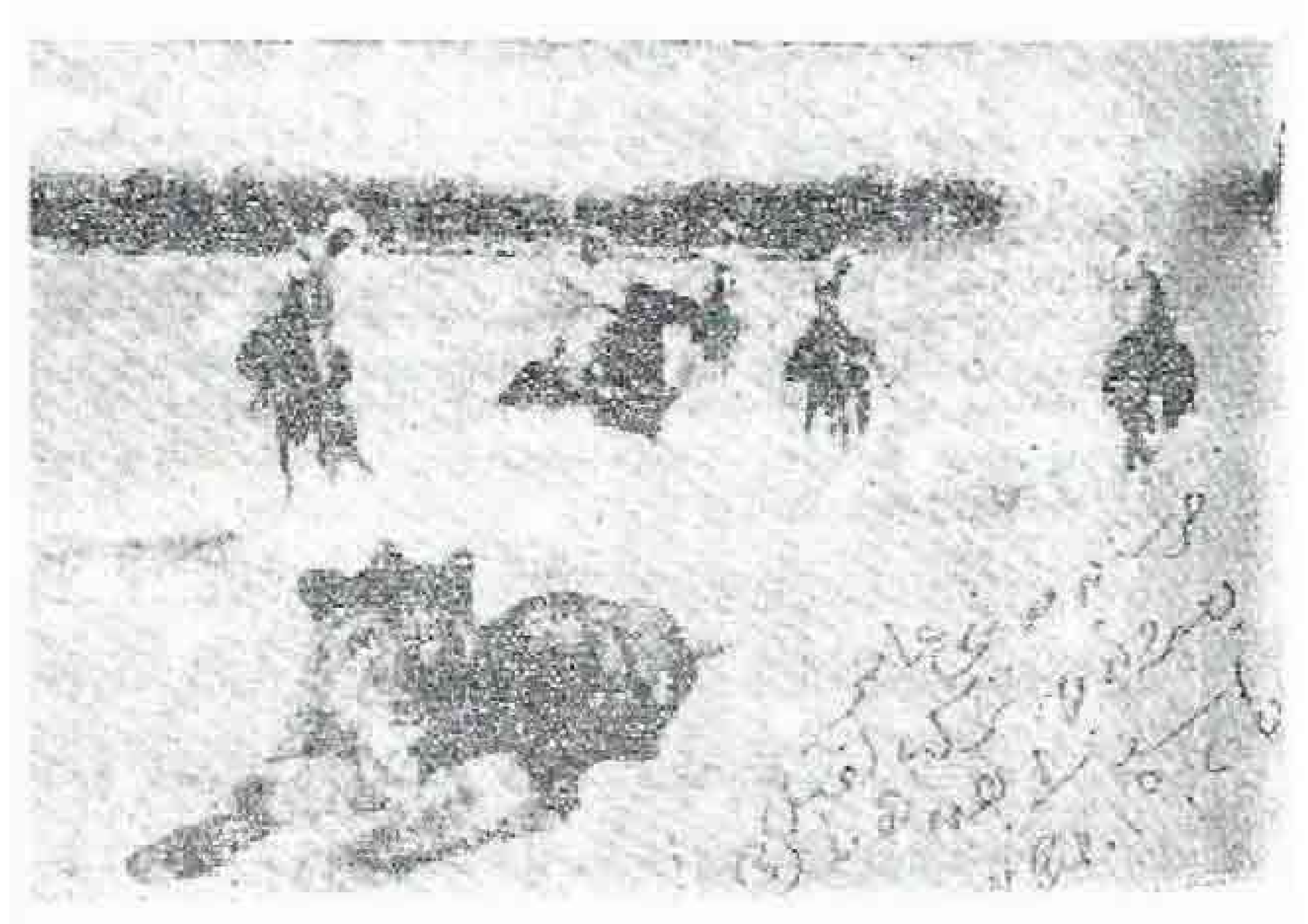
كان موفقا فى جميع أعماله ، وقد كثرت فى أيامه قبائل النابعات (ذرية عامر) واشتدت شوكتها وانتشر صيتها بين القبائل ، وقد رزق خمسة من الأولاد : تشاكى ثلاثة منهم بعد وفاة والدهم فى منصب النظارة ، وادعى كل منهم أنه أحق بها من أخيه ، واشتد النزاع بينهم ، فقرروا كالعادة السفر إلى سنار وعرض الأمر على ملك السلطنة الزرقاء ، (والمشتكون هم حمد (أكبرهم) وعلى بكيت ومحمود) . وبينما هم فى الطريق انضم محمود إلى أخيه الأكبر (حمد) حتى وصلوا سنار ورفعوا شكواهم ، فطلب الملك أن يترك كل منهم رهينة عند أحد أقاربه الذين حضروا معهم ، وقال أجربكم فإن استقام الأمر لأحدكم وصيته القبائل أوليه الرئاسة ، وإن نبذته أعزله وأجرب أخاه . ففرح حمـد بذلك وأحضر أخاه محمود وتركه رهينة ، فقال على بكيت إنه أخى أيضاً ولا يحق أن يرهنه . فسأل الملك محمود عن قبوله البقاء بسنار حتى تنتهى مدة التجربة فأجابه حقيقة إن على بكيت أخى ، أما حمد فإنه أخى الأكبر ، وهو بمنزلة والدى ، وقد ربانى منذ صغرى حتى صرت رجلا كما ترى . فحكم الملك بأن يتولى النظارة « حمد » بعد أن أخذ شهادة أكبر المشايخ وهم من سكان جبال وسهول البحر الأحمر أمثال الشيخ جمع بن عجيل بن على (عن العجيلاب والأطلقة) ، والشيخ حمد بن عامرى (عن قايتاب الجبال) ، والشيخ أحمد حسال[1] (عن أشراف بيت معلا الجبال) ، فأيدوا جميعهم دقلل حمد الذى رفع شكوى أخرى إلى الملك قائلا له إن أقاربى وأبنائهم يسكنون مع الشكرية

---

(1) كان معهم زعيم البجة الشيخ عندل ادروب وتعريبها « الحنظـــل الأحمــر » .

حول بئر يقال لها « ريره » Reirah فإما أن ترسل معى قوة أو حلهم بهائمهم إلى ديارى ، أو أتخلف هنا فى كنفه بسنار لأننى وعـــدت مشايخ القبائل بإحضارهم معى فأمر الملك بترحيلهم معه من ديار الشكرية ولا يزال هذا الرهط من البجة يتغنى بهذه البئر (ريره) وطيب المقام حولها فى أشعارهم التى ينبعث من سماعها الحنين إلى الأوطان .

ولد قتل موسى من الأولاد محمد ـ حامد ـ محمود ـ البكيت (على[1] بكيت) وأحمد دمى وهو جد قبيلة « الشكرات » .



فرسان من بنى عامر يعبرون نهر بركة لقتل أسد رابض هناك سنة ١٩٢٥ م ٠ ص ٠ ش

« دقلل همد بن موسى »

تولى رئاسة النظارة فى سنار بحضور وزرائه من الفونج ـ وقد كساه الملك ثوبا من الدمور المخطط « ومَمَهيَ كُولاَيِي »(1) أى أبو ثلاثة عكاكيز ، ويسمى جَبَرَتْ ، وأقام زمنا بسنار . أما أخوه على بكيت فقد سافر حالما خاب أمله فى النظارة وواصل سيره ليلا ونهارا حتى وصل دقه دقلل وجمع كافة زعماء القبائل وقال لهم « إن ملك الفونج ولانى النظارة وطرد أخى دقلل همد » . فصدقوه ، فاختار أكثر القبائل غنى ورحل بهم إلى عَيْدِبْ ، ولما حضر دقلل همد جمع ما بقى من القبائل حوله وأقام فى خَوَشَايِتْ بسلام طيلة مدة نظارته .

كان دقلل همد معاصرا للشيخ حامد أحمد قامبوناى والشيخ محمد بن قايد والشيخ أبو الرايات (عبد الله الحلنقى) وهؤلاء الثلاثة سافروا معا لطلب العلم إلى أبى حراز عند الشيخ عبد الله بن الشيخ دفع الله ، ثم عادوا معا بعد إتمام دراستهم ، وذلك يوافق القرن الحادى عشر الهجرى كما فى طبقات ود ضيف الله وذكرنا تاريخ كل منهم فى قبيلته ، ودرسوا أيضاً على الشيخ إدريس ود الأرباب .

وفى آخر أيامه رحل دقلل همد إلى عيدب وهناك أدركته منيته : وخلف من الأولاد : موسى تَوَلِى ـ وعلى بكيت ـ وحامد أَوَدْ (عوض) ـ وأكد ـ وعمر الذى أنشأ بعد والده حصته « الشَكَّاب » .

---

(1) باللغة البجاوية .

« دقلل على بكيت بن همد »

نال منصب والده مع أنه كان أصغر إخوانه ، وكان أعقلهم . وأول من رضى نظارته أخوه الأكبر « موسى تولى » .

ويقال إن فى أيام نظارته قتل الرجل الذى يقال له « مَلَسْ بن عتول » بيد أحد عربان دقلل . فاشتكى أخوه آدم عتول إلى دقلل على بكيت لينصفه من القاتل . فصار دقلل يوعده ويماطله حتى طالت عليه مدة الانتظار لأخذ الثأر والانتقام ، وكاد أن ينساه لولا أن أبناء دقه دقلل كانوا يعيرونه بقولهم « متى تثأر لأخيك موسى »[1] فيرد عليهم « سأقتل لكم فحلا كبيرا » . فيضحكون عليه . وكان هو يتربص لغفلة من دقلل فيلقاه منفردا فيطعنه . وفى أحد الأيام كان يتحادث دقلل مع أخيه حامد أود جاءهما ولد عتول وطعن دقلل على بكيت بالحربة طعنة نجلاء قضت عليه ، وسار نحو القرية يفتخر بأنه قتل دقلل بنى عامر . فأدركه حامد أود وضربه بالسيف على عنقه فقتله . ودفن دقلل فى هواشابت

وتوجه دقلل على بكيت فى إحدى سنين الشتاء إلى عيدب ، فوجد السيد أحمد نافعوتاى مخيما بأهله وأتباعه هناك ، فطلب دقلل منه أن يعطيه الزكاة بصفة عوائد مرعى ، فرفض السيد حمد أن يدفع شيئا : فقال دقلل أنا لا أسمح لغير قبائل بنى عامر أن تخيم فى عيدب . فحدث بينهما خلاف رحل بعده السيد أحمد نافعوتاى ومعه كل قبائل ألده إلى أرض الحباب - وابن عتول

---

(١) ويقال بأنه من قرهباب البدندوة عائلة «ايرى» لجأ الى ناظر بنى عامر لما كثرت جرائمه فى الهدندوة والاخير استعمله رئيسا للعصابات . وخشيت من بأسه كل القبائل .

أصله من قبيلة « شُمُّوش » وهم قبيلة اشتهرت بالكبرياء والغطرسة – فكان الرجل منهم يحلق رأسه من الخلف ويترك الجزء الأمامي يتدلى على وجهه ثم يسرحه إلى الخلف :

ولم يخلف دقلل على بكوت إلا ابنتين ، وكانت أمه من ثمود ملهيتكتاب ولم يبق من شموش إلا أبناء تغيهاى فى الأفلندة[2] .

ولقد أعاننا على معرفة حوادث دته دقلل وبنى عامر أشعار جدنا الشيخ محمد (عيون)[1] ابن شيك بن عجيل إذا كان رهينة عند دقلل حامد من قبل ابن عمه العميد الشيخ على بن ضرار بن عجيل – إذ نظم قصيدة يتهدد بها دقلل حامد بك ، وأنشدها بينما كان دقلل يتحادث مع محمد أساتات الذى كان متوليا تموين سكان دقه دقلل[3] . فقال محمد عيون يخاطب ابنه فرج (وهو فارس مشهور) :

« فرج إجِلْ كسُّولْ الَّى دِعِنَا تَبلاً » .

(يا فرج اخبر كسول (إمرأة) باشعارنا هذه) :

« أبُوكَ لَيْتْ مَكْ بِرْوَتِها[3] دِلَتْ وَألاَ » .

---

(١) مشهورون الى اليوم بطول قامتهم واعتدالها وبالشجاعة .

(٢) تعريبها معتوه أو مجنون ، كانت أشعاره كلها فى البسالة والسلب والنهب . يصف الوقائع ابلغ وصف وكذلك أخوه همد شيك عجيل .

(٣) حرم محمد أساتات محمد عيون من تموينه لأنه مدح آل الشيخ محمد بن على فى قصيدة طويلة يستنجد بآل الشيخ حامد السادة المراغنة .

(٤) من أعظم ملوك السودان شهرة خصوصا بعد حرقته للبرنس

(إن أباك يعمل مثل عملية الملك نمر أو ما يدنو منها) .

« مى نيدى جَبِيّ لَتِتْ ود عتول لدقل الضحى قَتَلا » .

(أم نعمل كما عمل ابن عتول الذى قتل دقلل فى الضحى) .

« مى نيدى جَبِّيء حجاج جَبَيْ كَأْتْ كيليل وى سَهَلاّ » .

(أم نعمل عملا يهز الأرجاء ونطلب من الله أن يسهله) .

« مى ينجيس جَبِّي ء حجاج جَبَيْ لَتَكُورْ تِدّابوّا » .

(أم نذهب كالحجاج إلى الطريق الذى تزوره التكارير) .

ولا بأس أن نورد قصيدته التى أنشدها يوم ألقى القبض على الشيخ عمر ابن الشيخ محمد .

« لِيلِهِتْ جِدِّه(١) رَدّأتْ وأوْيتلاّ »(٢) .

(أتت الضحيدات ليلة أمس من جده وأويتلا) .

« رَجِيبْ(٣)رَدّىء بِيتْ وسَبْ نَحرا » .

اسماعيل باشا ابن الخديوى محمد على باشا ومن أراد أن يكتب تاريخه فليجمع الوثائق والمؤلفات وينقب فى بطون كتب الافرنج والعرب عن تاريخ هذا البطل فى الحرب والسياسة ، فهل نجد مؤرخا وطنيا يتقطع لتدوين حياة هذا البطل الذى قال لصموئيل بيكر «ماذا تقولون عن أعمالى حينما أحرقت ابن الخديوى وجنوده : فأجابه اننا الأوربيون نعتبرها بطولة ودفاع عن الأوطان ضد المستعمر .

(١) جاء الشيخ حامد من قبره بجدة ومن أوتيلا الشيخ محمود عثمان .

(٢) السيد عمر محمد على .

(٣) السيد الأمين حامد وفى نحرا ابنة على الأمين ، ومن حسنا السيد حامد الأمين حامد .

(كما جاءت النجدات من رجيب وأهل نمرا) .

« حَسَنَا إنْرِدَّى بِيتْتَ وإِنْدَ بِلَّا » .

(وأتت النجدات من حسنا فتسكاثرت الجموع) .

« شيك قدم طنبَحَ وسيدى إبه مِرْحَرْ زَدْأ » .

(الشيخ محمد بن على تلقاهم من الإمام وسيدى الميرغنى من الخلف) .

« ل دييت موفحورتبل إبْ مَجْلَلا » .

(الناس يقولون إن فى يديه ورجليه قيود من الحديد جهلا بحقيقة حاله (الشيخ عمر) .

« يدبرْ ما إب مَا كَفيكُمْ من تعمنا » .

(من الذى عادا كم فأصبحت داره عامره) .

« عد عمر من تَا كيكُمْ أدوج بَلَعَ لدته حقولها إيتكَلَلاَ » .

(أما عد عمير (ابن محمود) فقد انتابته المجاعة حتى أكلوا الحمير ، ولم يستأنفوا إنشاء دقه عمير ثانيا (من بيت معلا) .

« عَدْ مَدِينْ جباب من تَا كِيكُمْ أرضْ ملحَا » .

(أما عد مدين فإنه لما خاصمكم أخذته الزلزلة)

« عد إبلوسْ من تما كيكُمْ حايَاتْ كرعا » .

(أما عد إبلوس لما خاصمكم فإن الوحوش قرضتهم) .

« مقتو أمبل أبوك حقو إنو فلا إيتهدَ مَرَا » .

(مَن غير أبيك ارتقى للعلا ولم يهبط منها) .

« ومَنَعْتُوا أمْبَلْ أبوكَ حَقُوه إنتم لِبتشمرا » .

(ومن غير أبيك تولى الزعامة ولم يعزل منها) .

وهى طويلة — تركنا أكثرها .

« دقلل حامد أود بن همد »

تولى النظارة بعد مقتل أخيه على بكريت ، وكانت منازعات بين للذكور وإدريس موسى تُولى المشهور باسم « أو ْلباب » وهو فارس شجاع ، وقد عارض رئاسة دقلل حامد أود وقال لن أسمح بتوليته أو أعترف له بأى سُلطته . فوقع المشايخ فى حيرة شديدة من أمرهما حتى جاءهم رجل نابتـابى اسمه « عمر بن أداريًا » من حصّة هد ، عامر فقال لهم : أنا أتعهد لكم بتبليغ أولباب كراهيتكم لتوليته فاجعلوا لى أجرا ، فرضوا شرطه [1] . فتسلق عمر جبلا ونادى بأعلى صوته « يا إدريس أولباب اسمع نصيحتى وهى أن قبائل بنى عامر لا تريد أن تَتَظَرَّكَ عليها لأنك مشهور البطش والجبروت والقساوة فى الأحكام . وقد رضوا محمد وفضلوه عليك ومن الخوف سلكتون عنك » . فقال أولباب للسامعين « هل كلام هذا الرجل صحيح » فقالوا له « نعم » . وانفضوا من حوله ، وركب فرسه وأطلق له العنان ليقتل كل من يصادفه من المشايخ . ففروا من وجهه . وأقام ثلاث سنوات راضيا بالهدوء ، ثم رحل إلى القنوب عن طريق عَنْسَبَه (عين سبأ) ، وأخضع قبائل بنى عامر القنوب . فأرسل دقلل إلى الشيخ عبد الله أبو الرايات الحلنقى والفقيه محمد

---

(1) أن تعطى له عشر نياق .

القرجناوى (من علماء بنى عامر) ليصلحوا بينهما فذهب المشايخ وأتباعهم إلى أولباب وعرضوا عليه أن دقلل تعهد باعطائه ثلث ايراد القبائل فرضى، وتصالحا حتى كانت وفاة دقلل حامد أود فى «همبوليف» بخور بركة.

«وفود ضرار»

وبينما دقلل فى عيذب جاءه الشيخ ضرار بن عجيل الملهيتكناى عميد العجيلاب والأفلندة بالسواحل بالزكاة، فأكرمه وأعطاه بعضا من أبقاره الخصوصية (ليبى) قوبايت دقلل، وهى محترمة عندهم مثل بقرتهم «ليبى محمد ضرار» التى أحضرها من القاش[1].

ولنعد إلى دقلل حامد أودْ الذى امتدت سلطته إلى ما بقى من قبائل الحماسين وسواها من القبائل حتى توفى.

وقبل وفاته دعا إليه المشايخ، فلما حضروا، قال لهم «أوصيكم بأن تولوا بعدى ابن أخى إدريس أولباب» وخلف دقلل حامد أودْ ولدا شجاعا وعاقلا اسمه محمد وهو والد الشيخ محمد همد الفيل، ودقلل على بخيت بك، ودقلل موسى وسنأتى على ذكرهم فيما بعد كل فى عصره وأيامه.

---

(١) كثيرا ما تغنى بها شعراؤهم منذ ثلثمائة عام.

« دقلل أولباب بن موسى تولى »

واسمه إدريس ، ولكن اشتهر بالاسم الأول[1] . تولى نظارة بنى عامر بعد وفاة عمه حسب الوصية . ولما شب ابنه إبراهيم أولباب نزع النظارة من والده وانفصل ببعض المشايخ والعربان لأنهم يكرهون أحكام والده الذى استنجد بابن عمه محمد أكد ، وهذا جمع جيشا من أنصاره وأنصار دقلل وقاتل إبراهيم حتى تمكن من استرداد النظارة منه وسلمها لدقلل ، فحفظ دقلل له هذا المعروف حتى دنت وفاته ، فأرسلها إلى محمد أكد وقال لمشايخ بنى عامر « إن ابنى إبراهيم لا فائدة لكم فى ولايته ولو كان فيه خير لما قاتلنى . فإذا أسلمت الروح ولوا مكانى محمد أكد . وقد تركت معه النظارة » فلما توفى عملوا بوصيته . واشتهر دقلل إدريس بكثرة سفرياته بين خور رَجَبْ والخرطوم وسنار ، وكان له شاعر مشهور اسمه « دَرَقى » له قصائد يصف فيها الأهوال والمتاعب التى كان يقاسيها ممدوحه فى رحلاته ، ولم ينس شجاعته على خصومه واستيلائه على الغنائم والأسلاب ممن كان يغزوهم .

ودفن دقلل أولباب فى مكان يقال له « جارقى » بجهة « إنكوليش » وله من الأولاد : إبراهيم وأكد والذى تزوج بنته الشيخ محمد بن المحلق الحرانى جد تاجوج الحرانية المشهورة فى السودان[2] .

---

(1) هذا بالتيجرى ، أما بالبجاوية فيقال له : اولباب Oulbab = على بابا الذى عربه مؤرخو العرب فى مؤلفاتهم باسم « على بابا » .

(2) اقرأ كتابنا « حياة تاجوج والمحلق » . وقيل انه لما خرج من بطن امه كان قابضا فى كفه « تمرة » ومثله الأمير عثمان دقنة وجنكيزخان .

«دقلل محمد بن أكد بن همد»

حسب وصية سلفه تولى نظارة بنى عامر وفرحت القبائل بولايته ورفض إبراهيم أولباب أن يخضع لسلطته فوقل مشاريعه الخاصة بالعربان [١]، فتبرع له دقلل بثلث ما يجبيه من الهدايا القبلية، ورضى إبراهيم بذلك وقضيا أيامهما فى هدوء وراحة حتى توفى بابان تكريريت Bayal-Takrirelt. ويقال إن إبراهيم أولباب زار دقلل محمد[٢] عند اشتداد المرض عليه، وضحك لما رآه يشكو من شدة الألم. فقال له دقلل لا تفرح لموتى لقد خلفت لك ابنى إبراهيم فإنه لن يمتعك بالنظارة — وفعلا أتعبه.

وكان لدقلل محمد شاعر اسمه « ودقية » انتشرت قصائده فى مدح دقلل محمد. وهو رجل من الحباب يزور النظار والمشايخ أمثال كنتيباى جاويد وأخيه هداد بن فكاك والشيخ حمد أكد هاسرى.

واشتهر هذا الشاعر بنصيحته الشعرية (لغزا) لأبناء تكليس حين جاءوا لزيارة كنتيباى جاويد الذى أعد رجالا للقضاء عليهم وهم يأكلون، ولكنهم سلموا بسبب أشعار ودقيه.

وخلف دقلل محمد ثلاثة أنجال هم: إبراهيم وعلى بكيت وحامد.

اشتهر إبراهيم أولباب بجهوله الشريرة وعدم رغبته فى السلم والاستقرار،

---

(١) انفصل الشيخ محمد بن أولباب بقبيلة «ستكتكتاب» وأصبحت عموديتها فى ذريته حتى تحررت.

(٢) فى عام وفاة دقلل محمد توفى بالقنوب شيخ المشايخ الأملندة الشيخ عجيل بن ضرار واخوه همد، كما توفى زعيم بيت معلا الشيخ ادريس حامد ايتدكل.

فجمع إليه ذات يوم كل أقاربه من أبناء « تولى » وقال لهم اتبعونى ، وهجم سرا على منزل دقلل محمد وسرق النقارة وأخفاها فى مكان مجهـول ، وضيق الخناق على كل من يعصى أوامره . فاستنجد دقلل محمد بأخواله[1] ، فجاءه الشيخ موسى قرقم وإخوانه وأولاد عمه حامد ورار بن على موشاى ونصور وَدْ بعلى ، ومحمد على طاهر (أسود) ، وإدريس أكد يَرْتَدَى ، وكلهم فرسان وأغنياء ، وأخذوا معهم لفيفا من كل قبائل « حَلِيت » وحضروا إلى دقة دقلل فى مكان يقال له « دَنْبَع » ، فجمع موسى قرقم الفريقين ومكر على إبراهيم أولياب بأن أوعده بمركز وكالة دقلل ، ووزع أقاربه بين أتباع إبراهيم ، وهددوهم بالنهب إذا لم يرجعوا إلى طاعة دقلل محمد . فامتثلوا وتفرقوا منه وخضعوا هم ومشايخهم لدقلل . ثم سألوا إبراهيم عن محل النقارة فأنكر مخبأها وإذا بعجوز تخبرهم بمحلها ، فأخرجوها وسلموها لدقلل محمد .

فلما سمع بعثورهم عليها قال « ستعودون غـدا ويموت دقلل وأتولى أنا النقارة » .

---

(1) وهم عد هامسرى (نايتاب البحر الاحمر) اهل والدته هجوة بنـت هامسرى بن حامد .

« دقلل ابراهيم بن ادريس أوليباب »

تولى النظارة بعد وفاة دقلل محمد بن أكد ، وأظهر فرحا عظيما لوفاته ، ولم يخرج لتشييع جنازته ، فاستاء منه أبنا عمه إبراهيم وعلى بكيت ورحلوا من دقه إلى قرى عد كلب[1] . أما أخوهما الصغير حامد فإنه رحل إلى عدها سرى بالقندوب حيث كان متزوجا منهم[2] .

أما عد كلب فإنهم أجاروا إبراهيم وعلى بكيت وناصروهما ، فسار إبراهيم محمد أكد بجيش من عد كلب وبعض القبائل التى أطاعته إلى دقه دقلل ، وألقى على دقه الحصار سبعة أيام متوالية لا يسمح لأحد منهم بالخروج إلا لأخذ العهد على يده بالطاعة لنظارته . فكثر أتباعه وأنصاره وهجموا على بيت دقلل إبراهيم فى إحدى الليالى ، وانتزعوا منه النقارة ، واحتفظوا بها فى قريتهم . وصارت القبائل وكل منازل دقة دقلل خلفه . فاستاء دقلل إبراهيم أوليباب ورحل إلى الحدندوة مستجيرا بهم لينصروه ، فلم يهتم بأمره الشيخ محمد دين (ناظر الحدندوة) فى ذلك الوقت لأنه كان يقاتل الجيوش التركية سنة ١٨٤١م بجهات أروما وتيدلاى ، وكذلك فعل ناظر الشكورية . وبعد تمام الصلح بين الحدندوة والجيش التركى قدم دقلل إبراهيم الطاعة لأحمد باشا أبو ودان ، فأبقاه معه بكسلا زمنا ، ثم جاء مندوب[3] من

---

(١) تزوج الشيخ همد كلب بابنة «قويلاى» من نسل على بن دقلل اكد بن ناصح وتزوج ابنة الشيخ على مكال بابنة دقلل همد موسى .

(٢) كان متزوجا بابنة الشيخ حمد بن اكد عمدة هاسرى وهى والدة ابنة دقلل محمد بن حامد بك الذى خلف والده سنة ١٨٧٥ م .

(٣) قيل ان المندوب كان ناصح بن ابراهيم أوليباب .

إبراهيم محمد (الذى تسبب فى عزله) وطلب منه زيارة دقه دقلل . فامتثل إبراهيم وتولى شياخة المشايخ ، وتنازل عن النظارة حتى توفى وهو شيخ كبير فى وادى عنسبة . ولم ينتظر إلا عاما واحدا .

ولما حانت وفاته أمر دقلل إبراهيم بن محمد أن تحمل النقارة إلى أمام منزله ، ثم أخبر عبده أن يضربها له ، فلما سئل عن ذلك قال لهم إن إبراهيم إدريس كان يحب أن تبقى لديه حتى الممات ولم يتنازل لنا عنها إلا بعد أن فنيت أكثر فرسان بنى عامر . فسمع إبراهيم إدريس مقالته . فأجابه « الدنيا دول — نحن شمتنا يوم وفاة أبيك ولم نخرج فى جنازته ، والآن أنت تعمل معنا نفس العمل الذى عملناه مع أبيك — ألا فليعلم رجال بنى عامر أننى بذلت كل جهدى فى الحصول على النظارة فلم أنجح ، وصرفت أموالا كثيرة فمن ذلك أننى أعطيت لمن ظننتهم أصدقاء نحو تسعين سيفا إفرنجيا (نكرى)[1] ، ونحو مائتين من خيرة أبقارى (لعيى) ، ومائة من نياق (أوطات) ، وتسببت فى قتل سبعين فارسا على ظهور خيولهم فى واقعة واحدة بقيادة الشيخ محمود تيته ، وصاهرت أشهر القبائل لأستعين بهم فى رد النظارة فأبى الله ذلك » . وقد سمعت وصف واقعة محمود تيته من الشيخ على حتب ابن موسى محمد[2] وكانت هى نفس السنة التى تقاتل فيها الحباب وتكليس (شنقيره) . وفى أيام إبراهيم إدريس أمر الشيخ محمد دين ناظر الهدندوة ابن أخيه موسى بك إبراهيم أن يأخذ جزية عن عد عشير (ابنا حمد راكب)

---

(١) السيف الذى فيه نهر أو بحر واحد لايزيد طول نهره عن الشبر (٢٠ سنتيمترا) ولايقل ثمنه عن عشرة جنيهات .

(٢) فى سنة ١٩٠٥ م سمعت منه هذا الوصف بالسقيق .

وهى إحدى حصص بنى عامر ، فضمها موسى بك إلى المدندوة . وقيل إنها كانت فى أيام دقلل إبراهيم بن محمد وهو أقرب إلى الصواب لأنه كان دائماً يفرق الحصص على نظار ومشايخ القبائل التى يرضى عنها أو يعقد معها صداقات كى يكيد لخصومه .

وفى عصره دارت معركة عنيفة بين حزبه وحزب إبراهيم بن محمد انتصر فيها الأخير ونزع النظارة من دقلل إبراهيم الذى قتل فى الواقعة اثنان من أنجاله وجرح ثلاثة .

قيل إن السيد الأمين بن حامد حضر الواقعة ومنع إبراهيم محمد من ركوب فرسه فقال له « دع خصمك يمتطى جواده فإن جيشه مغلول » وفعلا انهزم جيشه وتشقت حزبه وتولى النظارة إبراهيم بن محمد . ورحل دقلل إبراهيم إدريس إلى كسلا محاولا أن يجد من يعينه على استرداد نظارته .

«دقلل ابراهيم بن محمد»

لما طالت غيبة سلفه بهلاد القا كا ولته القبائل النظارة وبعد توليته بأسبوع وصلت قوة من الجيش التركى بقيادة إلياس بك نائب مدير كسلا واحتل الدقة والجبال الحصينة .

تفرقت قبائل بنى عامر فى أيام دقلل إبراهيم محمد ، فأعطى بعضها النظارة المدندوة (موسى بك إبراهيم)، والبعض لعوض الكريم بك أبوسن (ناظر الشكرية) ، ومنع النايتاب من معارضته أو التداخل فى شئون القبائل . وتدخل حتى فى شئون الفقهاء وأكثر من جمعهم حوله فى الدقة ، وكانوا يمدحون النبى ﷺ ، وبعد فراغهم من المدح كان يأمرهم بمدح أبى بكر الصديق

(وضد) لأنه جد عامر بن على نابت من جهة أمه الملهيتكيابية عائلة قود ، فيطيعون أمره ويستمرون فى المديح زمنا أطول حتى توفى إلى رحمه الله سنة ١٢٥٩هـ فاحتفظ بهم خلفه ، ونشر القراءة والكتابة فى كل قبائل بنى عامر

أما الياس بك فإنه سار بقوة من جنده نحو القفوب ومعه دقلل إبراهيم حتى وصلوا حلاييب ، وهناك نصبوا خيامهم ، وهربت القبائل من وجه الجيش، وتفرقت فى الهوادى والقفار ، وأمروا الجند بالبحث عن المواشى وإحضارها، واستعملوا النار مع أصحابها ، وأخذوا إبل الشيخ محمد أ كد بن محمد حاسرى (شيخ مشايخ) ووضعوها فى عدة زرائب ، فسمع حفيده أ كد موسى وكان ابن اثنى عشر عاما ، فسلم نفسه لدقلل والياس بك ، وقال لهم « إذا مااعتقلتمونى عندكم فإن جدى الشيخ محمد أ كد ووالدى يحضران سريعا ويستسلمان » . فاعتقلوه وأطلقوا المواشى ا كتفاء به ، فلما سمع جده الخبر أمر كل القبائل بالحضور حالا وتقـــديم الولاء والطاعة . وكان لدقلل سكرتير بارع من الفلاته اسمه آدم ودحاج عبد الله . وفى أواخر سنة ١٢٦٠هـ توفى دقلل إبراهيم محمد ، وله من الأولاد حامد وصالح ، وخلفه على النظارة حامد بك محمد فى سنة ١٢٦١هـ .

ذ كرنا أن دقلل إبراهيم كان يتودد لنظار القبائل الأخرى بتوزيع عربان البجة عليهم ، مثال ذلك أعطاؤه قبيلة سنكاتكتاب (أصحاب سنــكات) الذين طردهم بارِكوِ بنْ المدندوى من أوكاكْ « سنكات » إلى الشيخ موسى بك إبراهيم (ناظر الهدندوة) ، ووهب « مَقماً » للشيخ عوض الـكريم بك أبوسن ، وأعطى بعضاً من الأبَتْ للشيخ محمد بك إيلَه (ناظر الحلنقه) ، والبعض للأرْتيقة ، وأعطى قرى بأ كلها لمحمد عد على بكيث وحاسرى وأ كد وواس حتى إن بعض هؤلاء المشايخ طمعوا فى النظارة .

« دقلل حامد بك محمد »

هو أشهر نظار بنى عامر فى القرن الماضى ، تولى فى سنة ١٢٦١هـ بعد وفاة أخيه إبراهيم محمد ، وقد بذل مجهوداً جباراً بمساعدة مدير كسلا حتى استرد كل القبائل التى وزعها سلفه (أخوه إبراهيم) على النظار السابقين وخصوصا قبيلة « عد عشير » وهى من أغنى القبائل البجاوية ، وكانت قد أعطيت لموسى بك إبراهيم . فلما استردها أنشد أبياتا من الشعر بالبجاوية يخاطب موسى بك وهذا رد عليه بمثلها ، ولهما مساجلات شعرية لا تخلو من بعض النوادر والنكت ، وأحيانا يفتخر كل منهما بالإصلاحات التى كان يعملها فى قبائله كان حامد بك صديقا لمحمد بك إيله ، والشيخ محمد بك آدم نايب (مصوع) ، وقد توفوا جميعهم فى واقعة « قُرّعْ » بوادى « قُنْدَتْ » (التى حدثت بين الجيش المصرى والحبشى سنة ١٨٧٥م)[١] . وفى السنة الأولى من ولايته عصى أوامره كل مشايخ وعد عَدْ عمر . ولما أرسل إليهم خادمه لتحصيل الضريبة قتلوه ، فأرسل إليهم قوة من الجند الذى كان معسكرا فى دقه لتأديبهم ، فعاد القائد بعد أن أخضعهم لسلطة دقلل حامد . واشتدت شوكة قبائل بنى عامر بين أغيره وسيتيت والقاش وبركة وسواحل البحر الأحمر وجميع القبائل المتفرقة حوله وولى على من بالقاش الشيخ يونس على بسكيت ، وضم إليها عد عشيره وجعلها عدة عمودات ، فأصبحت ذات شوكة . ودقلل حامد هو الذى نظم

---

(١) سنلخصها فيما بعد نقلا عمن حضروها أو كتبوا عنها أمثال محمد شكرى ابقلاى وكشف الستار لأحمد باشا عرابى مأمور حملة الجيش ، ومن كتاب جبر الكسر لمحمد باشا رفعت ، وتاريخ السودان لنعوم شقير والمستر لوصطوس وايلد .

مراكز اجتماع المشايخ فيعمل أربعة أشهر فى الشتاء (فى القنوب) بجهة عد وبته وحلاليب ، وثمانية أشهر فى حواشافت . وكان الخديوى سعيد باشا قد أمر بأن يكون فى محل إقامته الأخير مكتب تلغراف له بناء خاص وجند يحميه ، وكذلك نقل فى قبائل عاصمة الحدندوة (موسى بك إبراهيم) وأحضر معلما من مصر لتدريس أبنائه القراءة والكتابة ، فنبغ فيهما ابنه الأكبر (محمد) وفى أيام دقلل المذكور انفصلت قبيلة العبابدة (بهدور) عن نظارته وسميت ذلك فى قبيلة « بهدور » .

ونوضح هنا كيف كانت الحرب بين الإمبراطور يوحنا والخديوى إسماعيل باشا . فى شهر أكتوبر ١٨٧٥ م عهد إلى أرندروب[1] بقيادة حملة جديدة على الحبشة وكان بين أركان حربه ضابط أمريكى يدعى ماجور دينسون Maj. Dennison وضابط سويسرى يدعى ماجور دور هولتز Maj. Dor Höltz وضابط هنغارى الكونت زيشى Count Z chi ، وكانت الحملة مؤلفة من ألفين وخمسمائة جندى من المشاة يحملون بنادق رمنجتون Remington ومعهم ست بطاريات من المدافع الجبلية وستة مجانق ثم قسمت الحملة إلى فصيلتين يقود أولاهما الكولونيل أرندروب ومعه الكونت زيشى ، والثانية أراكيل بك محافظ مصوع .

فالتقت هذه الفصيلة بطلائع الحبشان يوم ١٨٧٥/١١/١٥ على ضفاف نهر مأرب فى قندت ، ولم تستمر المعركة سوى بضع دقائق وقد خلوا من جميع آثار

---

(1) كان ارندروب هذا ضابطا برتبة ملازم فى الجيش الدنمركى وذهب الى مصر مستشفيا ثم دخل خدمة الحكومة المصرية ومنحته رتبة قائمقام Colonel.

الرحمة والإنسانية ، وقتل أرندروب وزيشى وإلى جانبهم أراكيل وكل الجنود والعربان ، ولم تبق لدنيـون قوة ، فرأى الحكمة فى التقهقر وطلب السلامة بما بقى لديه من الجند .

« أسباب هذه الحـروب »

تاقت نفس الخديوى إسماعيل باشا بعد احتلال بلاد خط الاستواء أن يستولى على إقليم الحماسين جميعه[1] فأرسل الحملة السابقة ، فلما علم بها الإمبراطور يوحنا (الذى قتله الأنصار فى واقعة القلابات يوم ٩/٣/١٨٨٩ م) جرد جيشا عرموما لملاقاتها فى قندت وصمد لها هناك حتى تبتعد عن السهول أميالا عديدة فيتمكن من دحرها بسهولة ، وهذا ما حدث .

كيف كان قتل نظار القبائل :

قال محمد متناى ابقلاى : حالما ابتدأ تبادل الرصاص من الجانبين أصدر أراكيل بك أمره إلى محمد بك إيله (ناظر الحلنقة) كى يهجم بفرسانه على الأحباش ، فخاض المعركة على جواده وتبعته خيل الحلنقة بفرسانها : فلم يعودوا فاستعد دقال حامد لاقتفاء أثرهم[2] ، فجاءه أحد المشايخ وقال له انتظر حتى

---

(١) كان الملك يوحنا لايزال يحتج لدى الدول لاستيلاء مومسنجر باشا محافظ مصوع على شراء بلاد عايلت وقمهوت وعصوس واحتلال سنهيت (كرن) ، وللخديوى امل فى الاستيلاء على منابع النيل وشرق افريقيا حتى زنجبار وممباسة ودار السلام .

(٢) قيل انه كان يلبس حجابا عمله له السيد الأمين حامد لئلا يصيبه الرصاص أو أى شىء من الحديد . ولكن دقال حامد كراهية فى الحياة اعطى الحجاب لخادمه محمد متناى ابقلاى .

يخف ضغط الأحباش بسبب كثرة الرصاص المنصب عليهم من الجيش المصرى ثم اهجم بفرسانك . فأجابه « كلا وابيك أنا لا أريد المودة إلى دقه دقال أسير فى ساحته أو فى شوارع كسلا بعد وفاة صديقى مجد بك إيله » ثم أطلق لفرسه العنان ، وقال لجماعته اتبعونى . فتبعوه وخاض المعمعة بفرسانه وسيدرات والقدين بفرسانهم أيضاً[1] فلم يسلم من بنى عامر أحد غيرى أنا (محمدمتتاى) وقد أسرنى أحد أمراء الأحباش[2] ثم عرفنى إذا كان دقلل يرسلنى إليه ، فسألنى عنه فأخبرته بوفاته ، فاستاء جداً وتأسف ، ثم أطلق صراحى وسلمت من العقاب الذى أصيب به أسرى الجيش (التطويش أى إخراج الخصيتين من كل محارب) قال عرابى باشا « إن الأحباش (قطعوا)مذا كير الأسرى »[3] ومات فى هذه الواقعة غير المذكورين محمد آدم نايب وسلم خادمه مثلى - وحكى لى أنه شاهد دقلل حامد لما هجم بجواده على الأحباش وسيفه مسلول فى يمناه يقطر دما ثم كر ثانيا ولكن خرج مجروحا فى رأسه ثم كر ثالثا ولم يعد بعدها فعلمت أنه قد مات . وهجم بعد دقلل حامد الشيخ محمد آدم وقال لاتطيب لى الحياة بعد دقلل فقتل حال هجومه وكذلك فعل محمد أكد جاميل .

لقد استفاد الأحباش مما غنموه من الأسلحة فى واقعة « قندت » مالوى

---

(1) كانوا برئاسة الشيخ أحمد حجاج وقد عاد من الواقعة وهو مصاب بعدة جراح .

(2) هو الرأس ود دبكيل .

(3) اشتهرت قبيلة طلطال باستعمال الفظاعة مع أسراها اذ يفتخر رجالها لدى نسائهم بجلب اعضاء تناسل الأسرى من أعدائهم ويقول رفعت بك فى جبر الكسر ان النجاشى لايوافق على هذا العمل الشنيع .

به جيشهم فى واقعة « قرع » التى حدثت بينهم وبين المصريين فى يوم الثلاثاء ١١ صفر ١٢٩٣ ه الموافق ٨ مارس ١٨٧٦ م وقتل فيها إدريس أرتى (عمدة عد تولى) والشيخ أرتى محمد ، وقد قتل فى واقعة قندت مع دفلل خيرة الضباط المصريين : أمثال البكباشى على رائف ، والبكباشى أحمد فوزى . والبكباشى أحمد سعيد (قومندان الطوبجية) ، والبكباشى عمر رشدى أركان حرب الجيش المصرى الذى كان من رأيه أن تسير الفرق كلها معاً ؛ ولكن رئيسه الماجور دنيسون فرقها فى الجبال والأودية ، فأحاط بها الأحباش إحاطة السوار بالمعصم وأفنوهم عن آخرهم . ومن الصدف العجيبة أن النجاشى يحب أن يكون القتال بينه وبين عدوه فى يوم الثلاثاء ، وهكذا كانت واقعة قندت ، ثم قرع . ولقد بحثنا كثيراً فى كتب الأقدمين — وهاهو ماوجدناه مدوناً فى حير العسكر : قال رفعت بك كانت الجواسيس توافينا كل آن بأخبار جيش الحبشان ، وكان من ضمن بلاغاتهم أن النجاشى صمم على أن يكون الهجوم فى يوم الثلاثاء الذى اعتاد المحاربة فيه تيمنا به وتبركا بطلعته . وقد كانت محارباته لأرندروب وغيره فى اليوم المذكور فخبرنا بذلك إلى الخديوى المعظم تلغرافيا . فصدر أمره بأنه وإن كان هذا الاعتقاد فاسداً لكنه كاف بسبب كونه اعتقاداً بثبات جأش الحبشة وتقوية قلبهم : ولهذا أشار بمنعه إلى اتخاذ الطرق المؤدية إلى منع وقوع المحاربة فى اليوم المذكور . ولكن إذا تحكم القدر لاينفع الحذر إذ عادت الجواسيس فى يوم الثلاثاء الموافق ١١ صفر ١٢٩٣ ه مخبرة بقيام إمبراطور الحبشة بخيله ورجله بقصد المحاربة فى اليوم المذكور فكان النصر حليفه فى هذه الواقعة أيضاً .

وفى سنة ١٨٧٩ م سافر الجنرال غوردون من مصر إلى مصوع لعقد صلح

بين المصريين والأحباش . فلما قابل النجاشي يوحنا عرض على غردون شروط الصلح الآتية :

١ — إعادة مدينة المتمة الحبشية التي كانت مقر أحفاد الملك نمر وكذلك سنهيت إلى أثيوبيا .

٢ — أن تتنازل له الحكومة المصرية عن ميناء زيلع لشدة حاجته إلى ميناء في الجنوب الشرقي وكذلك جزء من مدينة هرر .

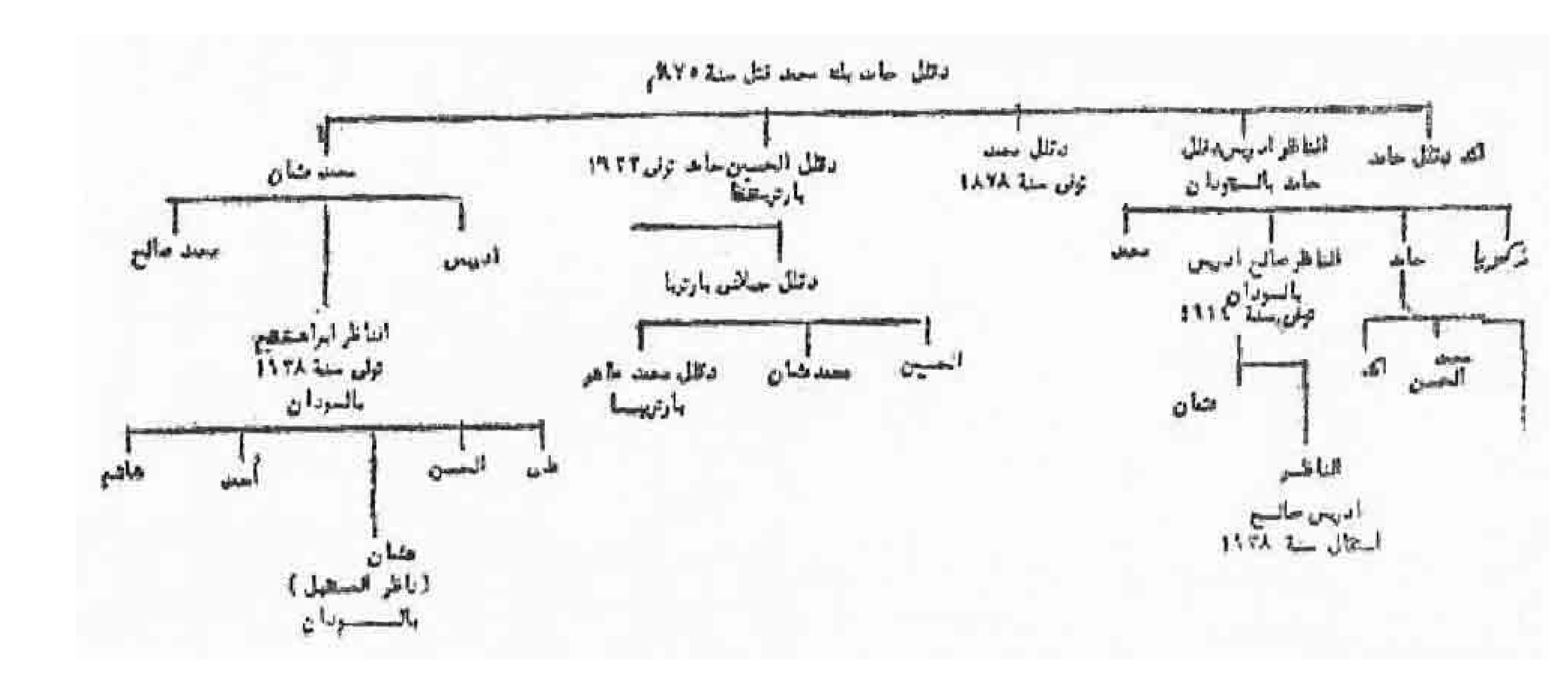
٣ — أن تتنازل الحكومة المصرية عن ميناء مصوع وتدفع له مليون جنيه مصري . فحمل غردون هذه الشروط وسافر عن طريق القلابات إلى الخرطوم وقبل وصوله إليها ألقى القبض عليه وعذب ثم أمر بالعودة عن طريق قرع ومصوع فلما وصل مصر استقال من منصبه وعاد إلى أهله[1] .

ونأتي هنا على ذرية دقلل حامد بك محمد لأنهم هم الذين يتولون نظارة قبائل بني عامر في السودان وإرتريا[2]

---

(١) تاريخ السودان لنعوم شقير .

(٢) دقلل محمد طاهر جيلاني تولى أخيرا نظارة النابتاب لأن القبائل تحررت وأصبح لكل قبيلة ناظرها من (ختشم بيتها) .



دقلل حامد بلة محمد قتل سنة ١٨٧٠م
آدم دقلل حامد
الناظر ادريس دقلل حامد بالسودان
دقلل محمد
توفي سنة ١٨٧٨
دقلل الحسين حامد توفي ١٩٢٢
بارتريا
محمد عثمان
زكريا
حامد
الناظر صالح ادريس
بالسودان
توفي سنة ١٩١٤م
محمد
آدم
محمد الحسن
عثمان
الناظر
ادريس صالح
استقال سنة ١٩٢٨
دقلل صالح بارتريا
الحسين
محمد عثمان
دقلل محمد طاهر
بارتريا
ادريس
محمد صالح
الناظر ابراهيم
توفي سنة ١٩٢٨
بالسودان
علي
الحسن
أحمد
هاشم
عثمان
بالسودان

« دقلل محمد بن حامد بك »

تولى النظارة بعد قتل أبيه فى سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٥ م) وانفرد بإدارة القبيلة وأحكامها ، وجعل نفسه المرجع الكل صغرى و كبرى . فاستاء منه أقاربه لعدم استشارتهم ، فتألبوا عليه مع أنه لم يعترض على حقوقهم التى كانت لهم فى أيام والده الأخيرة وهى أن مدير كسلا اخترع وظيفة « شيخ المشايخ » القديمة وعين فيها على بيكيت بن همد[1] وعين همد محمد همد[2] فى وظيفة « شيخ القنوب » رغم إرادة المرحوم دقلل حامد بك الذى لم تبق بيده إلا سلطة دقة دقلل فقط . أما مشايخ قبائل خور بركة فصار أمرها إلى على بكيت بك ، ومشايخ القنوب إلى ابن أخيه . واستاء دقلل حامد بك من تحديد سلطته . ولما جاء الأمر بقتال الحبشة اقترح عليه بعض المشايخ بأن يعصى فأبى ، وقال سأمتثل لأمر الخديوى إسماعيل باشا سواء على الموت أو النصر فسأكون أنا الفائز فى كلا الحالين لأن دمى سيحفظ لأبنائى الحق فى تولى نظارة بنى عامر . وقد تحقق ما تنبأ به — فقد تولى ابنه دقلل محمد النظارة وخشى بأسه المشايخ ، ويقال إنهم اتفقوا مع نايب مدير كسلا أن يتخلص منه بإسقائه سما ، وفعلا دعاه للحضور إلى سيدرات مع المشايخ ، فلما حضروا جميعا قدم لهم نائب المدير لبنا فشرب منه دقلل محمد وشعر أن طعمه غير اعتيادى ، ثم وضعه على الأرض . فقال له النائب أعطه للحاشية فأجابه دقلل محمد كلا وأبيك لا أعطيه لأى إنسان وسترى الحاشية عاقبته فى شخصى . وفعلا تورم جسمه فى الحال

---

(١) هو دقلل على بخيت فيما بعد .

(٢) هو ابن محمد اسانات (النيران) لشدة باس ابيه واشتهاره بالجود والكرم .

فاستأذن في العودة إلى دقه في هواشايت ، فلما وصل عاصمته بدأ جسمه يتساقط[1] شيئاً فشيئاً ولم يجد من يسعفه حتى بالعلاج البلدي لأن المؤرخين أشاعوا بأنه أصيب بالجدري . وهكذا رحل دقلل محمد من الدنيا — رحمة الله عليه .

بعد وفاة دقلل محمد باثني عشر عاماً تقريباً كانت نظارة بني عامر هكذا: « دقلل الحسين » في إرتريا وأخوه الشيخ إدريس ناظر البني عامر بالبحر الأحمر (العقيق) وأخوه الشيخ محمد عثمان وكيلا له بكسلا .

وكان الشيخ محمد بن علي في إمبيرمى يقول بيت الأيام تسمح لنا بلقاء ولدنا دقلل محمد ، وهكذا لم تسمح الأيام بلقائهما . وقد رثى دقلل حامد بك بعض الشعراء أمثال جمع بن شيك عجول ومحمد اواد هداد وفايد دنكلاى بعدة قصائد .

ولم يعقب دقلل محمد .

---

(1) يذكرنا بالملك الضليل امرىء القيس ابن حجر حين يقول (لما تسمم جسمه) .

وما خفت تبريح الحياة كما أرى	تضيق ذراعى أن أقوم فألبسا
فلو أنها نفس تموت جميعة	ولكنها نفس تساقط أنفسا
وبدلت قرحا داميا بعد صحة	فيالك لمن نعمى تحولن أبؤسا

« دقلل على بكيت بك همد »

هو الناظر البخيت بك تولى منصب دقلل عقب وفاة دقلل محمد ابن حامد بك ، ولكن الحسين حامد بك محمـــــــد عارض فى تنظيره فلم تسمع معارضته . فرفع شكواه لمدير كسلا ، فلم ينصفه ، فسافر إلى سواكن ، وبمساعدة أخواله الأرتيقة توجه إلى القاهرة مطالبا بمنصب أبيه لأحقيته به بعد وفاة أخيه محمد . بقبلت شكواه وأخبره (ناظر) وزير الداخلية بأنه كتب بالبريد إلى مدير كسلا[1] كى يحل محل أخيه ، ويعزل دقلل على بكيت بك حالا . فلما وصل الحسين كسلا لم يجد أثراً لعزل دقلل على بكيت ، بل كان يمارس كل سلطاته . فتدخل نظر وأعيان الحلنقة فى الموضوع واجتهدوا فى الصلح بينهما ، وعرضوا على الحسين أن يتولى منصب « شيخ المشايخ » . فأجابهم هذه وظيفة عمى على بكيت الحقيقية . أما أنا فوظيفتى هى النظارة فأصلحونا على هذا الأساس وإلا فإنى عائد لاستئناف شكواى . وسافر إلى سواكن .

أما دقلل على بكيت فلم يذق طعم الراحة من أول يوم فى ولايته إذ بدأت شرارة الفتن بين قبائله وجيرانه — ففى أول سنته نشبت حروب بين الأشراف والكميلاب ، فحالف الأولى ووقف بجانبها بالقوة المسلحة . وفى العام الثانى تقاتل عد عمر وعد إبراهيم ، فانحاز للأخيرين ، ومال الشيخ أ كد موسى (عمدة حامرى) إلى صف عد عمر لأنه كان يرى عدم أحقية دقلل على بكيت للنظارة ويعتبره مغتصبا لحق أبناء دقلل حامد بك . وفى السنة الثالثة حدث

---

(1) عبد الرازق بك .

القتال بين عد عامري وبيت معلا — قال الشيخ إدريس محمد (عمدة الأحيوة) زرت دقلل على بكيت قبل القتال بسنة وشكوت له من عصابات الشيخ أ كد موسى التي تزعج أهلي وتنهب مواشيهم ، فأجابني إن الشيخ أ كد موسى عصاني وخالفني فعامله بمثل معاملته فقلت له وإذا قتل مني رجلا هل أنتقم[1] فقال لي نعم انتقم وانهب مالا بمالك .

واندلعت نيران الشر في كل مكان بشرق السودان . فدار القتال بين عد عاريام ومنّسّع وجاء الأمير عثمان بن أبي بكر دقنه في صيف سنة ١٨٨٣م ورفع راية الحرية والإستقلال ونادى بالجهاد ، ودعا إليه كل رؤساء القبائل المتخاصمة ، وأصلح بينهم ، وأمرهم بتوحيد الصفوف أمام العدو المستعمر . فأطاعوه ، ووزع منشورات الإمام المهدي على كل المشايخ الروحيين والمدنيين والنظار . ومما يؤسف له أن كل أمور دقلل على بكيت كانت معقدة ولم يصادفه التوفيق إلا في استرداد عد كوكوى الذين استقدمهم الراس الولا إلى أسمره، إذ أرسل إليه دقلل على بكيت أموالا كثيرة من النقود وأهدى إليه فرسا جيدة ، فأمر الرأس باعادتهم إلى محلهم بجهة أغردت من غير أن يأخذ شيئا من مواشيهم . وفي أوائل ١٨٨٤م سمع دقلل باحتلال الطليان لمصوع ، فسافر للقاء القائد الإيطالي وقدم ولاءه وأخذ منه أسلحة كثيرة ، لقتال جيش الأنصار[2] . فأعطاه أسلحة ونقوداً ومؤونة كثيرة ، وحمله على جماله إلى دقه وهناك قسمه على الشبان ، وبدأ في تعبئة الجيش ، وأرسل كثيراً من المؤونة

---

(١) كان على سقونة مقتولا بيد العاسريين .

(٢) قبل المهدية كان الأمير قد أخذ عهدا من دقلل حامد بك وعلى بكيت بالبيعة مقدما سنة ١٨٧٢ م بالعقيق .

إلى مدينة كسلا المحصورة بجيش الأمير مصطفى على حدل ، حتى إن المدير أحمد باشا عفت أرسل خطابا إلى وزارة الداخلية فى ٢٩ مارس ١٨٨٤ م يثنى فيه على دقلل على بكيت بك ويذكر مساعداته التى كان يؤديها لأهل كسلا أيام حصارها[1] ، ولم تنقطع قوافــــله عنها كولانيها عن الطاحية وما حولها ، وكانت بين دقلل على بكيت وناظر الحلنقة على شكيلاى صداقة متينة جداً [2] حتى إنهما قتلا معا فى واقعة سبدرات سنة ١٣٠١ هـ (سبتمبر ١٨٨٤م) نجد ذلك فى حوادث المهدية بكسلا .

وقد خلف دقلل على بكيت بك ولداً واحداً هو الشيخ يعقوب عمدة بدنة دقلل ببنى عامر كسلا ، واشتهر بسرعة فصله فى القضايا بين المتنازعين ، ولذلك كان يتمتع بثقة الناظر والعمد لنزاهته وعدله . وإنى أشكره إذ سافر معى فى إحدى رحلاتى إلى عمرات (سبدرات) لمشاهدة محل الواقعة المذكورة بين جيش والده وجيش الأمير بلال السمرندوابي — سألت الشيخ يعقوب عن أسباب تخلف والده عن الغزو مع دقلل حامد بك محمد ، فقال لى إن مدير كسلا أمر والدى بالسفر ، ولكن دقلل حامد قال لا يصح أن يقوم كلانا ونترك القبائل بلا شيخ مشايخ (المسئول عن الضرائب والأمن) فوافق المدير وسمح له بالبقاء — ولم يذق والدى الراحة بسبب الشيخ أكد موسى إذ أفسد عليه كل تدبيراته فى القتوب . كما أوجد هو وابن عمه خليفة حامد (صهر الدقناب) خصومة بيننا وبين آل الأمير عثمان دقنه .

---

(١) يذكرنا هذا الموقف بشهامة عبد المجيد سلطان وما اتاه من جميل الفعال فى حرب الطليان سنة ١٩٤٠ م .

(٢) قيل ان الفضل فى تولى دقلل على بكيت النظارة يعود الى على بك شكيلاى الباشكاتب العوض المرضى .

فقلت له لولا أن والدك كان ابن الجانب من جهة عمدة البيت معلا لما تجرأوا على قتل ذلك العدد[1] من النابتاب بسبب قتيل واحد وكثرة السرقات فى المواشى بين عبد محمد فى قتالهم مع عد إبراهيم . ثم سارت الحوادث حسب المقادير .

« دقلل موسى بن همد »

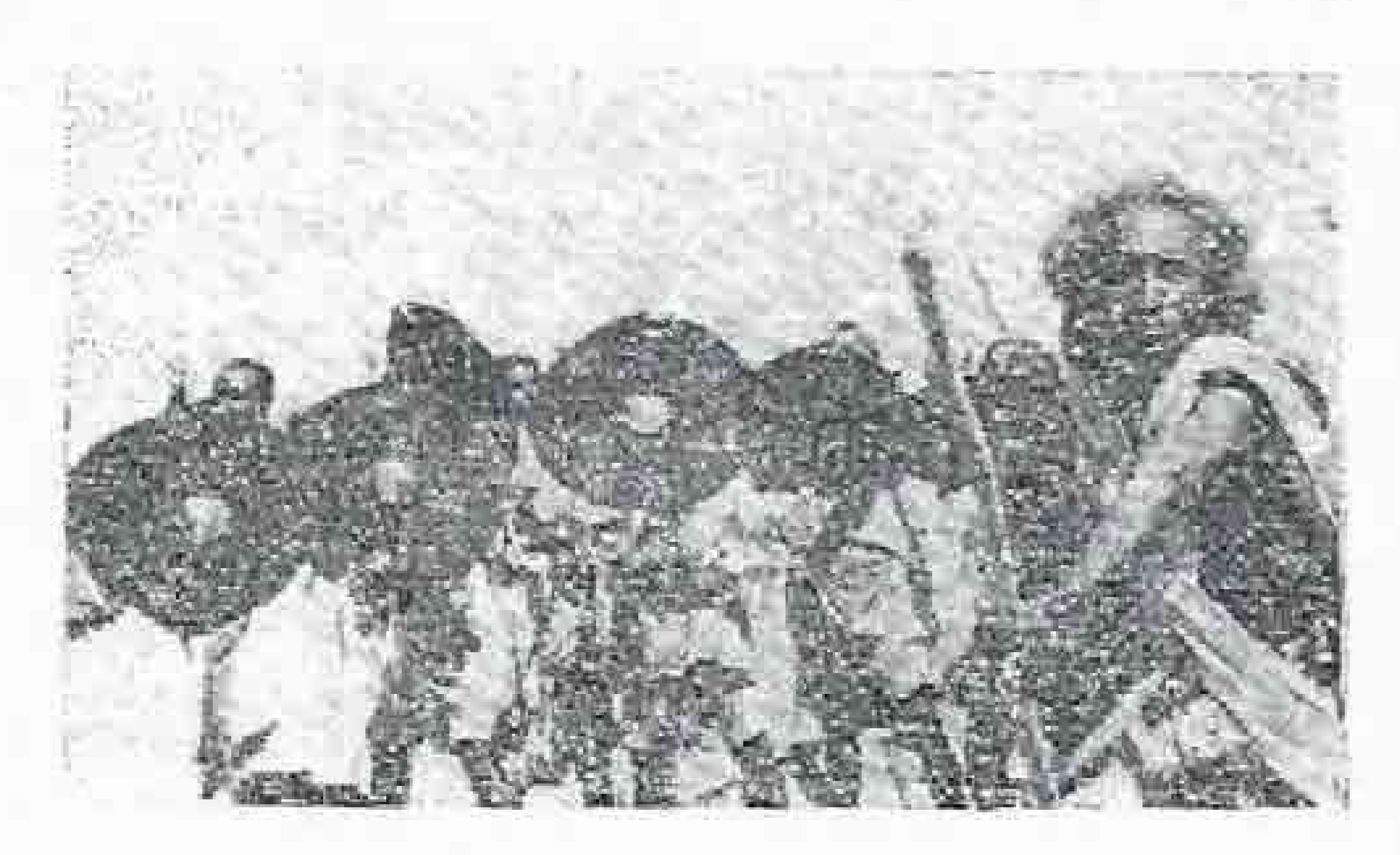
بعد وفاة دقلل البخيت عاد الشيخ إدريس دقلل حامد بك إلى دقه وأمرهم بالرحيل إلى بلاد الحبشة . فنصبوا خيامهم فى جبل منصوره ، وإذا بالراس الولا يصدر إليهم تعليمات كى يولوا النظارة « دقلل موسى بن همد » (أخ دقلل على بكيت) ، فأطاعوه . وسار دقلل موسى همد مع الراس الولا أينما رحل حتى قام الرأس بجيوشه إلى ملاقاة الأمير عثمان دقنه فى كسلا . فتلاقى الجيشان فى « كوفيت » ، وكان دقلل موسى واقفا بجانب الراس الولا ، وإذا بالأخير يقول للأول إنك الفائز فى هذه الواقعة لأن انهزام الأحباش وموتهم يسرك لأنهم قتلوا ابن عمك دقلل حامد بك ، وكذلك إذا هزم الأنصار فإن فى موتهم انتقاما لأخيك على بيكت . فتبسم دقلل موسى وقال ان أنسى قتلى واقعة قرع أو سبدرات

أسهبنا فى وصف واقعة سبدرات وكوفيت فى حوادث المهدية بكسلا . وبعد مضى ثلاث سنوات من واقعة كوفيت يوم ١٨٨٥/٩/٢٣م أصيب دقلل موسى بالجدرى ثم توفى . وخلف ولدا واحدا هو الملقب كوكرى « الشيخ محمـــد موسى همد شيخ مشايخ بنى عامر بارتريا ، وهو فى هـــذا المنصب

---

(1) قتل من النابتاب سبعة من ضمنهم حمد بن العمدة اكد موسى .

سنة ١٩٢٨ م . ولا يزال قائما بها أحسن قيام ، وهو مسئول عن تحصيل الجزية من العمد وتوريدها لخزينة الحكومة .



محاربون من قبائل الأبَت (البجة الأصلية) بأرض بني عامر

« دقلل همد بن محمد بن همد »

تولى نظارة بنى عامر إرتريا بعد وفاة عمه دقلل موسى فى جبل مفصورة، وأقام حولا فى حماية الراس الولا ، ثم سافر ومعه الشيخ الحسين بن دقلل حامد إلى مصوع وقدما ولاءهما لمحافظها . فقال لهما أنتما شريكان فى رئاسة القبائل البنى عامرية . وجعل لكل منهما مرتبا شهريا وقدره[1] مائتا ريال . فعاد إلى الدقه ، ثم رحلا بالمنازل إلى جهة « قِرَرْ كَلِبْ » بقرب أغردت . فجاءتهم خيّالة من الأنصار وعليها فرسانها على حين غفلة ، فقتلت دقلل همد محمد ، وأما الحسين فإن مماليكه ضربوه بالعصى وكتفوه وأخفوه فى فار . واستاق الفرسان جميع أموال الدقه قاصدين بها مدينة كسلا . وبينما هم فى الطريق أدركهم فرقة من[2] عساكر إرتريا الوطنية واستردت منهم كل ما أخذوه من دقة دقلل .

كانت بين والدى ودقلل همد محمد صداقة متينة حال تقسيم شرق السودان بين الحكم الثنائى والطليان .

---

(١) أطلق على هذه السنة « عام سواء سواء » .

(٢) كان معها دقلل الحسين سنة ١٨٩٧ م .

« دقلل الحسين بك حامد بك »

بعد مقتل دقلل حمد محمد أرسل محافظ كرن (سهنيت) فى طلب الشيخ الحسين حامد والشيخ أ كد بن حمد محمد ، وقال للأخير يجب أن تحل محل أبيك وتكون إدارة العربان ورئاستها بينك و بين الحسين ، غير أنه يتولى النظارة العامة ويلقب بدقلل وأنت تلقب « بشيخ المشايخ » . فقال الشيخ أ كد لا أقبل شراكة فى منصب والدى ؛ ولا أرضى بأى مساواة فى ذلك .
فاستاء المحافظ من رده وأمر بالقبض عليه ، وأرسله إلى مدينة عصب (منفى أهل اوتريا) ، فبقى هناك ، وخلا الجو هنا لدقلل الحسين من المعارضين .
وبعد مضى ستة شهور عاد أ كد من عصب ، واجتمع ذات يوم هو ومحمد بك موسى (ناظر الحدندوة) ودقلل الحسين فى كرن ، وكان كل منهم ساكنا فى منزل منفصل . وإذا بصوت رصاصة تطلق من بندقية . فجاء ضابط بوليس إيطالى للبحث والتحرى ، وإذا به يجد الرصاصة على باب منزل دقلل الحسين ، فعلم أن مؤامرة دبرت لقتله ، فأجرى تحقيقا دقيقا فى الحادث ، ثم حكم على أ كد حمد بالعودة ثانيا إلى عصب ، وعلى محمد بك موسى بالسفر إلى سواكن .
وقد برأ لى محمد بك نفسه من المؤامرة أو إطلاق الرصاص ، وذكر أنه كان ضيفا محترما يترفع عن مثل هذه الصغائر ، وكذلك الشيخ أ كد ، ولكن أشيع بأمرهما على دقلل الحسين ، ولولا نزوله للسجود لأصابته الرصاصة . وكل هذا غير حقيقى إذ أن الرصاصة الطائشة استقرت فى الباب ولا يعرف مطلقها أو البندقية التى أطلقت منها .

اشتهر دقلل الحسين بكثرة سفرياته إلى مصر فى طلب وظيفة والده دقلل حامد بك . وقد أقسم فى أشعاره بأن لا يطأ برجله دقة دقال مادامت النظارة

بيد دقلل على بكيت . وفعلا أقام بسوا كن عند جده الأمير جيلاني باك أرتيقة ، ولم يبرح سوا كن إلا بعد مقتل دقلل على بكيت بك . ورفع دقلل الحسين عدة شكاوى إلى حاكم عام إرتريا كى يضم إلى نظارته حباقل عد أ كد وأقلبدة وبيت معلا فقال له الوالى :

« بأن الأولى والثانية تابعتين لمحافظة كرن ، والثالثة لمصوع وأنت لأغوردت ، ولذلك لايمكن أن يكونوا تابعين لك » . ولما توفى الشيخ محمود شريف حميد عد أ كد حاول دقلل الحسين ضم القبيلة إليه ، فوافق على ضمها إليه . وقد زرت دقلل الحسين فى سنة ١٩٣٣ م ولقيت منه كل إكرام واحترام ، وقال إنه لاينسى عرى الصداقة التى بين والده وجدى الشيخ على ضرار عجيل ، وأهدى إلى فرسا بلجنها ، وناقتين وخمسة من أبقاره الخاصة . وفى أيام تعيين دقلل الحسين انتخب الشيخ محمد اسماعيل[1] فى منصب شيخ مشايخ حتى توفى فخلفه الشيخ محمد موسى حمد .

« وفاة دقلل الحسين »

نشرت صحيفة الإرترية اليومية التى تصدر فى أسمرة باللغة العربية والحبشية فى عددها الثالث والثلاثين يوم ٩ فبراير ١٩٣٤م الآتى :

« توفى إلى رحمة الله بعد مرض دام طويلا فى يوم الجمعة الموافق ٢ فبراير الجارى المرانذ أو فشوالى الدقلل الحسين حامد بك رئيس قبائل بنى عامر .

(١) كان يملك سيفا جميلا قيل انه سيف الامام محمد الشافعي وقد انتزعه احد جنود الجيش الهندي الذي فتح اغوردت من كتف ابنه سنة ١٩٤٢م ورفض أن يعيده الى صاحبه ، واخذوا أسلحة اخرى من أبناء دقلل ما بين سيوف ومسدسات مهداة اليهم من حكومة ايطاليا .

ينتسب المرحوم إلى عشيرة عد موسى (فرع دقلل محمد) التي تأسس حكمها منذ زمن الفونج ، وتولى الدقلل الحسين الحكم خلفا لدقلل حمد الفيل (حمد محمد) في عام ١٨٩٠ م ، وكان ذلك شيخ مشايخ بني عامر ، وهذه الرتبة ليس أرفع منها غير الدقلل في قبائل بني عامر ، ومنحته ذلك الدولة المصرية اعترافا بالخدمات الجليلة التي أداها والده الذي قتل في ميدان الحرب « قودا قودى » (قندت وقرع) حيث كان قائد الخيالة المصرية الغير نظامية . كان المرحوم مخلصا للدولة الإيطالية ، وامتاز بشجاعة عظيمة في واقعة أغوردت الثانية ضد الأنصار . وفي يناير وفبراير ١٧٩٧ أثناء غزوات الأنصار على بلاد خور بركة أظهر المرحوم رغم قلة البنادق والرجال الذين كانوا تحت تصرفه في بلدة « دقة » الثبات والهدوء والشجاعة النادرة أمام ذلك الخطر العظيم . وكان رحمه الله حكيما وذو حزم وعزم ونشاط ، ومخلصا وحودا للحكومة الايطالية ، ومتحليا بالذكاء ورجحان العقل ، مراعيا دائما على حسن العلاقات مع الرؤساء المجاورين لبلاده سواء كانوا من رعايا الدولة الإيطالية أم دول أخرى المتاخمة لإرتريا ، وقد اشتهر بسداد الرأى والنصائح الصائبة حتى كان يسترشده كثير من الرؤساء والمرءوسين . واكتسب بهذه الخصال الحميدة محبة الخاص والعام . ونظرا لخدماته القيمة ، وإخلاصه الصادق ، وتفانيه في حب الدولة ، وقيامه بأعمال باهرة في طاعة الحكومة ورفاهية قبائله ، قد أنعم عليه صاحب الجلالة مليكنا المعظم بوسامات وألقاب فخرية عديدة آخرها وسام الفرائد أوفيشيالى من صف النجمة الإيطالية ، وهو وسام غالى الشأن . وقد انتخبته حكومة إرتريا مع الرؤساء الذين ذهبوا إلى روما لتمثيل أهالى إرتريا في حفلة المهرجان الذى أقيم في عام ١٩٢٥ بمناسبة مرور خمسة وعشرون سنة لارتقاء صاحب الجلالة الملك فكتور عمانويل

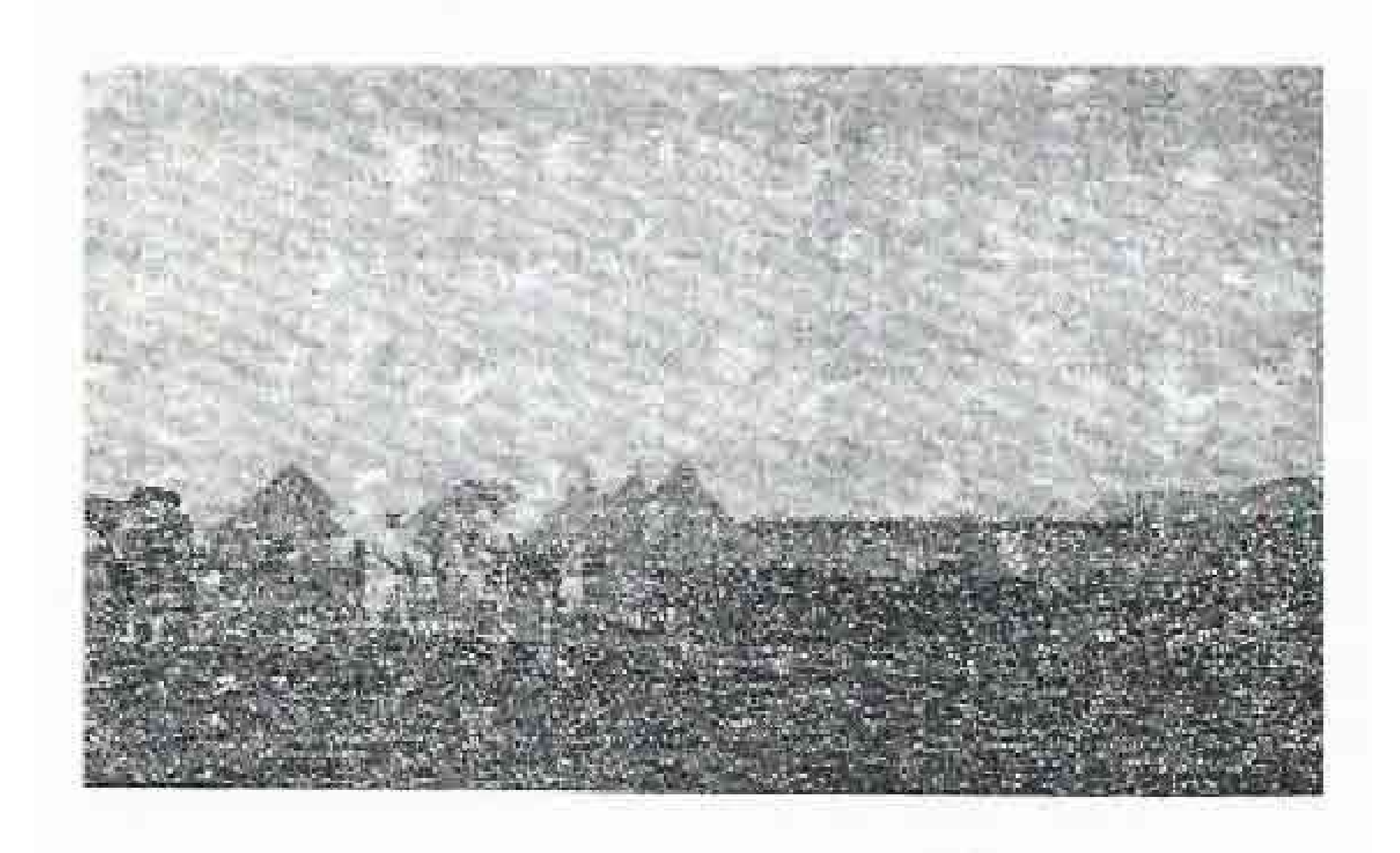
الثالث على العرش الايطالي. وكذا في سنة ١٩٣٠ لحضور حفلة قران صاحب السمو امبرتو دى نيمونتى .

وعندما انتهى خبر الوفاة إلى جناب الدكتور السكامايرى يونس القائم بأعمال محافظ البلاد السفلى الغربية ذهب توا إلى دار المرحوم لمشاهدة الجنازة وتقديم مراسيم أخلص العزاء بالنيابة عن الحكومة وبالاصالة عن جنابه إلى أسرة الفقيد وذويه وأهالى البركة جميعا .

وتقرر نقل جثمان المرحوم إلى بلدة دقـه حيث دفن رحمه الله فى مقبرة أسرته النبيلة بعد أن أقيمت له حفلات التأبين اللائقة لرئيس كبير بذل مجهوداته فى صالح الدولة والأمة زمنا طويلا وقد أحدث نبأ وفاة الدقال الحسون الذى شاع بسرعة البرق إلى كافة أنحاء المستعمرة تأثيرا عميقا فى جميع الطبقات . ونحن نتقدم إلى اقارب الفقيد وذويه وسائر قبائل البركة بمراسيم أخلص العزاء لهذه الكارثة العظيمة متمنين الصبر والسلوان ، ونبتهل إلى الله تعالى أن يجعل فى ذريته خير خلف لخير سلف .

أسمرة ٨ فبراير ١٩٣٤م

(السنة الثانية عشر للعهد الفاشستى) . ولقد نشرت جريدة حضارة السودان التى تصدر فى الخرطوم ملخص تاريخ حياته وجليل أعماله من مراسلها ببورتسودان وهو كاتب هذه الأحرف .



الخيل فى دقة دقلل الحسين حامد بك سنة ١٩٣٣م

دقلل جيلاني بن الحسين

تولى النظارة بعد وفاة والده ، وقد أنعمت عليه الحكومة الإيطالية برتبة كوليرى اوفيشيالى . وصار ما سافر إلى روما وكانت آخر سفرياته لإيطاليا سنة ١٩٣٦ لتهنئة الحكومة بروما

وفى حرب إيطاليا وانجلترا سنة ١٩٤٠ أخلص دقلل الأولى لأنه من رعاياها حتى اندحرت الجيوش الإيطالية فى كل الميـــــادين وتم للانجليز الاستيلاء على إرتريا . واعتقله مدير كسلا المستر كنذى كوك فى الخرطوم ، فاضطرب حبل الأمن بين بنى عامر والحدندوة وكثرت العصابات ، فلم تر الحكومة بدا من إحضاره ، فهدأت الأحوال واستتب حبل الأمن . وفى شهر فبراير ١٩٥٢ توفى دقلل جيلانى الحسين إلى رحمة مولاه ، وخلف ثلاثة أنجال هم محمد طاهر ، ومحمد عثمان ، والحسين وكلهم أخذوا قسطا كافيا فى العلوم والمعارف ، والأخير التحق بجامعة أديس أبابا .



لفيف من شبان بنى عامر بمدينة أغردت

« دقلل محمد طاهر بن جيلانى »

حال وفاة والده سافر مع عمه الشيخ حامد إدريس إلى أسمرة ومعهم كل مشايخ وحمد النابتاب وأقروا نظارته أمام الحاكم العام .

أما قبائل بنى عامر التى ليست من أصول النابتات فإنها أصبحت بنظارات منفصلة عن رئاسة دقلل نهائيا لأن تحرير القبائل أراح الحكومتين السودانية والإرترية .

ودقلل محمد طاهر حكيم جداً لايتسرع فى أموره مهما كانت صغرى .

ونورد هنا أسماء كافة القبائل التابعة ليدنة دقلل باوتريا منذ أقدم الأزمنة إلى يوم كتابة هذه الأحرف وهو سنة ١٣٥٩ والموافق سنة ١٩٤٠م .

(شموس)

هى إحدى قبائل البجة العريقة فى القدم ، واشتهر رجالها بالكبرياء والغطرسة . والمفهوم عن رجالهم إطالة شعر الرأس حتى يتدلى على الوجه ويسرحونه تسريحا جميلا يميزهم عن سائر قبائل البجة الذين يتسمون وأسهم إلى قسمين كما بالصورة . وبقى اليوم من شموس عائلتان إحداهما فى دقة دقلل[١] والأخرى أعطاها دقلل إبراهيم إلى الشيخ محمد ضرار بلتقوه مؤسس قبيلة العجيلاب والأطفئة بالسواحل وخور بركة أما تفرقهم فقد حدث بعد زوال مملكة البلو على يد عامر بن على . قال الشيخ عمر على تيته عميد شرعاب أركويت حسين ملاك) منهم وأمه الذى استجار بزعيم السمرأر (عمرود حمدندوة) إن شنشروت من السمرأر .

---

(١) دقة عدلان .

وكانت شموس دائما في قتال مع أبناء النابتات بسبب الأنفة والكبرياء حتى انقرضوا .



ناظر نابتاب بني عامر إرتريا

دقلل محمد طاهر بن جيلاني الحسين

« أنبُوشْ »

وهـذه القبيلة من بطون البجة التى لم أستدل على أصولها ، ولم يبق منها اليوم إلا عائلة صغيرة فى الأغلندة قد أعطاها دقلل إدريس بن أ كد إلى الشيخ جمع بن عجيل جرابون علوبين بالسوميت .

ويقال لهـذا البطن عــد حقيبأى — وكانوا دائمـا فى قتال مستمر بشموش [1] .

« الحسيناب »

هم أشرف حسينية اختلطوا ببنى عامر غير أنهم لازموا مسكانا واحداً وكثرت ذراريهم حتى كانت المهدية فأصيبوا بالجدرى ومجاعة سنة ١٣٠٦ هـ فانقرضوا وبقى منهم خمسة أشخاص انضموا إلى قبيلة كَرْبكَناب وانقطعوا للعبادة وتعليم القرآن للأطفال .

« الحصص التابعة لبدنة دقلل »

توجد عدة حصص كانت فى الزمن السابق بدنات كبيرة لها عموديات ، ولـكن بعد حوادث مجاعة سنة ١٣٠٦هـ والجدرى ماتت مواشيها وأهلها فلما قلوا انضموا إلى بدنة دقلل .

« عدْ نور »

هم أبناء نور بن أ كِد بن ناصح وقد انقرضت ذريته .

---

(١) فى سنة ١٩٢٢ وجد عميد الأغلندة الشيخ محمد ضرار على حفرة مملوءة بالسوميت بقرب قرورة بدمنة الشيخ ادريس يوسف إميكالا .

« عـد عوض الله »

هم أبناء عوض الله بن ناصح ويقال أنهم من إيفـكَنيق وسبق أن ذكرناهم .

« عد همد آودا »

هم أبناء همد آودا بن آ كد بن إدريس بن أ كد بن ناصح ويرأسهم الشيخ جيلاني على عمر .

« عـد شاور »

هم أبناء شاور بن أ كد بن ناصح وقد انقرضوا .

« عـد حامد »

هم أبناء حامد بن إدريس بن أ كد ويرأسهم الشيخ حامد بن محمد ابن عبد الله .

« عـد رِفْموتاتْ »

هم أبناء على بن همد شيك بن على عكـه ، وقد انضمت بقاياهم إلى سائر بدنات دقلل والتابتات الأخرى مثل عد عمر حُور وعد أ كد لاَوْ Lalou

« عـد أَوَلْبَابْ »

هم أبناء إدريس أولباب من موسى تولى ويرأسهم الشيخ همد على بخيت إبراهيم إدريس .

« عـد دياب »

هم أبناء إدريس دياب بن حامد موسى وشيخهم هو الشيخ همـد لباب ابن إدريس ابن دياب .

« عِزّى »

هم من الحماسين التابعين لمدينة دقلل وبرأسهم الشيخ أبّز بن عثمان حتيجون وفى رواية أنهم من أقارب اللّابنيما ، وهم عدة عائلات ؛

« عد نويتْ »

هم ذرية على نويت (نمرنيها شوكة) وهم ميالون المشا كسة أكثر من المسالمة وذلك لقلتهم ويطمع فيها الغير مالم يقاتلوا فى أصغر إساءة تمسهم .

فى أرتريا يسمون الفروع الصغيرة من العائلات « شرف » وهى أدنى درجة من الحصة ، وغير مستعملة فى قبائل السودان ، ولذلك اعتبرنا كل شرفاف حصة كما كان فى الأزمنة السابقة وتركنا الإسم الحديث لأن أكثر المشايخ يكرهون سماعه .

« عدْ قنّادْ »

وبرأسهم الشيخ حامد محمد إبراهيم قنّاد ، ويسكنون جنوب جبل آدم كشه على مسافة عشر ساعات من مدينة أغردت ، وقد أقمت معهم أياما الزيارة عمة لى هناك ألحّت فى حضورى عندما سمعت بقدومى فى تلك الأنحاء ، فزرتها ومررت ببلاد البازين ، وكان معى حفيدها السيد الأمين محمد على . وفى سنة ١٩٥١ حدثت حوادث سلب ونهب بينهم وبين البازين فأمرهم دقلل جيلانى بالرحيل إلى قرب قرى بنى عامر ، فامتثلوا . وفى سنة ١٨٨٦م وفد حامد إبراهيم قناد (عم الشيخ المذكور) على الأمير حماز دقنه فى سلهات مع مشايخ بنى عامر ، فلما شاهده عرفه وقال له « ياابن إبراهيم قناد أنا برىء من دم خالك دقلل على بكيت إذ كانت بيننا معاهدة على أن يبايع الأمير باشريك السمريدوابى

ولكنه سمع كلام صديقه على بك شكيلانى واشترك فى قتال مع بلال والفكى عيسى القلانى بدون إذن منى ، وقد تأخر عن موعد نجدته أحمد باشا عفت (مدير كسلا) والشيخ أحمد حنجير . وإنى يا حامد إبراهيم أعلم أن عائلة دقلل حامد أود كانت تنزل عندنا فى سواكن ، وأما عائلة دقلل محمد فإنها تنزل عند أمهد الأرتيقه السكربابى ، فساءنى وقوف خالك ضدنا وتخلفه عن نصرتنا وذلك مالم أكن أنتظره منه – عفى الله عنه » .

انتهينا من نظارة بنى عامر إرتريا وسنأتى على تدوين من كان مجاورا لها من القبائل المنقرضة ونذكر شيئاً عن تاريخها حسب ما سمعناه .

حفـــرة Hafara

هى من بطون البجة القديمة ، ويسكنون فى جهات سبدرات وأغردت وضواحى كسلا . ورأيت منازلهم ودمنهم فى المحلات المذكورة – قيل إنهم كانوا أصحاب بأس وشدة تهابهم كل القبائل المجاورة لهم . واشتهروا برفضهم الخضوع للسلطنة الزرقاء حتى ظهرت بنو عامر بجوارهم . وهم الذين أزالوا ملك البلو فى خور بركة والقاش قبل هجرة العرب إلى السودان ، وبسطوا رئاستهم على من جاورهم من البجة .

ولما تكاثرت قبائل بنى عامر بدأ التحرش بينهم وبين حفرة ، ثم التراشق والمواقع الحربية التى كانت بينهما سجالا حتى تولى النظارة البنى عامرية دقلل أكد بن ناصح ، فزار سنار واتفق مع مليكها على أن يخضد من شوكة حفرة ، وعندما يتم إخضاعها تضم إلى نظارة دقلل . فعاد أكد بعد الاتفاقية المذكورة وجمع رجاله الصناديد لقتال حفرة التى لم يكن رئيسها أقل همة عن بنى عامر ودقللها ، وقد وصف زعيمهم بالجبروت والعناد وكان لا يقاتل إلا مبارزة

بين الصفين . وهذا ما فعله فى أحد أيام الثلاثاء[1] إذ نادى دقلل أ كد لنزاله، فخرج إليه دقلل وكلاهما على جواديهما ، واستل دقلل حسامه من غمده وكانت بيد زعيم حفرة جلن Jalan (الحربة الطويلة) ، فجالا جولة ثم طعن الحفراوى دقلل بالرمح فى فخذه فنفذت إلى سرج فرسه فأضلاعه وبطنه ، فتجلد دقلل وضرب خصمه بالسيف على رأسه فشقه نصفين . فحمل عنـد ذلك فرسان بنى عامر على فرسان حفرة الذين انهزموا حالما شاهدوا موت قائدهم ، فاقتفى العامريون آثارها وهى منهزمة فنهبوا أموالها وعادوا إلى أهاليهم بعد النصر . أما دقلل أ كد فقد أسعف بالعلاج الشافى لجرحه غير أن فرسه قد ماتت . وسمع ملك السلطنة الزرقاء فأرسل إليه هدايا كثيرة وأ كثرها من السيوف والملابس ، وأيد سلطنته ووافق على ضم جميع قبائل حفرة إلى نظارة بنى عامر فاستاء من امتداد سلطانه أبناء عمومته إذ كانوا يسمون امزله ، ورفضوا دفع الزكاة التى اعتادوا تأديتها لسلفه . وبعد مضى ثلاث سنوات من هذه الغزوة أجمعت الحفرة على قائد آخر وخلعت سلطة دقلل أ كد ، فأخبر ملك الفونج بعصيانهم واقترح على دقلل أن يولى ود عد كلب ء قيادتهم فوافقه الملك على اقتراحه وتولى أمر حربهم الشيخ أ كد بن على بن فكاك عمدة عد كلب ، فانتصر

---

(1) قبائل حفرة لاتقاتل الا فى أيام الثلاثاء من كل اسبوع ولذلك يقولون (فى بلاد البجة والحبشة) ان من اراد ان يرسل ولو عصابة للسلب والنهب فليرسلها فى يوم ثلاثاء . ويتشاءمون فيه من مقاتلة الحكام ، ولايعملون شيئا حديثا او يسافرون فيه والحبشة وهى امبراطورية كبيرة لاتغزو الا فى هذا اليوم وتنتصر .

على الحفرة وشتت شملهم ، فأنعم عليه الملك بلقب دقال وأن يكون ناظراً على كل القبائل التي تسكن حول نهر القاش[1] ، وأن يتولى دقال بني عامر وثمانة كل من يسكن خور بركه . قيل إن حفرة كانت تملك سبعة آبار ، وكل بئر حولها سبعة أحواض متينة وكبيرة تشرب منها سبع مراحات من الإبل ، وكل إبل يرعاها سبعة فرسان على ظهور خيولهم[2] . وأما الآبار فهي واقعة حول مدينة أغردت على مسافات بعيدة عن بعضها[3] : فإحداها في « حَشَلَ » والثانية في « دَرَتْ » والثالثة في « تركينه » والرابعة في « شَغْلَتْ » والخامسة في « إندرايبب » ويقال لها « كَلَمَتْ » والسادسة في باأوا » والسابعة في « دقامي » ولهم غيرها عين ينبع منها الماء واقعة في قمة جبل السلطان (هو جبل هَرْوَا) وأما آثار منازلهم ودمنها فهي في آدم كشه .

وكان الفارس من حفرة يملك مراحات كثيرة من الإبل يستأجرون لها الرعاة ولا يرعونها بأنفسهم إلا عند اللمات (انظر طَوْرَه في قبائل الحباب) . وهذه أسماء المناهل السبعة بالافرنجية :

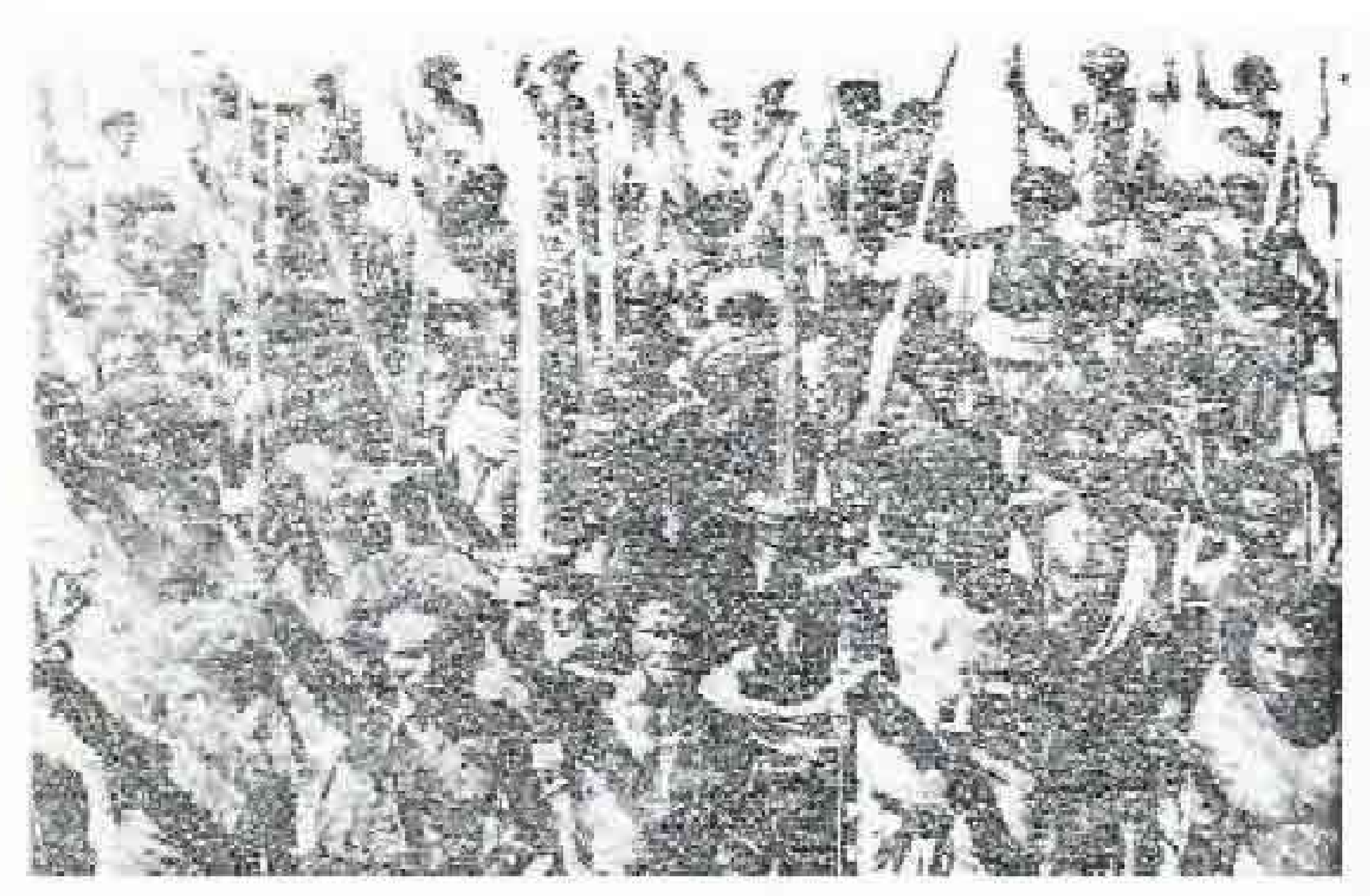
Hashala, Darat, Tarkina, Shaglat, Indirayeer (Kalamat), Banago, Daqasi, Harwa.

---

(١) كانت بيد حفرة نظارة القدين ؛ وأما قبل الاسلام فانهم يقولون ان سلطتهم كانت ممتدة على ضفتي نهر عطبرة ، ولما انقرضت قبيلة عد كلب انضم باقيهم مع من كان تحت سلطتهم الى نظارة بني عامر .

(٢) سمعت ان هذا الكلام قالته احدى بنات حفرة لما جاءتها عصابة لصوص من بني عامر او عد كلب تهديدا لهم لئلا يطمعوا في قبيلتها فتجية وأهلها بهذا التتويه .

(٣) لما وقفت على احداها قدرت المسافة بين كل بئر والثانية خمسة اميال



ألمَيُونَاب ALMAYONAB

أو عيلمَن ، أو علَم الدينَاب تتألف منهما عموديتان وهم من ذرية رجل وفد على الشيخ ناصح بن عامر يقال إنه من نسل الشريف علم الدين الأرتيقي، فزوجه ناصح ابنته شقيقة على عكسه ، فرزق منهما ولدان هما « علم الدين » و « نور » ولما تزوجا أعطاهما جدهما قريتين من البجة بأموالهما — فأطلق عليهما « عيلمَن » و « نور » حتى كثرت أموالهما فانفصلا عن بعضهما ، ولا تزالان عموديتين تابعتين لدقلل — وقرر دقلل جيلاني فصلهما تحت عميد واحد سنة ١٩٣٥ .

وعين عليهما عميدا هو الشيخ محمد عثمان عبد الله (اهداء القرى البجاوية والمال والسيوف الجيدة والخيل لابن البنت عادة مستأصلة في بني عامر ولكنها زالت في السنين الأخيرة من الوجود إذ تحررت القبائل) . ويوجد كثيرون من أبناء الأرتيقة في إرتريا ، وكل من تلقاه منهم تجده يحتفظ بسمعة قبيلته .

وهم موفورو الكرامة يحترمهم كل من معهم لتحليهم بالكرم والشهامة .
ولو لم يكن منهم فى إرتريا غير السيد عبد الله مربقاى لكفى لأن دماثة أخلاقه وحسن معشره جعلته مرموق المكانة مهاب الجانب سباق إلى الفضائل .

« مَنَّعَابْ » Mannaab

أو مَنْعَة ، هى قبيلة اشتهرت فى أيام نظارة بنى عامر الأولى بالظلم والاستبداد . وكانت تسكن بجوار بنى عامر وحقره ، فنزل عندها الشيخ على ابن البدوى[1] ، ضيفا بقرب جبل كسلا فلم يكترثوا به . وكان كلما قرأ القرآن أساءوه حتى إنه إذا أقام الصلاة لكزوه بعصيهم وأيديهم وسحبوا من تحته فروة الصلاة ، وإذا أراد الوضوء خطفوا منه الإبريق وهو صابر على أذيتهم .
ولشقائهم اتفقوا فيما بينهم ذات يوم على قتله ، فقتلوه ، ثم قطعوا يديه ، وصاروا يضربون بهما على النقارة بدلا من ضربها بالعصى .

قال صاحب طبقات ود ضيف الله عن الشيخ صالح ولد بانقا « وصل إلى الشيخ إدريس (من الهدايا) شىء قط من أموال هذه القافلة إلا العشرة الملحقات المصرورات فى شملة الشيخ بدوى ناولها إياه والشيخ أعطاها لامرأة جالسة على سرير لا أدرى هل هى زوجته أو أجنبية » .

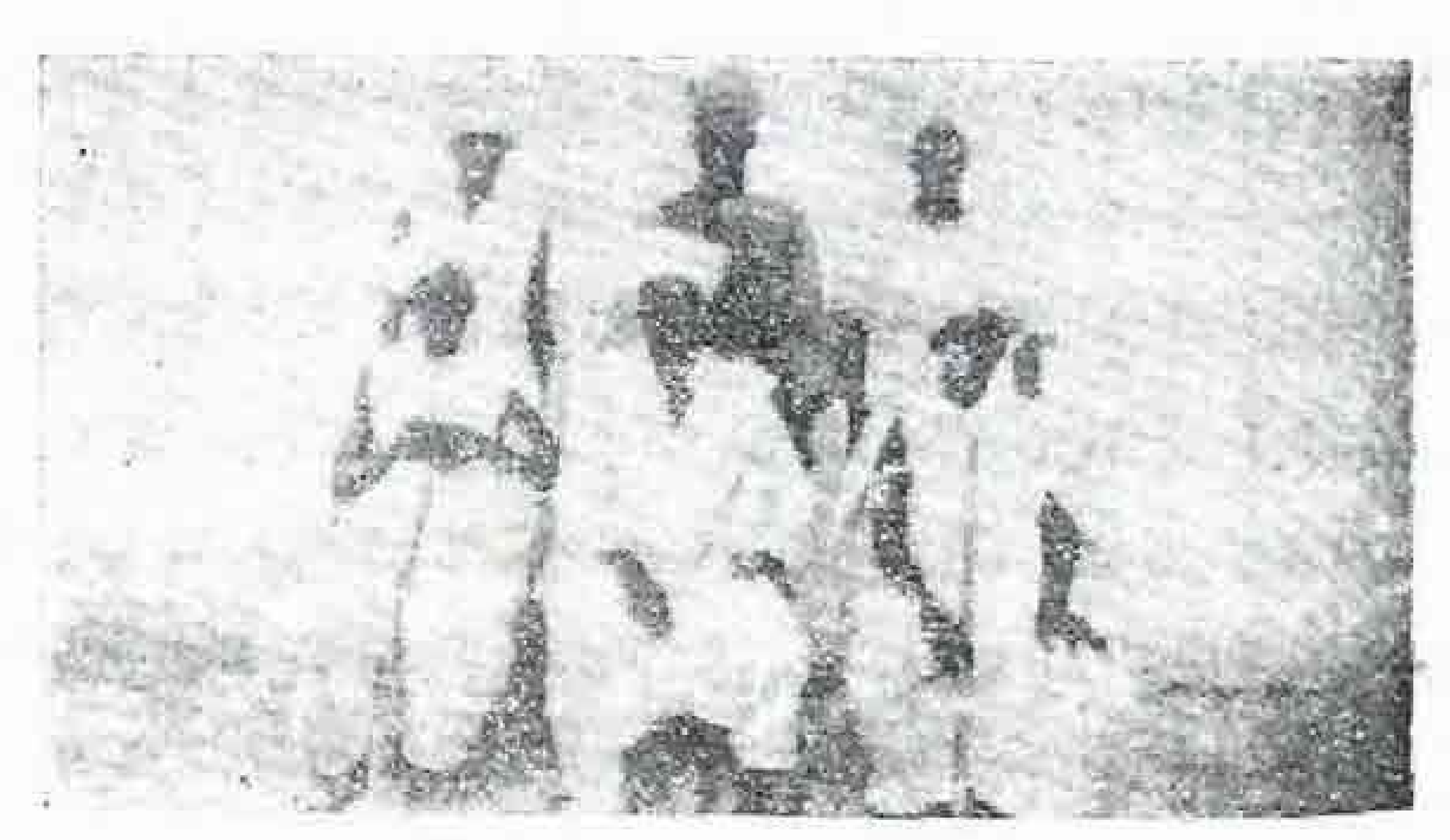
وذكر صاحب الطبقات وفود الشيخ على بدوى مع الشيخ محمد فايد إلى الشيخ إدريس محمد الأرباب ، فقال « ثم يأتون الشيخ محمد فايد وجماعته »

---

(1) قال لى حفيده انهم من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلانى — وأما قبيلة «مقماب» هذه فانها عبرت الى مصر عن طريق طور سيناء ثم السودان مع قبيلة «محمد كلب الشامى» .

المحل الذى فيه حلة ولد أبو دليق وفى وقت حضر معهم الشيخ بدوى شاب صغير فى السن لابس شملة رباعية ووالدته قد كانت توسلت إلى الله بالشيخ فيه ونذرت بقرة وعشرة محلقات فضة نقالات لولد فايد ولدى لاينقطع منك لكثرة الخلق فإن العهد لاتسعهم الحلة ، ونزولهم عادة خارجها » . وبعد أنه فرغت مقدمة من قتل الشيخ على بن البدوى سلط الله عليهم بنى كلب فقطعوا دابرهم وانقرضوا جميعهم هـذا وقد مررت بمقابرهم فى طريقى إلى دقه دقلل بالخرودت .

وبقى اليوم من نسل الشيخ على البدوى بجهة كسلا الشيخ موسى ابن شيك قد استوطن مع بقايا قبيلة حفره وله بينهم مكانة سامية واحتراما كثيراً — وتوجد فى تلك مدرسة صغرى .



لفيف من أبناء بنى عامر فى دقه دقلل

« عند كَلِب »

يطلق هذا الاسم على القبيلة التى أنشأها الشيخ محمد بن كاب وكان قد حضر ومعه بعض الأشخاص إلى قرية « عَليدْ وَة » (Alend-wa) ونزلوا ضيوفا عند الشيخ « قو بيلاى » (قصير الأذنين)[1] ابن على ، ومعهم كلاب صيد . فسأل قو بلاى الشيخ محمد بن كاب عن محل حضورهم ، فقال نحن جئنا من أرض الشام عن طـريق الحجاز إلى السودان بتجارة ، ثم بعنا منها فى سواكن وكسلا . (التجارة كانت سبح من اليسر والكهرمان والسوميت وسائر الخرز) وأصاب فى كسلا تجارتى بعض الركود ، وضاقت بنا سبل المعيشة ، فاقتنينا الكلاب للصيد والحراسة . ورزق محمد كاب من بنت قو بلاى ولداً أسماه « على فـكاك » ، ثم تزوج الأخير بابنة محمد بن موسى ورزق منها إبراهيم وإدريس ، ثم تزوج بابنة عيسى الشولانى من البشاريين فرزق منها أكد (الذى أنشأ قبيلة الثعاب) وأما إبراهيم وإدريس فقد أنشأ قبيلة « هاشبرى Hashbirt ».

« على فـكاك بن محمد كاب »

كان معاصرا للدقلل إدريس أولباب وقد قاتل قبيلة « عَطَوى Atawi (وهى نوع من حمران الأرنيقة) زمنا طويلا حتى كادوا أن يبيدوا قبيلتهم . ولكن أعانه الله عليه واستولى على نقاراتهم وكذلك وترهم[2] . السمى باسمهم وقد انقرضوا .

---

(١) وفى رواية انه حضر ومعه خادمه .

(٢) كان اسمه عطوى وهذا من قبائل البجـة وهو سلب النقـارة والاوتار من المنقرضين .

كانت مع على فسكاك نقارة أخرى وجدها والده محمد كاب فى إحدى الدمن[1] ، واشتهر على فسكاك بانتصاره على اثنى عشر فارسا من عطوى هجموا عليه ففرق جمعهم قتلا وجرحا ولسان حاله يقول :

« ولقيت الأبطال فى كل حرب × وهزمت الرجال فى كل واد وتركت الفرسان صرعى بطعن × من سنان ويحكى رؤوس المزاد[2] .

« دقلل أكد بن على فِسكاكْ »

هو الذى قتل ناظر حفرة الأخير الذى ضمنت بعد وفاته حفرة نهائيا لسلطنة الزرقاء . واشترك دقلل أكد بن ناصح فى القتال ، فلما سمع ملك الفونج بنصرهما أنعم عليهما بوظيفة « دقلل » . وكان أكد ناصح يتحصل الزكاة من كل من سكن خور بركة حتى سواحل البحر الأحمر ، وأكدْ على فسكاكْ يتحصل ممن حول نهر القاش حتى حانت منيته وتوفى ونشأت بين صد كاب ومنعاب عداوة مستحكمة تطورت إلى حروب يومية تبدأ من شروق الشمس حتى غروبها ، ثم يتهادنون إلى الصباح كما قال محمود باشا سامى البارودى .

ووضعو السلاح إلى الصباح وأقبلوا : يتكلمون بألسن النيران : وكان بعض مشايخ بنى عامر يضمون إليهم كل من ابتعد عن القتال ويحمونه من خصمه[3] .

---

(١) قيل انه وجدها بقرب توملت الضبانية آل وزائد .

(٢) الراوية للماء .

(٣) ذكرنا بعض حوادثهم فى دقلل موسى بن ادريس .

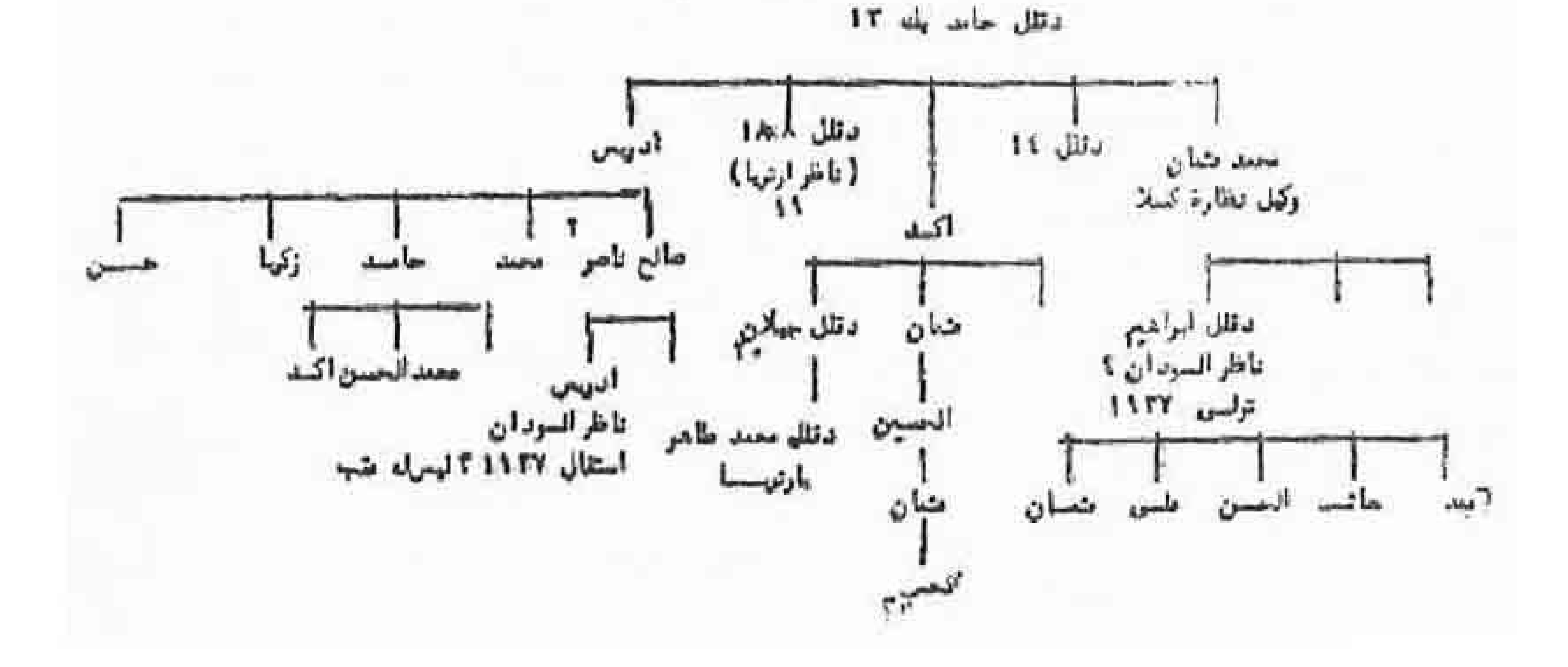
عد عمر ـــــــ هم ذرية ادريس بن ناصح بن عامر بن علي نابت

عامر

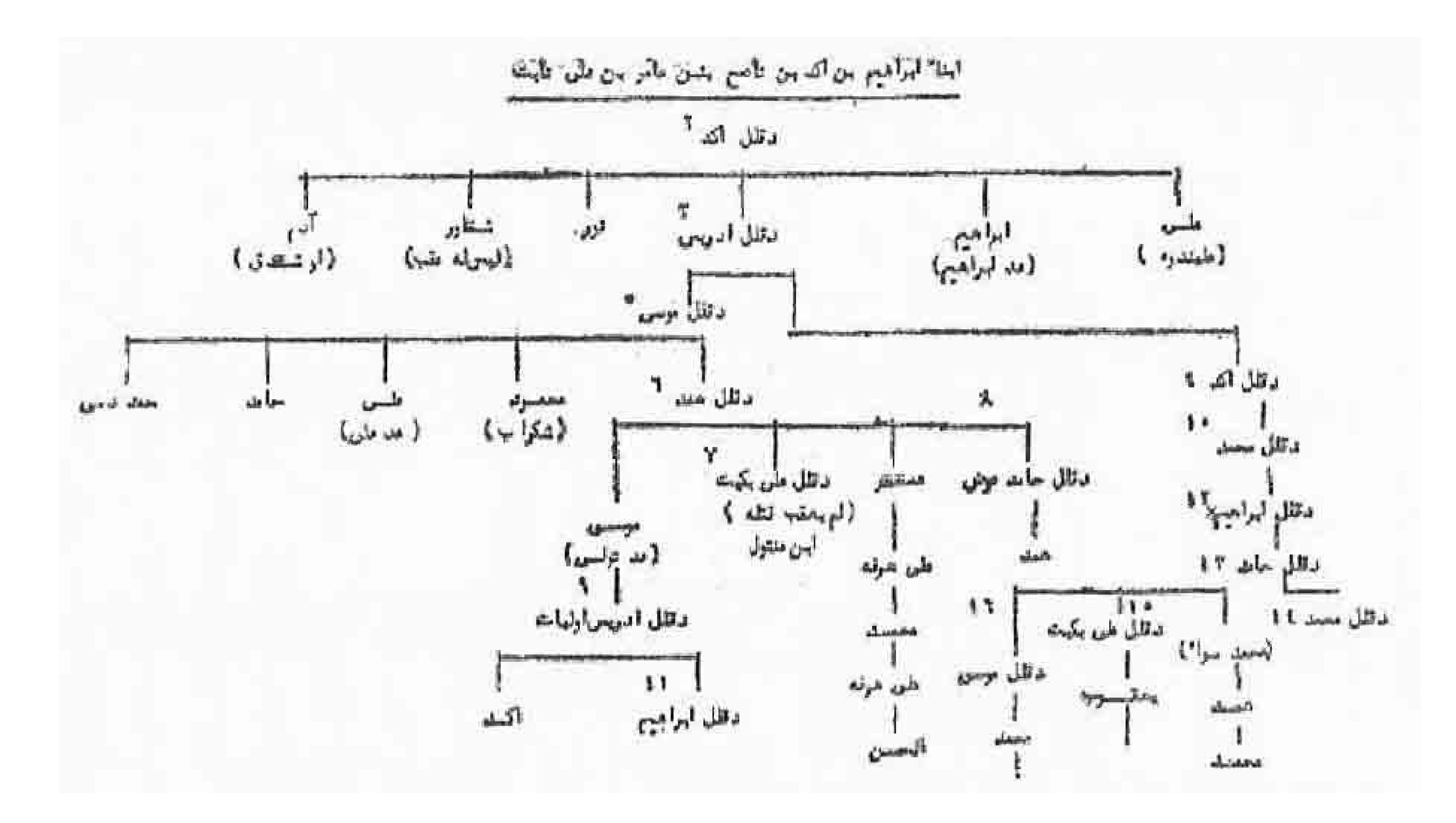
ناصح

أبو سعد | عوض الله | إدريس | اكد | علي عكسه

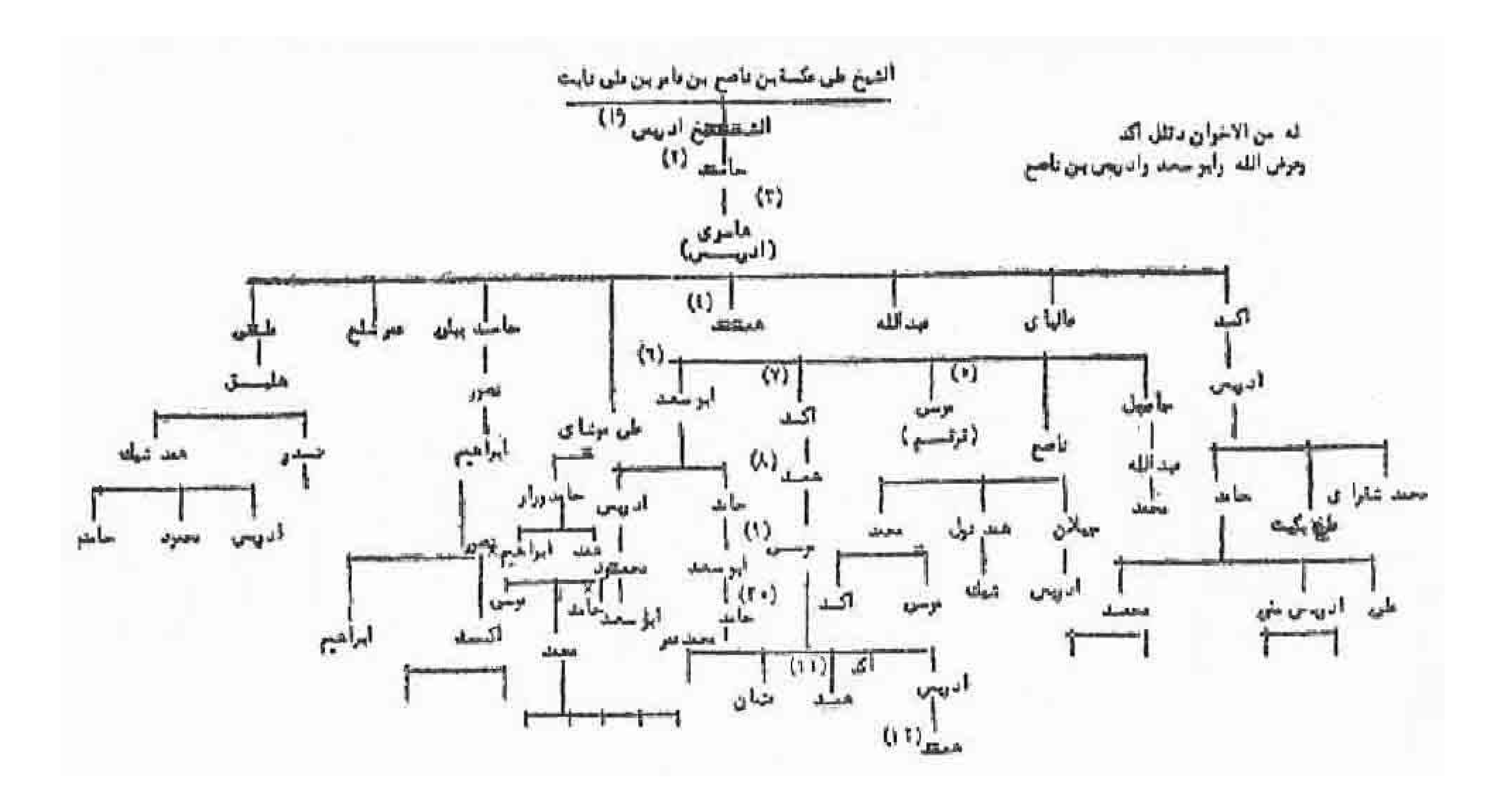
عمر | عامر | وشيتاب | الالم (المعلم) | حامد عوض | حسل | حبره | قلتفا (قلت أنا) | ناصح



دقلل حامد بك ١٢
ادريس
اكد
دقلل ١٤
محمد عثمان
وكيل نظارة كسلا
صالح ناصر
محمد
حامد
زكريا
حسن
ادريس
ناظر السودان
عثمان
الحسين
عثمان
دقلل ابراهيم
ناظر السودان
عثمان
علي
الحسن



دقلل اكد
دقلل ادريس
ابراهيم
دقلل موسى
دقلل محمد
حامد
على
دقلل حامد
دقلل على
موسى
دقلل ادريس
دقلل ابراهيم
دقلل محمد
الحسن



الشيخ على عكشة بن ناصح بن عامر بن على ثابت
له من الاخوان دتلل اكد
وعرض الله وابو سعد وادريس بن ناصح
ادريس
عامري
(ادريس)
عبد الله
ابو سعد
اكد
موسى
ناصح
اسماعيل
على موناى
حامد
محمد
ابراهيم
منصور
عمر شلع
عبد الله

وكان آخر مشايخ عد كلب فى الحكومة التركية هو الشيخ محمد بن حامد واليوم يتولى بقايا هذه القبيلة الشيخ حامد بن محمد حامد وقبل تسهيل سبل المواصلات بين القاش وسواحل البحر الأحمر يقولون لنا إن سكان القرى هم الكلاب والنساء ولا يتناسلون إلا إذا جاءتهم كلبة أنثى. وقالوا إن الضيف يستقبله الكلاب ويأخذ منه الجراب والسيف ويضعه فى المنزل. فكنا نعجب من سماع هذه الخرافات.

إلى هنا وقد انتهينا من قبائل النابتاب بما فى ذلك بيت النظارة ومعاصريهم من الأمم التى نالت الشهرة.

وأما بقية بنى عامر فقد كانت مهضومة الحقوق، ولم يكن لها أى كيان مع هذه العناصر التى تغطى على سواها. والحمد لله قد ظهرت نظارات كثيرة تفرعت من النابتاب وأخرى من الحباب وكلها تحتاج إلى تدوين حوادثها أو ماضيها القديم وحاضرها الحديث إذ لم يكن للعنصرين السابقين أية قوة أو بطولة إلا بالقبائل التى تحررت، فهم قراة الضيوف، وحماة الألوف، ورجال الضرب بالسيوف — إن التطويل الذى كتبناه عن النظارات الآتية لا يفى بغرضنا لذا نطلب من الله أن يحقق لنا ما نريده من الإسهاب على يد أبناء الجيل الجديد.

وهاك أسماء القبائل التى تحررت فيها قبائل ونظارات كبيرة بارتريا فى مديرية أغردات:

أسماء القبائل	أسماء النظار: الشيخ
أبو حشيلا (أبو حشيله)	فرج إدريس

أسقده	داود إدريس
أملندة وعجيلاب	عبد الله محمد فريتاى
القدين	أبو بكر حامد
القمورداب	محمد على داقوت
المسده	عثمان عبد الرحمن
باريسا	محمد أرى عقبه
بيت عوض	حامد نوراى عبد الله
حماسين	صالح على نمكوش
رقبات	محمد إبراهيم على شاطر
سيدرات	حق الدين أحمد
شكراب	محمد ود حسب الله
عد محمود	الحسين صالح حاج
عد يعقوب	آدم سليمان
كربكتاب	محمد حاج أدره
كوناما	فايد تورنمالو
لسبت (بجه)	إدريس كيرو
ولعو (ولد نمو)	حامد على محمود
نابتاب	محمد طاهر دقال جيلانى
مختلطة	حامد محمد اسماعيل

كما تنطلق بالتيجرى وتعريبها « آل عمر »

أنشأ هذه القبيلة الشيخ عمر[1] ابن حمد بن إدريس بن ناصح بن عامر الشايتابى ، وأشهر مشايخها هو الشيخ أكد بن هِرْوِدَة[2] . وسار عمر وبنوه من بعده على العادة المشهورة فى القبائل العربية وهى ضم كل عائلة أو قرية ينوخ عليها الدهر بكلكله فيجد زاأرهم بعضا من أسقده وألمده وفضل ولبت وطار جيلى وستعيت وكثيرا من التيجرى والحماسين والبيجة . وينقسمون إلى ست عموديات (بدنات) كبيرة ، وكل عمودية تنقسم إلى عدة حصص[3] . ويرأس الجميع اليوم الشيخ أكد بن محمد بن أكد بن هرودة .

وكانت هذه البدنات قبل المهدية يسكن نصفها بالقنوب وهم :

١ – عد حامد أود وعمدتها هو الشيخ حمد كسولاى .

٢ – عد حميره وعمدتها هو الشيخ محمد شقراى .

٣ – عد الألم وعمدتها هو الشيخ إدريس عبد الله نصور .

ويدفعون جزيتهم إلى دقلل (ناظر بنى عامر) بعد أن ينصب خيامه فى

---

(١) لما اراد عمر الانفصال اتفق مع اخيه «قلتنا» Gultana أو «قلتة أنا» وضم اليه أعمامه ناصح وعامر وتآلفت من بنيه الثلاثة «حميرا وحامد عوض (أود) وعلى علم (الالم)» .

(٢) قتل فى دقة دقلل بيد بعض من أقاربه وتمكن ابنه الشيخ محمد اكد من الفتك بقاتلى أبيه بعد أن انضم الى جيش المهدية .

(٣) والى وقت قريب كانت تتفرع من الحصص أجزاء تسمى شرفاف (Sherfaf) .

حلاييب أثناء شهور الشتاء ، والثلاث البدنات الآتية تسكن خور بركة والقاش وهم :

٣ — عد ناصح .

٥ — عد قُلْهِمَا .

٦ — حَسَلْ .

وهم اليوم خمس بدنات ولهذه الثلاث شيخ خط يقيم فى محكمة تسنى هو الشيخ أكد بن محمد أكد هروده . واشتهرت هذه القبيلة بحب الغزو لكثرة عددها ، ومساحة أراضيهم الواسعة تساعدهم على التمادى فى الشغب . وتصفهم القبائل بشدة الشكيمة ، وهم مجاورون للهدندوة من الشرق حتى نهر عطبرة وسهنيت ، ويرحلون على ظهور الثيران إلا مشايخهم فيمتطون الإبل والخيل ، ويقضون الشتاء فى ضواحى عقيق وعَدْ وبَنة والجبال المجاورة لها . ويصيفون بين كسلا وضواحيها يارتربا ، ومثلهم القايداب وعد إبراهيم . وكلهم يعتنون بتربية الإبل والبقر والضأن والغنم — واليوم فيهم مفتش حازم فى منتهى الجود والكرم هو السيد محمد ابن أكد هروده يحكم مركز تسنى وضواحيها .

وفى إحدى سنين الشتاء السابقة جاء إلى شيخهم رجل يقال له « إدريس ابن قيبيح مورتعو[1] وقال له « أنا قتلت تسكليس بن كمتيباى اداد (أى ناظر الحباب) » . فقال له لقد أتيت بمصيبة عظيمة — لماذا قتلته ؟ فأجابه بينما أنا أبحث عن قاتل أخى إذا بى أشاهده فى ركاب تسكليس ، فانتظرت حتى نزلوا

---

[1] وتعريبها أدريس بن «قبيح» أحمر ومور هو «عصاه» ابن ابو عصا حمراء .

بقرية حاج موسى بجوار جبل شابوى ونزلت بقربهم حتى أظلم الليل ، ثم جئتهم وهم نيام ، فطعنت أحدهم متأ كداً أنه قاتل أخى[1] ، وإذ به يكشف عن وجهه ويحاول القبض على ، فعلمت أنه تكليس وأنى أخطأت . فأيقظ القتيل رفاقه وجروا خلفى ، ولكنى نفذت منهم بسرعة الجرى . والآن جئت إليكم مستجيرا من الحباب لعلمى بأنكم أكبر قبيلة فى بنى عامر . فهل تجيرونى أم تسلمونى للحباب ؟ فأرسل العميد فى طلب المشايخ وذكر لهم القصة . فقالوا (جميعهم) نجيره ولو أننا لا نعرفه ولا هو يعرفنا . فقال له الشيخ ادخل واندمج فى رحالنا فقد أجرناك – ولن يصيبك إلا ما يصيبنا . فارتاحت نفسه وعاش معهم مطمئناً .

وسمع اداد[2] خبر مقتل ابنه وهروب القاتل فاستعاء جداً من مشايخ عد عمر ولكنه كتم غيظه حتى انتهى فصل الشتاء وبدأوا فى الرحيل لخور بركة . فسار خلفهم بعصابة من أبناء الحباب ، فأدركهم فى خور عنسبه وقد اندمجوا فى قرى أبناء عمومتهم (عد أ كد) فحاول أن يجد منهم غفلة فلم يقدر على القاء رجل من عد عمر . وكلما هم بقتل أحد وجده من عد أ كد . فأرسل رسولا إلى الشيخ بَيْدْ عمدة عد أ كد وطلب منه « إما أن يسلمه اقيفا من أبناء عمر ليقتلهم بابنه ، أو ينبه على رجال قبيلته ، أن لا يفارقوا منازلهم فى يوم يتفق عليه قبل طلوع الشمس . فوافق الشيخ بَيَدْ على الرأى الأخير وعمل به هو ورجاله . فهجم اداد بعصابته على القرى ، فوجد سلمان بن اباب (من فرسان

---

(1) كان خادما لتكليس .

(2) كانت نظارة الحباب كنتيباى هداد بن نكاك والد اداد – وهذه الحادثة كانت فى أوائل القرن التاسع عشر للميلاد .

عد عمر) يضع السرج على فرسه . فقطع اداد رأس سلمان[1] والتفت بعد ذلك إلى يمينه فوجد عدلان بن همد لياب يريد أن يضع رجله على ركاب فرسه ، فأدركه وقطع رأسه . ثم أدخل اداد سيفه فى قرابه وهو يقطر دما ، وقال إن قتل هذين الفارسين يكفيان دمابى تسكليس . ولكن حبابى آخر قتل الشيخ ناصح (من رؤساء النابتاب) .

« قتال عد عمر وعد إبراهيم »

هما أبناء عمومة ولكن إذا كثرت القبائل تتباعد الأنساب بينهما ولا يوحدها إلا غزو قبيلة أجنبية عنهم . ونذكر هنا كيف فى سنين الشقاء فى جهة العقيق حدث هذا القتال ، فكانت إحدى قرى عد عمر ضاربة خيامها بين توكر والعقيق وبجوارهم قرى عد إبراهيم . فتشاجر أبناء أسناى بن شيك ابن ناصح (من عد عمر) مع أبناء همد حجّينا (حاج) من ذرية إبراهيم ، فذهب والد الأخيرين إلى أسناى ومعه بعض مشايخ عد عمر ، فقال لهم يا أبناء العمومة أصلحوا بين أبنائى وأبناء أخى أسناى . فضحكوا عليه واحتقروه وتهكموا عليه كلما ازداد فى الشكوى واستصغروه . فقام من مجلسهم غضبان وفى اليوم التالى تراشق الأبناء بالحجارة واشترك فيها الآباء . وأراد شيك بن أسناى أن يضرب أحد أبناء همد حجّينا بالسيف ، فتلقاه الأخير بالدرقة ، ثم حمل عليه وقطع يده وقال له لا تجزع يا أعمى شيك فإن هذا أول الشر بيننا ، وقتل رجل

---

(1) كان مع اداد بعض أقاربه لمثال «همد حمبورى بن كنتيباى ادريس» ويقال انه قطع فخذ سليمان ومحمد على متيل نصر الدين من ابناء عمدوى اشترك مع اداد فى قتل عدلان اذ ضربه على جمجمته فشج رأسه .

آخر من أبناء عمر وجرح نحو اثنى عشر رجلا ، ولم يقتل من أبناء إبراهيم إلا ثلاثة منهم جرحوا ، ثم تهادنوا لحين مجىء ناظر أبى عامر .

وفعلا حضر وقبل على بخيت حمد وابن أخيه حمد محمد فنهوهما من استئناف القتال فامتثلوا ظاهراً وتواعدوا سراً على القتال فى شابابيت بحور بركة . ثم ارتحلوا ، وبعد شهر من رحيلهم حدث القتال بين الأشراف والسكيلاب كما حدث قتال بيت أسقدى وعدقة . وفى ربيع الأول سنة ١٣٠٠هـ حدث قتال عامرى وبيت معلا

سبق أن ذكرنا إجارة أبناء عمر (حتى) لمن يجهلون ، وهذا مدون لهم بسداد الفخر مثل حادث « أم ألتو Om-Alto » وهى امرأة من نساء عد عمر كان لها ولد واحد ، وأخذ ذات يوم بقرة من أحد رعاة بنى عامر من غير إذنه وذبحها ، فجاءه الراعى وقال له « إننى إئتمنت على البقر من حيوانات وحشية وآدمية فيجب أن تسلمنى بقرة عوضاً عنها . فقال له اذهب لبقرك لأننى بعد أكل هذه سأعود إليك لآخذ أخرى . فاغتاظ الراعى وطعنه بحربة ثم جرى خلفه جماعة عد عمر حتى ضيقوا عليه السبيل وعجز عن الإفلات منهم ، فرأى بيتاً بعيداً عن القرية فجرى حتى دخله فوجد فيه امرأة فقال لها « أجيرينى من الرجال الذين خلفى لكى يقتلونى » فأخفته ، فجاء أهلها وقالوا لها سلمينا الرجل الذى دخل إليك الآن نقتله . فأقسمت أن لا تخرجه لأنه استجار بها . فقالوا لها إنه قتل وحيدك ، فقالت وإن يكن فإنى أجرته وكل من يمسه بسوء أعتبره قاتل ابنى وأطالبه بدمه . واستشهدوا بأبى تبنيته بدلا من ابنى . فرجعوا منها وهم يحمدونها ويثنون على شهامتها .

وقد أثنى عليها كثير من شعراء القبائل ، وأصبحت مضرب الأمثال

كالسموأل فى العرب . وقد ذكرها محمد عورن بن شيك عجيل فى إحدى قصائده التى عدد فيها الأبطال الذين أجاروا المستجيرين ووفوا[1] لجيرتهم أمثال أم ألتو وجلودْ الذى استجارت به إحدى قبائل التيجرى فساعدها على الحرب من الرأس الولا سنة ١٨٨٤ م وكذلك أبناء تكليس[2] الذين أجاروا كنتيباى هداد بن محمد وأولاده بعد أن عزلهم من النظارة الحباسية جرجيس بن قرنيت وولاها لكنتيباى محمد بن جاويد .

وحوالى سنة ١٨٨٧م جاء الشيخ محمد عمر كُنْولاىْ حمدة عمر إلى الأمير عثمان دقنه وطلب منه أن يأذن لقبيلته بالعودة من خور بركة إلى شعْبَت (جنوب تو كر) فى فصل الشتاء ، فأذن له بذلك ولكنهم لما وصلوا « مَكَات نَافْ » قابلتهم عصابة لصوص من بيت معلا وحباب وعامرى فقتلت منهم ثلاثة رجال ونهبت بعض الإبل والأبقار والأغنام . فشكا الشيخ كنولاى إلى الأمير عثمان دقنه وحصر التهمة فى الشيخ أكد موسى حمدة عامرى ، وادعى أنه هو الذى حرضهم على النهب والسلب . ولكن أكد تنصل من التهمة وأحضر شهوداً ببراءته فاستاء كنولاى من الحكم ببراءة أكد وفارق هذه الديار نهائيا مادام فيها أكد الذى يقلق راحة جيرانه وإخوانه وهو الذى يؤلف العصابات ليكل من لا يخضع لسلطته . ويروى أنه أرسل عصابتين للعجيلاب (أصهاره وجيرانه) فجُرح قائد الأولى وأخذوه

---

(1) قال قصيدة يعاتب فيها نايب محسوع وذويه لأنـــه رفض أن يجيره من الحباب .

(2) تجد ذلك فى حباب تكليس (واقعة شنقيرا) وجلـــود فى جمجـــلن حماسين حباب .

الجراح حتى عجز عن الحركة وهو حمد إيلاى وثلاثة آخرون واستردوا منهم كل مانهبوه[1] . وأرسل الثانية فى سنة ولايته العمودية .

(واقعة عكات[2] تأف)

كانت تقيم فى هذا المكان قبيلة عد عمر وهى أقوى وأغنى قبائل التابعات، وكان عميدها قد اشترك فى مساعدة أبناء حمد حامرى[3] ، على المعلاويين ، وأرسل أخاه بعصابة[4] ، أخرى إلى جهة عرقلاد ، فوجدت قرية الشيخ محمد وشوك فقتلوه ومن معه ، واستاقوا جميع المواشى التى وجدوها . فاستاء كل حامد كل ذرية حمد حسال (إخوانه) بيت العمودية وقرروا غزو عد عمر وعكات تأف بذنبة السرحة فجمعوا جموعهم واستنجدوا بكنتيباى حامد سرقنى أرسل إليهم ثلاث عصابات أحداها برئاسة فيتاأورارى برم بلاس تلق ، وبهتا حدوس[5] ، وأبو قردمه . قال لى محمد بن جمع من مداين ... شاهيريت مملا) أرسلنا ثلاثة أشخاص برئاسة حامد كامل كانوا اناى

---

(1) التجار الفارون بكنتيباى حامد وأجارهم فعادت منهم النجدة ، برئاسة الشيخ ضرار على .

(2) عكات تعريبها دوم وهى تيجرية . وتأف بجاوية ومعناها «ظفر وهو ... حوله سيل .

(3) أرسل ثلاثة من أشجع رجاله وهم محمد عمر كسولاى ، ومحمود ... على ، وآخر اسمه حمد عمراى .

(4) اشترك فى المعلاويين الا العجيلاب لان عمدتهم الشيخ ادريس محمد ... عجيل ضرار .

(5) الاول والثانى وفدا على الأمير عثمان دقنه فى سنة ١٨٨٤ وأسلما ... وبايعاه .

لينظروا حال القرى والمواشى وقوة رجال القبيلة المتوية، فعادوا إلينا وأفهمونا أن القوم مضطربون منذ قتلهم لحامد وسوُّك خطأ وأدل قريته ، واجتمعوا بكل مايملكون فى محل واحد ، وانتدبوا بعضهم لمراقبة الدروب والمسالك والمضايق، كما سوروا منازلهم بزرائب من الشوك . وأخفوا مواشيهم بمطامرها (قال محمد جمع : كنا نحن المملاويين فى غاية البؤس والفقر إذا استولى الحامريون على أكثر ممتلكاتنا وأصبحنا فى حالة يرثى لها من الفقر المدقع ، فطمعنا فيما يملكون ولو كان قليلا) . وشجعنا كلواناى على سرعة الغزو لأن الفرصة مؤاتية (كان همهم الأخذ بثأر حامد وسوك) وكانت المسافة بين الفريقين ثلاث مراحل يجب على الغزاة أن يقطعوها فى ليلة واحدة وإلا انكشف أمرنا للخصوم (عد عمر) ، وعندئذ لن نتمكن من الهجوم الخاطف الذى نريده . فقال لنا الشيخ محمد شوم بن إدريس : يجب أن تستولوا على كل شىء لأن موتكم صفر اليدين ، والحذر من قتل المواشى وأجابه كلواناى : نحن اليوم مائة رجل مسلحين بالرصاص والسيوف والدالق والحراب وستمرك نتيجة غزوتنا هذه . فودعناه ويممنا عد عمر ، وكلما التقينا بجماعة سألونا عن مقصدنا كنا نقول لهم إن الأمير عثمان دقنه أمرنا بالحضور إلى توكر ، حتى كان المساء أسرعنا[1] المشى وأحيانا الجرى لكى نفاجىء القوم عند الفجر الباكر وفعلا أحطنا بالمنازل ، وإذا بأحد العساكر يعثر فيقع وتنطلق من بندقيته الرصاصة ، ويسمع لها دوى شديد ارتاع منه أهل القرية ، وخرج كل منهم بسلاحه ، وفر الأطفال والنساء إلى الخلاء ، وتسلقوا جبل عكات ناف وتركوا

---

(1) قال محمد كميل فى قصيدته «حتى معلاى وديته بلش Balach وشريب وحيبر الثلاثة الأخيرة أسماء محلات — يقول قطعناها فى ليلة واحدة.

كل مايملكون . فوقفت (محمد جمع) على باب زريبة ، وإذا بشاب من نابعاب « عد قرين » ذرية كسولاى فى منتهى القوة والشجاعة يكر علىّ وعلى من حولى ، ونحن نفر من لقائه وهو يزداد جرأة وإقداما ، ويحلف بالله أنه لن يمكننا من أخذ المواشى مادام حيا ، ويقذفنا بالحجارة والعصى ، وبجانبه عروسه تناوله كل مايقذفنا به من الأوتاد ، وعليها ملابس فاخرة ، وتزيده حماسا كلما خارت قواه بقولها : اليوم يومك ياحامى الحى والنساء من السلب والنهب . فهجمت عليه من الأمام وأخى إدريس من الخلف وقتلناه بعد أن دوخنا رأسه بالحجارة والأوتاد . فخارت قواه وفتحنا باب الزريبة وقتلنا كل من صادفناه وإذا بحامد كلواناى يلق عمدة القبيلة ويقول له ألا مفر لك اليوم نحن جئنا فى طلبك وإذا بأخيه شريف بن كامل يمسكه ويقول له ياحامد نحن أبناء كامل شبعنا من سفك الدماء فليقتله أحد إخوان حامد وسوك . وتنحى بأخيه ونادى أبناء إدريس حامد وقال لهم اقتلوا هذا العميد بأخيكم . فقتلوه ، ثم خرجت إليهم زوجته بملابسها فجردها خادمهم من ملابسها[1] ، وقال لها لاتجزعى فإننا نعاملك كما عامل أهلك يوم واقعة « عرّقلادْ » وبعد الانتهاء من واقعة مكّات تألق أنه شاعر المملاويين الشيخ محمّد كميل بتحيّتْ الضحى وتعريبها (ابن أسد الضحى)[2] يخاطب فى قصيدته فتيان عد عمر ويصف الواقعة وكيف دار القتال وانتصار العصابات وانهزام عد عمر وكيف شتتوا شمل القرى شذر مذر كما فى القصيدة وسنقتطف بعض أبياتها فيما بعد .

---

(١) اسمه بتعاى خادم حامد وسوك .

(٢) لقب به لشجاعته وكفى عد عمر فخرا «أم التو» التى أصبحت مضرب الأمثال فيقال «حسب أم التو» (أى المستجير بأم التو) . وأطنب شعراء عدة قبائل فى مدحها .

وزعيم أبناء عمر هو الشيخ الوقور أحمد بن محمد هروده يرأس محكمة مركز نسيتي ، ويتمتع بسلطة واسعة وامتازت أحكامه بالخبرة والدراية ، وله ابن يجيد الإنجليزية والطليانية واللغات الإثيوبية صاحب خلق عال جدا ، ويشغل وظيفة مفتش تلك المنطقة ويدعى السيد محمد أحمد هروده فمنذ توليه هذا المنصب قطع دابر كل عابث بالأمن .

كنا نريد الاكتفاء برواية محمد بك موسى (ناظر الهدندوة) فى وصفه لقتال « عد عمر والويلمياب » فى مقتل إبراهيم رَحَلْ ، وها نحن نصف ذلك هنا حسب رواية « عـــد عمر » أنفسهم وهو مارواه لنا الشيخ أحمد ابن هروده[1] الذى امتدح شجاعته كثير من شعراء بنى عامر .

« مقتل إبراهيم رَحَل (رَحَلْ) »

هو من ويلمليياب الهدندوة — كانت له إبل كثيرة ترعى فى جهة شكبرب Shakbarb بقرب « طل جَبَرَتْ » زمنا طويلا ، وهذا المكان مشهور بجودة مراعى الإبل . وفى أحد الأيام سطت عصابة من نابتاب عد عمر (أبناء ناصح بن عمر) على الإبل المذكورة ، فسمع إبراهيم رحل بذلك ، فجمع كل الويلمياب المجاورين لحدود بنى عامر لاستردادها . وبينما هم فى الاستعداد امتطى جواده وسار خلف العصابة التى كانت بقيادة عمر ناصح كامنة فى غابة هناك ، وإذا بإبراهيم يمر بشجرة اختفى فيها عمر ، فلما حاذاه طعن عمر

---

(١) توفى سنة ١٩٦٢ بمدينة تسنى ، واشتهر بالحزم وكرم الضيافـــة بين جميع مشايخ بنى عامر ، وله ابن اسمه السيد محمد احمد مفتش بنى عامر الغرب تسنى .

ضربه إبراهيم رحل فى جنبه الأيسر نفذت من الأيسر فسقط من على جواده فقطعه عمر بسيفه إربا ، وركب جواده وغنم سيفه ، وذهب إلى أهله . فاستاء لمقتل إبراهيم (ناظر بنى عامر) من قتل إبراهيم رحل — وجاءت نجدة الويلمياب فدفنت القتيل ولم تجد أثرا للمصابة . فتجمعوا هناك — كل من الفريقين — حتى جاء الشيخ موسى إبراهيم وعاتب الويلمياب على التجمهر والتجمات ، وقال لهم : إن أبناء عمر هم جيرانكم المستديمون ومراعيكم ومراعيهم وإياهم واحدة دون سائر بنى عامر ، فلا يصح أن يضطرب حبل الأمن بينكم ، ولا تنسوا أنهم فى بنى عامر مثلكم فى الهدندوه ، فإذا مات منكم رجل غدا تجدون من تقتلونه بثأره ، وإذا نهبت منكم إبل فها هى إبلهم بمكنتكم أن تأخذوها . وأمر الهدندوة بالانفضاض والرحيل إلى ديارهم ماعدا خليل وأخيه محمد رحل وبعض ويلمياب العثمانيين (وهم السكواب والعشر أبناء الشيخ ويل على السكبير[1] ، ووالدتهم من الترحاب) ، وأقاموا فى الحدود لأخذ كل مايقع تحت أيديهم من مواشى بنى عمر .

« مقتل إبراهيم رحل »

واشتهر بعد أبناء رحل بإقلاق حبل الأمن فى حدود القبيلتين رجل من بنى عمر اسمه « محمد بن خرقم » وكان قويا وشجاعا وشريرا عاتيا ويغير على كل قبيلة لا تعطيه ما يطلب سواء من بنى عامر أو الهدندوة أو غيرها . ولما كثر ضرره وضجت القبائل من أذاه قام شرير مثله من الهدندوة « أحمد

(1) المدفون فى «توقنوف» قرب سنكات .

ابن موسى بأنو (من ويلوماب القلاَّبْ نِيرَ) ومعه صديق اسمه قليب Gileeb (من عمَرْ)[1] . فركبا ذات يوم جواديهما ونهبا مواشى محمد مرقم ، فركب جواده ولبس درعه وسار وحده خلفهما ، فلما دنا منهما برز له أحمد موسى ورماه بالحربة وطعنه فى صدره فسقط من على جواده ؛ فأدركه أصحابه وهو على قيد الحياة فقال لهم « قتلنى قليب[2] » ، فحملوه وعادوا به إلى القرية ؛ وكل من الناظرين يتمنى دائماً الخلاص من رؤساء العصابات لأنهم يعرضون حياتهم للخطر ، وأمن القبائل للاضطراب والاستهتار بالشرائع والقوانين .

نقلنا مقتل إبراهيم رهل هنا حسب رواية بنى عامر نايلتاب ، كما نقلناها فى الهدندوه عن محمد بك موسى ، ولا يوجد فرق أو خلاف فى الروايتين أبداً — وهذا يدل على توخيهما الصدق حتى فى الحوادث القريبة من عصرنا .

قالت شاميت بنت أدرات درجانه عد عمر) تخاطب كنتيباى اداد بن هداد فكاك[3] :

إداد وَدْ هِدَادْ أَكِيَ جادِيْ كَفْأَكَ

(يا إداد بن هداد لقيت أتيت شيئا مخجلا)[4]

« سَكَيْ إبكُونْ إبْ مِسُّولْ حَقُو دِجِي إِتَدَمْتَا »

---

(١) العمر والمقر هما من قبائل الهدندوة التى كانت تقاتل بعضها بعضا على ضفاف نهر عطبرة الشرقية وقد مررت بمقابرهم هناك .

(٢) مع أن قاتله كان أحمد ، ولكن لشدة بأس قليب أحب أن يتخلص منه .

(٣) كانت خالته عليه مثل كل أهلها لأنه قتل ثلاثة من فرسان عد عمرهم سليمان وعدلان وثالث — أخذا بثار ابنه تكليس من كنتيباى اداد .

(٤) هروب، قبيلتك .

(ليت حروبك كان بعد نهب القرى لنلتمس لك العذر)[1]

« شاوِبْ سِتَّتْ إنتأَكَ إتْ عَدْنا بنى عامر وإىْ سَكَا »

(إن شيخنا فى سنك عندنا فى قبائل بنى عامر لايهرب)

« على بكيت وَدْ إدريس لَ مَدْ جميةو سَمَكها مى إبسَمكها »

(ألم تسمع بأخبار على بخيت بن[2] إدريس)

« شيك ود عجيل إجلاً بارود آشهدا »[3]

(وهذا شيخ بن عجيل استشهد بالرصاص)

وكانت شاميت جميلة جداً يتسامر شبان عد عمر فى منزلها ويتطارحون الأشعار ويحتكمون إليها بقصائدهم .

ورد على شاميت محمد بن شيك عجيل مدافعا عن الحباب ومهزئا بالنابتاب قال[4] :

« دَجْيهمْ دَمتكم إتْ دجيكم تَرْدُو »

(أنتم نهبتم قرام فدافعوا عن قراكم إذا هوجمتم)

---

(١) كان الهروب قبل وصول الجيش .

(٢) احد شجعان عد عمر .

(٣) هو من زعماء العجيلاب كان مختبئا بقراه فى عيتربة فاصبح عليه [...]فى بك مدير كسلا والشيخ سليمان على ابى طالب الويلعيابى وكيل [...]رة الهدندوة بفرقة من الجيش واطلقوا الرصاص على القرى حتى [...]وها هى وقرى الحساب وهربت عدة قبائل من وجه اليأس .

(٤) كان يكره الشيخ موسى همد عمدة النابتاب «عاسرى» مع أن [...]بيت مدحت والد محمد عيون هذا فى شعرها .

« أَكبُودُ حَطُوطُو دِيبْ مَسَنُّو انتْدُو »

(شيجموا أكبادكم وأمرضوا اهل الربابة)

« بَأسُ بديرُمْ زَرَابْ إيكونْ ووضوء »

(البأس والقتال لاتظنوه مثل التيمم بالتراب أو الوضوء)[1]

ولم يقلع محمد عن هجوه إلا بعد أن تناولته فى قصيدة لها فاعتذر إليها .

وكان فى المجيلاب قبل محمد عيون شاعر آخر اسمه محمد تاثمى بن عجيل يكره أبناء هامرى، وقد هجا كل القبائل التى فرت من قتال الياس بك وأصيب هو بجراح شفى منها . ونأتى هنا على بعض من أشعاره قال :

« حَدَرْ إجِلْ بَارَ كُوبِنْ[2] قِيشُوتَاىْ أَعْلَنْدَا »

(تحضر لأجل ملاقاة أبناء بار كوبن قرى الأملندة القليلة)

عد شيك ود حامد من رِكِبْ إتْ طُوَتْى مِنْ ودًا (لما فرت القبائل من وجه سليمان بك والياس بك » اضطر آل الشيخ حامد أن يتوضأوا فى الأقداح بدلا من الأباريق » .

« عد هامرى ود حامد لأَنْسُهْ إنْدِمُنْتْ حَدْجَا »[3]

(آل هامرى بن حامد فروا بأنفسهم وتركوا نساءهم فى الدمنه)

---

(1) يقصد أنكم تكثرون من الصلاة وهى ليست كالقتال الذى هو ضرب بالسيوف وقطع المفاصل والأجسام .

(2) جد الهدندوة يقصد الشاعر ان غير قبيلته لايتحمل الاصطدام بالهدندوة لشدة بأسهم وكثرة عددهم . واعتاد الهدندوة والارتيقة والكميلاب غزو أراضى الحباب كلما اعوزتهم الحاجة للمواشى والابل التى هى بأرض الحباب تفوق الحصر .

(3) كانت حوادثها بين سنة ١٨٤٦ م وسنة ١٨٥٠م .

وهى طويلة وهجوها غير مستطيع لنا تركناها وكره بعض المشايخ حفظ مثل هذه القصائد لكثرة مافيها من الهجو الممقوت .

« عد عمر »

بمناسبة انتصار بيت معلا فى واقعة « ءكّات » نأف « حوالى سنة ١٨٨٥م على قبيلة عد عمر نقتطف بعض الأبيات من قصيدة شاعر المعلاوبين محمد كهل ابن أسد الضحى يخاطب بنات عد عمر[1] .

« هَدَ كَنْ وَحِنَا هَحَامِينَا حِبِّرِس إِبكُونْ وِسِتِرْ » .

(لقد اختلفنا نحن وأها ليكن بلا إخفاء أو إفشاء)

« إحِلْ وَلَتْ عد عمر حَاركى الى وأسْتِلْ »

(فأخبر بنت عد عمر ولا تخفى واحا لها)

« حجريای سبحاده لماله مِلوءُ مِنْ إكِلْ »

(طويلة العنق كأنها عود للقد المملوء عاليه بالذره)

« بَرْأرَى جَرُوبْ تحوَاتْ مِلوءْ مِنْ عطر »

(من جسمها اللامع وأفخاذها المملوءة بالعطر)

« سِجَاذْ مِرْ بيت شِئِيَابْ لَكِينْ وإندى تبل »

(رقبتها كأنها ناقة (قبيلة) الشئياب الذلول تتحرك جهتة وذهابا)

« يعنى إذا مشت لايتحرك من جسمها إلا رقبتها »

عَارُوس نَاوِدْ كَرِينا دِيبُو جَرُوبْ لَبقْنَا إِى يكهِلْ

---

(1) كتبنا الثاء ث فى نطق CH ، والجيم فى نطق G

(وضعنا على هذا الجسد الناعم جلود الغنم مع أنه لا يتحمل)

(قماش البفتة الدبلان)

« إقْفَسَن جَبِّي مِن إنفَسَن عَرَ جَلاَدْ لَفَجْرٍ »

(هل أخذنا بثأرنا أم لا يوم واقعة عَرَجَلاَد صباحا)

« فجر عكّات نَأفْ بَانْكَام إقم إب إسر »

(فى فجر واقعة عكات نأف قد تعاقدتم بالثبات)

« دِيبْ حُونَا وَدِبْنها لَمِسِيح موت إتْ شِفِرْ »

(فعلنا هذا أخذاً بثأر أخينا الذى قتل فى وسط القرية)

« سِمُهُ حامد انت وُوشُوكْ نَاربَى إتْ شِيكِرْ »

(اسمه حامد مضاف إليه وزائد لإستحقاقه للزيادة)

« أدّا مكن قاتلنا قلى وودوقتو إت شِفِرْ »

(قتلنا رجالكم وهاهم ميتون فى وسط القرية)

« تايبوت امكن أشكينا إى إنكن إتْ إبلْ »

(وهرب من قتالنا شجعانكم الذين كانوا يقولون لن نهرب)

« إبْ أميّفْ رايطّفهم سافيات لحروبْ غنا كل »

(ضربناهم بالسيوف الحادة القاطعة للجسم)

« وإبْ مَنادوقْ لا كَفَفِنْهُم بارود لأسات لأفجرْ »

(أطلقنا عليهم من البنادق بارودا تخرج منه النيران)

« إجِلْ هَلاّ إى تَجِهنا أمْبلاّ جَاى• حَنْ قِبرْ »

(لم نعمل حسابا المتبقين بل كان حسابنا لمن تحت القبر)

« وتَنرْه بَرْ• كَه كَوِ فينهُو أجل لِيموت إب دِير• »

(وهرب بعضكم إلى خور بركة وحتما سيموت بالجوع)

« أفسا كُنْ نَسأنا مَتيلا حِذجَت إى تَأسْقوِل »

(لقد استولينا على نياقكم ، متيلا ، لا تستحق أن تتركوها خلفكم)

« حا كِنْ نَسأنا نطوف وحِلِبْ واجِل »

(أخذنا أبقاركم الوالدة منها والحامل حتى العجول)

« أطالَسِكِن• نَسأنا أسِلكْ نَابِدْ وأبجِل »

(أخذنا أغنامكم حتى الحاملات والسخلات)

« كِرَى إديتو بَدِيرمَا حَلْحَلاى عَدْ حِدْ إى طَبِّرْ »

(هذا بدء وضع اليد والصديق لا يقطع الأمل من صاحبه) .

هم إحدى عموديات التابعات مثل عد عمر وعاسرى وأكد، غير أنهم أقل عددا من الجميع، ولكنهم شجعان للغاية، ولهم ثبات وجلد على القتال مع تحليهم بالأخلاق السامية، وترفعهم عما ترتكبه القبائل الأخرى من سلب ونهب وتكوين عصابات الخ. ولا يبالون بكثرة خصومهم — وكفاهم فخرا أنهم دائما فى قتال مستمر مع أبناء عمهم عـــد عمر الذين يبلغ تعدادهم نحو خمسين حصة (ست بدنات)، وعد ابرهيم بدنة واحد تتفرع منها تسع حصص. سبق أن ذكرنا فى عد عمر تواعدهما للقتال فى شاباتيت فسبق إلى احتلالها عد إبرهيم، وخيموا فيها واستعدوا للقتال. فأدركتهم عد عمر وبدأوا القتال. فانتصر عد إبراهيم فى اليوم الأول، وفى الثانى حضر دقال على بخيت بخيله ورجله ونزل عند آل إبرهيم وأخذ منهم عهدا بأن لا يغزوا عـد عمر لحين عودته منهم. فامتثلوا، وذهب إلى عد عمر وهددهم إذا لم يتركوا قتال عد إبرهيم فإنه سيغير عليهم بفرسانه فلم ينصتوا لكلامه ورشقوه بالحجارة[1]. فلم يتزحزح من مكانه، فلما رأى عميد عد عمر وقوف دقال بين الصفين خرج وأقسم بعدم القتال حتى كانت المهدية. وقتل دقال على بخيت فى سبدرات سنة ١٨٨٤م ولجأت عموديات التابعات إلى جهة منصورة بقرب أغـــردت شهورا، ثم عادوا إلى جهات خور بركة والقاش، وتولى إمارتهم الأمير مصطفى على هدكل بأمر من الأمير عثمان دقنه. اجتمعت بعمدتهم الشيخ إدريس آدم شنيا سنة ١٩٣٣م ونحن نسير على ظهور الخيل[2] لزيارة قرى التابعات ومعنا

---

(١) كان دقال على بخيت كثير العطف على عد ابراهيم لقلة عددهـــم وبسالتهم .

(٢) كان دقال جيلانى أعطانى فرسا ومهرتها .

لفيف من الأصدقاء ، فوجدته سريع التأثر للحوادث البسيطة ثم توفى سنة ١٩٣٥م وخلفه الشيخ محمد بن على كرار شيخنا بن إدريس آدم بن إبرهيم بن أحمد ابن ناصح .

وكانت شجاعة عد أبرهيم سببا فى قتالهم لإخوانهم وجيرانهم عد عمر وعدم تحملهم للضيم والحيف مع أنهم دشر عد عمر .

قيل إن حامد بن عمر جُور ومحمد بن جَنبِرّه (عـد عمر) ذهبا لقتل الشيخ شيخيا حمدة عد أبرهيم ، فقتلاه وعادا إلى بارهما . فشكى ابنه عمر إلى دقلل ، فأرسل معه عسكريان لقتل القاتلين ، فلما إلتقوا أطلق العسكريان الرصاص على حامد عمر ومحمد موسى فقتلاهما ، فنادى منادى عد عمر بالويل والحرب ، واستعد لهم عد أبرهيم ، واستمر القتال بين الفريقين زمنا طويلا حتى اعترى القبيلتين السأم والملل - وأرسل قائد عد عمر إلى خصمه بأنه سيحضر إليهم بكل فرسانهم ، فاستعد عد أبرهيم وبدأ فى عد فرسان عد عمر ، فوجدوهم أضعاف أضعافهم ، فقال لرجاله ماذا ترون فى كثرتهم وقلتنا . فأجابه محمد موسى « تَكْ تَكْ رَادِفْنَا Tuck - Tuck - Radifna

أى فليبرز الرجل منا لرجلين منهم . فذهبت مثلا ، ووافقوه ، وانتصروا عليهم . ومن أمثال بنى عامر أن النصر فى بيت أسقدى حباب (أبناء حبيس وتسكليس وتمارلام) يكون حليفا لأبناء تسكليس ، وهم مثل عد أبرهيم وعلى بخيت فى النابتاب — وعد أبرهيم اليوم يسكنون فى أومال Owmal وأحيانا تجد منازلهم فى قنروشى Qanroushi .

« عد أكد »

أو إكِدْ ، فالأولى بجاوية ، والثانية تيجرية ، وكلتاهما صواب . وهم أبناء أكد بن ناصح بن عامر (الذى تولى ملوكية بنى عامر) بعد أخيه الشيخ على عكسة . وبعد وفاة أكد تولى مملكة بنى عامر ابنه إدريس ، فانفصل عنه إخوانه بكثير من العربان وتسموا بعد « أكد » وأصبحوا عمودية واحدة برئاسة الشيخ محمد بن ادريس[1] قُمِع ، ولما توفى خلفه الشيخ حسب بيد ، ثم محمد حسب ، ثم الشيخ أسفاى بيد الذى قتل أيام المهدية ، ثم خلفه أخوه الشيخ محمود شريف الذى فى أيام عموديته نهبت إبل عد أكد عصابة من الحباب بقيادة « برم بلاس كافل » وأحضرها إلى كنتيباى حامد بك حسن ، وحضر إليه خلفها من أبناء أكد الشيخ محمد عوض بن حسب بن بيد . فسأله كنتيباى عن أسباب حضوره فقال له جئت فى طلب إبلى ، فأمر برد إبله كلها إليه ، فردت ، وبعد عام استأنف كنتيباى إرسال عصابة بقيادة « بهتا حقوس (حقوس الأبيض) » فعاد من عد أكد بإبل كثيرة جدا وأقسم كنتيباى بأن لا يردها إليهم ما لم يدفعوا له نقودا كثيرة . فدفعوها له من الريالات النمساوية ، وساعدهم السيد الأمين عمر محمد بن على[2] ، فبعد استلام كنتيباى للنقود سمح لخمسة من أبناء أكد أن يذهبوا لأهليهم ،

---

(1) كان شاعرا مجيدا بالبجاوية له مساجلات مع شاعر من علمين «الألم عد عمر» يقال له «ادرميك» وهو اسم بجاوى تعريبه (حمار أحمر) وهو زوج ابنة الشيخ ادريس حامد ايتكل (عمدة بيت معلا فى القرن الثامن عشر للميلاد) .

(2) أعمال كنتيباى حامد هذه كانت من أكبر الأسباب التى أغضبت عليه الحكومة الايطالية (فصلنا فى قبائل الحباب) .

وحجز باقيهم عنده كرهائن فتدخل فى الأمر السيد ابراهيم محمود حامد ، فقال كنتيباى إجلالا لخاطرك ياسيد لا بأس — فعادوا إلى أهلهم .

وعاصمة عد أ كد تسمى سهول « شَرْعِيت » قرب وادى عنسبة (على بعد عشرين ميلا من كرن) ، واختاروا سكناهم بعد قتالهم للأمير ابن الصوفى الأنصارى وهو الذى أمرهم بأن يرحلوا معه إلى كسلا ، فساروا معه غير بعيد فقاتلوا جيشه ومات منهم ثمانية عشر رجلا من خيرة شجعان عد أ كد أمثال الشيخ أ كد محمود ، وعمر فاصح ، وإدريس أسنَّاى ، وثلاثة من عد ابرهيم ، وثلاثة من عد ناصح ، وثلاثة من الفايداب ، وانتهت الواقعة ، وبعدها سافر عمدتهم الشيخ محمود شريف إلى مصوع وقدم الطـاعة لقائد الجيش[1] الإيطالى (وكان شديد الاستياء من كنتيباى) ومن الأمير مصطفى على هَدَل الأرتيقى الذى فى سنة ١٨٨٦ م أمر عد أ كد وناصح وابرهيم وعمر وآل السيد الأمين ابن الشيخ حامد والفايداب وأبناء تكليس أن يجتمعوا فى الجبال التى بين كرن وأغردت وسكن معهم وصار يرسل زكاة أموالهم إلى الأمير عثمان دقنه فى سنكات .

وفى أحد الأيام جاءته أنباء من الحباب باستعدادات كنتيباى حامد وجمعه للجيوش واستئجاره لعساكر الأورط السودانية الذين تفرقوا بعد اخلاء المصريين للسودان ووزع عليهم الأسلحة النارية ، وانضمام برم بلاس كافل

---

(١) تقديم الطاعة كان قبل وفود دقيل عد محمد والحسين حامد بك الى القائد ولذلك اعتبرت حكومة الاحتلال منفصلا (محمود شريف) عن نظارة بنى عامر حتى توفى ، ومرارا ما حاول دقيل الحسين ارجاعه فلم ينجح وعليه فصل الافلندة بمصوع .

وبهتا حقوق بجنودها الحبشية إليه . وكون فرقة أخرى من شبان الحباب بقيادة أخيه هداد حسن ، وجمل الأورط السودانية بقيادة محمود حامد .
وبينما كنتيبای يعبئ الجيوش ويجمعها توفي ابنه محمد بالجدري وكان رهينة لدى الأمير عثمان دقنه في سلمات : وقبل وفاته استعان ببعض أصدقاء والده وهرب من الرهن إلى توكر فحال بلوغها أصيب بالجدري .

فادعى والده بأن أنصار للمهدي قتلوه ولذلك أعلن الزحف على معسكر الأمير مصطفى على هدل ، وأمر الأمراء الأربعة بالغزو في الحال ، وتنبه الأمير مصطفى لكل حركات كنتيباي ، فجمع إليه رؤساء القبائل وأعيانها وقال لهم « سأرحل عنكم قبل مجيء جيش كنتيباي لئلا يصيبكم منه مكروه بسببنا ، واستشرت الأمناء(٢) الذين معي فوافقوا على ذلك لأن قوة جنودنا ضعيفة بالنسبة لقوتهم ، ثم رحل عنهم .

أما كنتيباي فإنه عمل استعراضا عاما واشتركت فيه كل القبائل المجاورة له بعد أن تبرعت بمؤونة الجيش من الإبل والبقر ،(١) وسارت الألوية الأربعة قاصدة معسكر الأمير مصطفى على هدل . فلما بلغ الجيش جبل بادن قرب هجر قابلهم الشيخ محمد أسناي بمواشي كثيرة وقال لهم إن الأنصار رحلوا عنا ونحن من أخلص الناس لكنتيباي حامد ومستعدون لإعطائه زكاة أموالنا من غير أن يبعث إلينا بهذه الجيوش الجرارة — فوافق القواد

---

(١) ومما قالوه له ان اكثر هذه القبائل ستنضم الى جيش كنتيباي ؛ وخصوصا عد تكليس والنابتاب الذين قتل اقاربهم يوم قتال واقعة ابن السوق . وكان الشيخ محمد اسناي متفقا مع كنتيباي .

واتجهوا[1] نحو بلاد الحماسين والبجة[2] التي كانت قراها حول هجر التي ارتاعت منهم أعندما سمعت إطلاق النيران واستاق الجيش[3] كل المواشي التي وجدها هناك وعادوا بها إلى كتيبباي حامد في « رحيب » ، فأعلن وفاة ابنه محمد وجلس لنظار ومشايخ القبائل المجاورة له للعزاء . فوفدوا عليه من كل الجهات بالمواشي المساعدة في مأتم ابنه . وبعد شهرين من الوفاة مرض كنتيباي . وكان الرأس الولا قد وصل إلى نقفة ومعه دقال موسى بجيو شهما ، فوجدوها خالية ، فاحتلوها وأرسلوا ست عصابات الى عدة جهات وأمرها باحتلال المناهل وإحضار مؤونة للجيش . فعثرت احداها على ابل السيد عمر (آل الشيخ حامد) فغنمتها ، وعثرت الثانية في وادي «طيبت» على مراحات كثيرة من إبل والدي الشيخ ضرار علي ضرار[4] الذي كان أخوه حمد نور ضمن رهائن الأمير عثمان دقنه ، وكذلك السيد محمد عثمان محمد وخليفة حامد موسى (نابتاب) والعصابة الثانية قتلت من رعاة بقر الوالد بالرصاص : همد لباب ولده محمد سعيد وهمد همبع . وأما إبل آل الشيخ حامد فقد سلم رعاتها . والعصابة الثالثة عثرت على بقر جدي الشيخ علي بن ضرار وعلي بن عامر وفايد محمد فايد . وبقية من العصابات غزت جبل حجر وما حوله وعادت بمواشي كثيرة .

---

(١) يقال ان الذي أشار عليهم بغزو القبائل الحماسينية هو محمود موسى فنك (بيت عوض) .

(٢) وجدوا قرى سقميت «افلندة» ولبت وبعضا من عد عمر وبيت قريش وهاساي وعد علي وما جاورهم .

(٣) ذكر هذه الغزوة شاعر الحباب «همد محمد عوال» .

(٤) ارسل همد بن محمد بن دقل همد صديقنا لوالدي فاحتجز الأبقار ، ولكن والدي منعه من السفر اليه . آل سادة آل الشيخ حامد .

وبعد توطيد مركز الحكومة الإيطالية فى إرتريا خصوصاً مصوع وفد الشيخ محمود شريف إلى مديرها وقدم له الطاعة ، ففرح المدير وقال إن هذا مكسب عظيم وربط له ناظر حتى توفى فى سنة ١٩٣١ م . ثم خلفه ابنه الشيخ على محمود شريف واستمر متفصلا بنظارته لمدة ثلاث سنوات ، ثم حدث خلاف بينه وبين أخيه ، وانقسم المشايخ شطرين . ولكن وفاة الأخير أخلت الجو للشيخ على ، واستمر الخلاف بينه وبين مشايخ القبيلة حتى كانت سنة ١٩٣٣ فعزل عن منصبه وتولى الرئاسة عمه الشيخ محمد أسفداى وعاد بالقبيلة تحت نظارة دقلل جيلانى الحسين (ناظر عموم قبائل بنى عامر) ، وأصبحت القبيلة عموديتين كبيرتين تتبعها عدة حصص وأما عربهم فكثيرون جداً بعضهم من البجة الشوتيراب وهَدَاى قَوَة ، وبعضهم من الحاسين مثل بيت هلال وبيت أندول (أصلهما من اللهوت كتاب عجيلاب) وبعضهم من مسلمى تيجرى الأحباش .

وفى سنة ١٩٣٩ م انتخب لعمودية عد أكد الشيخ محمد همد محمود شريف . وكانت قبائل عد أكد عبارة عن اثنتى عشرة حصة — كنا نود تدوينها ولكن العربان كلها تحررت من سلطة النايتاب والمجيلاب والحباب بسبب مقالات كان ينشرها المستر نادلر (بكباشى بكرن) Mr. Nadler . فى مذكرات ومدونات السودان سنة ١٩٤٥ م نقلا عن الشيخ على محمود شريف ذكر فيها سوء المعاملة التى يعامل بها النابتاب هؤلاء العربان المساكين وهى أشياء تقشعر منها النفس بل والخلق الإسلامى . فنادى كاتب هذه الأحرف بتحرير العربان أولا من سلطة المجيلاب ثم أى بعد ثلاث سنين تم تحريرهم فى ٣ مارس سنة ١٩٤٧ . وأول من تحادث معى فى طريقة التحرير هو

المستر كيرلوس السكرندرلى Mr. C A. Lea والمستر بيتون Mr. Beaton وتم التحرير على يد المستر اندرو بول Nr. Andrem Patil مفتش مركز نوكو -- فرددنا كل عائلة إلى أصولها وكل الإخوان المنقسمين بين الإخوان إلى بطونهم الأصلية . واقتضى هذا العمل مجهوداً جباراً إذا خرجت من بعض العموديات عدة عموديات بل ظهرت نظارات بجملة من عدة أفخاذ وبطون . فصب الرؤساء جام غضبهم علينا ولكننا لم نكترث إذ كنا نريد الأخوة والمساواة مع أبناء قبيلتنا ووطننا العزيز ، فأصبحنا إخوانا على سرر متقابلين وأينما حلت ركابى فى هذا الإقليم كنت أجد كل إكرام وتقدير . وما دام المرء ذا عصبية قوية ينال احترام سائر القبائل . وهذا أكد أكثر اعتنائهم بتربية الإبل التى ترعى مابين كرن وأسمره وكذلك البقر .

ومما تجب إعادته المعلومات القيمة التى ذكرناها الشيخ على محمود شريف فى « السودان فى مذكرات ومدونات Sudan Notes & Records سنة ١٩٤٥ » وكلها توضح للقارىء المعاملة القاسية التى كان يلقاها هؤلاء العربان على يد رؤسائهم ، وكلها اضطهاد واستعباد كأنهم (خدم Serf) ، فلما تم تحريرهم استاء هؤلاء الأسياد خصوصاً جيراننا بالسودان (فابتاب حاسرى وأسقدى حباب ، ويأمل بعض مشايخهم المرفوتين بسبب عدم النزاهة والأمانة من وظائفهم رجوع سلطتهم وسيادتهم على العربان خصوصاً أمثال حامد عثمان أكد الذى ذهبت به الآمال وقال لى يوما ما ذلك فقلت له « إن اللبن إذا خرج من الشطر لن يعود أبدا . وهكذا كان تحرير العربان من سلطتكم) .

« عد صالح »(١)

يسكنون عَدَايَتْ A'dayat بقرب شَقَلقَلْ بإرتريا ، وقد أنشأ هذه العمودية الشيخ أبو سعد بن ناصح بن عامر إذ استولى على بعض من عربان البجـة عندما حدث الخلاف بين أخويه الشيخ على عكـه وآكد .

وفى رواية أن ذرية أبو سعد هم أول من صاهر الترك . وهم مشهورون بالشجاعة والبأس حتى إن الفئة القليلة منهم تقف لضعفها كأنها بنيان مرصوص ولا يعتنون إلا بتربية البقر والضأن ، ويفخرون فى المجالس بأنهم لا يموتون إلا فى الدفاع عن أبقارهم ، ولهم فى ذلك عدة حوادث أشهرها قتالهم لقبيلتى ماريا وبلين قبل المهدية (سنة ١٨٨١م) ، فقد اتفقت الأخيرتان على غزوهم ، وسموا بتحالفهما . فاستعد بعض شجعانهم أمثال آدم شارين وعيسى آدم على قبنا « Gabcha » وعيسى قَنَفْ Ganaf وعمد عمر عمد صالح وآخرون ، فكانوا كل صباح يخرجون لمراقبة العصابة ولا يعودون إلا بعد الغروب (يقيمون بأعلى جبل « كُوكَنْ » بقرب أغردت ، ولا يمكن الوصول إلى عد صالح إلا من مضيق فى كوكن . وفى أحد الأيام التقوا بخصومهم ودار بينهم قتال شديد أصيبت فيه عصابة الماريا والبلين بهزيمة منكرة — نظم فيها شعراؤهم قصائد كثيرة . وجرح فى هذه الواقعة من عد صالح جماعة وقتل قائدهم على قبنا . ولما انتشرت المهدية ذهب عميدهم الشيخ إدريس عمر عمد صالح إلى الراس الولا ومعه بعض أعيان قبيلته ، فقدموا له الطاعة (لم يكن الجيش الإيطالى قد بارح مصوع) ، فقال له الراس الولا « اتركمنى بعض الأعيان

---

(١) أو صالحينندوه «آل صالح» .

ليكونوا أدلاء لجيشى فى الطرق الوعرة والمسالك الضيقة ، فوافقه وذهب إلى أهله حتى استولى الطليان على أغردت ، فاستسلم لهم وتوفى سنة ١٩٢٠م ، وخلفه أخوه الشيخ كنته عمر الذى توفى سنة ١٩٣٠ وخلفه الشيخ محمد صالح إدريس وهو شاب ذكى يرجى منه خير للقبيلة[٢] .

« عد وَاس wess »

يسكنون « مَقَاوْدَهْ Magawda » وهى إحدى عموديات نايتاب إرتريا الصغيرة - وقد انشأها الشيخ أرَى إدريس أرى بن ابراهيم أكد - وهى قبيلة مسالمة غير أنى سمعت أن عد كُوكُوىْ يتهمون عمدتها الشيخ اسماعيل ارى بتحريض الراس الولا على غزوهم ونهب مواشيهم . ولما سئل عن سبب الاضرار بهم ادعى أن حامد دمات بن أكد هو الذى سعى عند الراس الولا ضدهم بسبب ثأر قديم [١] واشتهر الراس الولا بالتحقيق فى كل الوشايات لأنه أشتبه فى كل ما يقال له ، واعتبره نكايات ببعضهم البعض . وما بلغه عن عد كوكوى كان سببه عثوره على خطابات تبودلت بينهم وبين الأمير عثمان دقنه فقد أطلعوه على كل شىء فى أراضى إرتريا .

ويرأس عمودية واس الشيخ مُحمد نُعتُّو . وهم يعتنون بتربية الخيل

---

(٢) تتفرع من هذه العمودية خمسة حصص لها مشايخ ؛ اما اخـــوه عوض الله فقد اخذ من الناظر اكد بعض الابل برعاتها واسماها باسم ايتكمتى Etkanti

(١) قيل ان الشيخ على بن محمد هجينا تشاجر مع والد دمات اكـــد بسبب ناقة أراد الأخير ان يأخذها عنوة ليعطيها للشيـــخ أرى ابراهيـــم ، فرفض الشيخ على وأساء الى حامد وأرى ، واسمعهما ما يكرهان من الالفاظ القبيحة وكتما الاساءة حتى توفيا من الكمد .

والبقر والإبل . مثل أبناء عمومتهم عد صالح وكلاهما معدودان من أغنى عموديات النابتاب . وتوجد من واس حصة تابعة لبدنة دقلل تسمى « البيّسكت » أو البخت ، وصرارا ما طلبها الشيخ أرى أن ترد إليه لأنها من أقاربه . وتتألف من بدنة واس خمسة حصص .

« عد على بكيت »

أو على بخيت نسبة إلى مؤسس العمودية الأولى الشيخ على بكيت ابن موسى إذ انفصل ببعض العربان لما يئس من النظارة (وقد وضحنا ذلك فى دقلل موسى وابنيه دقلل محمد) .

وتؤلف منهم اليوم بدنة قوية وغنية جدا . ولهم عطف كبير على عد إبرهيم ، وعد أكد ، وعد موسى دقلل ، ولا يميلون إلى عد حامرى وعد عمر . ويسكنون عند منبع خور بركة فى عدة محلات أشهرها « شيتل » و« شلاب » و « وادى مقاردة » ، وتجاورهم بعض القبائل الحبشية .

وتتألف عمودتهم أربع عشرة حصة .

وعند قيام المهدية فى السودان استفادوا بالسلامة بسبب بعد ديارهم من حدود مديرية كسلا وسيدرات . ولما هرب دقة دقلل سار عد على بكيت خلفه إلى مدينة أسمرة ثم كرن ، وكانوا هادئين حتى قتل دقلل على بخيت فى سبدرات سنة ١٨٨٥م ثم عادوا سريعا إلى هواشايت ، وسافر عمدهم الشيخ محمد أرى بيّذ ومعه حامد دمات وقدموا الطاعة إلى الأمير فكى حامد بكسلا ، ومكثوا معه سنة كاملة ، ثم حضرت إليهم قافلة لشراء ذرة من سوق كسلا . فقال الأمير لا أسمح للقافلة بالشراء أو العودة إلى أهلها ما لم

تحضر كل أهلها بمواشيهم وأهليهم إلى كسلا ، فقال له الشيخ محمد أرى لولا بعد المسافة ووعورة الطريق وقلة المراعى لحضرنا إلى كسلا . فسمح الأمير بنصف حمولة القافلة ، فحملت وعادت بعد أن اتفقوا جميعهم على الهرب من كسلا ، ثم الرحيل من هواشايت . ولم يبق منهم بكسلا إلا عميدهم فقد كان يساوم أحد أمراء المهدية المدعو موسى بن البشير على شراء حصانه ، فقال العمدة أدفع له ثلثمائة ريال أبو طيره (عساوى) .

فقال موسى إذا أردت شراءه فسلمنى أربعمائة ريال . فدفعها له الشيخ محمد أرى وركب حصانه ولحق بأهله[1] . واشتهر فى هذه القبيلة رجال اشتهروا بالكرم والشجاعة أمثال الشيخ محمد فكاك وابنه أكد وارى بن بيد وابنه محمد ارى وابنه الشيخ الحالى العمدة محمد صالح ، ووجدت منهم عائلة من حجيلاب الافاندة اسمها ، موسى لى ، يراسهم آدم دووى تابع لحصة الشيخ حسب محمد على فكاك . وأظنهم لغاية اليوم انضموا إلى أهاليهم الأفاندية وسائر ملهيتكناب إرتريا .

أما دمات أكد ، وعمه حامد دمات ، ومحمد أكد فقد هربا بعد مقتل الأخير .

« عد على »

هم أبناء على بن دقلل إدريس بن أكد بن ناصح ، وعمدتهم هو الشيخ عمر بن على بكيت — ويغلب على خلقهم الهدوء والسلامة وهم من بدنات النابتاب الصغيرة فى إرتريا .

---

(١) رأيت كثيرا من نسل هذا الحصان فى قرى عد على بكيت ، وكانوا دائما ينالون الأولية فى كل سباق الخيل خصوصا بمعرض سنة ١٩٢٠ م .

« عد تولى »

يطلق هذا الإسم على ذرية الشيخ موسى تولى بن محمد بن موسى بن إدريس ابن أكد بن ناصح ، وعمدتهم هو الشيخ محمد محمد أوّلباب AWALLIBAB وتتألف منهم ثلاث عموديات كبيرة :

١ — بدنة ستكات كتاب بارتريا ويرأسها الشيخ عبد الله بن محمد وَحَــدأ .

٢ — وواحدة بالسودان يرأسها الشيخ محمد محمد وحدأ (فلما توفى فى سنة ١٩٤٤م أمرهم المستر بيتون المفتش بكسلا بأن ينتخبوا عمــــدة من نفس الستكات كتاب بدلا من تعيين النائب ابن العمدة الراحل . وكان هذا أول التحرير .

٣ — هى البدنة المؤلفة من نفس عائلة تولى .

فى سنة ١٩٣٣م علمت وأنا ببادية أغوردت أن خمسة عشر شابا من عــد تولى نزلوا ضيوفا عند رجل من عد على بكيت فأطعمهم عصيدة فى عشرة أقداح ، فكسروها بعد أن أكلوا مافيها جميعه . ولما أصبح الصباح سألهم المضيف أن يقيلوا حتى يذبح لهم بقرة . فقالوا له لماذا لم تفعل ذلك ليلة أمس قبل أن نكسر أقداحك ، فقال لهم وهل كسرتموها ؟ قالوا له نعم حتى لا تعود لمثلها لأن مثلك يجب أن يذبح لمثلنا . فاستاء ابنه منهم وأخذ سيفه اقتالهم ، فمنعه والده . وبينما هما متماسكان هجم أحد الضيوف على الوالد وضربه بالسيف فقتله واعترفوا جمعهم بأنهم جميعهم اشتركوا فى قتله ، وكرروا هذا القول عند المحاكمة ، فوضعوا كلهم فى السجن فمات منهم عشرة قبل أن يغيروا أقوالهم

الأولى . فتدخل دقلل الحسين والمشايخ لدى المحافظ الإيطالي وتنازل ابن القتيل عن ثأ أبيه فأطلق المدير سراح الخمسة الباقين .

« عَلِيْدِ وه »

هم أبناء علي بن إدريس بن أ كد بن ناصح .

يتولى عمودية هذه القبيلة اليوم الشيخ إدريس بن أ كد — وقد استقل الشيخ على ببعض القبائل من البجة وانشأ البدنة المذكورة ، وسميت باسمه . ولقلة تعدادهم عن سائر القابيات لم ينالوا شهرتهم .

« عد شِغِلي » Shigli

يطلق هذا الإسم على البدنة التي انشأها محمد دسي Dasey ابن موسى ابن إدريس بن أسكد بن ناصح . وقد انقرضت قبل المهدية ولم يبق منهم أحد .

كان أحد شعرائهم يرعى أبقاره على سواحل عقيتاى بمنطقة العجيلاب يوما فى رأس كسار هنخة (سنبوك) محمد بك الشناوى سر تجار سواكن وهى عائدة من البوـلقة محملة بالعجوة ، فاشترى القبطان بقرة من الراعى (خميس) ، فكانت كثيرة الشحم . فتعجب منها البحارى الصغير دعلى ندلاى ، من الاماندة ، وجاهر برأيه فى اللحم والشحم . فقال خميس يمدح أبقاره واختيار المراعى الطيبة لها فأنشد[1] .

« دريت ولت عد عمر الأتبلأ ندلاى »

(قل باندلاى الآن ليفت عد عمر دريت (السوداء)

« عِر ضريتْ سقادا إتب مهبو ومفواى »

(طويلة العنق ليس فيه تجاعيد أو قصر)

« حانا قروره أى تورد كيدْ حيرْ يدْخ وتقاى »

(أبقارنا لا ترد بروره مثل أبقاركم فى زحام مع أبقار أخرى)

« وحانا قليل إى تيمآ ولقرده لتبلاى »

(ولا تأكل الثمام أو عروقه المغروسة فى الأرض)

« مسكب بن تأتى بها إجل تيفيد من نوَاى »

(نرعاها فى مكان ناء عن غيرها حتى تستفيد من المراعى)

---

(١) أولها «بل ببلا اب برق ليليت من راس أم عباى» (بدأ البرق ليلة أمس من رأس أم عباى) من جبال عد عمر) .

« دريت دريتى سبكى أجل قديتْ وبلاّى »

(يا دريت اهبطى إلى السهول من الجبال خلفى لشراء الملابس والعطر)

وهى قصيدة طويلة ضاع أكثرها — وكان هذا السنبوك قد كسر على الشعب فى سنة ١٣٠٠هـ .

فرد ندلاى على خميس وقال له : ما اسمك يا ابن عبد عمر ؟ قال له اسمى خميس فقال له اسمع قصيدتى رداً على قصيدتك[1] .

« دريت كيفتو مشكبْ سلم ديبَ وخميسْ »

(دريت تسكن فى القيف (سواكن) فسلم لى عليها يا خميس)

« خمس خمسْ وَدْ قبوتات من دهب ملئتْ وسرْحبت »

(فى كل من اذنيها خمسة خمسة تلالات ذهب وكلها مملوءة بالمصاغ)

« ولاذ أبتحت تحاسِسْ طدا رأسَ وقديتْ »

(تدهن شعور الشبان بالودك والعطر الناشف)[2]

« حانا وحاكمْ ديب حد عودل إيكونْ وخميس »

(لا يمكن التعادل بين أبقارنا وأبقاركم يا خميس)

---

(١) أولها «بل بيلا اب برق ليليت من راس حناقيت» (بدأ البرق يلمع ليلة رأس جبل حناقيت) .

(٢) مثل المحلب والريحان هندي والحميوك والجوز «الضريرة» وقال «كلئوت حوجب قرونام وكلى ملتح شمليت» (لها حاجبان مقرونان كما لها خدان مملوءين وناعمين) .

« حاكم سنيت إى نامْرْ أمْيَل دباط هَرَدْيتْ »

(أبقاركم لا تعرف المعاملة الطيبة غير ضربها بالخشب)

« وحاكم مَهَتّى إى نَأمْوْ امْيَلْ ودَحى كم حلميتْ »

(إن أبقاركم لا تعرف أكل المراعى طوال الليل إلا فى الضحى مثل الغنم)

« برّقْ بيتْ أمحاورينْ من راس حناقيتْ »

(لاح البرق فى أمحارين (سهول العقيق) من رأس جبل حناقيت)

« مَنْبَا بِى ضرار ود عجيلتو ومنيابى أورو أبْ نَصَرِيتْ (نصره) »

(شيخى هو ضرار بن عجيل وبابه ابنه أبو نصريت أى على بن ضرار)

ثم كرر قوله يل بهلا أب برق من راس حناقيت .

« من عين وعَيْلقة ومن دَبِرْ يمانِتْ »

(وأبرقت وديان عين وعيلقه وكذا جبل يمانيت)

هذه المحلات تقع بين توكر والعقيق

ثم ذكر فى أشعاره شجاعة أبناء العجيلاب ودفاعهم المجيد عنها ورحيلهم معها فى الصيف والحرور .

ومن شعراء عد عمر رجل اسمه : إدريس ، ويلقبونه اسم « أ كنْ دُولى » أى سيء الخلق ، كان ينقش الحجارة كثيرا من الرسومات كما يصنع اليوم الرشايدة نقش وسم إبلهم على كل حجر يرعون حوله مؤملين ملكية ذلك المحل يوما من الأيام . وهذا محال مالم يختلطوا بالبجة وينصهروا فيهم كما فعل إخوانهم بالإندماج فى الحباب بارتريا .

واستمر الهجاء بين أبي دولي وتكوش بن منديرو (بعشو) زمنا طويلا ولكليهما أشعار .

« الشيخ إدريس دقلل حامد بك »

انتهينا من قبائل بني عامر التابعة لحكومة إرتريا ، والآن نبدأ بقبائل بني عامر التابعة لجمهورية السودان ، ولغاية سنة ١٨٩٦م كانت تابعة للسودان كل هذه القبائل ، بل وكل بلاد إرتريا والصومال كانت جزءاً من السودان وفي أواخر سنة ١٨٧٢م عين الخديوى إسماعيل باشا ممنجر باشا السويسرى حكمداراً لشرق السودان ، كما عين أحمد باشا ممتاز حكمداراً لباقي السودان فأصبح كل من الحكمدارين يتلقى تعليماته رأساً من القاهرة ، ولم يعش هذا البتر أو الإنفصال أكثر من ثلاث أو أربع سنوات ، فقتل الأول في سنة ١٨٧٥م ، ومات الثاني بعد اعتقاله بسبب الرشوة حوالى سنة ١٨٧٥ م[1] ، فرجع شرق السودان إلى القطر حتى كان الاحتلال الإيطالي لإرتريا سنة ١٨٨٤م فبدأت عملية بتر أوصال القطر الواحد .

وبعد أن فتحت جنود الإستعمار توكر سنة ١٨٩١م[2] عين محافظسوا كن الجنرال هولد اسمث باشا الشيخ إدريس دقلل حامد ناظر على قبائل بني عامر

---

(١) كان اعتقاله سنة ١٨٧٣ ، وتوفى سنة ١٨٧٥م وفي عهد حكمداريته قسم الخديوى اسماعيل السودان قطرين «السودان والسودان الشرقى ارضاء لخاطر ممنجر باشا حكمدار الأخير .

(٢) نقل الأمير عثمان دقنه معسكره الى مدينة «أداراما» على ضفافه نهر اتبره .

بنو كر وضواحي العقيق[1] ، وكان معه عمدتان هما الشيخ ضرار على ضرار (عمدة العجيلاب والأملندة) ، والشيخ أ كد موسى عمدة عد هاسري وغيرهم . وفتحت ميناء العقيق للتجارة وانتعشت الحالة الاقتصادية ووردت المواشى بكثرة هي والحبوب من اليمن ، وعادت قبائل كثيرة من إرتريا وخور بركة ، وكان الهدوء شاملا كل مناطق السواحل ، وبعض الجهلاء لايزالون يحلمون بانفصال شرق السودان التي استنبطت لمستجر باشا وانتهت بوفاته سنة ١٨٧٥ م[2] .

« الشيخ إدريس دقلل حامد »

« ناظر بني عامر السودان »

لم يكن لبني عامر منذ أيام دولة الفونج إلا لقب « دقلل » الذي استبدلته الحكومة التركية (محمد على باشا) بلفظة « ناظر » التي كانت تطلق أيضا على « وزير » ويسمى رئيس الوزراء « ناظر نظار » ، ويتولاها شخص واحد في عموم القبائل المنتمية إلى مؤسس واحد مثل « شكير » (جد ناظر الشكرية) وعَمّار (جد ناظر الأمّارأر) ، وبشّار جد ناظر البشاريين ، وعامر جد ناظر بنى عامر ، وهَدَأ جد ناظر الهدندوة ولما أحاطت الحكومة المصرية القطر السوداني في يناير سنة ١٨٨٥م تولى إدارته بنوه فكان أمير هذا الإقليم أمير الأمراء « عثمان أبو بكر دقنه » الذي لم يغير شيئا في المناصب أو في أصحابها ، بل كان يسير كعادات القبائل ، وقيد رؤساءها بعهود ومواثيق كي يكونوا يداً واحدة ويدفنوا الضغائن والأحقاد ، ويستقبلوا عهدا جديداً هو عهد المودة

---

(١) كانت كسلا وضواحيها تابعة للأمير حتى احتلها الطليان .

(٢) تبدد هذا الحلم باحتلال انجلترا للصومال وايطاليا لارتريا ثم انضمت لاثيوبيا ، واستقل السودان بشرقه وغربه وشماله وجنوبه .

والاخاء والعفو عن كل مامضى . فلغى الدماء السالفة وصلح بين أصحابها ، ومنع الخرافات والبدع والعادات المخالفة للكتاب والسنة ، وجعل لكل قرية إماما للقضاء وتعليم الأهالى الفرائض والسنن [1] ، فلما دالت الدولة الوطنية انقسم هذا الإقليم بين حكومتى السودان والإرتريا ، وأصبحت أكثرية قبائل بنى عامر العظمى تابعة للحكومة الأخيرة وصار دقة دقلل ودقه الشيخ حامد ودق كنتيباى تابعين لارتريا بحكم تبعية أراضيهم ، وبقى الجزء الضئيل للسودان [2] . فكان فيه الشيخ إدريس دقلل حامد بك منذ سنة ١٨٨٨ م حتى كانت وفاة دقلل حمد بن محمد حمد على يد الأنصار سنة ١٨٩٠ م فوصلت البشاير إلى كسلا بانتصاراتهم على سكان دقه دقلل .

ووصل الأمير عثمان دقنه من البقعة [3] فى نفس يوم الأنباء . قال الشيخ إدريس دقلل « فجئت إلى الأمير وسلمت عليه ، ثم طلبت منه أن يكتب لى خطابا إلى الخليفة عبد الله كى أسأله العفو عن أسر من أهلى بالدقة واستلام كل ماغنم وسلب منهم خصوصا النقارات الأثرية والمواشى » فأعطانى الأمير الخطاب وأخذت آخر من الشيخ محمد بن الطاهر المجذوب إلى الأمير يعقوب (أخ خليفة المهدى وصاحب الراية الزرقاء) ، وبحثت عن قافلة تؤم البقعة كى أسير فيها ، وبينما أنا فى تلك الحال جاءت أنباء أخرى من إرتريا بأن أخى دقلل الحسين أدرك جيش الأنصار بالفرق الوطنية واسترد منهم كل ماغنموه

---

(١) أهم حاجيات قرى بادية البجة هى امام راشد يرفع الأمية وينصح الامة الى طريق الهدى والرشاد ومحاربة الخرعبلات .

(٢) استحسنت أغلبية المديريات المجاورة للسودان مثل اغردت وكرن ونقفه الانضمام الى اثيوبيا بدلا من السودان .

(٣) سماها بذلك المهدى (البقعة المباركة) .

من دقة دقائق. فرأيت ألا داعى للسفر ، وعدت إلى الأمير والشيخ محمد وسلمتهما الجوابين لعدولى عن السفر وبعد أيام دعانى الأمير إليه وأعطانى خمسين ريالا وأعطى عشرة للشيخ أحمد حنجير [1] وقال لنا قوما معى إلى توكر لأننا سننقل العسكر إليها ونبقى كسلا قرية صغيرة. فلما وصلنا توكر تسلمت راية بنى عامر وأرسل الأمير عدة خطابات لمشايخ بنى عامر المجاورين لسهول وحيب وقرروه أمثال الشيخ ضرار على ضرار والسيد الأمين [2] عمر محمد والشيخ أكدموسى حمد والشيخ إدريس محمد إدريس . وهذه الخطابات أرسلت مع الشيخ حامد حسن (ناظر الكميلاب) ، وذكر لهم الأمير أنه أصبح صاحب السلطة المطلق التصرف فى هذا الإقليم ، وأن الأمراء الذين سبقوا الخلافات عزلوا من هذه الأنحاء ورحلوا إلى جهات أخرى فى السودان لجهلهم بلغات أصحـــاب البلاد وعاداتهم ، ونشأ من ذلك ارتباك فى الإدارة ، ووقع بينهم وبين القبائل قتـال عنيف فتفرقت قبيلة هاسرى فى الجبال بعد سفر الأمير محمد عثمان أبو قرجه . وكانت واقعة بلانات صدمة عنيفة للأمير أبو قاقلة فإن القتال استمر بينه وبين العجيلاب ليلة كاملة بقيادة عميدها الشيخ ضرار على ضرار [3] وأكرم للمشايخ

---

(١) قال الشيخ ادريس حال وصولنا الى توكر اختفـــى أحمـــد حنجير ودخل مدينة سواكن خلسة ومنها سافر بالسنبوك الى مصـــوع وهنـــاك قبض عليه وأرسل الى سجن عصب وفر منه الى داخلية الحبشة وفيهـــا سكن وتوفى وله ذرية بها .

(٢) مشايخ قبائل عجيلاب ـــ عد الشيخ حامد ـــ هاسرى ـــ بيت معلا

(٣) قيل ان السردار اوصاهم بأن لايتبعوا الامير اذا ما عاد اليهم ، فطلبوا منه اسلحة نارية ، فاعطاها لهم وجعل لبعضهم مرتبات شهريـــة زالت بعد اعتقال الامير سنة ١٩٠١ .

الشيخ حاج حسن جدا وأعطوه هدايا كثيرة وردوا على جوابات الأمير بالقبول والعودة إلى منازلهم فى زمن الشتاء .

ولكن حدث ماليس فى الحسبان إذ تم فتح مدينة توكر فى يناير ١٨٩١م ونقل الأمير عثمان معسكره إلى « أدارامه » بنهر أتبره وقدم أهل توكر الولاء للجنرال هولدا سمث باشا (محافظ سواكن) ، وهذا أمر محمد بك عبود (مأمور العقيق) كى يهجم على عدوبنة التى كانت بهما أسواق لتجارة الرقيق والتهريب .

وفى يوم ٢٣ فبراير ١٨٩١م طلب غرانفيل باشا (سردار الجيش المصرى) كافة نظار القبائل والعمد والأعيان[1] كى يحضروا إلى سواكن لاجتماع هام فى يوم ١٨٩١/٣/٨ . وسافر المحافظ ومعه الشيخ إدريس دقلل عن طريق البر[2] إلى العقيق ، فلما وصلوها وجدوا فى أسر محمد بك عبود سبعة عشر تاجرا من أهل مصوع ، وبعض الحجازيين الذين كانت لهم تجارة واسعة كانوا على وشك ترحيلها إلى الأمير بتوكر[3] ، وفى ثانى يوم وصولهم عثروا

---

(١) وكان معهما ابراهيم باشا رفعت بفصيلة من الفرسان المصريين .

(٢) أرسل الأمير سبعة وثلاثين جملا لترحيل البضائع .

(٣) فى سنة ١٩٠٢ شاهدت محمد بك عبود ومعه قوة من البوليس خارجا من سواكن ، ثم عاد بعد اسبوع ومعه نحو مائتين من الرقيق أتى بهم من ميناء الشيخ برغوث «بورتسودان اليوم» ، وقد هرب السنبوك الذى أحضره النخاسون لتهريبهم الى الحجاز ، كما اختفى التجار الذين أحضروهم من داخلية السودان عن طريق بربر ثم بادية الأمارار ، ثم فرقوهم كالعادة على الموظفين اذ لايوجد طريق يمكن اعادتهم منه الى أهليهم . ولم يقبض بعدها على أى رقيق الا افراد وخصوصا بعد وصول سكة حديد النيل ـــ البحر الأحمر .

على قطيع من الرقيق يسير مجازيا للجبال في طريقه إلى ميناء رارات (تـكلاى) للعبور به إلى الضفة الشرقية من البحر الأحمر ، وصودرت جميع هذه الأشياء، واقتسم المستخدمون الرقيق بعد نقله إلى سواكن وفي سنة ١٨٩٢ عين حواد اسمث باشا الشيخ إدريس دقلل حامد بك محمد ناظرا عاما على كل قبائل بني عامر بحضور الشيخ ضرار على ضرار والشيخ أكـد موسى حمد[١] والشيخ إدريس محمد إدريس ، فوافقوا جميعهم على نظارته ، وسارعت القبائل النائية بأوتريا والجبال بالعودة إلى العقيق . وفي تلك الأيام هطلت أمطار غزيرة ، فازدادت القبائل تفاؤلا بنظارته وأخصبت السهول والجبال وحسنت المرعى واخضرت الأودية وفي سنة ١٨٩٨ م أراد الله أن لا يتمتع (بنى عامر) بهذا الناظر السعيد إذ كتب عليه أن يستشهد على يد أحد الأشقياء الذين افظتهم بلادهم . وأنكرت جريمتهم قبائلهم حتى اختفى عن الأعين[٢] .

وأما كيفية قتله فإننا نوردها كما سمعناها من باوره الذي كان مرافقاً له (ادريس جرط) قال : خرجت من العقيق مع الناظر ومعنا الشيخ حمداى ابن حاج حسين (عمدة سنكاتكنات) إلى جبل[٣] سروبت للاستراحة في منازل القبيلة المذكورة شهرا لأن شدة الحر وأعمال القبائل ومشاكلهم أتعبت

---

(١) حضر جدى الشيخ على ضرار عجيل هذا الاجتماع معتذرا بشيخوخته وأنه قد أوكل ابنه الأكبر «والدى» فقبله المدير .

(٢) هو رجل من قبيلة الحمران الارتيقية .

(٣) في سنة ١٩٠٩ حضرت الواقعة التي دارت بين السنكاتكناب والهاسريين كان النصر فيها حليف الأولى ، ولكن بعد مجيء قبيلة الفاضلاب «عد فضل» ولم ينتصروا .

الناظر . فبقينا ليلة بالقرية ثم سمعنا أن جيش الأمير عثمان دقنه قريب منّا ، فأمر الناظر كل القبائل التى حول سروبت كى تهرب حالا من وجه الغزاة . فامتثلت لأمره وهرب كل امرئ بأهله ومواشيه ولم يبق فى الدمنه[1] إلا الناظر وإذا بالخيل تحيط به ، فاستل حسامه ووقف فى انتظار من يتقدم لنزاله منهم . فأطلق عليه أحد أفراد العصابة عدة رصاصات أصابته إحداها فى قلبه فتوفى لساعته . ثم سلبت العصابة سيفه وفروته قال الياور لولا وقوع عين الناظر على امرأة مرضع عجزت عن إدراك الهاربين وصراخ جنينها لسلم من الخطر . ولكنه أركبها حماره فمنعه من النزول من حماره ، فقال لى إنها مسكينة ، فقلت له إن القوم أدركونا . وهممت بالفرار ، فقال لى : سلمنى البندقية . فلم ألتفت لقوله ، وأطلقت رجلاى للريح حتى وصلت العقيق وبلغت خبر وفاته للشيخ إدريس أكد ابراهيم رئيس البوليس ، فلم يكترث لقولى لأنه لولا الحزازات التافهة بين الهاسريين وأبناء دقلل لما تأخر عن نجدته أحد ولأخذ بثأره ممن قتله .

أما العصابة فإنها بعد قتله عثرت على أغنام كثيرة ، فاستاقتها أمامها بعد أن أثخنت راعيها بعدة جراح . وذهب قسم من العصابة إلى قرية الأشراف وغنم أبقارا من عد عمير وعد هاسرى . وأقاما فى شعبت يومين ثم سارتا

---

(1) قال لى محمود كرجو أن أهل العقيق يلامون لتقصاهم يوم وفاة الناظر اذ لم يتحرك مع ياورة الا موالى دقلل ، وهؤلاء حملوا الجثة الى جبل أنقا «عنقاء» حيث دفنت .

فى طريق خور بركة ؛ فالتقى أثرهما الشيخ موسى محمد محمود [١] ، والشريف محمد محمد محمد أبو فاطمة الحسينى [٢] وكل ذى مروءة ونجدة [٣] ممن كان بتوكر من الشجعان ، فأدركوا العصابتين فى « لثوى » بقرب « وبقاد » مجتمعين . وكانت هناك محطة بوليس برئاسة الشريف أوشيك أوتكول . فدار بينهما حديث على تسليم كل شىء للشريف ؛ فرفضت العصابة وأقسم هو على قتالها . ثم تبادلا إطلاق الرصاص حتى حال الليل بينهما وهربت العصابة تحت جنح الظلام بعد أن خسرت بعض رجالها وخيلها وجمالها .

كان الشيخ إدريس دقلل مشهوراً بالصلاح والتقوى ، وهو شديد الورع حسن الخلق . وهو أول ناظر (بنى عامر) أدى فريضة الحج مع أخيه الشيخ محمد عثمان دقلل ، وبعد عودتهما من الحجاز جعلت الحكومة مرتبا شهريا لهما سنة ١٨٨٩م حتى كانت سنة ١٨٩٠م ، فأمرت الشيخ إدريس بأن يذهب إلى توكر ويمنع قبائل بنى عامر من متابعة الجهاد مع الأمير عثمان دقنه . فامتنع عن مبارحة سواكن ، ولكن فهم من الأهالى أنه سيعتقل إذا لم يخرج منها ، فخرج ووصل توكر ، وإذا به بين لفيف من الرقباء ـــ فقابل الأمير وقال له « أنا أرفع من أن أتجسس . ولكن حكومة سواكن كثر عليها ما تصرفه على شهريا وأقصتنى عن المدينة بلطف ، ففهمت مرادها ، فخرجت ؛ لأن وجود

---

(١) عمدة عد عمير وشاسا توكر .

(٢) هو الذى حمل الأمير محمد فاى دقنه لما سقط شهيدا من جواده يوم واقعة المشيك بسواكن ، وأوصله الى هندوب ومعه السيد حاج يعقوب .

(٣) بعد مقتل الناظر قاتلت العصابة الشيخ حسين عبد القادر عميد الكيلاب فهزمها وقتل ثلاثة من رجالها وغنم خيولهم .

قبيلتي بين رجال جيشك لا يبرئني من التواطوء معك ، فثق أنى لن أخون الأمانة والعهد الذى بيننا لنيل مرتب الحكومة التافه . وتمثل بقول الشاعر العربي :

وفيت وقد جزيت بمثل فعلى فهأنا لا أخون ولا أخان

فوثق منه الأمير وسلمه قيادة قبائل بنى عامر . وقبيل الفتح بأيام أرسلت مخابرات سواكن خطابا باسمه تقول فيه نوصيك بأن تقوم بما عاهدتنا عليه من خذلان قبائل بنى عامر عن مناصرة جيش الأنصار . ووقع الخطاب فى يد الأمير فاعتقل الشيخ إدريس دقلل تحت المحاكمة التى لم تتم لأن الفتح سبقها .

وكثيرون من نظار ومشايخ وعمد إقليم البجة قتلوا بمثل هذه الخطابات المزيفة التى كان يرسلها المستعمر للايقاع بين أهل البيت الواحد . وتم إعدام الكثيرين بسبب هذه الوشايات من الأمارأر والكميلاب والهدندوة وبنى عامر وغيرهم — وكان غرض المستعمر من تزوير هذه الخطابات إظهار هؤلاء الزعماء بمظهر الخيانة ليعدموا قبل استيلائهم على البلاد ليسيروا الوطنيين كيف شاءوا ، ويأتى جيل لم يتمتع بالحرية والاستقلال فيتمشى مع أهوائهم ويكون قد بذر بذور الشقاق بين أبناء البلد الواحد ، وينفضون من حول أميرهم شيئا فشيئا . وفعلا هذا الذى حدث . وبعضهم لجأ إلى الحكومة بسواكن واستكتبتهم خطابات لإخوانهم الذين مع الأمير[1] وبعض أهل أغوردت يتهمون عموم الماسريين بالقتوب إذ لم يرسلوا عصابة خلف الذين

---

(1) الحقيقة هى أن المخابرات تولت ذلك بدون علم من الناس .

قتلوا إدريس [1]. وهؤلاء يفتصلون منها ويقولون إن الشيخ حمداى حسين كان يعلم بوجود العصابة وهو الذى اتفق معهم على إخراجه من العقيق ثم قتله وحيدا . ويزيدون على ذلك قولهم إن المسنكاتكتاب هى التى قتلت قبله عمه دقلل على بكيت بك . ومن مناقب الشيخ إدريس التى لا ينساها أهل العقيق كرمه الحاتمى إذ كان لا يحتفظ بشىء من النقود أو المواشى أو سائر الهدايا كالسمن والعسل وجلود الفهود فقد كان يوزعها على أهل المنازل بالترتيب حتى لا يحرم من عطاياه بيت ولو صغير ، فإذا أتم للمنازل استأنف الإهداء من أول منزل إلى الآخر ولذلك كان بكاء أهــــل العقيق عليه كثيرا جدا .

ولولا أن المنية عاجلته لما أدرك غباره أحد فى التقوى والوفاء والجــود والإخلاص والأمانة وسلامة الطوية رحمه الله رحمة واسعة .

وقد خلف من الأنجال الشيخ صالح إدريس وحامد ومحمـد وكلهم فى منتهى التقوى .

وقد أحضر الناظر ابنيه معلما أتموا الدراسة على يديه كى يعلمهم القراءة والكتابة ثم الفقه فى الدين وبزوا أقرانهم فى ذلك .

وهؤلاء الثلاثة كانوا ولا يزال الحى منهم فى منتهى الجود والـكرم

---

(1) يوجهون التهمة للشيخ اكد موسى ، ولكن هذا لما رحل الى ارتريا بعد سنة ١٨٨٨ م مات جميع رجال عصاباته هناك فى «الحبوب» ولم يجد من يستمع كلامه الا ابو بكر قالعو هذا اجتمع به بعد هذه الحوادث (ذكرنا حوادثه فى الحباب» .

ودماثة الخلق — نكاد أن تكون هذه الأخلاق الفاضلة فى عموم ذرية دقلل حامد بك محمد — ويتمتعون باحترام كل القبائل .

« الشيخ صالح إدريس دقلل »

هو ثانى ناظر لقبائل بنى عامر السودان بعد المهدية تحت إشراف عمه الشيخ محمد عثمان بن دقلل حامد الذى كان (محمد عثمان) مقيما بسواكن . فلما سمع بمقتل أخيه إدريس حضر إلى العقيق ومعه المستر برجس المفتش الإنجليزى ، وبعد تحقيق قصير فى أسباب مقتل الناظر إدريس قرر أن يكون الشيخ صالح خلفا لوالده بالعقيق ، والشيخ محمد عثمان وكيلا له فى كسلا . واستمر بها الأخير حتى كانت وفاته سنة ١٩١٠م ، وخلفه ابنه محمد صالح ، وهذا توفى فخلفه أخوه الشيخ إبراهيم محمد عثمان فى كسلا . ولم يحدث فى أيام الشيخ صالح إدريس ما يستحق الذكر إلا قتال سرويت بين قبيلته والحامرين . وتوفى الشيخ صالح إدريس فى سنة ١٩٢٤م .

« الشيخ إدريس بن صالح »

تولى نظارة بنى عامر حسب تقاليد القبيلة بعد وفاة والده ولبث فيها حتى سنة ١٩٣٩ فقدم استقالته فقبلت . فخلت القبيلة من الناظر ، لذلك ظهر فى المسرح حامد عثمان اكد موسى ليكون محصلا لحين تعيين ناظر للقبيلة . وهذا الشيخ حامد ، ولكن للأسف ، إنه عزل ثم عزل من منصبه بعد قليل لأن يده امتدت إلى أخذ تموين القبيلة فى السكر والملابس والبن ، وهذا التلاعب فى تموين القبائل خصوصاً الأفلندة جلب عليه كل المصائب إذ اختفى عن أعين الناس . وتوفى الشيخ إدريس صالح بكسلا فى فبراير ١٩٥٦ عليه رحمة الله .

« الشيخ إبراهيم محمد عثمان »

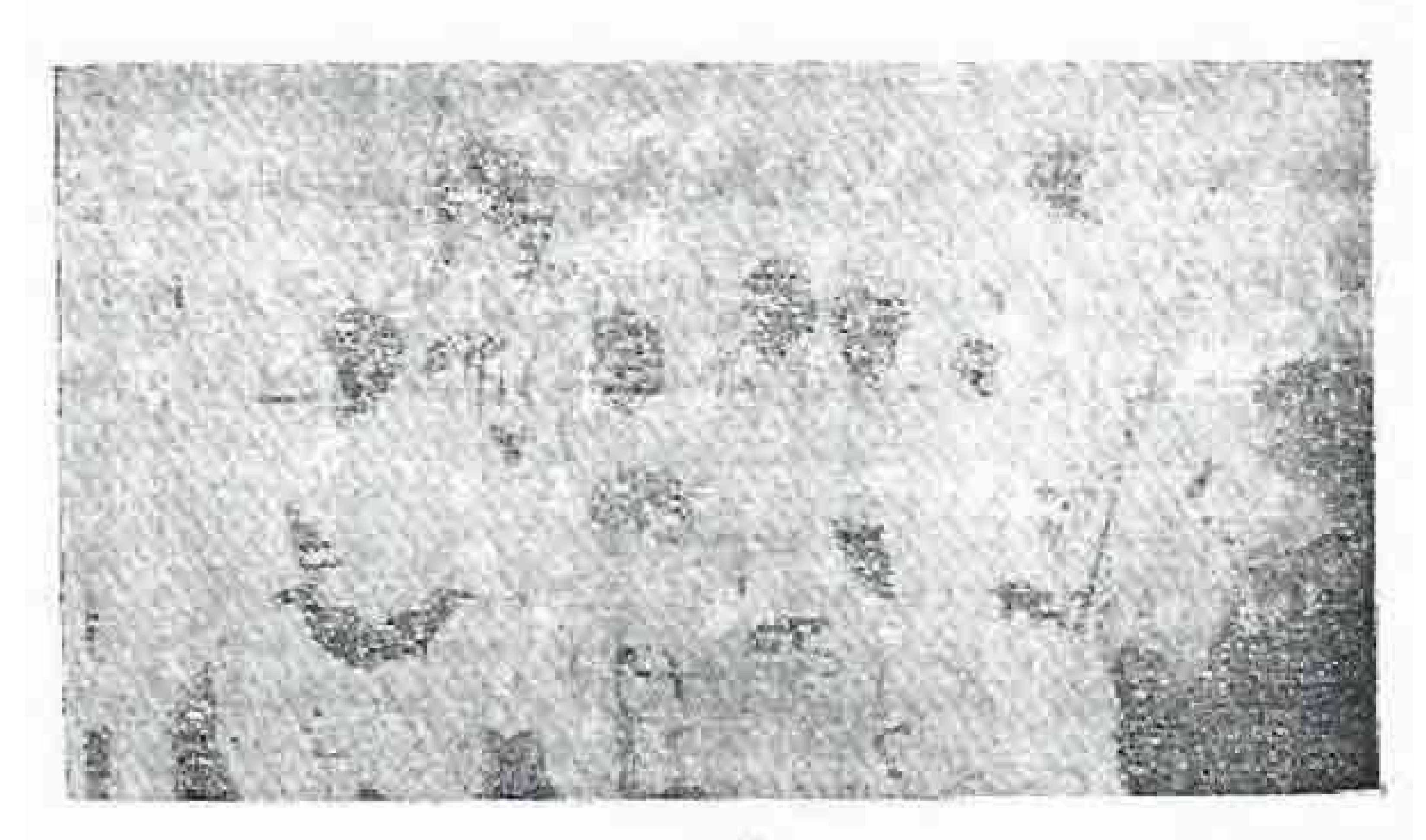
تولى نظارة بنى عامر فى مديرية كسلا عقب استقالة ابن أخيه (إدريس صالح) فى سنة ١٩٣٧ . وبعد عدة محاولات لنقل النظارة من بيت دقال تشبث العمدة محمد ضرار على بأن لا يكون هناك وكيل أو غيره إلا بعد تعيين الناظر إبراهيم . وكان آخر اجتماع حضره المدير (المستر كندى كوك والمستر لى فى عَيَت) تقرر فيه تعيينه ناظراً على عموم قبائل بنى عامر كسلا والبحر الأحمر .



الجالس فى الوسط هو الشيخ إدريس صالح دنقل ناظر قبائل بنى عامر بالسودان
هو هنا بملابسه الرسمية ولكنه اختلف مع موظفى الحكم الثنائى من الإداريين
جليز فأعفى من منصبه رسميا سنة ١٩٣٦ ، ولكن ظلت مكانته باقية فى نفوس أبناء
يه فمنع الإنجليز دخوله إلى أراضى بنى عامر وحددت إقامته بين كسلا وبورتسودان
سكنت حتى توفى سنة ١٩٥٦م (الصورة أهديت للكتاب من الأستاذ كامل يوسف)

عمد قاسري Hasri

(نايتاب السودان)



سنة ١٩٣٨ م

١ – الشيخ إبراهيم محمد عثمان دقلل حامد

٢ – السيد محمد إبراهيم عمد الشيخ

٣ – الشيخ إبراهيم أبو جميل العجيلابي

٤ – الشيخ على إدريس أكد

٥ – الشيخ عثمان موسى أكد

أما أبناء هامشرى هم ذرية الشيخ على بن ناصح الذى جلس على كرسى نظارة بنى عامر[1] (ميلك) خمسة عشر عاما ، ويلقب بالشيخ على عَكَّسَه. وكان صارما وشديد الأحكام ، مجردا من الرأفة . وقد حكم على جميع القبائل التى تحت سلطته بأن لا تبرح مكانا يقال له « عَكَّاتْ نَأَفْ Akkat Naaf لمدة سبع سنوات . وله من الإخوان أكد وإدريس وأبو سعد وعوض الله ، وله من الأولاد همد شيك (جد عد هامشرى) وسلمان جد (عد حسن)[2] .

« هامشرى »

(همــد شيك)

بعد زوال النظارة من على عكسه وافق دقلل على أن تكون لابنه همدشيك عمودية الذى تزوج بنت إحميد البَلَوْ فى جهات العقيق يسمى الشيخ عيسى درهيب ، وقبره ظاهر بغرب مقابر العقيق ورزق منها إدريس وعالياى[3] وعمر جور[4] .

---

(1) اقرأ نظار بنى عامر فيما سبق اذ ذكرنا نتفا من أعماله .

(2) استقينا تاريخ عد هامشرى وأكثر النابتاب من عمنا الشيخ همد نود على ضرار، ومحمد أكد نصور ومحمد موسى همد .

(3) لم يعقب .

(4) له ذرية واشتهر ابنه محمد بالشجاعة والشهامة وتوفى بجهة «طقت» وخلف ابنا اسمه موسى كان شاعرا باسلا .

إدريس محمد شيك[1]

تولى العمودية بعد وفاة والده ، وتزوج بابنة دقلل أ كد بن دقلل إدريس ، ورزق منها ولدا واحدا هو حامد ، وله من غيرها إبراهيم الذى توجد ذريته فى عد بيلى بخور بركة — وعلى وناصح وسلمان[2] ، ولما توفى إدريس اقتسم بنوه العربان (التى هى من قدماء البجة) .

« حامرى »

(حامد بن إدريس)

بعد وفاة إدريس ، عيّن دقلل ابنه حامد خلفا لأبيه ، ولـكن حامد زهد فى الوظيفة واشتهر بالتقوى وانقطع للعبادة وترك إدارة القبيلة لابنه الشيخ حامرى (إدريس) الذى تسميت العمودية باسمه . وتوفى الشيخ حامد بعد وبنة ولا يزال قبره ظاهرا هناك . وله من الأولاد إدريس ومحمد وناصح وهُومات Howmat[3] .

---

(١) صوابها شيخ ولعدم وجود حرف الخاء فى التيجرية والبجاوية تقلب «ك» «كاف» .

(٢) أمهم من عد عمر وليس للآخرين عقب .

(٣) قتلته قبيلة عد عمر عند جبل «ود دهرا» وانتـزع أخوه ادريس ابناء فقيراى من عد عمر انتقاما لأخيه وهم فرع من «أبحتشيـلا» ، واليـوم تحرروا من سيطرتهم وأصبحوا مع اخوانهم عمودية كبيرة . وعاش حامـد ادريس نحو ١٢٠ عاما .

ولد فى سنة ١٠٢٠ هـ فاهتم بشئون القبيلة لما أنس فى والده الزهادة فى الدنيا . وأمر الشيخ هاسرى كل من يقيم فى سهول عدوبنة أن يكون تابعاً له ولقبيلته لأنه لا يسمح لغير عشيرته أن ترعى فى بلاده . فامتثل كل المقيمين لأمره وخضعوا لسلطته حتى أصبحت قبيلته كبيرة جداً ، وتألفت منها أكثر من عشر حصص سنأتى على أسمائها وأسماء مشايخها فى النهاية .

ورزق هاسرى ثمانية أولادهم : محمد وعبد الله وأكد وعمر شُلُبْ (ضعيف) وعلى وعاليآى وموشاى (اسمه على الثانى) وحامد بيلى . وكان يقال إن الشيخ هاسرى هو من الأفذاذ الذين توفرت فيهم الشهامة وحب الإصلاح مع ميل لحسن السمعة الحسنة وحب السلم وهذه الخصال هى التى ساعدته لجمع العربان تحت عموديته . ومما يروى عنه أنه لما عاد من مصيفه بخور بركة وجد قرية كبيرة قد سبقته ونصبت خيامها محل مضارب خيامه فسأل عن اسمها فقيل له هؤلاء هم « حَدْ جامع » . فأمر قبيلته أن تخيم حولها وضم إليه شيخ القبيلة . وكان من بقايا البَلَوْ الذين هربوا بلقيف من البجة بعد واقعة « أَسَرَمْ دِيرهيب » واشترط هاسرى على الشيخ جامع أن يقدم إليه صدور الذبائح بدلا من أن يأكلها (جامع) فامتثل[1] هو وأهله لذلك .

ولم تكن أيام هاسرى تخلوا من بعض مشاجرات بين قبيلته وأبناء عمه (عد عمر) . لأن القبيلتين كانتا متجاورتين فلم يسلم رجالهما من المنافسة

---

(١) لم يبق من هذا الرهط اليوم احد بل انقرضـــوا .

والمشاكسة - وانتزع من الحماسين بعض عائلات من الجميلاب وموشلّه وضمها لرعيته .

قال محمد أكد نصور إن الشيخ إدريس هامري ولد سنة ١٠٢٠ هـ وناب عن والده في سنة ١٠٥٠ هـ .

(همد هامری)

عقب وفاته تولى وظيفته ابنه «همد هامرى حامد» ويقال إنه أول عمدة (من النابتاب) كساه الشيخ حامد بن أحمد ناقموتاى ثوب العمودية وقدم إليه لبنا فشرب منه ثم ناوله ثلاثة حبات من الذرة كي يذوقها . وسار بنوه على أثره كلما حضروا تولية ناظر أو عمدة من بني عامر أو العجيلاب أو الحباب أو الحماسين عملوا الطقوس التي عملها جدهم الشيخ حامد .

وفي أيام الشيخ همد المذكور قتلت قبيلة بيت معلا أخويه أكد وعبدالله وخالهما دبُوعيت فضم إليه بعضا من عائلات القاتلين (تجد ذلك موضحا في حماسين (بيت معلا) أيام شيخهم ايتدكل بن حمد حسال) . ومن عادة النابتاب أن يستعبدوا قاتليهم من البجة أو التيجرى أو الحماسين[1] . وأما إن كان عربيا فإنهم يقتلونه بثأرهم[2] . وأقل عدد يستعبد من أهل القاتل لا يقل

---

(١) أذكر أن أحد الأبلدة اصاب هامريا في كسلا بحجر سقط عليه من قومه فاصاب انفه فقتله ، فرفع النابتاب هامرى قضية ضد القاتل وطلبوا تنفيذ عادتهم هذه وأيدهم الناظر السابق ادريس صالح واعترض المفتش الانجليزى والمدير (المستر ريد فيرن Red fern) ولكنهما وافقا اخيرا ووقعا على وثيقة الاستعباد .

(٢) وهذا حالهم مع الهدندوة لانهم عباسيون مثلهم .

عن عشرة أشخاص بأهلهم وذراريهم ، وربما استعبدوا عائلة بأكملها أو قرية برجالها ونسائها ومواشيها[1] . وسمعت من الشيخ أحمد موسى يقول إن الرجل العربي إذا قتل رجلاً من البجة أو التيجرى يغرم العربي نحو عشرين من الغنم ، ولذلك نجد البجة دائماً في تقسيم بين أبناء النابتاب[2] والعجيلاب وبيت أسفدى حباب ، وبيت معلا ، والبلو وغيرهم أمثال آل الشيخ حامد والشيخ محمد فايد .

وأمر همد هامرى كل أصحاب البقر أن يتفرقوا في المراعي لكثرتها ، وقال إنني سأسمى القرى التي تبقى معى « دقاهامرى » وهو اسم يطلق على المنازل الكثيرة التي لا تدخلها إلا الإبل : وأما الحباب فإنهم يسمون قراهم « دق كنتيباى » وهو اسم لمنازل المزارعين للحبوب ، وتدخلها البقر والغنم والضأن ودق حباب ليس له إلا مركزين رئيسين يمكث في أحدهما أربعة أشهر وفي الثاني ثمانية وهو محل الزراعة .

وهو أول من لغى المصيف في خور بركة واكتفى بالمصيف في جبال « أذوبحه » و « زَبَعْ » و « حَشَه » و « بَادِنْ » . هذه الجبال اليوم (سنة ١٩٢٥) تابعة لحكومة إرتريا ولذلك اكتفى دقه هامرى بالمصيف في « عَرِيرِبْ » و « عَيَتْ » و « هَيَتْرَبه » .

والشيخ همد بن هامرى هو أول عمدة سافر إلى سنار مع الشيخ جمع

---

(١) كل مواشي النابتاب يعطيها لعربانه ويتحصل منهم السمن وسائر حوائجه .

(٢) حاربت هذه العادة مع المستر أندرو بول سنة ١٩٤٧ م مفتش توكر؟ منجحنا . وكان أول من وافق عمدة العجيلاب اخى الشيخ محمد ضرار على

ابن عجيل ، ودقلل محمد بن موسى ، والشيخ حمد حسال ، واحتفل ملك الفونج بقدومهم ولقوا إكراما كثيراً من أبناء عجيب (وزراء الفونج) وسمع محمد هاسرى جماعة يضربون على الربابة وترين أحدهما يقال له (سَبَبْ) والثانى « بيطاىَ » فطلب الأول لنفسه والثانى لجمع عجيل . فوافق الملك على إهدائهما لهما وصار هذان الوتران خاصين بهاتين القبيلتين[1]، وسنوضح ذلك فى الأوتار

وبعد أن عاد محمد هاسرى إلى أهله أقام زمنا فى راحة وهدوء ، ثم توفى ودفن مع والده هاسرى فى « قُمْرُتَه سنة ١٢٤٠ (Gumrouta) . وخلف محمد خمسة أنجال هم : موسى قَرْقَم[2]، وحامد جاميل وناصح وأبسعدوا كد وحسن (أمهم من أبناء عمر) وتزوج من الشكَّاب فرزق منها صالح وعلى بخيت ومحمود ، وتزوج من الحباب (تمَرْ عَزْعُوز) فرزق منها حِجَّاىْ ونور وأزبَدْ .

« هاسرى »

(الشيخ على موشاىْ)

تولى المشيخة بيده بعد دفن والده ، ولغياب أخيه موسى قرقم لم يجد من يعارضه ولما جاء موسى من عيدنه اتفق إخوانه وأبناء عمه على طرده وعزله .

وكانت مدة عموديته قصيرة جداً ، قيل إنه لم يتم الشهر . وقد انضمت إلى أنساء هاسرى أثناء عمودية الشيخ محمد هاسرى ، وهى التى استجارت به من

---

(1) لكل قبيلة فى اقليم البجة وتر خاص بها .

(2) أمهم من الأفلندة .

تهمه قتل [1] إخواته: فضل وبهيز وموشا ومملايت ويعشو وكميل وناصر وسلاي وحامين وإندول — وجعل على باقى قبائل معلا رسوما سنوية من السمن والبقر فى المرعى الخصيب وفى الأفراح وغير ذلك ، وألغيت كل هذه الرسوم بعد مارس ١٩٤٧م وبعضها ألغى فى المهدية سنة ١٣٠٠ (بعد واقعة عميت) وقيل إن والده محمد حامرى كان مناصرا لدقال على بخيت بن محمد ابن موسى وكذلك عاصر دقال أولباب ودقال حامد عوض . وفى أيامه حصل قتال حامرى وبيت معلا الأول [2] .

« حامرى »

(الشيخ موسى قرقم)

تولى العمودية بعد وفاة والده ، وهو الذى سميت باسمه قرية عد موسى . وكانت منازلهم كثيرة جدا ، وهى أكبر حصة فى قبيلة حامرى . وبدأ خصومته مع جيرانه العجيلاب كراهية فى عمدتها الشيخ ضرار بن عجيل ، واتخذ تسكروراى بن على طالب عجيل صديقا له . وكانت بينهما مصاهرة ، وصارا ما سافر موسى إلى دقه دقلل لقاء دقلل وطلب منه تعيين صهره تسكروراى بدلا من ضرار . وتأثر دقلل بميوله [3] . وانتدب من يمين الشيخ تسكروراى عمودية الأفاندة [4] . فلما تولاها التبس عليه أمر تحصيل الزكاة ، فتطوع خادم الشيخ ضرار واسمه « حيراى » ليطلعه على الطريقة التى كان يجبى بها المال من

---

(١) قتله آدم بن عتول .

(٢) ذكرنا ذلك فى تاريخ بيت معلا .

(٣) هو دقلل ادريس المشهور بلقب اولباب بن موسى .

(٤) تطلق على العجيلاب وتوابعهم .

العربان فاطمأن له تكروراى ، ولكن حيراى ضلله بقوله إن العمدة يحق له أن يأخذ ابن بقرة من كل مراح أو خمسة أغنام سنوياً من كل قرية ، وهذا بخلاف الزكاة التى تورد على يد دقلل وكان حيراى يستعين بستة من إخوان تكروراى فى تنفيذ ذلك ، فضجت الأفلندة من سوء تصرفاته لأنها لم تعتد ذلك . فسافر وفد مؤلف من عشرين رجلا إلى دقه دقلل شاكين من استبداد تكروراى ، فعزله دقلل ورد العمودية إلى الشيخ ضرار ، فاستاء موسى فرقم وشقيقه جامبيل ، وفرح أ كد ، وابسعد ، وأرسل موسى رسولا إلى دقلل يتوعده بالعصيان مالم يعين سهره ثانياً . وقبل الإستجابة لطلبه سمع السيد على ابن الأمين حامد وهو فى (التيبنا) وكذلك الشيخ أ كد همد وهو فى « قين خشكب » قرب « تبيسخ » فسافر كل منهما من مكانه إلى دقه وانضم إليهما همد قناد لعدم تنفيذ رغبة موسى فرقم ، وكان ضرار عجيل يجاهر بكراهيته له ومرض موسى بحصر البول فزاره ضرار وهو يلفظ النفس الأخير ، فقال موسى : سندونى لئلا يشمت بى — فدخل عليه ضرار ، ثم خرج ، وقال : رحمة الله على موسى فاحفروا قبره فإنه لامحالة ميت قبل انقضاء النهار(1) ، ثم توفى ودفن فى « قيتت » وأقام بعض رجال القبائل حول قبره نحو عشرة أيام ومعه أبناه محمد وهمد نوّل ، فقال لهما الشيخ ضرار اذهبا إلى أهلكما لتنظروا فى لوازم للمأتم . فتسابقا على ظهر فرسيهما إلى القرية ، وأما ضرار فإنه اتفق مع أصحابه وولى العمودية « أبسعد » أخا للمتوفى ووافق السيد على الأمين(2) على ذلك فعينوا الشيخ أبسعد عميداً للقبائل .

---

(1) توفى سنة ١٢١٨ هـ .

(2) كان المذكور يكره تكروراى واخوانه لانهم ضربوا رعاة ابقار السيد واوجعوهم جدا وطردوا الابقار من المراعى والمياه . وموت موسى فرقم مثل موت كنتيباى محمد جاويد .

(الشيخ أبسعد)

تولى العمودية بعد أن نيف على السبعين عاما ، وكان له ابن أخ مشهور بالحزم يدعى أ كد فنزع منه السلطة التى وليها مع كل عائلات هاسرى وعربانهم . فغضب الشيخ ابسعد واستنجد بكنتيباى جاويد، وانتدب لنجدته رسولا خاصا . فرجع الرسول ومعه قرار كنتيباى جاويد وهو قراره على نهب أموال ومواشى هاسرى عندما يصلون فى رحليهم إلى وادى عنسبه فى شهور الصيف .

فلما آن الأوان أرسل كنتيباى العصابة، فالتقت برجال هاسرى ومواشيهم فى بئر ماء يقال لها « فَلْجِيت » وبعد هذه الغزوة بشهر توفى أبسعد ودفن فى مكان يقال له (سِقَا دَحَسْدَه) بقرب « طَذَا مَايُو » . ولما قرب موعد عودتهم من عنسبه إلى عَدُوبَنَة أرسل حُمَّد أ كد عصابة إلى الحباب ، فنهبت أبقاراً وجدتها فى جبل «عَقَقَرْ» قرب جبل أقرع وارتحلوا بها إلى عدُوبَنَة ، فاجتمعوا جميعهم بسكافة قراهم ومواشيهم ، فأرسل إليهم الشيخ ضرار عجيل بأن يجتمع كل أبناء هاسرى فى يوم معين ومعهم مشايخ الحصص لأنه سيزورهم بمشايخ حصصه ، فلما تم الإجتماع قال لهم مامعناه « أنا أقرب جار إليكم ، وقد اختبرتكم جميعا ، ويهمنى أمركم ، وعليه اقترح عليكم أن تولوا العمودية الشيخ حُمَّد بن أ كد فإنه أصلح رجل للقبيلة ، وقد اتفقت مع السيد على الأمين أن يحضر بعد يومين لكى يكسوه ثوب العمودية . فوافقوا على رأيه، وحضر السيد على ، وكسا الشيخ حمد أ كد ، وعملت كل شعائر العمودية . ولا تزال العمودية فى أحفاده إلى يومنا هذا سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

وانقضت أيام أبسعد ، ولم يحدث فيها أى نزاع إلا ما كان فى نزع السلطة من يده لكبر سنه ، ولكن الأحكام كانت تنفذ باسمه والضرائب تورد للحكومة باسمه أيضا . وكانت الحكومة التركية بدأت فى إخضاع قبائل مديرية كسلا حوالى ١٨٤٥ م ، أما الرجل الوحيد الذى كان يبذل جهده فى انتزاع العمودية من أبسعد فهو محمد موسى قرقم ، وقد سافر مرارا إلى سواكن وساعده أمير الارتيقة على رفع شكواه لوالى الحجاز ، فلم يجد أى تعضيد . وأخيرا طلب من الأرتيقة أن يبعثوا معه عصابات يقلق بها راحة قبيلة هاسرى فيضطر مشايخها لطلب الاستقالة من أبسعد ويتولاها محمد موسى . ولكن السلطة الحقيقية بيد همد أكد الذى قبض عليها بيد من حديد ، وتحملت القبيلة كل أذى محمد موسى بصبر . ولما توفى محمد خلفه ابنه موسى فى الشكوى ، فأرسل إليه كنتيباى هداد رسولا يخبره بأن يرضى برئاسة الحصة (عد موسى) لأن والده ترك له نحو ثلث عربان قبيلة أبناء هاسرى والثلث مع همد أكد والثلث الباق لأبناء على ، ويقال لهم « بهرتى » . فاستاء موسى من نصيحة كنتيباى واضمر له الشر فى قلبه[1] . وفى أيام أبسعد كثرت العصابات البنى عامرية بين توكر وقرورة . ولد الشيخ أبسعد سنة ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م وتوفى سنة ١٢٢٤ هـ ، وخلف أربعة أنجال هم حامد وإدريس وعلى وقطيخ قيل إن قلة الأمطار اضطرت ابن أخيه (همد أكد) أن يجمع كلمة كل قبائل هاسرى تحت سلطته ، وأخذ من كل مراح بقرة . فسمع حاج همد ضرار (زعيم مضل) وأخبر بذلك الشيخ أبسعد محرضا إياه بالاتصال بكنتيباى جاويد

(١) تفرعت من كل ثلث عدة حصص وآخر احصاء كان سنة ١٩٤٧ م لها ثلاث عشر حصة ، تحررت منها أربع عموديات أشهرها أبحشيلا وآل فضل «فاضلاب» وولد نهو وبارقلى (Bargilli).

ابن فكاك كي ينهب مواشي عد حاسري ، وفعلا نهبتها عصابة حبابية من جهة غنسبة .

واستمر الحباب في النهب خصوصاً من مراعي « فلحيت » وبعد هذه الغزوة بشهر توفى أبسعد في مكان يقال له « سجاد حستة Sigad-Hasta »

أما حمد أكد فإنه بعد أن استكفى من مراعي الحباب عاد إلى عدوبنة وأرسل إليهم عصابة نهبت أبقار الحباب من « عقر » قرب جبل أقرع . وكانت الأمطار كثيرة في عدوبنة أغنتهم عن أرض الحباب .

عجز محمد بن موسى قرقم من نزع العمودية من أبسعد ، ومرارا ما حاول الاستعانة بالحباب فلم ينجح . وأخيرا أخذ عصابة من أهل توكر وعزام ونهب إبلهم . وحارب ابنه موسى محمد الشيخ حمد أكد (صهره) ولكنه لم يفلح في نزع العمودية .

« هاسري »

(الشيخ حمد أكد)

ولد سنة ١١٧٤ هـ ١٧٦٠ م واستولى على المشيخة بعد وفاة عمه الشيخ أبسعد سنة ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩ م وتوفي سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م ، وفي أيامه حضر إلياس بك مدير كسلا بجيوشه إلى العقيق وعدوبنة بعد أن عين دقلل إبراهيم ابن دقلل محمد ناظرا على عموم قبائل بني عامر وأمر الشيخ حمد كافة القبائل أن تهرب من وجه الحكومة إلى الجبال أو جهة مصوع ، فهربوا ماعدا عائلة « بجلي » كانت مجاورة للأمقدة ، وانتدبت الحكومة العساكر كي ينهبوا كل مايقع تحت يدهم ، وعملوا زريبة لحفظ المنهوبات فيها . وبعد شهر جاء إلى

للدبير فى « حلاييب » ولد صغير[1] لا يزيد عمره عن خمسة عشر عاما كان يسكن مع جده (لأمه) الشيخ حامد على بخيت ومعه خادمه - فقال للحاكم اعتقلونى وأطلقوا سراح المواشى لأن جدى الشيخ محمد أكد إذا سمع الخبر لايلبث أن يحضر إليكم ويقدم ولاءه . وفعلا حضر وقبل الضريبة التى وضعت على قبائله وأنعمت عليه الحكومة التركية بشيخ مشايخ القنوب[2] . وله من الأولاد موسى وحامد . وفى أيامه نهبت إبل محمد بن جاويد من « بعلت »[3] بواسطة محمد موسى قرقم الذى قتل فى إحدى سفرياته إلى كسلا بواسطة عصابة من الهدندوة ، كما قتل الابن الشيخ على بخيت بن إدريس شيخ بهزمى وعشرين من أصحابه، وأخذت منهم الجمال التى كانت معه لحمل الذرة من جهة همبول فى مكان يسمى « حبوب ود جفيرا » ، فأرسل دقلل إبراهيم من قبض على المجرمين وسلمهم للشيخ محمد أكد الذى سجنهم حتى ماتوا .

وفى إحدى السنين أغارت عصابة من عد عمر على قرى بهزمى وعدو دار يسكنون « همشب » . فوصلت العصابة ليلا وكان أحد أفرادها[4] قد دخل إلى سرير شيخ هذه القرى المدعو حامد بن إدريس وقال له : « هل لك أن تتكرم على بالحقة آخذ منها سفة » فعرف حامد صوته فناولها له وسأله هل وصلت عصابتكم فرد عليه « ستصبح بكم » وذهب بالحقة . فقام الشيخ إدريس

---

(1) هو المرحوم الشيخ اكد موسى الذى نقلنا عنه اكثر تاريخ هاسرى وغيرهم من النابتاب .

(2) زال هذا اللقب من حفيده بسبب اخطاء حامد عثمان اكد فى اخذ تموين الأنفلنده سنة ١٩٤٧ م .

(3) من هذا المكان نهب الراس الولا ابقار والدى وقتل رعاتها .

(4) يقال له مكاد اى مولع بشرب التمباك .

ونادى فى أهله بالاستعداد للقاء العدو . ودارت بينهما المعركة وقتل فيها ثلاثة من نابقاب أبنـاء عمر[1] ، فانهزموا ، ولـكنهم بعد زمن استأنفوا القتـال ونهبوا أبقار هاسرى من « عدارَتْ » وقتلوا أصحابها على إدريس جاميل وابراهيم إدريس أكد إبراهيم وإدريس مِنَى ، وأكد نصور . فاستاء الشيخ حمد أكد من عد عمر وأرسل إليهم عصابة حيث كانوا فى جبـل « دِبِرّ » وقتلوا منهم « على فـلى » وأربعة آخرين .

واستأنف عد عمر ثأر قتـلاهم وغزوا قرى « أتيمحا » واستاقوا أبقـار عدِ هاسرى ، فتعقبتهم نجدة بقيادة محمد باقين وأخيه أحمد وامير بن طارقعلى فاستردوا بعض الأبقار[2] . وأسف الشيخ حمد على موتهم .

« واقعة عَيْترْبة »

لما سمعت بعض القبائل[3] بتعقب إلياس بك وسليمان على طالب للعصابات المقلقة لراحة القبـائل الآمنة رحـلوا من حول نوكر ومقـدام إلى عيـتربة وعَيَتْ وقَرُورَة — فدعا الشيخ شيك بن عجيل (وكيل عميد الأفلندة) زعماء القبائل إليه واستشارهم فى الخطة التى يجب عملهـا . فأجابوه « إننا لا نخالف رأيك » . فقال أرى أن يرحل الأرتيقة والعكيلاب إلى عَيَتْ حيث الجبال والغابات ، والحسناب إلى رحيب ، والأفلنـدة إلى قرى عيدها فى قرورة . فرفض اقتراحه الأفلندة والحسناب خصوصا أخواه حجاى وعامر ، فلـما سمعوا

---

(١) كانوا مع العصابة .

(٢) ولكن بعد أن قتلهم عد عمر ، وهؤلاء الثلاثة كانوا يكرهون العجيلاب خصوصا الأول فانه من بقايا بيت بحايلاى الذين ابادهم الشيخ عجيل بن على .

(٣) وهى الأرتيقة والافلندة والحسناب والعكيلاب .

بدنو الجيش من عدارت[1] تبينوا خطأهم ، فقالوا لشيك إن العـــدو على الأبواب ومعه الرصاص ، فنحن نريد أن نعمل برأيك . فقال لهم معاذ الله أن نهرب بعد أن وصل العـدو عدارت وسأموت أنا بين أخوالى أبناء أَلَّوُتْ Alalout ، وسيذهب الحسناب ضحايا الغرور هم والأفلنـدة بسبب حجاى وعامر[2] . وبلغت قبيلة عاسرى سطوتها وفتوتها فى أيام هذا العميد ، وقسم كثيرا من العربان بين أقاربه ، واحتفظ لنفسه بالسهم الراجح ، فتألفت من العمودية الحصص الآتية :

---

(1) المسافة بين عدرات وعيترية هى عشرون ميلا .

(2) عند أول صدام بين الجيش والأفلندة هربا الى قرورة ومعهمـــا شرذمة من حالفيهما .

« عاسرى » (الشيخ محمد أكد وخلفه)

عدد	اسم مؤسس الحصة	اسم شيخ الحصة
١	عد محمد	محمد إدريس أكد موسى
٢	عد موسى قرقم	على إدريس أكد محمد
٣	عد برهي	حامد على حامد
٤	عد أبسعد	حامد أبسعد
٥	عد عاسرى أكد	محمد إدريس أكد عاسرى
٦	عد جاميل	عبدالله محمد عبدالله جاميل
٧	عد ود حامد	محمود حامد أبو سعيده
٨	عد حسن (حدَدِى)	محمد حامد عوض
٩	عد إبراهيم حامد ورار	صالح إدريس أكد
١٠	عد محمد حامد ورار	محمد محمد محمد
١١	عد يلى	محمد أكد نصور
١٢	عد بلع شَبَل [1] (Chapal)	محمد على بلع شبل
١٣	عد حامد عوض	سليمان محمد حامد
١٤	عد عبدالله	إدريس آدم عبدالله
١٥	عد محمد نوّل	أكد محمد موسى
١٦	عد على بخيت	حسب محمد محمد فكاك
١٧	عد على عاسرى	محمود محمد شيك
١٨	عد حامد إدريس	محمود سعيد
١٩	عد على	محمد على شريف

(١) بالع التراب .

وكل هؤلاء مقيمون بالسودان . أما فى إدتريا فتوجد من أبناء عامرى ثلاث حصص برأسها العمدة (شرم) وإدريس محمد بدوى وفى اجتماع أم سكيبان غرب المفيق يوم ٧ مارس سنة ١٩٤٧ بحضور مدير كسلا المستر هانكوك Mr Hancock والمفتش المستر أندرو بول Mr Andrw Paul وحضور الناظر (الشيخ إبراهيم محمد عثمان دقلل وكل محمد بنى عامر وكانوا ثلاثة الشيخ محمد ضرار على، والشيخ محمد إدريس أكد موسى محمد، وأخيه وكيل الناظر [1] حامد عثمان أكد قال المدير : أنا منحت كل العربان الذين تحت عموديتى العجيلاب والنابتاب كامل حقوقهم فى الحرية الشخصية، وسمحت لكل عائلة أن تنضم إلى أصولها . فقال الناظر : بما أن الشيخ محمد إدريس هو رئيس أكبر قبيلة وأكثرهم جزية فلا بأس من أخذ رأيه . فلما سئل قال إننى لا أوافق على تحرير العربان من سلطتى . ثم بعده عمدة الأفلندة (الشيخ محمد ضرار) فقال : أنا أوافق على التحرير، وقد منحتهم كل حقوقهم منذ خمس سنوات. فقال الشيخ محمد إدريس إن هؤلاء العربان لم يخضعوا لسلطتنا إلا بعد أن قتلوا آباءنا وأجدادنا، وأخذناهم بدلا من أن ننتقم منهم . ومحمد ضرار وافق لأنهم لم يقتلوا أحدا من أجداده . فرد عليه الأخير : بأن الموضوع انتهى بموافقة المدير على التحرير فكلام النابتاب لا يفوت لأن العرب كالبنزين والسيادة التى يدعيها محمد هى مثل العربة التى فقدت البنزين . وصفق الحاضرون . وتألفت خمس عشرة عمودية من العموديتين .

---

(١) هذا الوكيل أقيل فى ديسمبر ١٩٤٧ لتلاعبه فى ملابس تموين القبيلة بسبب شكوى الشيخ محمد على محمد عمر ابسعد .

ترفض أبناء حاسرى دفع أى مليم ضريبة على أموالهم وفضلوا «الدقنية»[1] مدعين أن ليست لهم مواشى (أنظر تقارير مدير كسلا المستر همفرى (Humphry) قبل سنة ١٩٤٧م كما تحررت قبائل الحباب بالسودان[2] وارتريا من رئاسة آل كنتيبباى ، وكذلك بنى عامر خور بركة . وأصبح دقلل لا يرأس إلا أهله النابتات . وتألفت من قبائل إرتريا عدة نظارات[3]، أما قبائل الحباب الثلاثة التى كانت تابعة لـ كنتيبباى حسين محمود (وهى رقبات وأسفدة وألمدة) فقد انضمت لنظارة بنى عامر لسوء معاملة الأول لهم . وقد صب رؤساء المتحررين جام غضبهم على آل ضرار المجيلابى ولكن رضاء الآخرين يكفينا :

« إذا رضيت عنى كرام عشيرتى

فلا زال غضبانا على لئامها »

ولقد طفت شهرتى إرتريا والسودان والصومال بسبب هذا التحرير ، ولقيت منهم إكراما وإحتراما وعطفاً لاحد له أينما حلت ركابى،ولن يضيرنى غضب أى ظالم مادمت أنا على حق ولو سمعوا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما غضبوا « متى استعبدتم الناس . وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

ونحن ذكرنا التحرير هنا لأن الاستعباد بلغ ذروته فى عهد هذا العمدة ومعاصريه ، ولاقى فى أيامه مصاعب كثيرة من موسى محمد موسى (صهره)

---

(١) وهى تحصيل ريال من كل رجل بالغ .

(٢) وتحررت المدة واخواتها من آل الشيخ حامد ومن آل محمد فـ...ـاله «فايدابه» .

(٣) فى مديرية الغربية سبع عشرة نظارة ومثلها فى مديرية كرن والسواحل

وأخيه أكد محمد فقد غزيا الحباب بعصابات انتقاما لأبلهم التى نهبها الحباب بقيادة إدريس محمد همد فكاك المشهور بولد ملهيت Malheet ، فأدرك موسى وأكد العصابة فبرز لموسى ولد ملهيت وضربه على ساقه بالسيف فكسرها، فاتكأ موسى على رجليه الثانية وضرب إدريس على ساقه فقطعها، ورمى أكد بعدة حجارة كسرت فخذه من الأعلى ، وعاد كل من الفريقين إلى أهله بجرحاه إلا أن إبل موسى لم تعد . وبعد عام استنفر موسى محمد عصابات من توكر على ظهور الجياد وغزا الحباب حتى بلغوا (نادو) شرق أفرع فوجدوا إبل أبناء كنتيباى جاويد فكاك ، فنهبوها حتى بلغوا (نادو) شرق أفرع فوجدوا إبل أبناء كنتيباى جاويد فكاك ، فنهبوها حتى بلغوا عدوبنة وإذا بكنتيباى محمد جاويد خلفهم على فرسه التى أدركها التعب والاعياء ، فوقفت بأعلى دبة «سميت دبة ولد جاويد » ، فنزل عنها راكبها وقتلها . وجاء محمد عالياى الحبالى (خبير العصابة) وهو أخبر أهل زمانه بأراضى ومراعى أهله الحباب[1] ، ووضع بجواره جرابا مملوءاً بالمدم وقربتين من المياه . فقال له كنتيباى اقترب منى يا محمد وأعطنى أخبار من معك . فأجابه لو لم تكن بيدك « قطان »[2] ، لسلمت عليك . ثم أطلق لفرسه العنان ، وأدرك أصحابه . فلما وصلوا توكر اقتسموا الإبل . وذكر الشيخ موسى محمد فى شعره[3] هذه الغزوة ، ووصف المحلات وصفا دقيقا خصوصاً ما عانوه من الأتعاب فى عودتهم ، ولم يسلم من

---

(1) أخذت كثيرا من هذه الحوادث عن ابنه ادريس محمد عالياى وقد أدركه وهو ابن ثمانين عاما .

(2) سيفه وهو حاد ومسموم .

(3) هو شاعر مفوه وكذلك ابنه على جنيب ، وهما لايقلان فى بلاغتهما الشعرية عن آبناء شيك بن عجيل .

شعره وتهديده صهره الشيخ حمد أ كد بسبب العمودية التي انتزعها أبسعد ثم حمد أ كد .

وكانت العداوة مستحكمة بين دقلل إبراهيم إدريس (أولباب) وأبرهيم[1] ابن دقلل محمد . وكان الشيخ حمد أ كد صديقا للأول ورفض الإعتراف بغير نظارة صديقه[2] وفي أيام حمد خضعت بقية بني عامر للحكم التركي ، وعادت إلى العقيق سنة ١٨٤٩ فرقة من جيش كسلا ومعها محمد بك محمد إيله ، ودقلل إبراهيم محمد ، والسيد محمد إيله أبو بكر ، وموسى محمد مرسى[3] ، والسيد الأمين على الأمين وفرقة من العساكر لتحصيل الضريبة ، فرفض حمد ، وتوفى قبل مجيئهم بشهر الشيخ ضرار بن عجيل وانشغل بنوه بالمأتم ، فلم يجد دقلل إبراهيم من يقابله ، فعاد إلى أغردت (هواشايت) ، وأكرمهم الشيخ محمد شنقب بناقة وهو من عد تِيِي حباب — فسأله دقلل ماذا تطلب ، فقال أن تولى صهرى فكاك بن شيك على الأفلندة بدلا من نور الدين ضرار . فولاه ولكن الأفلندة وجيرانهم أبوا الإعتراف بسلطته .

يقول كتيباى إن اتفاق الأفلندة والنابتاب ضد مصلحة كل القبائل المجاورة لهما ، فتعود المصايبات الصادرة الواردة من الحباب عبر بقراهم ومناهلهم ، فإذا أخلصوا لنا حمونا وإلا فلن تهدأ حالة قبائلنا .

— ويخلف دقلل في أهله أما محمد إيله أبو بكر وموسى محمد فسارا مع فرقة

---

(١) تولى النظارة بعد الأول .

(٢) اوضحنا ذلك في دقلل ابراهيم ادريس اولباب .

(٣) كان يؤمل ان يوليه دقلل على ابنـاء هاشـمي .

بالجيش إلى كسلا ، ثم أرسلهما محمد بك إيلد الحلاق بعد أن زاد قوة الجيش لإخضاع الهدندوة ، فعلم الأخيرون بغرضهم وهجموا عليهم ليلا في القاش وهم نيام، فأوقعوا بهم القتل والطعن والذبح بالخناجر حتى أصيبوا بفشل ذريع إذ كان أكثرهم يطعن أخاه الجندي بالسنجه ويطلق عليه الرصاص ، فأبادوا أنفسهم بأيديهم في ذلك الظلام الحالك .

واتحد إلى الشيخ محمد أكد فإنه تهدد مشايخ عد عمر وأرسل إليهم عصابة وكذلك فعل أبناء عمر وتهجمت كل عصابة من مواشي خصومها .

واتهم عمدة بيت معلا[1] الشيخ محمد أكد بأنه يوقع خلافات بينه وبين أبناء عمه . وبعد مضي عامين عاد دقلل إبراهيم ثانيا لتحصيل الضرائب ، ونصب خيامه في تملاييب فلم يحضر إليه الشيخ محمد أكد، فتداولوا الرسل، وسئل محمد أكد عن أسباب استيائه ، فقال « إن دقلل إبراهيم ومحمد بك إيلد كانا يطوفان ومعهما موسى محمد فرقم ويغريانه بتولي عمودية عد حاسري، وأنه ولي على الأفلندة فكاك بن شيك عجيل مع أن أبناء ضرار عجيل كانوا موجودين وأحق بها منه ؛ فتضامنت وإياهم على عدم دفع الضريبة أو مقابلة دقلل ، فرفض الأخير الصلح ، ولكن المأمور الذي كان مع دقلل تدخل في الموضوع وقال يجب أن تجعل انتخاب عمدة الأفلندة لجميع رجال القبيلة ؛ فرضوا جميعهم ذلك ، وفاز الشيخ نور الدين ضرار بالرئاسة[2] ، وعزل فكاك بعد أن تولاها ثلاث سنوات ، وسُمي الشيخ محمد أكد بشيخ القذوب ولقب أيضا

---

(١) هو الشيخ ادريس حامد ايتدكل .

(٢) اقام فيها سبع سنوات ثم توفي وخلفه عليها اخوه الشيخ على بن ضـــــرار .

بشيخ المشايخ . وبعد هـــذا الصلح توفى حاج حمد ضرار (فاضلاب) وسافر أبناؤه آدم وحامد شيوك ومعهما على بخيت إدريس حاسرى إلى دقه دقلل لشراء ذرة وحصير (بروش وتسمى بالتيجرى تسكاب) ، وفى عودتهم قابلتهم عصابة من لبنت (بجة) وسقميت وقتلتهم وأخذت كل ما كان معهم ، فسمع دقلل إبراهيم محمد الخبر فأرسل فى طلب مشايخ المجرمين وعاقبهم عقاباً صارماً .

وتوفى الشيخ حمد أكد (على حسب رواية محمد أكد نصور) سنة ١٢٧٤هـ ١٨٥٧م .

« حاسرى »

(الشيخ موسى حمد)

تولى الشيخ موسى[1] عمودية أبناء حاسرى بعد وفاة والده وحضر تولية السيد محمد بن على ، وقال لرجال القبيلة « جعله الله عمدة مباركا ميمونا على جميع القبائل » . وبعد زمن قصير جاءت الأخبار من دقه دقلل بوفاة دقلل إبراهيم فسافر الشيخ موسى ومعه عمدة الألمندة الشيخ نور الدين ضرار لتقديم التعازى بناء على دعوة وصلتهما من الشيخ[2] حامد محمد إذ حدث خلاف بينهم (أى عائلة النظارة) على من سيخلف دقلل إبراهيم من النائبتاب فقال الشيخ حامد للحاضرين فى الاجتماع « إن هؤلاء العمد والمشايخ جميعهم أبناء عمومة ، وكلهم يطمعون فى النظارة . ولسكن فى القنبوب عمدتان نزيهان

---

(١) ولد سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م .

(٢) لم يكن قد تعين ناظرا على بنى عامر .

ويسندها سلطة قبيلتين كبيرتين أرسلت في طلبهما ليؤديا الشهادة النزيهة ثم يختارا من يشاءان للنظارة ومن أحق بها مني ومن مخالفيّ في الرأي » . وفعلا أمر مدير كسلا بانتظارهما فلما وصلا قالا « لا نؤدي ضريبة لأي ناظر غير الشيخ حامد محمد » فنفذ المدير رغبتهما وتعين دقلل حامد بك محمد ناظرا على كل قبائل بني عامر . فعاد العمدتان إلى أهلهما وقبيلتهما .

في هذه السنة قتل رجل حباب فرس الشيخ موسى همد وهي حامل ، فأرسل إليه كنتيباي إداد بن حداد رسولا يعتذر له عما أتاه الحبابي ويطلب حضور موسى إليهم ليدفع له قيمة الفرس حفظا لمودتهم . فحضر الشيخ موسى لإستلام القيمة ، فأعطاه أبقارا . ولما أظلم الليل جاء إلى موسى أحدهم (علي نور أدماني) وقال له إن العساكر وضباطها حضروا خلفك في قبيلتك وأخذوا ابنك أكد رهينة واتهموك بالهروب منهم — وأما كنتيباي أداد فقد صار يتهكم عليك بأشعاره التي ينشدها أمام خادمك عمر بن عافه ابن واقي وحامد شربوب . فلما أصبح الصباح قام موسى غاضباً وامتطى صهوة جواده وودع كنتيباي ورحل عن الحباب وفي نفسه أشياء مما حدث له منهم . فقابل دقلل حامد في عدارت وحلاييب وعدوبته[1] . وأمر كل القبائل أن تجتمع في المحـلات السابقة ، وكانت العساكر قد توزعت في القرى لتحصيل الضريبة ، واستاقت بعضاً من الإبل والبقر . ولكن بعد حضور الشيخ موسى ردوها إلى أصحابها ودفع الضريبة المطلوبة منه وكذلك فعلت قبائل الحماسين وسائر حموديات القايتاب (عد عمر وأبرهيم) . ولكن الألمدة رفضت الدفع ورحلت إلى مصوع ومعها

---

(1) كان دقلل حامد ساكنا مع هاسري قبل ولايته حيث كان زوجاً لأخت الشيخ موسى همد .

بعض من هاسري . فنم دقلل العساكر من تعقبهم فأقامـوا عاماً كاملا ، ثم دارت المكاتبات بين مديرية التاكا ومحافظة مصوع على أعفائهم من الضريبة عن سنتين وطيلة مدة وجود دقلل مع موسى كان جاسوس كنتيباى إداد موجوداً بينهم يرى ويسمع مايحدث أو يدور فى ذلك الإجتماع لأنه كان يخشى من الشيخ موسى أن يغزوا الحباب بفرقة من العساكر تضعاوم لاتباع نظارة دقلل ومديرية التاكا بدلا من محافظة مصوع (تحت نظارة نايب) التى كانت تقنع منهم بقليل من الضريبة . ولما أراد دقلل العودة طالب منه الشيخ موسى أن يترك معه فرقة صغيرة من العساكر كى يغزو بها جيرانه من الحباب [1] . فسمح له بذلك بشرط أن تكون الحباب تابعة لدقلل كلا ويصبحوا عموديات بدلا من النظارة [2] ، وقاد الشيخ موسى الفرقة إلى دق حباب الذين بلغهم خبر تحركه إليهم فرحلوا بمواشيهم وأموالهم وتركوا المنازل خاوية على عروشها ولم يجد الجيش شيئاً فأحرق المنازل .

وفى هذه الواقعة أنشدت شاميت بنت أدرات [3] ، تمدح بنى عامر وتعير الحباب بالهروب ، ولكن رد عليها محمد شيك بن عجيل مدافعا عن الحباب ، فعادت العساكر إلى معسكراتها ولحقت بدقلل حامد فى حوشابت وانقسم الحباب إلى حزبين كبيرين بعد عودة العساكر منهم [4] ، فاستنجد إدريس

---

(١) علم الشيخ موسى بمحل جاسوس كنتيباى فقبض عليه وكبله بالحديد .

(٢) كل من يدفع مائة وخمسين جنيها فما فوق يعتبر عمودية ، وكل من يدفع ألفين جنيه له حق النظارة .

(٣) هى جارية عد عمر .

(٤) كان ضد كنتيباى اداد اخوانه ادريس وعجيل وعلى وابن اخيه محمد حسين هداد .

عداد وحزبه بأبناء هاسرى وكنتيباى بقتال حامد والكنه لم ينجده بخلاف هاسرى فإنهم حاربوا مع إدريس لإضعاف قوة الحباب والتقت الجموع كلها فى واقعة « تقب »[1] .

وفى أيام الشيخ موسى انتشر الجدرى فى بنى عامر والحباب ، وأصيب به العمدة المذكور ثم شفى منه وتوفى به ستة من أقاربه وهم من خيارهم وعقلائهم ، وسلمت منه الألمندة لأنها طلبت طبيبا من سواكن لتطعيم أفرادها .

وحدث خلاف بين الشيخ على ضرار (عميد الألمندة) ورجل من هاسرى اسمه « أبو سعيدة محمود » على عربى اسمه « محمد أحمد داين » من عائلة أمور ألمندة وكثر النزاع بينهما وأقسم الثانى بأن محمد أحمد من عربانه وتألفت منهم قرية « بردو » .

وتوفى الشيخ موسى محمد سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧١م فى مقابر « حنتا » بجوار السيد حامد الأمين حامد، وله من الأولاد الشيخ أكد موسى محمد وإدريس آدم ومحمد وحامد وللجميع عقب طيب ، واشتهر بكراهيته للحباب خصوصا كنتيباى إداد وكان بين والديهما (أكد ومحمد إداد) صداقة متينة تولى بعد وفاة والده وحضر توليته الشيخ الكبير السيد محمد عثمان تاج السر ، والسيد محمد عثمان بن الشيخ محمد بن على ، وكساه الثانى ثوبا عقب الدفن، وأما الأول فكساه جبة وعمامة وحجازية من أفخر نوع[2] .

---

(١) تجد ذلك مفصلا فى الحباب .

(٢) كانت التولية فى «قاقت G gat

وأشهر ماحدث فى أيامه هو قتال قبيلته (هاسرى) وبيت العلا وقد فصلناه فى تاريخ الأخيرة بقبائل الحماسين . واشترك الشيخ أ كد فى حوادث المهدية وبايع الأمير عثمان دقنه ، ولقى من جميع الدقناب عناية الإكرام بما بينهما من صلة النسب[1] ، وسافر إلى أم درمان سنة ١٨٨٨ م[2] لمقابلة الخليفة فتبعه من أقاربه صالح محمد لباب وحمد شيك هَلَّيق ، فأقام بالبقعة نحو أربعة أشهر ، ثم أرسل الأمير عثمان دقنه فى طلبه بإلحاح شديد ، وذكر له أن بنى عامر على وشك نقض البيعة إذا لم يعد زعيمهم . فعاد مع أصحابه ومعه يعقوب حامد عوض ، ومحمد عمر كسولاى ، وعبد الله نصور (من عد عمر) . وفى مدة غياب الشيخ أ كد بأمدرمال حدث قتال جبل هجر، ونهبت أ كثر أموال ومواشى بيت معلا[3] وأقام بعد عودته هادئا حتى كانت أيام الأمير محمد عثمان أبو قرجه الذى أصدره أمره لرحيل الشيخ أ كد وقبيلته إلى مدينة توكر لئلا يهرب منه إلى ارتريا[4] ، بسبب مجاعة سنة ١٣٠٦ هـ ، فامتثل لأمره وقبل تنفيذه . وحدث بين الأميرين (دقنه وأبو قرجه) خلاف اختل فيه نظام السياسة والحرب ، فانتهز الشيخ أ كد هذه الفرصة وهرب بقبيلته إلى نَقْفَه بعد أن قاسوا أتعاباً

---

(١) كان محمد نول بن على بك دقنه متزوجا بابنة عم الشيخ اكد .

(٢) قيل ان احد أشراف بيت معلا وشى به عند الخليفة عبد الله بأنه رجل خطر جدا فاذا لم يقتل أو يعتقل لاتبايعه بنى عامر وربما يثور على عامله بالشرق اخذا بثار دقلل على بخيت بك فى سبدرات سنة ١٨٨٥ م .

(٣) كانت هذه الواقعة بأمر من كنتيباى حامد وقيادة أخيه حمد كنتيباى، وكانت أكبر وآخر واقعة كسرت فيها بيت معلا اذ استعمل فيها الرصاص من جنود كنتيباى والرشايدة .

(٤) بدأت القبائل البنى عامرية فى التسلل الى ارتريا حيث وجدوا عملا متواصلا من الطليان .

كثيرة لبعد المسافات ووعورة للمسالك التى ساروا فيها ليكونوا بعيدين عن عيون النجدات والرقباء . وأما الشيخ أكد محمد (ابن عمه) فلم يتمكن من مبارحة عدوبنة .

ثم عاد الشيخ أكد بأهله سنة ١٨٩١م بعد أن نقل الأمير عثمان دقنه[1] رئاسة قواته من توكر « أدار أمه Adarama بنهر عطبرة » فوجد أبناء هاسرى الشيخ إدريس دقلل حامد قد تعين ناظرا على بنى عامر السودان واتخذ العقيق مقرا لاقامته . وسافر الناظر والشيخان ضرار على ضرار وأكد موسى محمد إلى سواكن وقابلوا محافظها « هولد اسمث باشا » ، فأنعم عليهم بملابس وكساوى شرف وهدايا جمة وملأ لهم سفينة من المأكولات كالسمن والأرز والبن والمجوة والذرة ، فعادوا إلى العقيق واقتسموا ما أحضروه من أموال المستعمر الجديد . وفى سنة ١٨٨٩م توفى إدريس أكد موسى[2] بالجدرى ، وتوفى بعده أخوه عثمان أكد سنة ١٩١٠م وأما أخوهما الأكبر (محمد) فقد قتلته بيت معلا فى أول واقعة سنة ١٣٠٠هـ . وكان الشيخ أكد موفقا فى كل حوادث الشر ودائما يسعى لحل المصابيات تاتف حوله فيبعث منها لكل من يغضبه أو يكرهه ، كما اشتهر بالوفاء والمحافظة على العهد .

ومن محاسنه إجارة المستجير به مهما كلفه الأمر . وسألته مرة لماذا لم

---

(١) أرسل الأمير سنة ١٨٩٠م الى كل من كان بارتريا من قبائل بنى عامر كى يعودوا الى ديارهم وانه عفا عن كل ما سلف . وعاد مع هاسرى الافلندة برئاسة الشيخ ضرار بن على قد اقتتلوا مع الخيالة ثم ركبوا سنابيكهم بحرا الى جزيرة ابن عباس ومعهم بعض من الخيول .

(٢) والد العمدة الحالى .

يرسل هو ووالدى مندوبا إلى الأمير عثمان دقنه في أوَرْبَة بالجيلاب لترحيله لجدة. فقال لى جاءتنا تعليمات من مشايخ نوكر ومندوب من الشيخ أبو بكر الأمين الجيلانى (خال حامد بك سليمان) بأن نمد أنا ووالدك السنبوك فى ميناء عَنْبِيسْ وكَرَايْ، فأعددناه وبقى الريس إبراهيم عروض فى انتظاره. وفجأة تم القبض على والدك وسنبوكه، ثم اعتقلت أنا بعده فى سنة ١٩٠٠م.

قال الشيخ أكد كنت أجير زعماء العصابات الذى أقلقوا راحة إرتريا والسودان أمثال إدريس بتهو وأبو بكر قائم وغيرهما، وكنا نحن المشايخ نطوف مع البوليس والحكام فى الجبال بحثا عنهم. وكلما وردنا منهلا أرسلنا إليهم ليختفوا، وقبائلنا كما تعلم إذا عزمت على شىء يحسن سمعتها تتسابق فى الوفاء به. ربما ظن الأمير عثمان دقنه أننى لا أجيره لقتله لاوقلل على بخيت بك الذى كانت الخصومة بينى وبينه مشتدة [1].

ويلتف حول الشيخ أكد موسى كثيرون من الشعراء يمدحونه ويثنون على أعماله مع خصومه، فكان شاعره ضد بيت معلا الشيخ محمد بن كنتيباى اداد، وضد نابتاب خور بركة ابن دروباى فإنه يجعل الأفضلية لنابتاب القنوب (العقيق)، والثالث هو «أكىْ دولى» من عدعمر. ولكل من هؤلاء خصم عنيد، فمثلا أبو بكر طواى هرترواىْ من بيت معلا كان له الهجاء

---

(1) كان الخلاف بينهما بسبب قتال أبناء عمر وأبرهيم فالأخيرون من اقارب دقلل على بخيت والاول أبناء عم الشيخ اكد موسى «هاسرى». وتجد نابتاب خور بركة لاتعترف لنابتاب القنوب بأى زعامة عليها، وسنبين ذلك فى عد عمر، وكل اشعار هؤلاء محفوظة بردودها لدينا كاملة.

أصناما والذم زعاما ، وانبرى للأخير الشيخ نكوش بن موسى من رؤساء بيت بعشوكان مجوه لاذعاً ومسيئاً للغاية .

كانت شكوى الشيخ أكد ووالدى مرة جداً من الحديد الثقيل الذى كبّلا به مع الشيخ أبوبكر والرئيسين معهما[1] (إبراهيم عروض ومفتى أبو فاطمة) .

وفى سنة ١٩٠٣م جئ بجميع مشايخ بنى عامر إلى سواكن ، ووضعوا فى السجن لأنهم عجزوا عن القبض على أبو بكر قالع . وبعد شهر سمعوا بأن رئيس العصابة المذكور مات بلسعة ثعبان ، فأطلق سراحهم . ويحتفظ الشيخ أكد موسى بسيف جميل وصل إلى أجداده من أحد بقايا ملوك البجة[2] (بلو) ، أما الكتابة التى على السيف فهى من عمل السيد حامد الأمين . ولدى أبناء هاسرى سيوف جيدة مثل الذى عند الشيخ مِنِّى حامد (نفس) وآخر عند الشيخ إدريس أكد محمد شيخ (الأول من بَرْهَمْتى والثانى عند موسى) ورابع عند همد نوّل .

وتوفى الشيخ أكد موسى سنة ١٩١٩م بعد أن نيف على المائة عام ، وبوفاته انتهت هيبة العنصر النابتابى فى سهول وجبال البحر الأحمر إذ انتشرت الحرية الشخصية ثم القبلية ، كما ذهب الصيت الحسن . وقد ذكر المستر

---

(١) بقوا فى السجن حتى أوائل فبراير سنة ١٩٠١م إذ سافر الأمير عثمان دقنه الى مصر مسجوناً .

(٢) وأول من نال السيف هو الشيخ همد هاسرى حامد وانتقل منه الى حامد همد ، ولكن أخذوه منه وسلموه للشيخ موسى قرقم ، ومنه انتقل الى الشيخ همد اكد .

ويتشارد هل نتفة من حياته الحافلة بالخير والشر عندما تمس كرامته وهيبته — وفى مجالس القبائل دائما قوله هو الفصل — ويظن الكثيرون أنه حضر واقعة حجر وما قرب منها مع أنه لو حضرها لما كان هناك إسراف فى القتل الذى أتاه محمد عمر أيسمد وأبناء عمومته [1].

« حاسرى »

(الشيخ محمد إدريس أكد)

تولى العمودية على عموم قبائل حاسرى بعد وفاة جده أكد سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩١٩م وقد كساه السيد نافع أبو بكر والسيد محمود إبراهيم . ومما امتاز به الشيخ محمد أنه حال ولايته منع قبيلته من أى عمل مشين أو تعد على جيرانه من القبائل بخلاف ما كان فى عصر جده ولم يحدث فى أيامه إلا خلافه مع ناظر بنى عامر (الشيخ إدريس صالح) طوال مدة نظارته . ولم تتقدم قبائل بنى عامر فى أيامها أى خطوة ، بل تزداد الهوة دائما بينهما ، ومرارا ما حاول نزع العمودية من آل محمد أكد وإعادتها إلى آل موسى فرقم ، ولكن الأخيرين أظهروا زهدهم فى توليتها . وقيل إن المأمور المؤرخ أحمد حسن حسين باشا خليفة العبادى كاد أن ينجح فى تنفيذ هذه الرغبة سنة ١٩٢٥ [2] وكلما جاء حاكم لبنى عامر يجد التراشق بالتهم وعدم التعاون ظاهراً إلا دفع الضريبة .

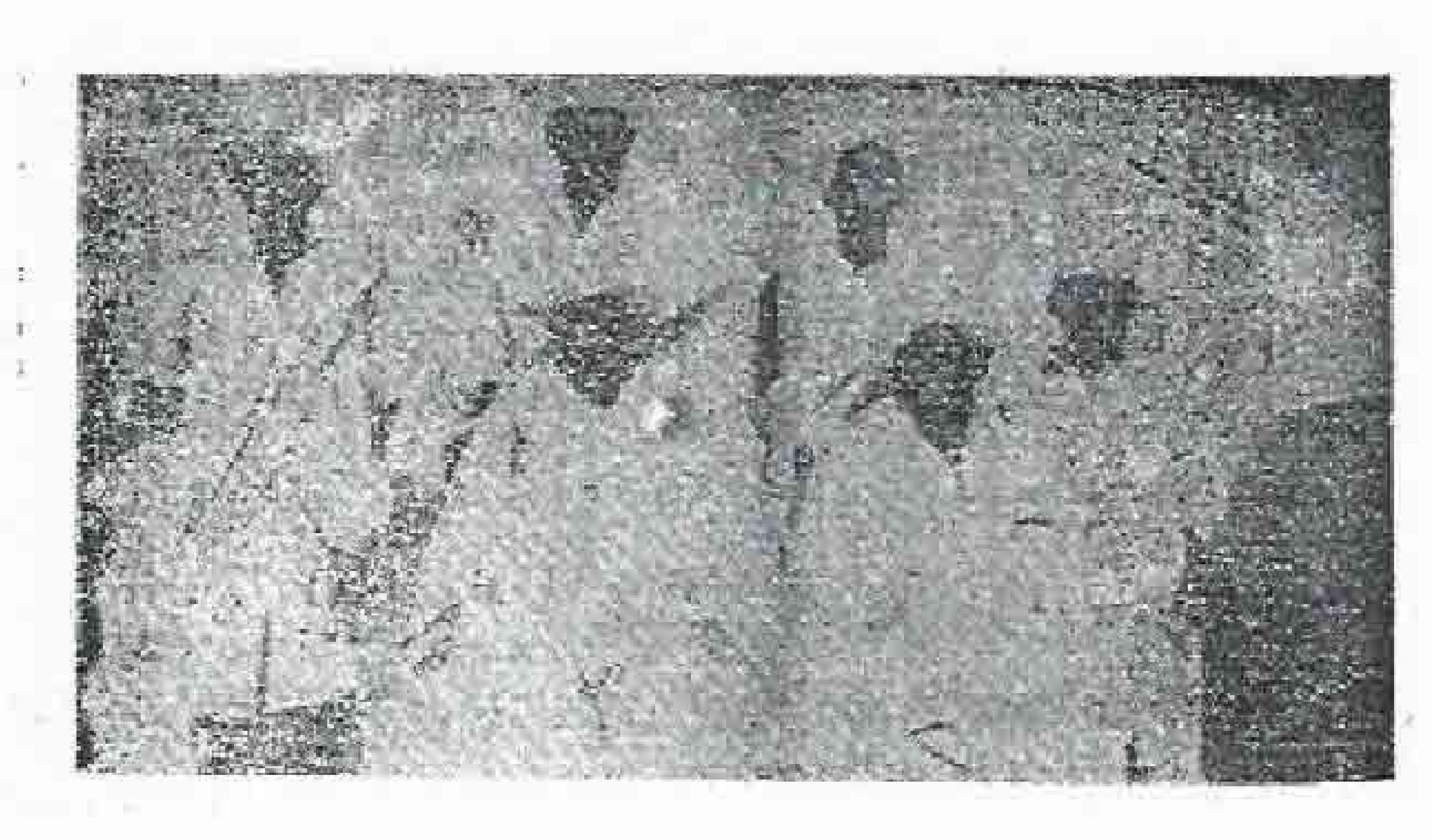
---

(١) تكان حوله علماء أتقياء من السادة آل نافع أبوبكر ، ومحمود ابراهيم يهالك محمد بن على وحسن حيوتاى وحاج أحمد واخوانه محمد وعبد الصمد الذين نشروا الدين فى أبناء حاسرى .

(٢) كان يتمنى تولية ادريس متباى محمد موسى .

فلما استقال الشيخ إدريس سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م خلفه الشيخ إبراهيم محمد عثمان (الناظر الحالى) وبذلك افتتحت قبائل بنى عامر عصرا جديدا وانتهت كل الحزازات .

وتعيين العلامة المستشرق المستر كيرلوس ألكزندرلى Curloss Alexandet ea مفتشا لبنى عامر سنة ١٩٣٦م واهتم المشايخ بأعمالهم وقد لمس بعنايه اضطهاد الباتاب والعجيلاب والحباب للعربان فدرس اللغة التيجرية عهيداً لإزالة هذا الحيف الصارم(١) .



١ - القاسم صالح ضرار

٢ - محمـــــــــد على بلم

٣ - الشيخ محمد إدريس أكبر عمدة عامرى .

---

(١) قتلى عليه في سنة ١٩٤٧م .

ولو وافق الشيخ محمد إدريس على حرية القبائل لاحتفظ بمركزه الأدبي وعموديته الكبيرة من النابتاب الأصلية ، ولكنه إلى اليوم يتوسع آراءه مستشاريه الذين يرون فى دفع ضريبة أو عوائد أو رسوم قطعان حطة فى قدرهم — بل بعض من حوله يحلمون بعودة العربان إلى سيطرتهم بعد أن تحرروا منهم وسألنى أحدهم عن موعد عودة تلك الأيام ، فقلت له إنها لن تعود مالم يعد اللبن المحلوب من الضرع إلى ضرعه (أى محال)[1] .

وحدث نزاع على وكالة نظارة بنى عامر تو كرين حامد عثمان أكد (كان يؤيده الشيخ الحسن أبو الحسن) والشيخ محمد على محمد أبسعد (كان ينصره المستر بورتر مفتش الزراعة) فولى الأول ثم عزل لاستيلائه على تموين القبائل وشهد عليه الثانى فخلفه على الوكالة .

وفى أبناء عامرى المقيمين بعيترنبة صبر على نوائب الأيام منهم موسى إدريس آدم ومحمد موسى بدوى أحمد ومحمد أكد نصور وصالح حامد شيكاى ومحمد إدريس أكد محمد ومحمد الحسن محمود ومحمود عثمان وإدريس صالح أكد وإدريس أكد إبراهيم وإخوانه ، ولا حتفاظهم بماضيهم المجيد وعدم اختلاطهم ببقية القبائل يسيرون نحو القهقرى مثل المجيلاب فإذا لم يندمجوا فيمن حولهم فإنهم لامحالة يوما ما زائلون ، ولا نرى إلا مساكنهم كسائر الأمم التى لا تجدد دماء مصاهرتها — ونحن اليوم فى عصر يقتضى التخلص من القيود الواهية البالية . وللشيخ أدريس أربعة أنجال هم : إدريس وموسى وعثمان وأكد .

---

(1) صرف النابتاب أموالا طائلة للمحامين حتى يعيدوا لهم عربانهم بدون أى جدوى .

يقول المستر بول (مفتش بنى عامر توكر) لو رضى الشيخ محمد بأن يكون رؤساء كل حصة ممن تحته من « عَليت » مثل أخيك لما وافق المدير على تحرير العربان منه ، ولكنه أصر على أن تكون سيادة النابتاب على إخوانهم السودانيين وهذا ما لاتقبله الحكومة .

فلولا هذا التشتيت لبقوا معه إلى اليوم لأنهم يسكنون فى أرض أجداده وآبائه ، وفى أنحاء السودان الأخرى كل من يسكن أرض أى عمدة يكون تابعا له فى كل شىء خصوصا فى دفع الجزية أو العوائد ، وله حق فى المرعى والماء ولكن ملكية الأراضى فهى لبيت العمودية والرئاسة .

" هاسري "

تأتي هنا على سلسلة من تناسل من على نايت فرع أبناء هاسري الذي كانت لدي جدهم على (عكسه) المشارة ثم نزعت منه لصرامة أحكامه وحروب القبائل منه فتولاها أخوه دقلل الكد .

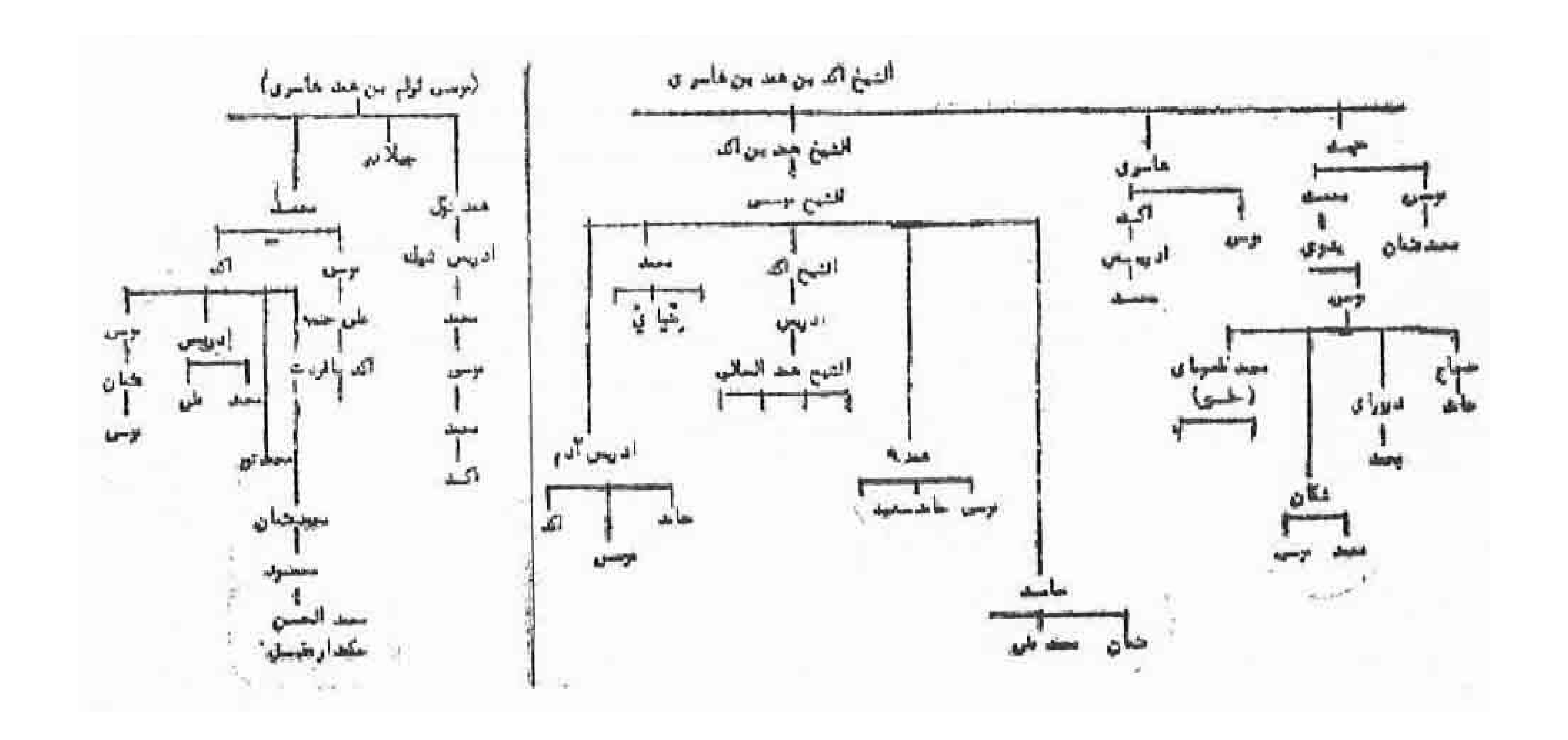
(١) قتله البلو (٢) مات من الغيظ

(٣) أول من لقب بدقلل ومعناها ملك او ناظر

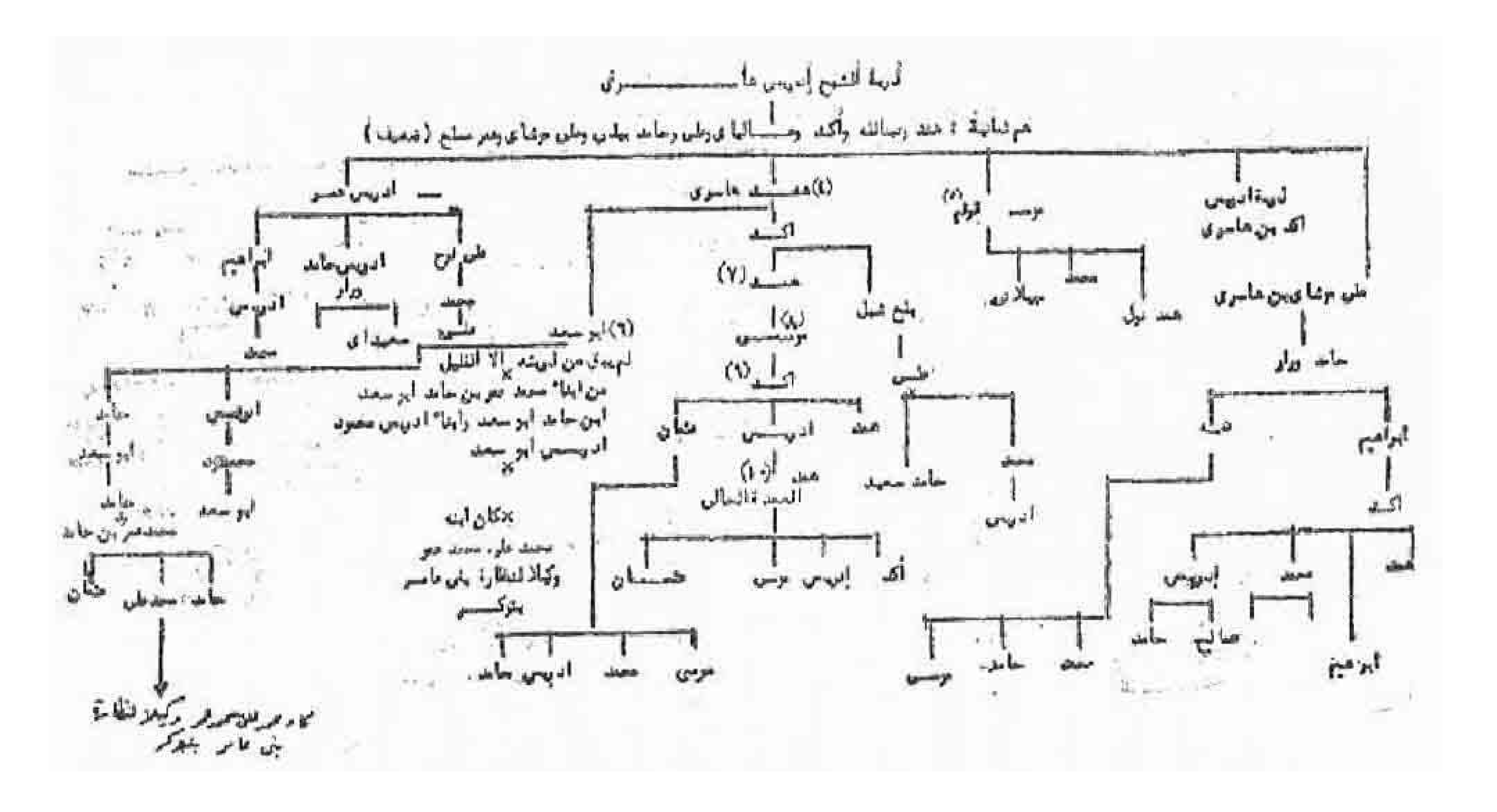
صحراوي الجبلي
شهاب الدين
احمد الوينسق
محمد الطيموسح
الفقيه أبو القاسم
الفقيه علي نايت (١)
الشيخ هاسر
الشيخ هاسح

الشيخ علي نكنه (١)
دقلل الكد الأول (٢) (بيته بظارة بني هاسر) (٣)
إدريس (له تسعة أنجال)
عوض الله (تناسلت منه الكنكسل)
أبو سعد (جد عد صالح) (صالحندوه)

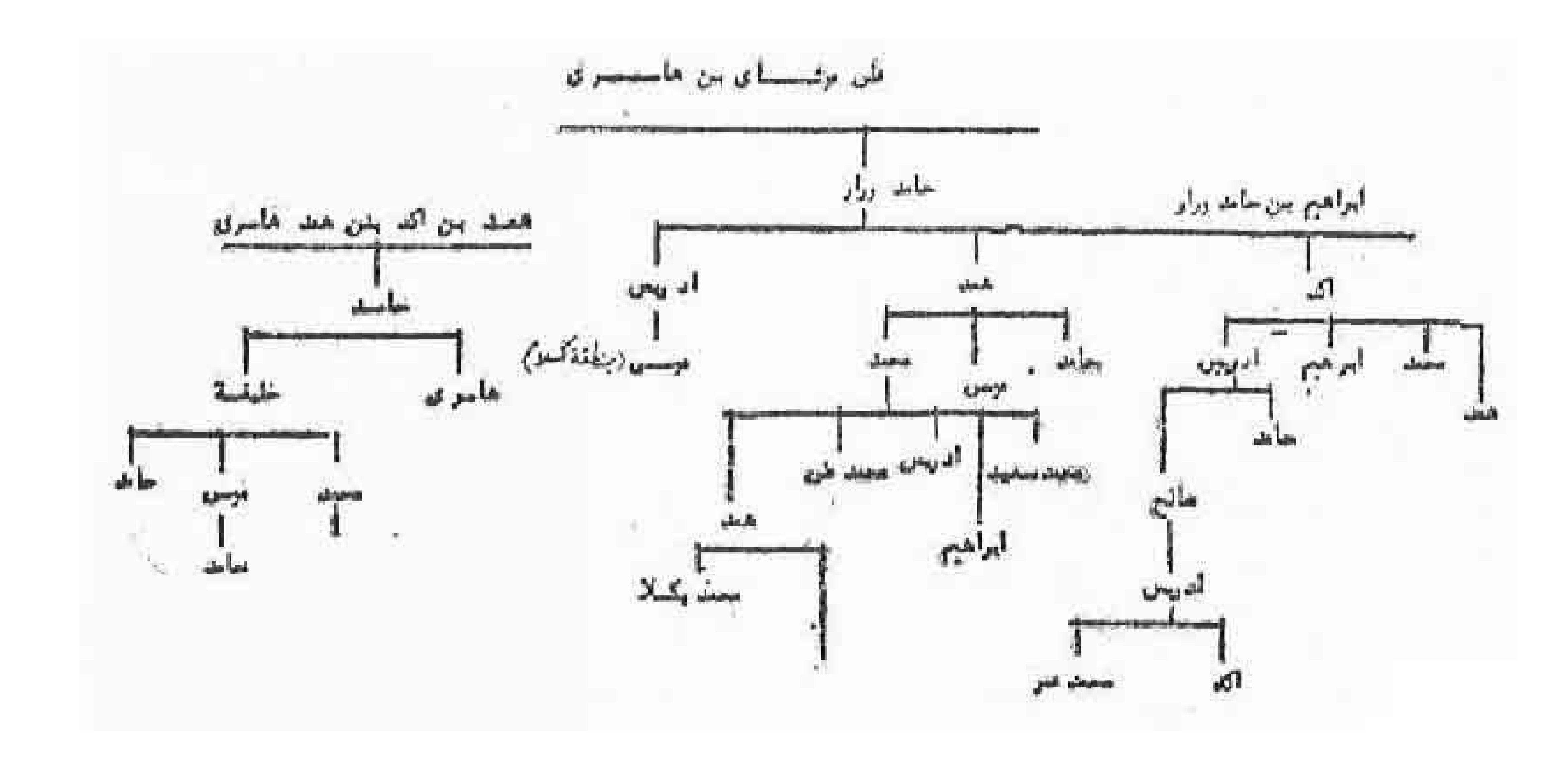
الشيخ الصدة (١)
الشيخ مساعد (٢)
الشيخ هاسري (٣)
محمد ...
بنت تزوجها زعيم الارتيقة (جدة الشريف علم الدين)
بنت تناسلت منها البوادرة (شكيسنا)
بنت تناسلت منها قريش (حسبانيه)
دقلل موسى (٥)
دقلل محمد (٦)
إدريس (٣)
أكد (٤) (جد عد اكد بن كرن) سموهية



الشيخ موسى
عاسري
موسى
محمد
ادريس
حامد
شكان



ذرية الشيخ إدريس ماسري
محمد ماسري
ذرية ادريس
احمد بن ماسري
علي جرشاي بن ماسري
حامد ورار
ابراهيم
احمد
محمد
موسى
حامد
ادريس
صالح
ابو مينم
منيع شبل
علي
حامد سعيد
عثمان
ادريس
ادريس حمر
علي ابرج
ادريس حامد
ابراهيم
ابو سعيد
لم يبق من ذريته الا القليل
من ابناء محمد عمر بن حامد ابو سعيد
ابن حامد ابو سعيد وابناء ادريس محمود
ادريس ابو سعيد
كان ابنه
محمد علي ، محمد عمر
وكلاء لنظارة بني عامر
بتركس
محمد
ادريس حامد
موسى

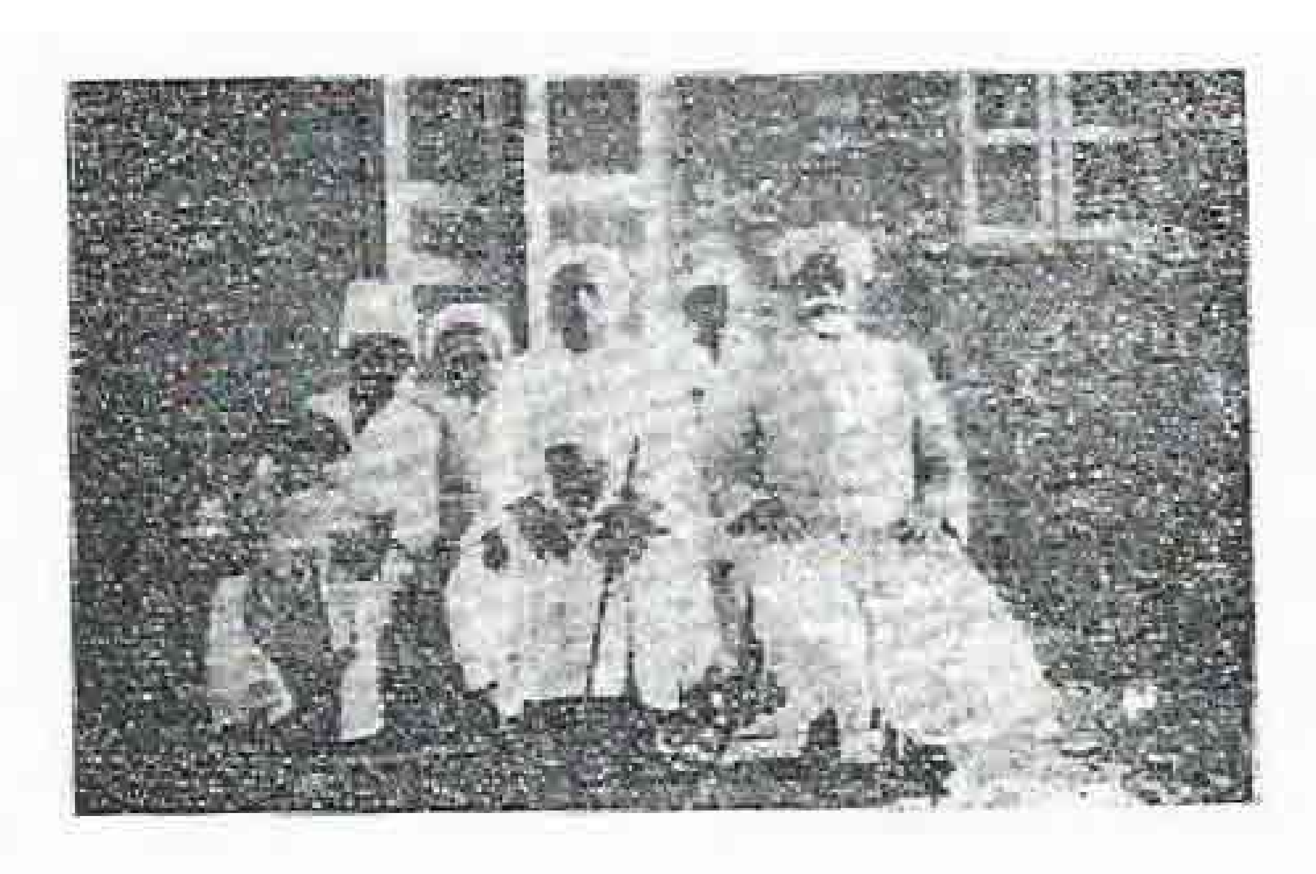


ابراهيم بن حامد زوار
ادريس
محمد
احمد
ابراهيم
حامد
صالح
خليفة
هاشمري

أو « عَدْ »[1] الشيخ حامد . منذ ظهور والده الشيخ أحمد نامعوتاى كانت إقامته بأرض الحباب وسهول بنى عامر ، واجتمعت حول منزله عدة قرى لأنه كان زعيما دينيا يشرح لهم تعاليم الدين الإسلامى وأركانه ، فاتخذوه إماما دينيا لهم . وكذلك سارت ذريته من بعده على منهجه القويم ، وأصبحوا مندمجين فى قبائل ألمدة (انظر كتاب الإسلام فى الحبشة بالإنجليزية) ، ويؤثر عنهم أنهم ما اشتركوا يوما ما فى غزوة أو سلب لقبيلة ما من الذاتية منهم أو الثانية لأنهم أناس قد انقطعوا لطاعة الرحمن وعبادة الديان ، وكل القبائل المنضمة إليهم كانت فى راحة واطمئنان . فلما جاء الاستعمار بالسودان وإرتريا وضع عليهم وعلى من معهم جزية رفضها أهل امبيرمى[2] ، ثم انتحر الحافظ الذى وضعها . وفى أيام السلطنة الزرقاء (الفونج) طلب دقلل من السيد أحمد نامعوتاى أن يدفع له زكاة من حوله من القبائل ، فسأل عن أسباب الدفع ، وتجادلا ، وأخيراً قال دقلل إنها عوائد مرعى ، فقال له وإذا ارتحلت عن أرضكم ، فقال له دقلل لا نطالبك بأى شيء وارتحلوا من عيذيب إلى أراضى الحباب (إرتريا) . وأهل امبيرمى مشهورون بحبهم للتعليم الدينى والعصرى . وكان إمامهم الشيخ عبد القادر بن محمد بن على ، ثم ابنه الشيخ الأمين الذى يتمتع بثقة الحكومة الإيطالية ثم الحبشية . ويتولى زعامتهم اليوم الشيخ محمد على بن الأمين ، وهو حجة فى جميع العلوم العقلية والنقلية خصوصا الشرعية منها والصوفية ، فإن أبناء هذه القرية برزوا سواهم فى التعليم وكذلك الحال فى دقة « الشيخ حامد » بقام شيوا » .

---

(1) آل .
(2) كانت فى عهد الشيخ الأمين عبد القادر .



١ — سيادة مولانا الشيخ محمد علي بن الشيخ الأمين عظيم أمبيرمحي بمصوع .

٢ — أنجال محمد صالح ضرار .

٣ — الشيخ حسن محمد حيدر .

ولم يحدث من عد الشيخ حامد أي صدام أو خطأ إلا ما كان بين جند السيد علي عمر بن الشيخ محمد وجند الشيخ دقلل علي بخيت في أيام دقلل حامد إذ أصيب الشيخ علي بخيت بضربة من مأمور العسكر فشج رأسه ، وجاء أحد خصوم السيد علي عمر وذبح « تيسا » صغيرا وملأ منه عمامة علي بخيت وذهب بها إلى دقه دقلل وقال لهم « إن علي بخيت خطر وهذا دمه المسفوح » . وألقوا القبض على الشيخ عمر دقلل محمد بدلا من ابنه محمد وجيء به مسجونا إلى (هواشايت) ومنعوا الناس من الإتصال به ولكن رفض تعليماتهم محمد ابن شيك بن عجيل (أطشدة) الشاعر المشهور وصار مؤانساله ومسليا ، ويضرب الربابة لتسليته ، ويشجعه على الصبر لأنهم لن يفعلوا له شيئا لأن الشيخ علي بخيت لم يمت . وله قصائد طنانة في هذا الموضوع ، وفيها يفتخر بالقسب الطالبي على العبامى وغيره . ولولا التفرقة بين آل الشيخ محمد بن علي وآل

السيد الأمين بن على لما حدثت هذه الفتنة[1] ، وسنبدأ بكتابة نسب آل الشيخ حامد بن أحمد نافعوتاى . وإننى أحتفظ بصداقة وراثية لهذا الرهط فإن لهم مواقف مشرقة وقفوها معنا عند الملمات والشدائد ، ونتبادل هذا الإخلاص منذ عهد جدهم الشيخ حامد وجدنا الشيخ جمع بن عجيل ابن على وازدادت محبة والدنا لآل إمبيرمى .

« هذا نسب الشيخ حامد »

هو الشيخ حامد[2] بن الشيخ أحمد نافعوتاى[3] ، بن محمود[4] بن عثمان ابن عامر بن زيد بن محمد المبارك بن مولانا الحسن بن الحسين بن محمود بن محمد شريف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن على بن الحسين ابن محمود بن على بن الضيف بن مالك بن الضيف بن عيسى ابن الشيخ الحسين بن على الهادى بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسين

---

(١) يقال ان السيد محمود الأمين بن الشيخ على هو الذى ذبح التيس، فقال له الشيخ محمد اساناتت «ابن عبد دقلل» ياسـيدنا انت أوقعت كراهية بين آل دقلل والشيخ محمد بن على وخصوصا ان اخوالك من نابتاب آل توالى .

(٢) له ثلاثة اخوان احدهما ابراهيم قتل ودفن بأعلى جبل تقدره قبل أن يتزوج ، والثانى الشيخ ادريس النفيد ابى صاحب القبة بأرض البشاريين، وكان ينزل عنده الشيخ محمد نايد فى طريقه الى الشيخ ادريس ود الأرباب، والثالث الشيخ محمد الباقية ذريته اليوم بأرض الحبشة .

(٣) نقلت هذه النسبة من نسخة خطية كانت عند السيد ابو بكر بن السيد ابراهيم بن الشيخ حامد احمد نافعوتاى سنة ٩٥٩ هجرية وهى محفوظة عند الشيخ محمود حامد ابراهيم .

(٤) توفى بمكان يقال له «تحرا» .

ابن على بن أحمد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

ويروى أن الشيخ حامد دائما يقول « أنا من عامة الناس» لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى .

اشتهر الشيخ أحمد نافعوناى بالغنى فى المواشى خصوصا الإبل التى طلب من ابنه حامد أن يرعاها ، فأطاع أمر والده ، ولكنه كان يرعاها فى المحلات التى يكثر فيها الناموس (وهو أكبر مرض لفناء الإبل) فلما قربت على الإنقراض تركها مع الرعاة وسافر إلى أبى حواز لطلب العلم عند الشيخ إدريس الأرباب ، والشيخ عبد الله بن الشيخ دفع الله بن الشيخ أبو إدريس العركى ، ومعه الشيخ محمد فايد والشيخ عبدالله أبو الرايات الحلنقى (الشيخ ود ضيف الله لم يذكر شيئا عن الشيخ حامد لأنه قضى زمنه فى سواحل البحر الأحمر بين مصوع والعقيق والحجاز) فلما أتم هناك دراسته أذن له الأستاذ أن يتوجه مع أصحابه الثلاثة إلى أهليهم وبقى كل من أصحابه بقراها فالشيخ عبد الله فى كسلا ، ومحمد فائد فى بنى عامر بخور بركة ، وأما الشيخ حامد فطاف خلال ديار بنى عامر ميمما أرض السواحل ، وفى كل قرية يبدأ بعمل مسجد يقال له إنه مسجده ، فملأ الجبال والسهول بهذه المساجد . وكان والده مشغول البال لغيابه ، فجاءه وتزوج ورزق سالم وعلى ، ثم تزوج أخرى ورزق منها ابنه الأمين وإبرهيم . وكان يتبعه بعض الحواريين (اثنى عشر رجلا) اشتهروا بالصلاح منهم : أبو حوتة محمد عيسى (رقبات) وحاج محمود (أبحشيلا) وأبو علامة الصوعى ، وبدوى صاحب داقر ، ومحمود عقبه (واريه) ، وحاج حامد نيح (عد قبى . اللدة) ، ومن إحدى قصائد حاج محمود المذكور علمت

أن الشيخ حامد فى أبى حراز على الشيخ عبد الله الذى هو تلميذ الشيخ العركى الذى درس على الشيخ دفع الله ، وهو تلميذ السيد عبد القادر الجيلانى (كانوا جميعهم من الطائفة القادرية التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت)[1] .

والشيخ حامد كان كثير الإقامة بمسجده فى شابرى بقوورة[؟] ، وذات يوم جاءه الشيخ جمع بن عجيل على (جد العجيلاب) ورئيس الأفلندة بشابرى ، وطلب منه أن يزور قرى الأفلندة ويدعو لها بطيب الإقامة . فسار معه ، فولى جميع محل ولده ، ثم دعا لهم ، ثم زار قرى حاسرى أيضا وولى الشيخ حمد حاسرى ، ثم ولى دقلل حمد بن موسى ، وكذلك كنتيباى فى كاك ناود[2] ، وولى أيضاً أبو بكر موسى سلطان للدة ، والنايب أحمد (بصوع) ، والشيخ ناصر حليبو (أساورتا) ، كما ولى الشيخ حامد ابنه كل (بيت معلا) . ولما مرض الشيخ أحمد نافعوتاى جاءه ابنه وحضر وفاته . ثم دفنه فى قلب سقلا — وقد شاهدت اسمه على حجر كبير عنـــد رأسه مكتوب عليه « أحمد نافعوتاى » .

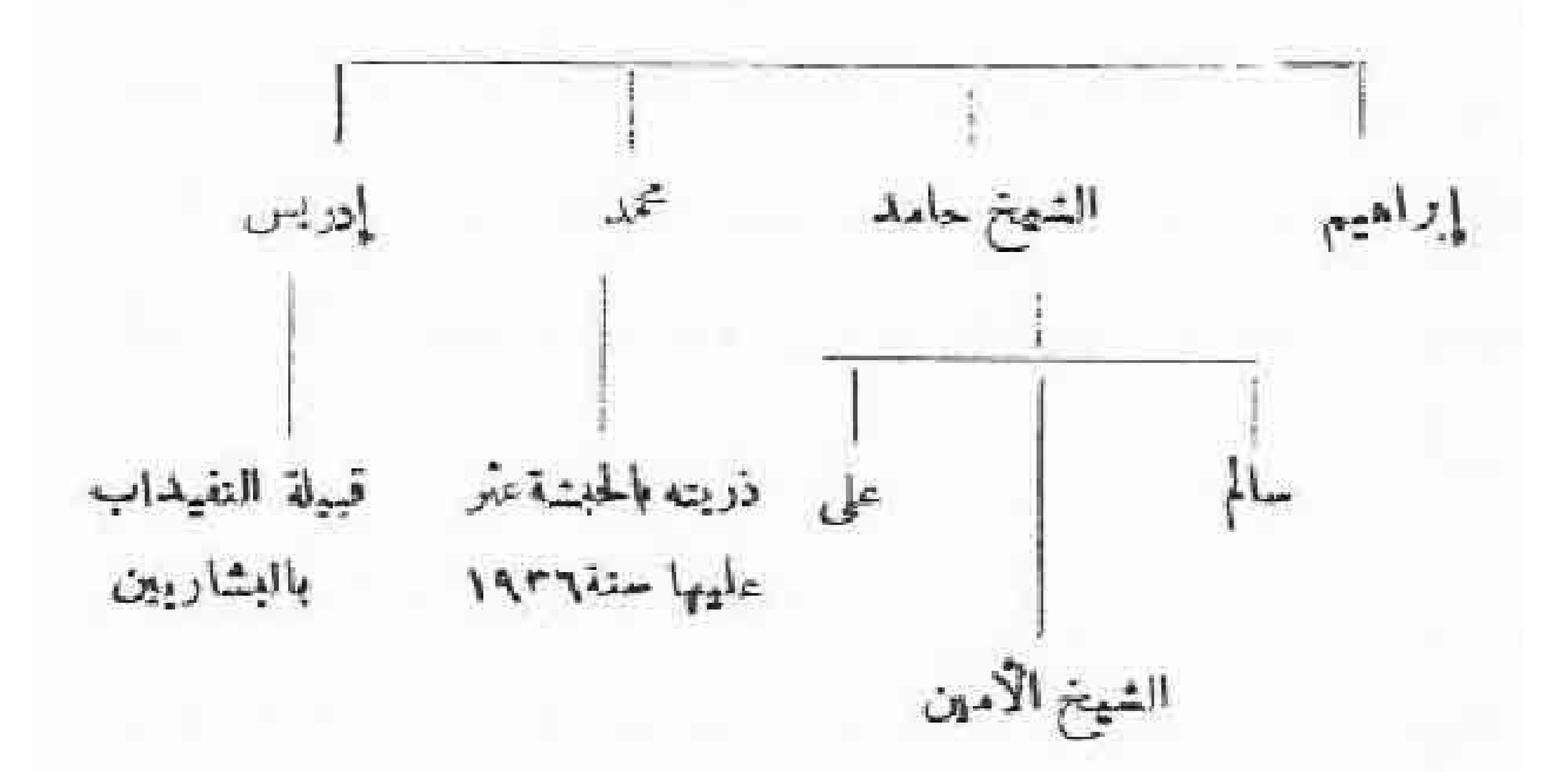
وللشيخ حامد وصايا لـكل رئيس كان يواليه فمن ذلك قوله للشيخ جمع ابن عجيل « كن شفوقا بإخوانك وإنى أحذركم جميعا من الاعتداء على أى قبيلة بعيدة أو مجاورة لـكم والاشتراك مع العصابات والغزاة ، فإن من يتجنب هذه السيئات ينتصر دائماً على خصومه . ولذلك يندر جداً إشتراك فرد من الأفلندة فى أى غزوة أو ينضم لعصابة سوء . وكان الشيـخ حامد يكسو ثوباً

---

(١) ينظف الأرض جيدا ثم يسورها بأحجار ، ويجعل حجر القبلة كبيرا جدا .

(٢) زعيم الحباب .

لكل من يوليه على رئاسة قبيلته — وهذه العادة لاتزال متبعة إلى اليوم .
وكان الشيخ حامد كثير الذهاب إلى أرض الحوميين ، وتوفي بجده وله قبة اسمها « قبة الشيخ الأسد » أزيلت مع سائر القباب سنة ١٩٢٥م .



« الشيخ الأمين »

تولى خلافة آل الشيخ حامد بعد وفاة أبيه بجده .

ثم حدث بينه وبين ناظر ألمده الخلاف الذى ذكرناه فى « المدة بالحباب » بسبب صدر الناقة (ويسمى طَقَّتْ) فرحل السيد الأمين إلى باضع (مصوع) ورجاه نايب محافظ مصوع أن يعود فأبى وقال « إن كان ولابد من العودة فلا بأس أن تكون بحراً فأحضر نايب له سفينه نقلته من مصوع إلى جزيرة ابن عباس ، فسأل لما حاذاها عن سكانها فقيل له « بهدور « Aahdour ، فقال سبحان الله « تَبِخْ قَدُورْ » بئس الفال (لا شىء) وقال للربان لاتدخلها بنا وأنزلنا فى البر الغربى لها فنزلوا فى أرض عدوينة ثم اتجه نحو المغرب حتى وصل مكانا فى خور بركة يقال له « ديبه Deebah » فاقتص أثره بعض المشايخ ورجوه أن يعود معهم إلى أهله . فعاد معهم إلى وادى رحيب ، وقرر أن يستقل بأهله عن عد فيى ، وأن لا يساكنهم - فتبعه حواره المدعو فقيه عمر بأهله وعشيرته ، وقال « لا تهمنى سلطة ناظر ألمدة ، بل رضاء شيخى أهم عندى منه ولو قطعونى إربا إربا » — فدعا له الشيخ الأمين بكل خير ، وكان مستجاب الدعاء كثير الكرامات . وجاءته والدة عجيل جمع وقالت له إن ابنى عاقر ، فقال لها كلا بل سيرزق سبعة عشر ولدا ، وكذلك محمد عاسرى وأنا . فصح قوله وهؤلاء هم أولاده « على ومحمود عبد القادر وحامد وأبو بكر وطه ومحمد وادريس وحسين وحسن وإسماعيل وعبد الله وعيسى وعامر وعثمان وعمر والدين — ولما توفى الشيخ الأمين دفن فى رحيب (قبر الشيخ) .

« الشيخ على بن الأمين »

تولى الخلافة بعد والده وازدادت القرى المجاورة له وفى أيامه سميت « دقه الشيخ حامد » لهذه الزيادة .

واشتهر عصره بتأمين الناس من السلب والنهب ، وانتدب بعض الفرسان على خيولهم لمراقبة المناهل والدروب المخيفة ، وتحصل على بندقيتين وبعض الرصاص فخشيه اللصوص . وللشيخ على عدة أنجال هم : محمد والأمين وسليمان وإسماعيل وعبد القادر وحسن وحسنين وحسين ومحمد وعثمان وحامد ومحمود .

وفى أيام الشيخ على حضر السيد محمد عثمان مير الختم إلى كسلا ، فزاره الشيخ على وأخذ عليه الطريقة الختمية . وعاد إلى أهله ، ثم جاء السيد بعد أن زار دقه دقلل وكل أراضى بنى عامر ودق كنتيباى . ثم سافر إلى مصوع . وكان الشيخ محمد بن على دليلا للسيد وحاشيته فى طوافهم بأراضى ارتريا ثم وصلوا مصوع .

وكان كنتيباى جاويد يريد التخلص بأى وسيلة من الشيخ على لئلا يزاحمه على السلطة أو ملكية الأرض . ولكن جاءت مصاهراتهما لبعض فقضت على كل الشائعات والريب . وتوفى الشيخ على ودفن فى « أوبتلا » .

« بعد وفاة الشيخ على »

حدث خلاف بين الأمين ومحمد (أبناء الشيخ على) بسبب ميراث مخلفات والدهما وأهمها الإبل . وأعان الأمين أعمامه . فغضب الشيخ محمد ورحل عنهم بأهله وأنجاله ومن رضيه وترك أبناءه عمر ومحمد عثمان فى فارو . وسكن والدم فى إمبيدرى ودختو — وأما الشيخ الأمين بن على فرحل بأهله إلى تحرًا . وفى إحدى السنين بينما كان الأمين فى دقه دقلل هجم السيد على بن الشيخ عمر محمد وعمه محمد على محمود حامد بالعساكر التركية التى كانت تطوف معهم لتحصيل الجزية من ضواحى محافظة مصوع ، وأمر السيد على كل من فى دقه الأمين أن يرحل حالا إلى قرية الشيخ عمر بن محمد على . فرحلوا ثلاثة أرباع المنازل ، ثم كروا ثانيا ، ورحلوا نصف الباقى قوة واقتدارا . فحضر السيد الأمين دمن دقة دقلل ومعه الشيخ على بخيت محمد بعساكر أيضا من كسلا ، ونلتقاهم السيد على بعساكره ، وكادا أن يقتتلا ، ولكن الشيخ على بخيت استعمل الحكمة معه وأخذ معه الأمين والشيخ عمر إلى كسلا ، فطلب دقلل حامد محمد (ناظر بنى عامر) من مدير كسلا (عبد الرزاق باشا) أن يجعل مرجع أحكام الشيخ حامد أن تكون محافظة مصوع نهائيا . فوافق المدير وخابر محافظ مصوع بذلك ، فقبل أن يحتكموا إليه ، فحكم عليهم بأن يبقى كل منهم بما لديه من العربان . فرضوا حكمه ، وما زالوا إلى اليوم . فدقه الشيخ عمر مؤلف من ألمده وأسنده ، ورقبات : وأما دقه الأمين فهم دائما يجتمعون حول قبر الشيخ على فى « تحرا » لا يرحلون عنها أبدا ومعهم جماعة من أسفده وال أب عوض ، وبعد مجيء الطليان سنة ١٨٨٤ م اجتهد حامد بن الشيخ محمد على أن يعمل قرية منفصلة عنهما . وقد نجح بمساعدة ابن الأمين

وتسمى قرابه ، دقه الشيخ حامد محمد ، ومقرها ، قرابيت ، بين أغوردت وكرن.
ويتولى زعامة آل الشيخ حامد الأمين حفيده ، الشيخ عامر بن الشيخ الأمين
ابن عمر محمد بن على وقد زرتهم فى سنة ١٩٢٥ فلقيت منهم كل إكرام
ومودة .

، دقه الشيخ حامد محمد حفيده السيد محمد الأمين حامد وهو أيضا من
أفاضل آل الشيخ حامد .

ويتولى مشيخة ، دقه الشيخ الأمين بن على حفيده السيد حامد بن محمد
على ابن السيد الأمين .

« الشيخ محمد بن على »

فبعد مفارقته لإخوانه ترك أبناءه يتنقلون بين أدهرا وتارو(١) ، واتخذ
امبيرمى موطنا له ، فالتفت حول منزله عدة قبائل بمنازلها . فكانت يوما
ما أكثر من أربعمائة منزل . ولما توفى سيادته سنة ١٢٩٤ هـ تولى مكانه فى
الخلافة الشيخ عبد القادر محمد بن على ، ثم خلفه عليها الشيخ الأمين عبد القادر ،
واليوم بها الشيخ محمد على بن الأمين . ولهذا الرهط مكانة مرموقة عند المسلمين
والحبشة . وللشيخ محمد بن على قبة فيها جثمانه الطاهر وتقام له حولية
فى كل عام يوم ١٢ صفر الخير — وللشيخ محمد بن على من الأنجال :
السادة : عمر ومحمد عثمان ، ومحمد على ، وإبراهيم وأبو بكر ومالك ومحمد
ومحمود وحامد الأمين ، وعبد القادر ، ومحمد إدريس ، ومحمد صالح ، وأحمد
وحامد (الثانى) وعلى .

---

(١) والحقتهم بنفت كنتيباى محمود بن عكاشة .

وبينما الشيخ محمد بن على فى دخنو ثار أهلها على الحافظ فأمر بإطلاق الرصاص عليهم باستثناء محل مفروش فيه علم الشيخ محمد بن على ، ولكنه أصيب من مجهول بطلق نارى فى بطنه كأنه جرح سكين ، وذهب خادمه «لو بنت» إلى نايب والحافظ[1] وذكر لهم إصابة الشيخ فأوقفوا إطلاق النيران حالا وجاء الطبيب ليعالجه ، وبعد شفائه رحل إلى امبيرمى وفيها انتقل إلى جوار ربه . وحضر وفاته ابنه الشيخ عمر الذى خلفه ثم الشيخ الأمين ثم الشيخ عامر ولما نال الشيخ محمد بن على عهد الختمية كان خصومه على القادرية .

«آل الشيخ حامد والمهدية آل الدفتاب»

كانت بينهما صداقات ومودة وراثية خصوصا آل القاضى عبد القادر حسين وآل الشيخ محمد بن على ، وكانت الزيارات والمواصلات الكتابية بين الدفتاب وأهل مصوع طيبة جدا . ولما أعلن الإمام المهدى الجهاد انضم تحت لواء الأمير كثيرون من مشاهير زعماء البادية أمثال السيد حاج يعقوب والسيد عبد الرحيم حامد محمد . وكان الأول فى دقه وقال له إبل وأبقار كثيرة فجمعها كلها وباعها وأخبر نسائه بأنه سيقوم للجهاد وربما لا يعود ، وطلقهن . وكذلك فعل السيد عبد الرحيم . فلما جاء الأول إلى الأمير عثمان فرح بقدومه وأرسله بخطاب أثنى فيه عليه لدى الخليفة عبد الله ، وأقام بالبقعة حتى سنة ١٩٨٨ م . ثم عاد مع الأمير عثمان عند مجيئه لزيارة الخليفة واشترك فى كل الوقائع التى

---

(١) هو اسماعيل بك اذ انهم اتهموا نايب محمد بانه تواطا مع الأحباش ، والحقيقة انه سافر لامضاء معاهدة بين مصوع والراس كنفوش لئلا يغزوها كامر والى الحجاز .

كانت حول سوا كن . ثم اشترك فى وقائع التيب وأنبره وكركى التى جرح فيها وتخلف فى ام درمان ، فلما شفى من جراحه عاد إلى كسلا ثم أفرج عنه فلما عاد إلى أهله طلبه المحافظ الطليانى وسأله عن أسباب عودته . فقال له : أنا عائد إلى أهلى فى دقه الشيخ حامد . فسأله لماذا فارقتهم أولا ، فأجابه : قمت لنصرة الدين الإسلامى .

س : إن الحكومة الطليانية تريد أن تكافئك على شجاعتك .

ج : لا أريد منها أى مكافأة — وليست لى بها أى علاقة .

س : إذاً لا داعى لذهابك إلى دقه .

ج : إن ذهابى إليه ضرورى جداً لأنى منذ سنين لم أرهم وهم إخوانى وأبناء أعمامى وكلهم مشتاقون لرؤيتى وكذلك أنا .

س : إنى سأتصل بالوالى كى يجعل لك مرتبا حتى تعيش معهم عيشة هنيئة

ج : لا أريد منكم شيئا الآن ، فقط اسمحوا لى بالذهاب ثم الإقامة بينهم .

س : عاهدنى بأنك لا تحرك ساكنا أو توقد حركة ضد الحكومة الإيطالية .

ج : أنا فرد فكيف ترون أنى أقدر على قتال دولة كبيرة . إنى أصدقك القول بأنى إذا سمعت مسلما قام للجهاد سأتبعه مهما كلفنى ذلك الأمر .

س : تفضل واذهب إلى دقه واترك عنك الجهاد لأن الناس تعبت منه .

ج : ولكننى لم أتعب . وخرج منه .

وكان السيد حاج يعقوب رئيس راية تحتها كثير من الأشراف — أمثال

محمد حسين ومحمد نور عبدالله الأمين ، ولما جاء فى دقه الشيخ نصحوه بأن يترك تعاليم المهدية والراتب أو وصف معارك القتال ، فلم يكترث لأقوالهم بل بقى محافظا على عهده مخلصا لبيعته حتى انتقل إلى جوار ربه . وحافظت ذريته على البيعة والعهد إلى يومنا هذا ثابتين على مبادئهم القويمة .

ويتولى زعامة عد « الشيخ حامد » فى « دقه » قام شيوا الشيخ الأمين ابن محمد بن الشيخ عامر بن الأمين بن الشيخ عمر بن الشيخ محمد بن على بن الأمين بن الشيخ حامد بن أحمد نافوتاى .

وهم كما أسلفنا أبعد الناس من التدخل فى شئون الغير إلا ما كان للصالح العام — ولم يصاهروا سوى رؤساء الحده والحباب والمجيلاب والنابتاب والبشاريين (نفيداب) والحلنقة .

الفـــايداب

— الشيخ فايد —

يطلق هذا الاسم على ذرية الشيخ محمد بن فايد من الأشراف الحسنية . وقد جمعنا تاريخه من بعض الكتب والشيوخ ، وسنأتى على بيان ذلك فيما بعد . وهو كغيره من الصالحين تولى الزعامة الدينية على القبائل الأموية مثل الماريا (سرعى) وولديهو (ولِنهُو) الفو بجاوية . واشتهرت هذه القبيلة بعدم تحملها الضيم حتى إنها كانت من أوائل القبائل للتحررة من سلطة النابتاب ، وأنشأت نظارة منفصلة فى إرتريا وعمودية كبيرة بالسودان[1] . ومن فحول هذه القبيلة السيد حامد فرج حامد رئيس مجلس نواب إرتريا ، وهو يتحلى بمزايا خاصة يتخللها العدل والدراية التامة بحقيقــة مطالب بلاده وأهلها ، ويكفيه أنه متمتع بثقة أهل وطنه سواء منهم المسلمون والمسيحيون ، ولقد اجتمعت به كثيرا فهو لن يفيه هذا القلم حقه من الوفاء والإجلال .

وكانت للفايداب سلطة مدنية على بعض القبائل التى تحررت من سلطتهم جميعها إلا جماعة ضئيلة من الدنا كل كانت تحت سلطة العجيلاب اختــار رئيسها أن ينتقل إلى الشيخ الحسن أبو الحسن[2] بالسودان بجهة العقيق ، أما دنا كل كـلا فرفضوا أن يكونوا تحت الفايداب لذا نجدهم فى غاية الارتياح والحرية . والفايداب اشتركوا فى كل حوادث شرق السودان ، واليوم منهم علماء أعلام يشار إليهم بالبنان أمثال الشريف محمد عثمان بن الأمين ، ومحمد

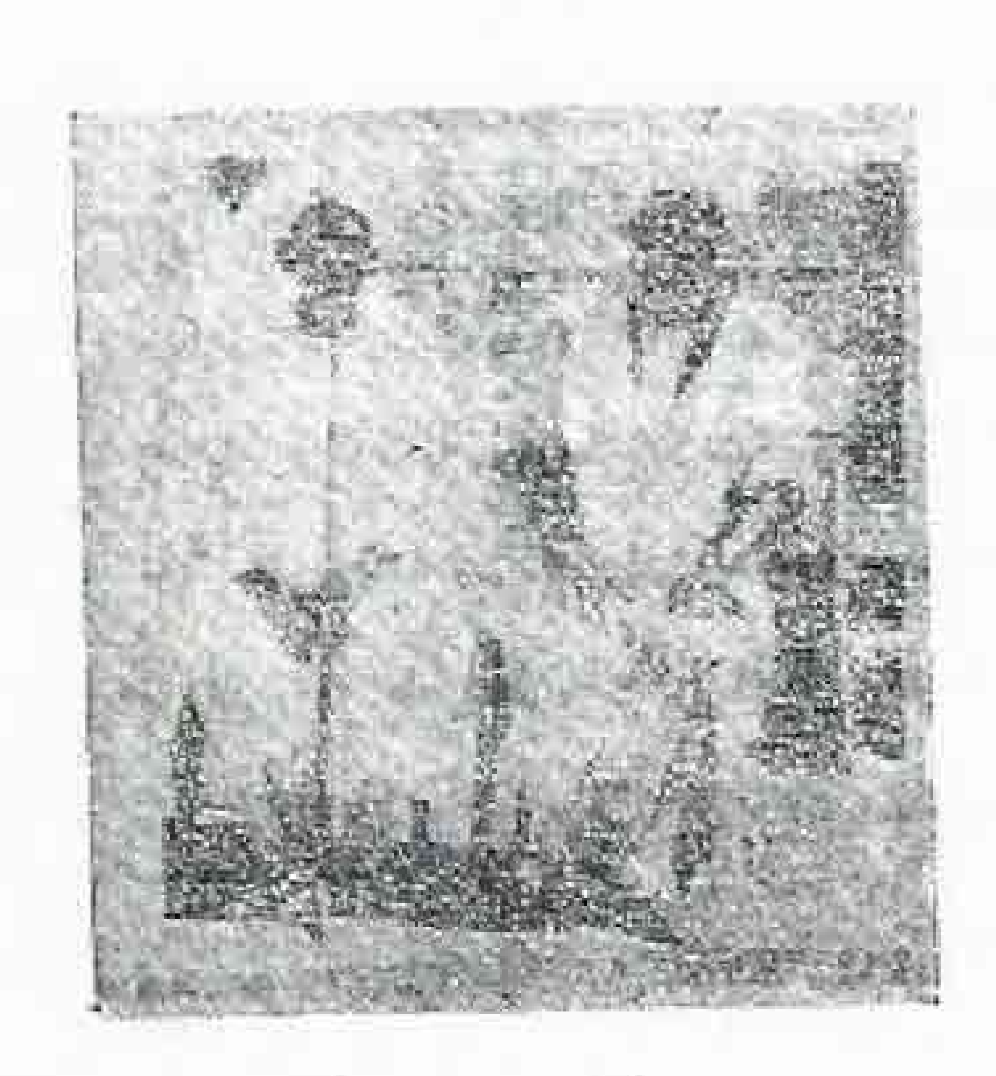
---

(١) سنكتب عن رؤسائها فى بنى عامر .

(٢) خضعوا للفايداب سنة ١٩٤٨م .

شيك بن أبو الحسن بن الحسين ، ومحمد عثمان بن فقيه آدم وإخوانه، ومحمد صالح الحسن أبو الحسن وغيرهم من أبناء الشريف مصطفى حسن وآل حيوتاى .

وقرى القايداب لم تسلم من غزو عصابات الحباب . وكان فى القايداب رجل مشهور بالشجاعة والإقدام اسمه موسى بن عزيز (عديد) من قبيلة ولهو فقد كانت له عدة حوادث مع الأسفدة ذكرناها هناك .



رئيس محكمة توكر الأهلية

(١) الشيخ الحسن أبو الحسن

(٢) الشيخ أبو الحسن الحسين

وفى إحدى السنين أحمد الحياب وبيت معلا على القايداب ، وبعثوا بعصابة من رؤسائهم(١) إلى جبل عريترب حيث كان القايداب يصطافون ، فسمع موسى عزيز بمؤامرتهم ؛ فقال لأهله إما أن تهربوا بالمنازل والعاقلات ، أو المواشى . فاختار الشبان الهروب بالمواشى . فسار هو بالمنازل(٢) وسارت العصابة خلف المواشى وطاردت الشبان ، فلجأوا إلى موسى وأخبروه بقوة العصابة ، فذهب لقائها ، فبرز إليه رجل من أسفده وآخر محمد عيسى سماك (بيت بحايلاى) فقتلهما ، وجرحه الأخير ، فتفرقت عنه العصابة وانشقت على بعضها . وأقسم جرجيس أن لا يعطى أبناء هداد من المواشى مالم يصارعوه فرفضوا ، وأخيرا صرعه على هداد ، فطلب إعادة المصارعة ولكن على قال كفانى فخرا أنى صرعته ، وتنازل إخوانه عن حصتهم(٣) . أما موسى عزيز فقد كانت إصابته فى رأسه وقد وضع عليها الشيخ على إبراهيم إدريس بعض أوراق من شجرة هناك كان بها شفاؤه بعد ثلاثة أشهر .

وقتل موسى بيد عصابة من الويلعلياب وقد قامت من فلك لأخذ ثأر أبرهيم رَحْل ، وقتل معه رجل شجاع اسمه « طَدَا حامد عوض » من شجعان أبناء عمر (الذين قتلوا أبراهيم رَحَل ، وهذان الشجاعان حالا دون أخذ المذندوة لمواشيهما وإبلهما التى عادت إلى قرية « شاميت بنت أدرات » الشاعرة

---

(١) كانت العصابة مؤلفة من ابناء كنتيباى هداد بن فكاك ابن أخيه جرجيس قرينت وادريس حامد ايتدكل «عميد بيت معلا» .

(٢) لاتقل عن ثلثمائة عائلة .

(٣) كان مقتل جرجيس على يد ابناء عمه هداد وطلب ادريس ان يقوموا معه لنهب مواشى الحماسيين وفعلا عادوا منها ببعض الأبقار .

المشهورة بهجو الحباب ومدح شجعان المجيلاب وأبناء حمر بقصائدها الطويلة .

ومن ير المسافة بين فلك ومقامات قرب هقيتاى ليعجب كيف قطع الويلمياب هذه المسافات الشاسعه ولكن من يعرف الثارات لايستبعدها .

« نسب الفايداب »

وقد وجدته مخطوطا عند الشريف الحسيب النسيب رئيس محكمة توكر الأهلية الشيخ الحسن بن الشريف أبو الحسن بن سليمان بن على بن إبراهيم بن إدريس بن الشريف محمد شيخ بن الشريف حامد شيخاى بن الشريف محمد بن فايد بن فايد بن محمد بن حامد بن أحمد المزوارى بن محمد بن حامد بن حسن بن حسين بن الشريف الحسيب ذو النسبين الطاهرتين الجسديه [1] والروحية المحمدى العلوى الحسنى الفاطمى أبو الحسن على الشاذلى [2] بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن احمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم — وكان الشاذلى يلقب بسيدى الشيخ أبا الحسن رضى الله عنه « أبو المشايخ والمواهب » ، وهو قطب الزمان والحامل فى وقته لواء أهل العيان ، حجة الصوفية ، علم المهتدين ، زين العارفين ، أستاذ الأكابر زمزم الأسرار ، ومعدن الأنوار ، القطب الغوث الجامع أبو الحسن على الشاذلى رضى الله عنه لم يدخل فى طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة فى العلوم

---

(١) نقلا عن كتاب نور الأبصار .

(٢) نسبة الى «الشاذلة» قرية بقرب مدينة تونس .

القاهرة ، وقد توفى فى « حُميثرى » بصحراء عيذاب فى إحدى حجاته، وكان يقول قبل وفاته بقليل « فى حميثرى » سوف ترى .

وصل إلى سواكن من مكة المكرمة سنة ١٠٧٦ هـ الشيخ محمد بن فايد ، وكان يتقاضى مرتباً سنوياً من نائب شريف مكة المكرمة المقيم بمدينة سواكن ، وقد كان لدى الشيخ محمد فايد وثيقة تثبت هذا الحق له ولذريته من بعده ، وجاء فى هذه الوثيقة (المحفوظة اليوم عند الشيخ الحسن أبو الحسن عميد عموم الفايداب) بعد المقدمة :

« وجامكيتك طاقية وعمامة ستة عشر ذراعا . وقميص بيتى ، وثوب بيتى، وعلجة ، وقفطان ، وجبة خضراء ، وسراويل تركى ، وهذا أمر من السلطان ـ وجامكية أبواتكم أصحاب الشريعة والطريقة والحقيقة . وأما كساوى حريمكم وأولادكم فى كل عام أربعين أشرف ، وعشرة فوط من صابون ودايول وخمسة عشر ثياب منيرات لكم من السلطان إلى عند الحرمين الشريفين السيد زيد بن محسن كنز الفقراء ، والساكين بهذه الجامكية ويشهد القرشى والفقراء كلهم أجمعين ، هذا والسلام .

وكانت ذرية الشيخ محمد فايد يستلمون حقوقهم هذه من محافظ سواكن ومصوع حتى احتلت انجلترا سواكن ، وإيطاليا مصوع سنة ١٨٨٤ م .

ومثل هذه المرتبات ربما تكون مدونة فى سجلات أوقاف الشيخ أبو الحسن الشاذلى ، والشيخ أبو العباس المرسى بالإسكندرية ـ فعلى الفايداب أن يعرضوا هذه الوثائق إلى من بيدهم أمر أوقاف المشايخ المذكورين .

وللشيخ محمد بن فايد ثمانية أنجال هم : عبد القادر وعلى[1] وأبو بكر

---

(١) هو جد أشراف العميراب بالهدندوة .

وبركات وإدريس وإبراهيم وأحمد النقاش وحامد شيخاى (أمه بنت ناظر بنى عامر » دقلل إدريس) جاء فى « طبقات ولد ضيف الله » : حدثنا الفقيه صغيرون الشقلاوى تلميذ الشيخ إدريس محمد الأرباب قال : إن الشيخ محمد ولد فايد تلميذ الشيخ يقدم فى كل عام لزيارة الشيخ من البحر الملح (الأحمر) وتحضر معه قبائل الشرق وعرب أكد[1] (عاصمة ناظر بنى عامر) وعرب التاكه (كسلا وبادية القاش وسهول نهر عطبرة الذى يقال له بالتبجرية « تا كا أو تاكاز ») وغيرهم يأتون دافرين مثل قبائل جهينة : منهم من هديته العسل ومنهم من هديته القماش ، ومنهم من معه الرقيق كل أحد على قدرته ، ينزلون أولا على ود النفيداوى[2] ، ثم يأتون المحل الذى فيه حلة ولد أبو دليق ، وفى وقت حضر معهم الشيخ بدوى[3] شاب صغير السن لابس شملة رباعية ، ووالدته قد كانت توسلت إلى الله بالشيخ فيه ونذرت بقرة وعشرة محلقات ، وقالت لولد فايد ولدى لا ينقطع منك لكثرة الخلق فإن العير لا تسعهم الحلة ، ونزولهم عادة خارجها ، وطالبوا النوال يأتون إليه من جبيل أم على ، ومن أربجى (الأول هو جبل أم على بأرض الجعليين ، والثانية عاصمة العبد اللاّب) والشرق والغرب ينتظرون قدوم الشيخ محمد ولد فايد إلى الشيخ إدريس . وهم يدخلون

---

(١) فى الصيف تكون العاصمة «هوشايت» وفى الشتاء فى «عيدب» جنوب توكر .

(٢) هو السيد ادريس بن السيد أحمد نافعوتاى الذى اختلف مع أخيه السيد حامد فى عيدب عندما حكم الثانى على أخيهما محمود بالقصاص ، وسكن ادريس مع قبيلة البشاريين وهو صاحب القبة المشهورة بعطبرة .

(٣) قتلته قبائل «فأهلكها الله على يد آل كلب ، وكلاهما تحت نظارة بنى عامر . واليوم ذرية الشيخ بدوى مع حفرة بكسلا وهى قبيلة صغيرة انقرضت .

عليه طائفة طائفة يهدالهم نهارا . ويقول ولد فايد ياباباهؤلاء الفلانيون وهذه زيارتهم من سمن وعسل ورقيق وقماش وإبل صهب . وفى المشية كذلك والمشام يأخذون كلما يدخل ونواب الشيخ إدريس فى إدخال المال عليه ثلاثة وهو يقسمها على الناس حتى تكمل هذه الأموال بأجناسها . قال الشيخ صالح ودبانقا (بان النقا) ماوصل إلى الشيخ شىء قط من أموال هذه القافلة إلا العشر محلقات المصرورات فى شملة الشيخ بدوى ناولها إياى .

« القايداب »

هذه صورة من نسب القايداب أعطاها إياى زعيمهم الشيخ الحسن أبو الحسن رئيس محكمة توكر الأهلية ، وهى مطابقة للنسخة التى عند الشريف مصطفى بن حسن فى جهة أغردت رأيتها عند زيارتى له فى سنة ١٩٩٣ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وصلى الله على من لا نبى بعده

الحمد لله وحده — والسلام التام والتحية والإكرام ، مادامت الليالى والأيام ، وتكرر الشهور والأعوام ، سلام ألذ من القوة ، وأبرد من النسيم ، وأحلى من العافية للسقيم . سلام قولا من رب رحيم — فروح وريحان ، وجنة نعيم . أما بعد فالسلام من عند السيد المرشد المشرع للطريق « الشريف زيد ابن الشريف محسن كنز الفقراء والمساكين والضعفاء والأرامل ، المعتق فى الرقاب ، المجاهد فى سبيل الله ، الموفق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى الشيخ الكامل العامل محمد بن السيد فايد بن السيد محمد بن السيد الشيخ حامد بن السيد أحمد الزاورى بن السيد محمد بن السيد حامد بن السيد حسن

ابن السيد حسين بن السيد الأجل القطب العارف المحقق الربانى ، صاحب الإشارات العليا ، والعبارات السنية ، والحقائق القدسية ، والأنوار المحمدية ، الشريف الحسيب النسيب ذى النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية ، والسلالتين الطيبتين الغيبية والشهادية ، الحسنى الفاطمى ، فحل الفحول ، إمام السالكين على الشاذلى أبو الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز ابن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد ابن عيسى بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ولد أبو الحسن الشاذلى سنة ٥٥١ هـ وهو ضرير ، وتوفى بصحراء عيذاب عند قرية « حميثرى » وكان قبل وفاته يقول « فى حميثرى » سوف ترى .

النايداب بالسودان وارتريا

محمد نايد
حامد شيكاي
محمد شيلة

محمد شيخ
حاج موسى
ادريس
حمد
محمد صالح

حامد
حيوتاي
طه بنخيت
الذين
محمد طمحر
ابراهيم
حسن
ابراهيم
عبدالله
محمد عمر
عبدالقادر

حسن
محمد علي
حامد شيكاي
ابراهيم
ملحق
محمد
حسن
مصطفى

محمد
محمود
عثمان
تسهيب
عثمان
صالح
(سالم)
سليمان
محمدعثمان
محمد
داود
صالح
الامين
محمدعثمان

حامد
محمود
ابو الحسن
الحسين
الحسن
وله في محكمة تركر
ابو الحسن
سليمان

قبائل بنى عامر

بيت مَعْلاَ

« السيد أحمد مَعْلا »

سنبدأ بتدوين القبائل العربية التى ورثت أراضى وجبال قبائل حماسين الأحباش فنقول إن كل كتب المؤرخين السابقين تعتبر عموم القبائل التى تسكن حول الجبال الواقعة غرب العقيق وقرورة من الأحباش إذ أطلق على بعضها اسم حماسين ، وهذا خطأ لأن حماسين الأحباش لم تبق منهما بالسودان إلا أقلية نادرة فى بعض القبائل ، وليست لها أى سلطة أو رئاسة ، إذ أن السلطة محصورة فى العنصر العربى وهو السائد فى أقليم البجة منـــــذ ظهور « البَلَوْ » (بَلويب) . وأول من ظهر بالجبال من مسلمى العرب هو أحمد معلا « جد عموم قبائل بيت معلا » وسنوضح أصولها بعد فراغنا من « بيت معلا » وهذا الاسم يطلق على إحدى قبائل بنى عامر الكبيرة التى ترأس عليها ابن بنتها المسمى « أحمد مَعْلاَ »[1] ، وعميدها الحالى الشيخ محمد ابن إدريس حامد الملقب باسم « إتِدَ كُلْ » ، وهو مثل اللقب البجاوى المستعمل « بأتأدْبِل » وتعريبها « لايصطلح » . وتنقسم هذه القبيلة إلى قسمين هما بيت الشيخة وهم ذرية محمد ابن محمود ، وحَلِيتْ « أتباع » وهم الذين يضمهم الشيخ إلى قبيلته من القبائل التى تنقرض عائلات رؤسائها ، أو يقل تعدادها ، أو تفنى مواشيها ، فتستجير بجيرانها ، فيحسنون إليها ممـــا رزقهم الله حتى تتحسن

---

(١) تطلق معلى على من يبلغ الزبدة بكثرة « وهو اسم للبروة التى تحفظ الزبدة فيها » .

حالتها فتبقى وتندمج فيهم بالمصاهرة وغيرها . والشيخ محمد إدريس المذكور من العلماء الأتقياء درس القراءة والكتابة في دقة عد الشيخ حامد[1] . وكان يراقبه الشيخ الأمين بن عمر بعين رعايته ، ويشمله بعطفه ، ويقول إن هذا الولد الصغير[2] ، ستكثر وتعمر بيت معلا في أيامه ، وتشتد شوكتها كما كانت في أيام جده الشيخ إدريس حامد . وكان المستمعون يرتابون في أقواله لأن القبيلة بعد قتالها للماسريين تفرقت في السهول والجبال وتشتت باقيها في أيام المهدية .

ومصداقا لقول الشيخ الأمين اجتمعت تحت شياخة محمد عقب إنهاء المهدية من ساحل البحر الأحمر « ١٨٩١م » فنصبت خيامها كالسابق في عاصمتها « تبيح Tabih » ذى المراعى الخصيبة والطقس المعتدل صيفا وشتاء « بارتريا » وإليه تهاجر قبائل بنى عامر السواحل في الصيف منذ أقدم الأزمنة ، ولشيخهم رسوم خاصة يتقاضاها من الرعاة ، وقد جاء ذكره في قصائد بعض شعرائهم . وأول من حمى رعاية تبيح هو الشيخ إدريس حامد ، ثم الشيخ محمد « والد المذكور » فإنه حظر رعاية تبيح على الماسريين ككليب وائل التغلبي في الجاهلية . ومن أشهر الأمثال في القبائل « عزة ذى الحمى كليب وائل » ومن الأمثال العربية « فلان أعز من كليب » لأنه كان عزيزا عظيم المهابة ، فكانت لاتوقد نار مع ناره « للضيوف » ، ولا ترد إبل الماء قبل أن ترد إبله . وكان يحمى المراعى فلا يقربها أحد . ويحمى الصيد فلا يصاد . وكان لايتكلم أحد

---

(١) دقة عد الشيخ أنشأه الشيخ عمر محمد على من بقايا المدة وأسفدة .

(٢) ولد الشيخ محمد ادريس سنة ١٢٩٤ هـ وتوفى سنة ١٣٧١ ، وقد كف بصره بالماء . سنة ١٩٠٢ م .

فى مجلسه حتى يسأله ، ولا يجلس حتى يأمره . فيتهيب فى جلوسه متأدباً ، والصفات الأخيرة شائعة فى الحباب إذا كانوا فى حضرة كنيتيباى أى حتى أنهم لا يبتسمون إلا إذا ابتسم . وقد نشبت حرب شعواء بسبب حماية كليب للمرعى مكثت أربعين عاما بسبب ناقة جار لامرأة تسمى البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس ابن مرة « أخو جليلة زوجة كليب » . وكان الجار من بنى جرم يقال له سعد بن شمس يملك ناقة اسمها سراب ذهبت مع ابل جساس ترعى فى المرعى المحظور[1] ، فنظر إليها كليب فأنكرها ، فرماها بسهم أصاب ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يقطر دما ولبنا . فلما رآها صاحبها صاح صيحة عظيمة خرجت لها البسوس وشاهدت الناقة ، وضربت يدها على رأسها وقالت ، « وا ذلاه » ثم أنشدت :

لعمرك لو أصبحت فى دار منقذ   لما ضيم سعد وهو جار لابياتى
ولكننى أصبحت فى دار غربة   متى يعدفيها الذئب يعد على شاتى
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل   فأنك فى قوم عن الجار أموات

فلما سمع جساس قولها أسكتها وقال لها : ليقتلن غـــدا جمل أعظم من ناقتك[2] . فلما سمع كليب ذلك ظن أنه يقصد بعنه عليان ، فقال دون عليـان خرط القتاد فى الليلة الظلماء .

فتمكن جساس من كليب منفردا فطعنه وألقاه قتيلا . وفر جساس إلى أهله وقال لهم « طعنته طعنة تهتز لها العرب » فأجابه والده « هل قتلت

(1) لم تكن ترعى مع ابل كليب الا ابل جساس اجلالا لاختلاطه بجليلة .
(2) يقصد كليبا بن وائل .

كليهما » قال « نعم » . فقال له « بئسما جنيت علينا » وطرد التغلبيون جليلة « زوجة كليب » أخت جساس وهى حامل ، ثم ولدت عند أهلها والدا تبناه جساس ، وكان يدعوه بأبى . فلما كبر تشاجر مع أحد أبناء الحى وعرف من أمه الحقيقة . وذات يوم تمكن من غفلة خاله جساس فطعنه بالرمح وثنى عليه بالسيف وامتطى جواده وفر إلى أعمامه التغلبيين ، ثم صالح بين الحيين عمرو ابن هند ملك العرب .

وفى أيامنا هذه حذا حذوه الشيخ محمد ضرار على وحظر المراعى حول عقيتاى على التابتات والحباب فقط فى سنة ١٩٢٥ م ، فتحالفا ضـــد قبيلة العجيلاب . وعند أول مصادمة فر المتمدون إلى خَلَقْتَشْتُو بقرب عيقرية . وفى اليوم التالى حضر الرجل الصالح السيد محمود إبراهيم حامد والشيخ حسن كنتيباى ، فمنع الأول الهامريين من الدنو من المراعى[١] ، ومما قاله إنك سمعت كلام الهامريين وتريد قتال العجيلاب فى أراضيهم مع أنك تعلم أنهم ورثوها من بيت نحاَيلاَىْ . وجاء الناظر « إدريس صالح » ومعه المستر اسكوت (مفتش طوكر) وحققوا فى الدعوى ، وثبت خطأ الحباب والهامريين[٢] ، وجعلوا حدودا بين العجيلاب والهامريين هى خط سير اللوارى إلى قرورة بأن كل ما كان شرق الطريق أراضى عجيلابية ، وكل ما كان غربها هامرية[٣] .

---

(١) يستفيد من مثل هذه الخلافات الرشايدة ، فقد هربوا الى الفريقين المتحاربين كثيرا من البنادق الرصاص ، وكانوا يبيعون البندقية ومائة رصاصة ببقرة او بعير او سبع نعاج .

(٢) فى صيف سنة ١٩٢٤ م اتفقا على نصب خيامهم فى منطقة عقيتاى وكان سفراء السوء ينقلون التهديدات للفريقين وخصوصا الرصاص .

(٣) لايزال هذا الحد محترما بين الفريقين . وقال دخيل بن بندل الله

ولم يكن الشيخ ادريس محمد أقل همة من كايب إن لم يكن أكثر يقظة منه ، وأبعد همة ، حتى أنه كان لا يغفل أبداً ، وتراه يسيء الظن بأقرب الناس إليه . وقد سمعت بأخبار شجعان كثيرين فى هذا الإقليم فكانت شجاعة إدريس وسرعة ضرباته بالسيف وقفزاته إلى الأمام أو الخلف فوق الوصف . ثم فرار الشجعان من لقائه تزيده رفعة فى نظرى . وقضى حياته من دون أن يمكن خصومه (وهم كثر) من اغتياله أو الاحتيال على غفلته . وسنأتى على حكاية سماعى تبجح عند ذكر أيامه .

وبيت مَعْلَى هى القبيلة الوحيدة التى لم تعتد عليها ، نظارة بيت بَخْشو . وهم الذين ضموا بأمر ملك الفونج تحت نظارتهم كل قبائل بنى عامر الحماسينية بعد القضاء على بيت بِحَا بلاىْ الذين شتت العجيلاب شملهم ، وورثوا أسلحتهم وأراضيهم الحالية .

بيت المشيخة

قال لى الشيخ محمد بن ادريس محمد عمدة بيت معلا السابق إن جدهم من ذرية الحسن السبط يقال له الشريف محمد ، حضر من أرض الحجاز سنة ٦٤١هـ ونزل من سفينة فى ميناء العقيق بتجارة بسيطة ، وفى تلك البادية قبيلة طارقيلى قَيِحْ ، (الحمراء وهى فرع من ألمدة[1] ، وكان لرئيس القبيلة ابنة

... بعنا لكم البنادق والرصاص وعلمناكم استعماله لتقتلوا بعضكم البعض ... ث اراضيكم بسهولة .

(1) تنقسم الى عائلتين يقال لاحداهما «طارقيلى قيح» «وطارقيلى طلام» طارقيلى الحمراء والسوداء .

اسمها ملوك رفض أن يزوجها والدها حتى جاء هذا الشريف فخطبها وتزوجها ورزق منها ولدا سماه « أحمد بن الشريف محمد »[1] . وبعد زمن عاد والده إلى مكة المكرمة ، ثم مرض وتوفى بها بعد أن أوصى ابن عمه بأنه ترك ابنا له ببادية العقيق مع « طارقيلي فيسخ » .

فسافر العم واسمه « يس » إلى سعوا كن ثم منها إلى العقيق حتى عثر بالطارقيلي الحمراء ، فتزوج أرملة الشريف ، واعتنى بتربية ابنه أحمد معلا ، ورزق منها ولدا أيضا سماه محمدا على ابن عمه المتوفى . ولصغر جسم الولد سموه[2] « أبو خشيلة » أى ضعيف كالثعلب والاسم الأخير أيضاً من الأسماء القرشية .

هذا وقد تحققت بأن كل ما كنت أسمعه من شيوخ بيت معلا أمثال عبدلّ حسين ، وسليمان ، وابراهيم أبو نادو ، وصالح حامد كلو اناى ، ومحمد قربت ، وعلى سعد ، وغيرهم حقيقة لا مراء فيها . وفى سنة ١٩٢٥ م رأت خطابين عند الشيخ صالح على سعد أحدهما من السيد أحمد الميرغنى ، والثانى من السيد محمد على بن محمود إبراهيم حامد ، وكلاهما معنونان من الداخل والخارج بالآتى :

الحسيب النسيب السيد صالح على سعد :

وكلا السيدين من زعماء الشرق الدينيين . وفى إحدى السنين حدث خلاف بين طارقيلى الحمراء والسوداء ، وأرادت كل منهما أن ترأس الأخرى .

---

(١) قيل انه من بنى شيبة القرشيين الذين بيدهم مفتاح الكعبة .

(٢) قيل ان والدته أخت الشريف محمد ، وهم مشهورون بالصلاح .

فأرسلت وفدا لمقابلة ملك الفونج ، وتبعهم السيد أحمد معلى مع خاله . ولما وصلوا نزلوا بدار الضيافة . فأرسل إليهم الملك سريرا صغيرا ، فجلس عليه أحمد معلى ، وجلس رجال الوفد تحته . ثم أرسل إليهم ثوبا من الدمور ، فأخذه معلى من حامله ولبسه ، والوفد يعجب من أعماله التى هى عبارة عن خطف كل ما يراه حتى فى إناء الطعام يختار الألذ . فقال أحمد رجال طارقهلى طَلأمْ ، امنعوا ابنكم من جرأته هذه فإننا ضيوف وأصحاب قضية » . فأرسل إليهم الملك سيفا قصيرا فأخذه أيضا معلى .

وبعد أسابيع دعاهم الملك إلى مقابلته . فلما حضروا سألهم من جلس على السرير ولبس الثوب وأخذ السيف . فقالوا له أخذه هذا (وأشاروا إلى معلى) ، وهو ابن بنتنا ، ووالده مكاوى فقال لهم . لقد أختبرتكم جميعا جيدا فلم أجد من يستحق فيكم الرئاسة إلا هذا الغلام .

وقد اخترته لكم وارتضيته ، فأطيعوا أمره ولا تخالفوه . وسموه زكاة أموالكم » . فرضوا جميعهم وعادوا إلى أهلهم .

الشيخ محمود أبو مَكَرَه[1]

كل ما لدينا من المعلومات عن مشايخ بيت معلا يبـدأ من أول الشيخ أبو مَكَرَه الذى اشتهر بأمره الصادر على كل القبائل الخاضعة لسلطته ، أو المجاورة له كى تحفر خندقا عريضاً بين العقيق وعلو بنة مبتدئاً من ساحل البحر الأحمر متجها نحو الغرب حتى يصل حذاء جبل « عنقاء » أو (عنقا) ، ثم يتجه شمالا نحو جبل « تقدَرَه » ثم ينعطف نحو الشرق حتى يصل شاطىء البحر

---

(١) ويسمى محمود ابو المكر .

فتكون العقيق ودرباب وتَيَتْ وما يليها داخلة فى هـذه الجزيرة التى كان الغرض من حفر الخندق حولها أن يكون أبو مكره وأتباعه محتمين من غزو البجة وسوام . فاستمر أبو مكره ساهراً على تنفيذ خطته ومراقباً لسير العمل حتى كاد أن ينتهى .

وبينما هو يفكر ذات ليلة فى طريقه لسرعة إنجاز عمله لسعته حية (ثعبان) فى رجله ، فقضت عليه ، ولم يتم من الخندق إلا نصفه .

لقد لاقت العربان مشاقا كثيرة فى الحفر خصوصا طارقيلى طلاّم فإنها حوربت لما كثرت عليها الأتعاب والأحكام الصارمة . فأمر أبو مكره عصابة بأن تطاردها . وفعلا عادت العصابة ومعها إبل خاصة بالعمدة . فخافت طارقيلى أن تستأنف العصابة غزوها ، ولذلك لجأت إلى جهة سَمْهَرْ (مصوع) . وتفرقت هذه القبيلة « طارقيلى طلام » ، وفى كل رحلة تبقى منها جماعة بالمسافة الشاسعة بين العقيق ومصوع . وتفرعت القبائل الآتية من ذرية محمود أبو مكره :

(١) صـل ، (٢) بهير ، (٣) مَعْلاَيَتْ ، (٤) هلى كامل ، (٥) كبل ، (٦) عمير .

أما القبائل الأجنبية التى تحبّ رئاسة الشيخ محمد إدريس منذ أقدم الأزمنة فهى :

رِقْباتْ — طَارْقِيلِى — أَقْدُوبْ — أَسْفَدَة — كِفَانْ — إفريد — بِرْعَدَىْ — بَمل إحِلْ (وتعريبها صاحب أو راعى العجول وهم فرع من أسفدة) — وأبناء عِمرَاى[١] ، وأبناء اسماعيل ومُهُوشا وأبناء سعد الدين

---

(١) قيل انه من بقايا بيت بحايلاى أو اخوانهم من الأمويين .

— كل هؤلاء خضعوا لسلطة بيت معلا لأنها اضطرت للسكنى معها . وهذا حال كل أجنبي يساكن الوطنيين فإما أن يخضع لسلطتهم أو يفارقهم إلى أهله وكل هذه العائلات عادت إلى أصولها سواء في إريتريا أو السودان بعد جميات ١٩٤٧م .

أما الذين تفرعوا من بيت الرئاسة فأولهم « إنديسكنا » وأولاده هو « حسب النبي » الذي رزق عمر وهذا له محمود الملقب بأبي السبعة (أبْ سَبْعْ) وهم :

همّدْ — كِرِدّايْ — ناصر — سدّايْ — عمير — كامل[1] ، كميل — ويقال لهم « عدْ همّدْ » محمود كميل فمن ذريته عائلة أبناء أرَبْ الذين رفضوا الإشتراك في قتال بيت معلا وعسد عامري سنة ١٣٠٠هـ . فلما أساءهم الشيخ أدريس محمد عميد الملا رحلوا منه إلى الشيخ أكدْ موسى عمدة عامري مستجيرين به . وبينما هم في الطريق إليه تلقتهم جماعة من أبناء أبسعد وعامري فرحبوا بهم ، فلما اطمأنوا غدروا بهم واقتتلوا ، فاستاء الشيخ أكُدْ لما سمع بالغدر[2] ، من عمل العامريين ، وجاء إلى محل الحادث ، ومنع قتل بقية المستجيرين ، وأساء إلى محمد عمر أبسعد ، (ولكن بعد أن سبق السيف العذل) .

لم أعثر على من له إلمام تام بصحة أنساب وأسماء رؤسائها أو حوادث

---

(١) يقال ان معلا يِتنة تفرعت منه ، وكذلك عد حسب بن شبح ، وعسد الما ، وعد كروفة .

(٢) أكثر قتلى النابتاب كان بيد هاتين العائلتين ولذلك كانوا يقتلون كل من يلقونه من الملاويين .

ذراريها قبل ولاية الشيخ محمد حسَّال ، ولذلك اعتذر لأبنائها في عدم الإسهاب وكل معلوماتي عنهم استقيتها من العمد الشيخ محمد إدريس ، وعمي محمد نور علي ضرار ، والسيد مشقا بن حيوَّاي ابن درنوَّاي ، (وهو رجل في منتهى التقوى والصلاح منذ نشأته) الذي يتمتع بثقة عموم قبائل بني عامر وخصوصا أهل الجبال .

قال إن محمد حسَّال بن عامر (هرودة) ابن علي بن عمر بن محمد بن محمود ابن عمر بن حسب النبي بن انديكنا بن أبو بكر بن معلا المسمى بأحمد معلى أبن الشريف محمد بن علي بن عبد القادر بن حسين بن صالح بن عبد الرزاق ابن محمد بن سليمان بن صالح بن محمد بن زيد بن شيلول بن محمد ابن شعبان .

انتهى ما حصلنا عليه من نسب بيت معلا . ولم يبق إلا ثلاثة أو أربعة أجداد ينتهي بهم نسبهم القرشي إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(الشيخ محمد بن محمود)

كل ما لدينا من المعلومات عن الشيخ محمد هو أنه رزق أربعة أولاد أكبرهم : عمر ثم موسى ثم كامل ثم حامد ولكل من هؤلاء ذرية طيبة تعرف باسمه[1] .

---

(١) اذا اضيفت كلمة «عد» او بيت قبل اى اسم من القبائل الهجناوية «تيجرية» التابعة لنظارة بنى عامر لسهل معرفة العائلة او الجد الذى تنحدر منه .

(الشيخ عمر بن حمد)

لم يخلف إلا ولداً واحداً اسمه على تولى رئاسة قبيلة بيت معلا بعد وفاة والده .

(الشيخ على بن عمر)

لم يرزق إلا ولداً واحداً هو « عامر » .

(الشيخ عامر)

هو الذى اشتهر باسم « هرودة » ، وخلف خمسة أنجال هم :

موسى — حمد حسال — حمد — تمرة — وعلى المشهور بلقب « قنبرى »

ولكل من هؤلاء الخمسة ذرية كثيرة .

(الشيخ موسى بن هرودة)

تولى العمودية بعد وفاة والده ولكن لم تمتد به الأيام فمات بعد ثلاث سنوات .

(الشيخ حمد حسال)

تولى رئاسة بيت معلا بعد وفاة أخيه موسى بن هروده ، وتكاثرت القبيلة فى عهده وازدادت مواشيها . وازدهر عصره بالرخاء وكثرة الأمطار ، وانتشرت المصارعة بين الشبان بالسيوف والقذف بالرماح . وتاقت نفس هؤلاء الشبان الشجعان بالتحدث عن الإنتقام من القبائل التى كانت تضغط عليهم مدة ظلمهم ، فكان الشيخ حمد حسال يرسل عصابة من أشجع الفتيان إلى الشرق ، وقبل عودتهم أو معرفة أخبارهم يرسل أخرى إلى الغرب ، ويأمر الثالثة بأن

تـكون على استعداد لنجدة إحدى العصابتين . كما وأنه أول شيخ يأمر أولاده الصغار باستعمال سيوف العُشَر المبارزة .

سافر الشيخ حمد حسال مع الشيخ جميع بن عجيل بن علي والدُّقْلَل محمد ابن موسى ، والشيخ محمد بن حاسري إلى مدينة سِفّار لزيارة ملك الفونج لتوريد زكاة مواشي قبائلهم ، وإزالة أي خلاف بين دِقْلَل وأبناء عمومته . وقال دقلل للملك : ابعد ديار هؤلاء المشايخ بالبحر المالح أنا استلم منهم الزكاة وأحضرها بمعرفتي إلى سناره فوافق الملك . ومنذ ذلك الحين انضمت بيت معلا إلى نظارة بني عامر . وكانت هي أقوى وأغنى قبيلة بالقنوب لجودة مراعيها وحسن تربيتها للمواشي والناس .

أما الشيخ جميع بن عجيـل فقد تعهد بالأقمشة التي يتحصلها من السفن التي ترسو بالسواحل وكان أيضا مثـل الحاسريين[1] ، يـلمه لدقلل . ولم يكن هناك مقدار معلوم يدفعه كل عمدة إلا بعد فتح الترك لـكسلا ودقه دِقْلَل (بعد سنة ١٨٤٦م) .

واستاء كامل بن حمد بن حسال من قبول أبيه الإنضمام إلى نظارة بني عامر ومات من الغيظ كما غضب « ملادن بن موسى هروده » ، وقال لا نخضع للنابتاب بتاتاً بل نورد زكاتنا بأنفسنا منفصلين عنهم ولو مع سائر إخواننا حاسين الجبال « أبيات حمر وسود »[2] فطرده عمه ومات مكمودا . واستمرت

---

(١) كانوا يدفعون زكاتهم من الابل والبقر والسمن والعسل لشدة غناهم

(٢) أنشأ شوم عمار نظارة على الحماسين المتاخمة لجبال البحر الأحمر وكانت له رسوم على الابل .

بيت معلا تحت نظارة بنى عامر سنين عديدة حتى ظهرت المهدية وانفصل القنوب عن بركة ، ثم انفصلت ارتريا عن السودان .

وحوالى سنة ١٨٩٨ جاء دور تخطيط الحدود بين حكومتى السودان وإرتريا فأصبحت كل أراضى بيت معلا ضمن حدود إرتريا ، كما فصلهم محافظ كرن عن بنى عامر أغردت ، وكذلك فعل محافظ مصوع إذ فصل الأملادة والعجيلاب عن نظارة دقلل أغردت . ووافق حاكم عام إرتريا بأن تقيم كل قبيلة مقر محافظتها فاستقاء دقلل الحسين وزاد استياؤه عند فصل عد أكد منه أيضاً برئاسة الشيخ محمود شريف[١] .

أما فى السودان فبقيت الحالة على ما كانت عليه ، غير أن معلا السودان أصبحت أقلية ، ولكنها محترمة ومحبوبة عند كل ذى مروءة وشهامة خصوصا عند العجيلاب فإن رؤساءهم من أمهات عجيلابيات . وقد انفصلت عن نظارة بنى عامر سنة ١٩٢٥ م فى عهد عميدهم الشيخ صالح على محمد من الناظر الشيخ إدريس بسبب تحيزه لأقاربه فأبقاب عامرى عيترية . ومن النوادر الطريفة أن هؤلاء طلبوا الانفصال عن أخيهم الناظر ، فقال لهم مدير البحر الأحمر (المستر تبتس) إن الناظر ابن عمكم فلا يصح فصل الجسد عن بعضه . وهنا قال الشيخ محمد بن ضرار على « إن هذا بتر وتقطيع لأوصال قبيلة كبيرة » فقال له المدير وأنت إذا لم يعجبك هذا سأفصلك عن هذا الناظر ، وأضمك إلى قبائل توكر فى العام القادم . فقال له الشيخ محمد ضرار ، فى ضمنا إلى توكر مضيعة لاسم بنى عامر إذ ربما يأتى يوم تنصهر فيه قبائل تلك المدينة وتصبح

---

(١) بعد وفاته انضمت العمودية الى نظارة دقلل بنى عامر ارتريا ..

لا حضريين ولا بدويين وفى ذلك خطورة على وحدتنا القبلية (بنى عامر) .
وانفض الاجتماع باستقلال الملاويين من نظارة دقلل العتيقة .

وبقى الشيخ إدريس صالح مريضاً بالمستشفى ، فلما شفى بعد سنة اجتمع بى ومعه وثيقة رسمية (باللغة العربية) يطلب منه أن يوقع هو والعمد والمشايخ عليها ومضمونها (إن حكام السودان كانوا من الأتراك ولم يكونوا يوماً من المصريين ولذلك نحن الموقعين فى هـذا الصك راضون بالحكم الحالى) الثنائى اسمياً والانجليزى حقيقة[2] (فعليا) . وملخص الشروط البريطانية فى ثلاث مواد ، إذا لم تنفذ فى الحال فإن الانجليز يحتلون جمرك الاسكندرية (وقد تم ذلك) ، لأن دولة رئيس الوزراء سعد باشا زغلول لم يقبل إلا المادة الأولى فقط ، ثم أقصى عن الحكم بالقوة الحربية والضغط على الملك أحمد فؤاد :

١ — دفع نصف مليون جنيه مصرى دية القتيل السيرلى استاك باشا حاكم السودان وسردار الجيش المصرى .

٢ — إخراج المصريين الحربيين والمدنيين من السودان .

٣ — ألا تتقيد حكومة السودان بالثلاثمائة ألف فدان لرى أرض الجزيرة من خزان مكوار ، (وهذه الفقرة هاجمتها صحافة الأمم الحرة والمعارضة الانجليزية ووصفوها بأنها وضعت لتشفى وخنق مصر بالعطش) . فنفذ الجميع زيور باشا وحل البرلمان المصرى وألغى الحياة النيابية .

---

(١) بعد مقتل استاك باشا «حاكم عام السودان» أخرج الانجليز كل الموظفين وكذلك الاورط المصرية من السودان بأمر أصدره دولة أحمد زيور باشا رئيس الانقلاب الذى خلف سعد باشا زغلول .

استشارنى الشيخ إدريس صالح الناظر فى توقيع الوثيقة ، فأخذت منه قسماً على المصحف على الكتمان ، ثم قلت له : مادمت أنت مختلف مع المستر برجس بتوكر وصدرت منك جملة نابية[1] استاء لها كل الانجليز وأيدوا فصل « البيت معلا عنك » ، فاعتذر بأن كلمتك غير محترمة أو مسموعة . وخشية من افتضاح السر لا يمكنك عرضها عليهم ، فلو أعيدت إلىّ البيت معلا لحاولت التوقيعات . وفعلا قال ذلك لنائب مدير البحر الأحمر ، ولزم الفراش سنتين يتنقل بوثيقته بين العقيق وتوكر وبورتسودان ، والخصومة بينه وبين المفتش تزداد ، والود مفقود ، والجو فى السودان ومصر ولندن مكهرب ومكفهر ، حتى تولى منصب مفتش توكر المستر اسكوت المستشرق (نائب مدير المعارف) ، فأمر الشيخ صالح على سعيد أن يرجع لنظارة بنى عامر ، فرفض وفضل الاستقالة من العمودية التى تولاها عمه الشيخ إبراهيم ابو فارو . ثم تم التوقيع على الوثيقة ، كما تم التوقيع على وثيقة مماثلة لها تطلب خروج الانجليز من السودان (بيد أحد الموظفين المصريين)[2] .

لما أراد المستر سكوت[3] المناقشة فى موضوع الناظر والعمدة صالح يبدأ قوله « إن سعادة المدير أمرنى بعمل هذه الجلسة هنا فى العقيق لكل المشائخ حتى يشهدوا أنه وافق على عودة البيت معلا للنظارة البنى عامرية وتعيين مرتبات شهرية لكل العمد والنظار[4] » .

---

(١) أثناء تحقيق المفتش فى قضية سرقة بين المعلاويين والنابتاب قال الشيخ ادريس «ان مكتبك ما هو الا حانة » .

(٢) الكتاب الأبيض الانجليزى .

(٣) هو اول من قاد تجربة الطلبة فى تفكيرهم الأدبى والاجتماعى والسياسى كما أنه اول رئيس لجامعة الخرطوم .

(٤) قيل ان هذه المرتبات كانت من ارباح دية استاك التى رفضت زوجته وابنته استلامها .

بعد وفاة أبو ناروا تولى عمودية بيت معلا بالسودان الشيخ محمد حامد وشوك ، ودر من بيت الرئاسة له ابن يسمى « محمد الحسن » ذو همة عالية وخبرة بالعادات القبلية .

ولنعد إلى حوادث الشيخ حمد حسال[1] وهو كان معاصراً للشيخ جمع ابن عجيل (عميد العجيلاب) ، وكنتيباى ناود بن أداد (ناظر العباب) ، وكنتيباى قربنت (ناظر تماربام) ، والشيخ محمد هاسرى عميد الهاسريين .

أما فى إرتريا فإن البيت معلا كانوا يعيشون فى هدوء وأمان ، والتفوا حول عميدهم بإخلاص ، واعتنوا بتربية المواشى والزراعة ، وتكاثر تعدادهم حتى بلغوا ألوفا مؤلفة وعاد إليهم احترامهم القديم .

(قتال العجيلاب وبيت معلا)

فى عصر حمد حسال حدث أول قتال بين العجيلاب و بيت معلا فى مكان يقال له « عنكلت عجيل »[2] . روى أن سبب هذا القتال هو أن رجلا من معلا اسمه « حبيب » كان صديقاً للشيخ جمع ابن عجيل ، وكان يزوره فى الشتاء بأبقاره لجودة مراعى الأفلندة ، ويمكث معه نحو أربعة أشهر سنوياً . فتحرش به الشيخ عجيل وأبناؤه (ماعدا جمع) وطلبوا منه أن يسابقهم بأبقاره . فرفض حبيب وقال إن جمع صديقى اشترط على أن أسابقكم ، فألحوا عليه حتى أرغموه على السباق . فسبقت أبقار حبيب ، وذاع خبر سبقها بين القبائل

---

(١) هى كلمة تجرية معناها «رسن الجمل» وبالبجاوية يقال للرسن «هسال» .

(٢) تقع غرب وادى رحيب «جنوب قرورة» . ومعناها «تل عجيل» .

فاستاء عجيل ، وقال ستروتاح منهما قريبا . وأرسل مندوبا إلى الأرتيقة والكميلاب فى توكر وطلب منهما إرسال عصابة يكون مندوبه دليلها لتنهب أبقاراً كثيرة لاحامى لها . فوصلت العصابة واستولت على كل أبقار حبيب فاغتاظ جمع[1] من عمل والده وإخوانه ، وقال لهم إنكم غدرتم بضيفى وجارى واتفق مع حبيب على أن يزوره بعصابة من سكان هَجَر ومجاوريها على أن يستولوا على بقر أبيه وإخوانه . ووعده بالتمهيد للانتقام . وأقصى شباب الأفلندة عن « الدقة الأفلنداوى »[2] مدعيا أن الهدندوة نهبوا إبل الأفلندة من الساحل البحرى . فاتبعوه ماعدا أخاه نور الدين ووالده فإنهما تخلفا . ثم جاء حبيب وعصابته واستولوا على أبقار عجيل وأولاده . وفوق التل المذكور وجدوا عجيل بن على مقتولا[3] . ثم جاء الشيخ حمد حسال ، وقطع جبهته ، ومسح بها وجهه ورأسه وهو يقول « عسى الله أن يمنحنى عمرا مثل عمرك وسعدا مثل سعدك وذرية مثل ذريتك ، وأن أكون ميمونا وموفقا مثلك فى كل أمورى » . ولما سئل لماذا فعل هكذا أجاب أن والدى عروة أوصانى بذلك . أما الشيخ جمع فإنه عاد ووجد والده مقتولا ومعه بعض الرعاة وعلم أن حبيبا عاد إلى أهله بعصابته ومواشيه فغضب ، ولكن ماذا يجديه ذلك لأن كل الذى حدث كان بموافقته . وأخذ معه الشبان وسار خلف العصابة فلم يدركها ، ووجد أبقارا فى « أدوكا » الكبرى والصغرى . (لم يتمكن أصحابها من تهريبها منهم) ، فنهبها كلها وعاد بها إلى أهله وقسمها بين من فقدوا مواشيهم . وبعد سنين انتابت الأفلندة مجاعة واضطرتهم للرحيل فجأة

---

(1) كان غائبا عن القرية يوم مجىء العصابة .
(2) دمرته حروب بيت معلا وقلة الأمطار فى عصر الشيخ جمع .
(3) كان فى سن الشيخوخة .

وبينا هم فى هـــذه الحالة السيئة جاءهم إنذار من حمد حسال[1] بتعقبهم . فاستجار الشيخ جمع عجيل بكنفقيباى تاود بن أداد فلم يجره[2] .

فرحل منه إلى كنفقيباى قريلت (ناظر أبناء تمار يام) ، فتلقاه بالبشر والترحاب ، وأنزله أحسن منزلة ، وأقطعه أفضل المراعى وهى سهول «شرب» الخصبة (تسكنها اليوم العجيلاب والأفلندة بإرتريا) . وأما الشيخ حمد حسال فإنه غزا ديار العجيلاب ومعه أمثال بيت قريش ولبت ، ولبس ، ورشحت وكل جيرانه . ولـكنه عاد من غير أى فائدة إذ وجد الديار تنعى من بناها من أهلها بسبب المجاعة . وترك عصابته حول رحيب تنتظر عودة الأفلندة .

وبعد سنين عاد جمع إلى دياره فلقته عصابة رحيب وانتصر عليها[3] ، فلما عادوا ذبح للقاتلين من أبقاره وقال لهم اجعلوا الأثافى من جماجمهم نظير تمثيلهم بجثة والدى .

مرارا ما حاول نور الدين قتل الشيخ حمد حسال ، ولـكنه لم يتمكن ، فأوكل أمر قتله لخادمه المسمى « همد نور بن كساب » ، وقال له اذهب واسكن مع البيت معلا حتى يطمئنوا إليك ، فإذا وجدت فرصة أو غفلة من الشيخ حمد حسال فاقتله لأنه قاتل أبى . فوجد همد نور كساب فرصة موانية ، فطعن الشيخ

---

(١) جمع جموعا كثيرة من كل الحماسين لابادتهم عن آخرهم .

(٢) كان مصاهرا لبيت بعشو الذين كانوا رؤساء الحماسين «سكان هجر وما حولها» .

(٣) قبل القتال ربط الافلندة الشيخ جمع بالحديد فى القرية ونبهوا على النساء ان لايطلقنه الا بعـــد موتهم او انهزامهم ، وهى عادة قديمـــة حتى لايقتل رئيسهم .

حمد حسال فى صدره برمح طويل نفذ من ظهره ، فهجم عليه ثلاثة من شباب معلا وقطعوه إربا إربا بسيوفهم .

ويعجب المرء إذا علم أن والدة الشيخ حمد حسال هى من بُولاب العجيلاب (أى أخت الشيخ عجيل)[١] ، والبولاب هم إحدى بطون المَلْهِيتكناب ويسكنون مع بنى عامر بأرتريا .

وللشيخ حمد حسال من الأنجال « كميل » المشهور بلقب إيتد كُل[٢] « لا يصطلح » وبالبجاوية « باتأديل » .

بين معلا وماريا

نهب الشيخ حمد حسال أبقار قبيلة ماريا السودا من « إزوتا » بقرب حلحل ، و « تعبلى » بسبب مناقشة حادة دارت بينه وبين بعض مشايخ ماريا » . إذ قال لهم ما رأيكم فى من يضرب تعبلى بالسيف فقالوا هيهات للسيف أن يقطع جبلا . ثم نادوا وأخبروا زعيمهم بقوله ، فقال لهم اهربوا قبل أن يغزوكم فأطاعته جماعة منهم وخالفه آخرون ، فنهبت عصابة المعلاويين أبقار المخالفين .

ومن طباع المعلاويين الغريزية أنهم إذا هموا بشىء نفذوه فى الحال من غير أن يتبصروا فى عواقب الأمور ، ولذلك نجد تاريخهم حافلا بانتصاراتهم فى الموقعة الأولى .

---

(١) كان حمد حسال يدعو عجيل «بخالى» .

(٢) هذا لقب صديقنا الشيخ حمد موسى عهدة ديم العرب .

(الشيخ إيتَدَ كَل)

فى آخر أيام الشيخ حمد حسال[1] كان مقتل عبد الله وأ كُدْ وأختهما وأربعين رجلا من جماعتهم بيد الملاويين . فلم يكترث عمدة الماسريين لقتلهم . وبدأ فى جمع العصابات والرجال الأشداء استعدادا للقتال . وأرسل إنذارا إلى الشيخ إيتدكل ، وهذا كان يقابله فى كل شىء بالمثل بل بأعنف وأشد من تهديداته ولا بأس أن نورد هنا كيف بدأ الشر بينهما

كان أ كد بن عامرى وأخوه عبدالله وأختهما « شُبُوسيتْ » ورجل من قبيلة « رِقيَاتْ » اسمه حَليماىْ ، وآخرون يسكنون بجوار الملاويين فى مكان يقال له « أدُوبَحَا » ، وطلبوا لبنا من رعاة أبقار بيت معلا فرفض الملاويين الطلب وأرسلوا مندوبا إلى ايتد كل بذلك، وأخبروه بأنهم ربما اقتتلوا . فخف الشيخ ايتد كل لإدراكهم ، ولكنهم كانوا قد انتهوا منهم بالقتل ، فاستاء جدا من عملهم وقال لهم « كيف تقتلون ضيوفا يطلبون منكم طعاما وما أكثره لدينا . لقد أفسدتم على رأيى وتدابيرى ، وهدمتم آمالى العظيمة فى المستقبل . فقالوا له نحن لانرى القرى ضيافة لهؤلاء النابتاب بل هو ضريبة أو أتاوة أصبحوا يطلبونها منا فى كل صيف . فقال لهم إن النابتاب كلها ستقف ضدنا بما فى ذلك ناظر بنى عامر (ابن عمهم) ، فاستعدوا الرحيل إلى سَمْهَرْ (مصوع) لنستجير منهم بنايب مصوع البَلَوى لأن كل من حولنا سيكون محاربا لنا . وفعلا رحلت بيت معلا بقضها وقضيضها إلى اقليم سمهر .

---

[1] اعترت الشيخ حمد حسال سن الشيخوخة والقيت المسئولية على ابنة «ايتدكل» . الذى كان بيده ادارة شئون القبيلة ، والحوادث المذكورة اعتبرناها من عصر ابنه ايتدكل .

قال لى الشيخ محمد بن إدريس العملة سنة ١٣٥٧ﻫ إن جده الشيخ ايقدكل أقسم يوم ولايته أن لا يسفك دما قبيلته أو يشترك فى قتل أحد أو نهب أى مواشى ، ولكنه فى هذا الحادث أصيب بصدمة عنيفة بسبب هذا الحادث ولم يحدث فى بقية أيامه أى سوء إلا هذا . وقال لى عن مقتل أحمد وجماعته أن رجلا أشاع بين الملاويين ان عبد الله وأخاه أحمد قد قتلا « سلطان بن قترى » - وهو من مشاهير شجعان الملاويين ، فقال له ايقدكل أقسم لى على ذلك ؛ فأقسم بأن قص ضفيرة من شعر رأس الشيخ ايقدكل . فقتلت الجماعة ثم جاء سلطان سالما معافى « لم يقتل » إلى إيقدكل ومعه مندوبين من سمهو . فتعجب من الاشاعة الكاذبة واستعد للقتال الطويل الأمد أما الشيخ محمد هاشرى فإنه استعد للانتقام . وأرسل المصالحات من كل قبيلة خلفهم ، كما أرسل بعض المصلحين فى أثرهم عارضا عليهم الصلح والعودة إلى ديارهم . فاغتر جماعة منهم بكلامه وعادوا وضمهم إلى عربانه . ووصلت بيت معلا أرض مسيحى واستجار الشيخ إيقدكل بنايب أحمـــد فى دختو . فأجارهم وأكرمهم جدا ، وعين فرقة من العساكر كى تعسكر معهم لحمايتهم من كل اعتداء[1] .

وبعد ثلاثة أعوام أرسل الشيخ محمد هاشرى أخاه حامد بيلى[2] إلى نايب أحمد فى دختو بهدايا كثيرة وأغراه بطرد بيت معلا من سمهو إلى ديارها .

---

(١) أهدوا الى النايب ابقار كثيرة .

(٢) اقاموا فى دختة ستة شهور كان أثناءها يحرض نايبه على المعلاويين سيوفه . ومما كان يقوله «انا جئتك مستجيرا من قوم قتلوا اخوانى ولجأوا اليك فأنا أطلب العون من الله ومنك» «فى كل توسلاته لم يذكر حامد انه من المشريين» .

فأجابه أن اتباع كلامك سيلوث سمعتى بين القبائل وسنرى . وكان أول عمل أتاه سحب الفرقة العسكرية . فتحقق الشيخ إيتدكل أن فى الأمر شيئا ، لذا استعد للرحيل . وفجأة ظهر بين القرى شبان من دختو يحملون السلاح ومعهم حامد بلى يأمر بتقويض المنازل والرحيل حالا . ونهبوا بعض مواشى المستجيرين بهم ، فرحل الشيخ إيتدكل من مفارقة الغادرين بضيوفهم حتى وصل قرورة (حدود السودان الحالية) . فوفد الشيخ إيتدكل ومعه ابن عمه منذر إلى الشيخ محمد حامرى وسلما عليه وقابلهم أحسن مقابلة وتسامحا وعفا عن دماء القتلى . وعملا صلحا وتعهدا على أن يعيشا بسلام وأمان كالسابق ووحدا المراعى والمناهل .

ومنذ ذلك الحين علمت قبيلة الحامريين أن لا راحة لها مع المعلاويين مهما تعاهدتا أو اتفقتا . وكان محمد حامرى يوقع بين رؤساء بيت معلا الخلافات ، ثم إنهم لا يتحملون الضيم أو الاساءة لأنهم شجعان .

(الشيخ حامد ايتدكل)

تولى العمودية بعد وفاة أبيه ، وحضر كسوته يوم الولاية الشيخ حامد ابن السيد أحمد نافعُوتاى وقد اتفقت كلمة بيت معلا على رئاسته . وتزوج الشيخ حامد بابنة نصر الدين بن قلايدوس[1] . ورزق منها ثلاثة أنجال هم : إدريس وكامل وعامر . وأهم ماحدث فى أيامه هو حصوله على سيف بيت معلا المشهور باسم « وَدْ دَلشَاىْ » .

---

(1) من رؤساء عد تكليس ، وجدتها هى فاطمة بنت عجيل بن على بن

(دَلاَشَاىْ)

هو اسم لسيف اشتهر بجودة فرنده ، ومتانة حده ، وجمال منظره . فى كل من صفحتيه بحران متوازيان طولهما شبر ، وبأعلاها صورة خد لوجه ورأس متجه نحو اليمين [1] .

أما كيفية الحصول عليه ، فيقال إن خادما اسمه دلاشاى ، من قرية عد مدين (حباب) كان يعمل بمصوع ، وهناك اشترى سيفا من سوقها [2] ، ثم عاد إلى أهله . وبينما هو فى الطريق مع أحد القوافل تصدى لهم أسد فى وادى « أَدَغَرَا » [3] (وهذا التصدى حدث لى أيضا ولكن الله سلم) ، وهجم على الخادم دلاشاى الذى ضربه بالسيف على رجليه الأماميتين فقطعهما ، وسقط الأسد مضرجا بدمائه . ثم ثنى عليه فقطع الخلفيتين . فذاعت بين كل القبائل شجاعة الخادم وجودة السيف ، وتناقلت الركبان هذه الحادثة حتى طرقت مسامع الشيخ حامد ابتد كل ، فامتطى جمله من « نبح » (عاصمته) وسار حتى بلغ قرية عد مدين (أقاربه) ، فلما وصلهم تلقاه « ها كين بن على نور ابن مدين » (ابن خالة الشيخ حامد) ، وطلب منه أن يذبح جمله وينزل من على

---

(١) لدى المؤلف مثل هذا السيف بالضبط غير ان بأعلاه صورة لكفة يد يمنى بدلا من الوجه . وفى كل من النهرين نقوش فارسية جميلة جدا متقنة الصنع والرونق .

(٢) فى هذا العصر قال هوسكنز المؤرخ الانجليزى «١٨٣٥م» عادت الى مصوع خمسمائة سيف جديدة من اليمن ، لم تجد من يشتريها فبيعت هناك . واكثر سيوف العجيلاب والافلندة والبهدور من هذه السيوف ، وهى غاية فى المتانة والجمال الى اليوم .

(٣) هناك نفق فى جبل للأسود .

ظهره ، فقال الشيخ حامد « إن لى إليكم حاجة ، ولن أنزل إلا إذا وعدتمونى بانجازها . وبينما هما فى الكلام اشترك محمد نور على نور فى الحديث ، وقال للشيخ حامد « اطمئن إننا مستعدون لتنفيذ رغبتك خصوصا وأنت جئتنا من ديار بعيدة » . فأجابهما بأن طلبه صعب المنال ، فقالا له وإن يكن . فنزل من على جمله مرتاحا ، ولما أراد العودة إلى أهله سألوه عن طلبه ، فقال أعطونى السيف الذى عند خادمكم « داشاى » . فأعطوه له فى الحال ثم عاد به إلى أهله وهذا السيف لا يزال يتوارثه مشايخهم كابرا عن كابر ، وهو من السيوف النادرة جدا ، ومرارا ما خشيت الشجعان لقاء حامله . فكان مع محمد شوم بن إدريس حامد يوم مقتل أبناء حسان وبه قتل إبراهيم كامل بن حامد (أيام عمودية الشيخ محمد بن إدريس) .

ولما توفى حامد ايتد كل ترك من أولاده أربعة هم :

إدريس ، وكامل ، وعامر ، وحجل .

(الشيخ إدريس حامد)

تولى المشيخة بعد وفاة والده ، واشتهر هذا الشيخ بالصرامة فى أحكامه ، والقسوة فى كل أعماله . ومرارا ماشن الغارات على مجاوريه ، وقل من سلم من أذى الشيخ إدريس الذى لم يكتف بالعصابات التى يؤلفها من العلاويين بل كانت له عصابات من الجباب وسواهم ، بل وأحيانا تصل به الحالة إلى أن ينهب نفس أهله العلاويين ولو كانوا من أقاربه ، حتى كرهوه فى أيامه الأخيرة ، وسئموا رئاسته غير أنهم كانوا لا يجسرون على مجابهته بالعزل أو تعيين خلف له . فقرروا الرحيل من جواره والتفرق فى القبائل الأخرى حتى إنه مرض مرضا شديدا وليس بجواره أحد منهم . وقد نصحه دقلل محمد بن

أكد ناظر بنى عامر باستعمال الرفق واللين ، ولكن الشيخ إدريس حامد كان شاعرا مجيدا وقد نظم كثيرا من حوادثه .

ولنذكر الحوادث التى كانت فى عهد عموديته .

واقعة أتْ أوْحدتْ[1]

كانت هذه الواقعة بين العجيلاب والملاويين فى المكان السابق ذكره . وأما أسبابها فهى أن عصابة من الحباب[2] نهبت أبقار كامل والقرى المجاورة لمنازله (تحت حمايته) . وكان كامل غائباً عن القرى ، فلما حضر وعلم بحادث النهب اتهم الشيخ إدريس بتحريضهم ، فجمع عصابة ونهب أبقار أخيه إدريس وكل من جاوره ، مقتصا منه فعلته ، ثم عاد إلى قراه وأخذ كل من تبعه ورحل من ديار بيت معلا واستجار بالشيخ ضرار بن عجيل (عميد العجيلاب والأفلندة) فأجاره هو وكل من حضروا معه من مشاهير الملاويين أمثال حسين همد عُوُّرْ (أعور وأخيه هَرَنْزِقَاىْ ، وَسَمَرهْ بن همد حَبْ) فاقتفى الشيخ حامد أثر كامل وجماعته ، فلما أدركهم طلب من الشيخ ضرار أن يسلمهم إليه . فأجابه أنتم حضرتم إلينا مع الغروب فانزلوا عندنا الليلة وفى الصباح ننظر فى جميع مطالبكم . (يقول جدى الشيخ على ضرار أن غرض والده كان اطمئنانهم للمبيت حتى إذا ناموا كان عازما على القضاء عليهم ، ولكن ابنه جعول ضرار تسرع وتلفظ بعدة كلمات نابية ، ثم قال لأدريس دعك من كلام والدى فأننى أقسمت ألا أسلمهم إليكم إلا وأنا ميت ثم أخذ سلاحه وهجم عليهم . فقابله

---

(١) تقع غرب قرون داخل حدود ارتريا .

(٢) قيل انها تألفت بايعاز من الشيخ ادريس حامد ايتدكل حيث كانت بينه وبين أخيه كامل «صهر الشيخ ضرار بن عجيل» خصومة .

سمرة بن كسلا (قائد العصابة) وضرب كل منهما صاحبه بالسيف ، فنبا سيف جميل وأصاب عجيل سمرة مقتلا من جميل وأثخنه بالجراح ، فمات جميل وجرح محمد ضرار فى ساقه ، وكذلك عجيل ضرار[1]. ثم جاء محمد بن عمار (اشمادة) وأطلق حربته على صدر سمرة فقتله . وهجم رجلان على الشيخ ضرار أحدهما من الحلف (واسمه أكدّ بن محمد دار) من قبيلة علمن الأوتيقية وأمه من نابتاب عبد عمر ، وضربه فى كتفه ، والثانى هو على بن كنتيباى حداد فكذلك ضرب ضرار أيضا على يديه بالسيف ، وتمكن كامل حامد وسمرة محمد حب من قتل رجلين من العصابة . ثم جاء شيك بن عجيل وابنه فكذلك فقتل كل منهما رجلا ، ثم تكاثر العجيلاب وانهزمت العصابة فساروا خلفها نحو أربعة أميال ، ثم عادوا ظنا منهم أنها لن تعود إليهم ، ولكن الشيخ إدريس سار إلى طريق مراعى إبل العجيلاب فقتلوا رعاتها[2] ، واستاقها أمامه إلى تبيح .

وقد جاء وصف هذه الواقعة فى أشعار رجال القبيلتين خصوصا قول الشيخ كسلا يرثى ابنه :

لقد تَبَّخْ جميل ود ضرار لدارنا أبْدَى ودارو(ه)

قاتل الله جميل بن ضرار فإنه خرب دارنا وداره

أبهُو جميل إتْ لِيل بريد أبى لأمْرَ ازُو .

---

(١) قتل فيها محمود محمد شباربن «أللوت» وطروى بن اب عايلاى «الفرد» ومحمد شنكحاى (سايهو مرساى) ، ولما وصلوا أهلهم ذبحوا الابلّ بقطع أرجلها أولا .

(٢) يتحسر على من ماتوا من القبيلتين .

(أبوه كان يقول جميل ولم تبرد أعصابه)[1] .

« وأمه جميل إتْ نَيلْ أبْهو تَتَعلَّبْ وخالوا » .

(وكانت أمه تفخر بآبائه وأخواله) .

« أَسيفوُ إنْدُو طَلْءَيْوُ إى تَحَلَّيتُوْ لَعمَّارو » .

(خانه سيفه فلم يتمكن من نيل وطره) .

فرد عليه مُحمد بن شيك بن عجيل قائلا :

« هَلاّ دبْوت إلاّ جميل وإنَاس إتْ عادل » .

(إنها لمصيبة كبرى أن تقارن بين جميل وأحد الناس) .

« إتْ دَبِرْ أَقَيِرايتُو وفَارِسْتُو إتْ اَمَلاقِلْ » .

(إذا مشى فى الجبل طمأنته يمشى فى السهل كما أنه فارس فى السهل)

وبعد مضى ثلاث سنوات من هذه الواقعة حضر دقلل محمد بن آكد من خور بركة إلى القنوب ، وطلب من الشيخ ضوار بن عجيل مقابلته ، فامتنع كسائر مشايخ المنطقة . وبعد مداولات اجتمع به وسأله عن أسباب عدم حضوره فقال الشيخ ضوار تأخرت عنك لأنى مستاء لأن عصابات من الحبــــاب وبيت معلا قتلت ابنى وإخوانى وجرحونى وبقية أولادى ونهبوا نياقى ، فإن كنت حقيقة ناظرى فابعث معى عصابة انتقم بها لنفسى ، أو اسمح لى بأن أعود إلى أهلى الحدندوة . فقال له دقلل هذه رغبة بسيطة ، وأرسل معه عصابة مؤلفة من البوليس وبعض شباب المجيلاب ، وهجموا على ديار بيت معلا فلم

---

(1) هى بنت الشيخ على بن البدوى — وليس لجميل أى عقب .

يجدوا بها أحداً إذ سمعوا بخبر العصابة، فسلمت أنفسهم ومواشيهم وفى عودة العصابة قابلتهم ثلاث مراحات من أبقار معلا فأخذها لنفسه وكان هذا آخر خلاف وقتال بينهما، إذ انقلب الشيخ إدريس لغزو الحباب وحامرى وبعض أقاربه حتى إن الملاويين ارتحلوا إلى كنف أخيه كامل حامد . وسكن الشيخ إدريس فى مكان يقال له « قِنْ حَشْكِبْ » (بقرب وادى فلْكَتْ)[1] . وقضى الشيخ إدريس كل أيامه فى عراك مع عدة قبائل وغيرها مثل عد عمر، ومارها[2] .

واشتهر الشيخ إدريس بحبه لضروب الربابة (بأسِنْكُوبْ أو مَسَنْقو) حتى إنه كان يستعملها وهو على ظهر جملة فى رحلاته ، كما وأنه هو الذى اخترع لقبيلته « وتر يسمى عِنْدِرْ » ، وعمل فيه حفيده الشيخ إدريس محمد إدريس بعض تحسينات حتى أصبح من أحسن الأوتار مثـــل بيطاىْ العجيلاب ، وسَبَبْ الماسربين ، وسير الجمال للفايداب . وكان شاعراً مجيـداً كثير الهجو للنابتاب . وليس لـكل هـذه القبائل نحاس إلا الذى عند دقلل فى إرتريا .

وخلف إدريس من الأولاد : محمد ، وحمد شوم ، وهرُودة ، (عامر) ، وحامد شنقب ، وكيل ومحمود جياد ، وفونجاى ، وعلى .

قيل إن شيك بن عجيل هجم بعصابة على إبل ليلا فذبحها ظنا منهم أنها ملك بيت معلا ، ولـكن ظهرت أنها لأبناء عمهم (عمر) فغرموا ثمنهـا .

---

(1) أمر دقلل الشيخ كامل بجمع الزكاة من القبيلة فاستاء الشـــيخ ادريس وتنحى عن الرئاسة .

(2) تجد ذلك موضحا فى محله .

الشيخ كامل حامد

تولى مشيخة بيت معلا فى أيام أخيه الشيخ إدريس الأخيرة[1] وسار فيهم بأحسن المعاملة ، كما تحبب إلى جيرانه من القبائل . وأما الشيخ إدريس فقد رحل بأنجاله إلى أقرب قرية حبابية ، ومنها بدأ فى إرسال العصابات إلى بيت معلا وغيرها . وأما أهله المعلاويون فقد التزموا الهدوء والدفاع .

وتزوج الشيخ كامل بابنة ضرار بن عجيل ورزق منها خمسة أنجال هم : إبراهيم وشريف وضرار وعجيل وحامد كلوانالى .

الشيخ محمد إدريس

بعد أربع سنين تقريباً من شياخة الشيخ كامل حامد رفع أبناء الشيخ إدريس حامد شكوى لناظر بنى عامر وطالبوه برد عموديتهم إليهم . فجمع الناظر كل مشايخ بنى عامر واستشارهم فيمن هو أحق بالعمودية فاختاروا جميعهم الشيخ محمد بن إدريس[2] ، واتحدت كلمة أبناء سمرة وهرودة وهمد عوشور وأبناء كفرى على معاضدة الشيخ محمد إدريس فى منصبه الجديد ، واكتسب عطف الأقارب والأباعد ، وصاهر العجيلات بزواجه بابنة عجيل ابن ضرار ورزق منها ولدا واحدا هو « إدريس » الذى خلفه على العمودية بعد وفاته . واشتهرت أيام الشيخ محمد باليمن والسعادة ، ومرارا ما دفع من ماله الخاص غرامات المخربين من المعلاويين ، إلا إذا استثنينا حادثا بسيطا

---

(1) لصغر انجال ادريس خلت الرئاسة للشيخ كامل .

(2) بدلا من الشيخ كامل حامد واستاء اخوه همد شوم لانهم لم يرشحوه للعمودية مع انه اكبر اخوانه ويتحلى بخلق والده (شدة البأس وقوة الشكيمة والصرامة . وهذه الشراسة أبعدته عن الناس وعشرتهم) .

لا تسلم منه أى قبيلة . وأما الخلاف فكان بين إبراهيم كامل وابن عمه هرودة ابن إدريس بسبب رواية خاطئة اضطر هرودة أن يستل حسامه ويضرب به ابراهيم ، فتلقاه بالدرقة ، وقال لو ضربتني لما ضربتك . فثنى عليه هرودة الضربة ، ثم ثلث ، وابراهيم ملتزم الدفاع . وفى الرابعة أصيب إبراهيم فى ساقه ، فشعر بالألم ، وضرب هرودة بالسيف فى فخذه الأيسر فقطعه ، ثم مات هرودة لساعته ورحل إبراهيم بأمه وإخوانه إلى أخواله العجيلاب ، فأجاروه فكاك بن شيك عجيل[1] . وبعد شهور جاء القبطان مهدى محمد أحمد أبو بكر (ابن خالة المستجيرين) ، وأخذهم فى سفينه إلى جزيرة ابن عباس (بهدو). وبعد سنة سافروا إلى مصوع (فى أمبيرمى) عند الشيخ محمد بن عدى ، ثم رحلوا منها إلى حَبْرُو (أبناء تَكْليس) وهم أخوالهم أيضا ، ولقوا من الشيخ المشهور أدادْ ابن جميل (اكراما) . ثم رحلوا إلى أغردت ونزلوا عند الشيخ أرَىْ بن بيض (عمدة آل على بخيت) وهذا أوصلهم إلى دقلل حامد محمد ناظر بنى عامر ، فأقام معه فى الدقة لحين ذهابه إلى القنوب الجزية . ولما قام دقلل أحضرهم معه بأرض الملاويين ، وهناك طلب من الشيخ محمد ابن إدريس أن يصلح بينهم وبين إخوانه . فرفض بعد أن أثبت لدقلل أن ابراهيم رجل خطر وشرير ، وقد قتل قبل هرودة ثلاثة من الملاويين وقطع يدى رجلين آخرين من أقاربه ، وكلهم يريدون أخذ ثأرهم بأيديهم مع أنى دفعت الديات والتعويضات اللازمة فعادوا إلى قريتهم بتبيح وكان ابراهيم يسير دائما مسلحا[2] ، فعقد أبناء إدريس حامد اجتماعا لقتل ابراهيم واتفقوا

---

(1) ولما أراد اخوان هرودة اللحاق بهم منعهم الشيخ محمد ادريس مستشهدا بعدة حوادث فى الاستجارة بالعجيلاب .

(2) أذكر أن رجال القرى بعقيتاى كانوا يمشون دائما مسلحين خوفا من هجوم مفاجىء لكثرة العصابات فى المهدية .

على عرض الفكرة للعمدة الشيخ محمد [١]. فوافقهم على الإنتقام. فقال له كميل: إنا صرتابون فى كلامك هذا وإن كنت صادقا فأعطنا سيفك « داشاى » ، فأعطاه لهم . ثم اتفق كميل مع أخويه حامد شنقب وإدريس فونجاى على قتله وهو نائم ، وترقبوه ذات ليلة وإذا به يخرج لقضاء الحاجة بسلاحه . وانتظروه حتى عاد ونام . وهجموا عليه وإذا به يقبض إدريس من شعره حتى حتى رقبته وأغاثه حامد وقطع يدى ابراهيم . وجاء كميل فضربه بداشاى فقطع ظهره ، فقال لهم : لله دركم لقد أخذتم ثأركم ، أدركونى بالماء فسقوه حتى ارتوى ثم مات . واستاء أخوه حامد كلوانای وقال لقد تألب على أخى كل أبناء عمى ، وسأكيد لهم المكائد مع القبائل . وفعلا كانت حروب الملاويين مع الهامريين بسببه . وكان رأسا لكل عصابة بين الفريقين .

واشتهر الشيخ محمد إدريس بالتعقل وحب الخير والسلامة . وكانت أيامه صحيفة بيضاء فى تاريخ قبيلته حتى توفى إلى رحمة مولاه [٢] . وخلفه على المشيخة ابنه ادريس ، وهو ابن عشرين عاما . وكان مشايخ الملاويين يحتفظون بحجاب كان قد عمله السيد حامد أحمد نافوتاى للشيخ أحمد حسال ، فلما ولدوا تولية الشيخ محمد كان الحجاب والسيف (داشاى) عند أخيه محمد شوم فطلب إدريس محمد قروب تسليمهما للشيخ محمد إدريس لأنهما شعار العمودية .

---

(١) قتل ابراهيم أحد مشاهير الملاويين وكان للقتيل اخ شجاع اشترك فى قتل ابراهيم مع أبناء ادريس واشتهر ابراهيم بنزع اى سلاح جميل من صاحبه .

(٢) توفى سنة ١٢٩٤ هـ وهى التى ولد فيها حفيده محمد ادريس المتوفى المتوفى سنة ١٣٧٢ هـ .

فأحضرهما حمد شوم وسلمها لأخيه العمدة محمد . ولما توفى أخذ ابنه الشيخ ادريس جميع مخلفاته .

وكان الشيخ محمد ادريس يقول الشعر الذى لا يكاد يخلو من الفخر أو الحماس إذ أن مدحه للسلم والعفو عن الناس كثير جدا ، بخلاف أشعار أخيه حمد شوم التى يتوالد منها الشر المستطير ، وكان قلبه قد من حديد[1] . فمن شعره يخاطب أخاه الشيخ محمد ادريس .

« حِنا دِمْلَنا إسَاتْ عُوبَلَتْ وَجَرْسا »[2] .

(نحن غضبتنا كالنار الموقدة فى خشب الطرف والجرسا)

« نَما نُومُو إبْ إدَى كَمُونَا اِبْلُو وتَرْشا » .

(كما يقلب الطاهى العجين فيقول تم وقت طبخه) .

وهى قصيدة طويلة أجابه عليها الشيخ محمد بقوله :

« حِنْ دِمْلَنا فِرِى إكِلَتْ وجَرْسا » .

(أما نحن فسالمون ولا نحصد إلا الذرة والتمر) .

---

(١) قال شريف كامل ، لم أر أشجع من هذا الرجل خصوصا يوم قتل أبناء النابتاب ونحن مستجيرون بهم (من قبل القتال) ، ونخشى أن يغدروا بنا لأن اخواننا قتلوا عشرة من اخوانهم . ثم أرسل لنا عميدهم الشيخ أكسد موسى العشاء فأبينا أن نأكل منه الا حمد شوم فانه اكل العشاء وقال لن يبعث الجوع قتلاهم ، وان ارادوا الانتقام منا فخير لنا أن نقاتلهم وبطوننا مملوءة .

(٢) تهب النيران فى هذين النوعين سريعا .

« يتيم لاتو تعابيو حلتجايودكم فلسكا » .

(تربى اليتيم حتى يدرك سن الرشد) .

« وبابت لاتو تأددرو إب حمودكم طرقا » .

(نمشى الجائع إن جاءنا بأناته « حمور ») .

« وعاقب لاتو نانيو من دم أدام لطحبا » .

(ونعفو عن الجانى الذى يشبع من سفك الدماء ونحيره) .

« محمد شوم دِملو كمتل طحب إنز سكا » .

(أما محمد شوم فإنه ينسى ثاراته إذا شبعت بطنه) .

ونكتفى بهذا القدر من أشعار الأخوين .

كان محمد شوم إذا سئل عن إخوانه يقول « إنهم لا ينفعون ولا يصلحون للرئاسة » خذ مثلا الشيخ محمد ادريس وهو عمدة للقبيلة تجده وحيد أمه ليس له شقيق يأمنه أو يثق فيه . وكذلك كميل فإنه أعمى لا يتحرك من محله ، وهذا موته خير من حياته . وأما حامد شنقب فهو فقير لا يملك شيئا . لهذه الأسباب الواهية كان اخوان محمد شوم محل احتقاره .

الشيخ ادريس محمد

بعد أن تولى العمودية بخمس سنين اشتبك مع الحامربين فى حرب العصابات ثم القتال العنيف الذى جلب للقبيلتين كل خراب ودمار . قيل أن سلمان باشا نيازى (حكمدار شرق السودان فى سنة ١٨٨٣) م عارض فى عموديته ، وقال إنه كان يجب أن يكون له مجلس وصاية لأن كثرة تعداد القبيلة التى تركها له والده وكثرة مواشيها ، وحسن مراعيها ، وشجاعة رجالها ،

وشدة شكيمتهم ، كل هذه تتطلب رجلا صبورا حازما لايتساهل مع الشبان. وكيف يكون الحالة إذا كان هو أحدهم لاسيما وأنهم جميعا كانوا يتمرنون على المصارعة والرماية والقفز واستعمال الدرق والسيوف . ومثل هؤلاء الشجعان لايقيمون وزنا للحياة ولا يعرفون سبيلا إلى الجبن أو الخوف ، وكلهم يمشون الخيلاء عندما يتدرعون بأسلحتهم فى الحل والترحال[1] ، ولا يرتاب المرء فى أنهم يحتقرون غيرهم[2] ممن لا يجارونهم فى ضروبهم هذه خصوصا الذين يعتبرونها من نزق الشباب، وهى عدم التبصر فى نتائج الحروب الضارة خصوصا المرتجل منها .

وإن الكهول فى القبائل يتجنبون القتال والمصادمات لأنهم عركوا الدهر وعركهم ، فخرجوا منه بعظات أهمها أن السلم خير من الحرب التى فيها هلاك المال والولد .

سبق أن أتينا على نتف من حوادث الشيخ ادريس فى عدة محلات سابقة .

قبل سنة ١٩٤٧ م كانت قبيلة بيت معلا تتألف من العائلات الآتية[3] :
رِقْبات — طَارْقِلِي — أَقْدُوبْ — أَسْدَه — كِفَانْ — أُوْرِيد — بَرْعَدَىْ — بَعَلْ إِجِلْ — عَمْرَاى — أَبْهُوشَة — اسماعيل — سعد الدين — مَعْلايِتْ

---

(١) السيف والخنجر والحربة والدرقة والعصا الغليظة .

(٢) كان فى الماسريين امثال هؤلاء الفتيان ، وكل من الفريقين يرى نفسه اشجع وادرى بضروب القتال من الآخر ، ويتهافتون على شراء كل سيف جيد

(٣) اكثر هذه العائلات نالت حريتها وعاد كل اخ الى أخيه . وبقيت بيت معلا بنفسها لأن من كان معهم منذ القدم طمع فى حسن لرائهم او انتراض ذويهم .

— معلا قطان — . والعائلات الثمانية الأولى لم تخلص فى قتالها مع الملاويين ضد الهاسريين . ولذلك أعلن رئيس عد هاسرى بأنه لا يقاتل إلا ذرية « أحمد معلى » ، فاطمأن الأول وفضلوا السلامة والنجاة ، فكان لهم ما أرادوا .

قبل البدء فى سرد قتال الملاويين والهاسريين نود أن نذكر للقراء بأن أكثر رواتنا كانوا من المحايدين وممن ليست لهم أى أغراض فى الدعاية أو الشهرة وقد أدركنا أكثر المشتركين فى هذه الوقائع من رجال القبيلتين وبعض رجال القبائل المجاورة لها مثل المجيلاب والحباب والرشايدة وآل الشيخ حامد وغيرهم .

وأول عمل أتاه الشيخ إدريس محمد هو منعه للهاسريين من مراعى بيت معلا فى زمن الخريف إلى جبل ذبح وضواحيه . وأمر بطرد مواشيهم منها . وكان خصمه الشيخ أكد موسى يرى أن لا حق له لأن الأراضى كلها[1] تابعة لنظارة واحدة (بنى عامر) وهى ثلاثة قبائل فى القنوب (مجيلاب وهاسرى ومعلا) . ولم يكترث الشيخ إدريس برأى الشيخ أكد ، إذ كان فى صفه كل شباب بيت معلا ، كما كان مؤيدا له بعض أبناء عمومة الشيخ أكد أمثال الشيخ أكد محمد ، والشيخ محمد بن موسى ، وحامد إبراهيم قناد[2] ، وكل هؤلاء كانت كلمتهم مسموعة فى ذويهم الهاسريين . كما كان جماعة من

---

(١) يقول الشيخ محمد ادريس المذكور أن اكد كان يحتال لجعل الملاويين تحت سلطته كما حدث فى أيام حمد حسال الأخيرة وهاسرى .

(٢) كان حاضرا مع الشيخ ادريس يوم جاءه شبان الملاويين بسيوف وبقية أسلاب الهاسريين .

الملاويين ضد إدريس مع أكـد يوم جاءه مقتل أبناء الهاسريين ، وأولهم حمد حمد شوم إذ تشاجر إخوانه مع أبناء الشيخ حسين محمد عُوور (هما حُمدُ جِمِعْ والحاج عَيْدَلْ حسين) ، فكانت بينهم جـــراح خطيرة . وانضم إلى الهاسريين شريف بن كامل . فاشتدت بين القبيلتين حرب العصابات ، فاضطر الشيخ إدريس رفع شكوى للناظر دقلل على بَكِيتْ من أعمال الشيخ أكد الذى كان سوء التفاهم بينه وبين دقلل مستحكما فى قتال أبناء عمر وأبناء إبراهيم (نابتاب) ، وأخيرا علم إدريس أن دقلل سيكون محايدا . وزاد السلب والنهب بين العصابات .

قتال أَجَفْنَة

وهو منهل فى تبج تشاجر فيه محمد حاشريب الملاوى ، ومحمد على إبراهيم (هاسواوى) ، وهجيا على بعضهما ، فتمكن الأول من ضرب الثانى فى كتفه الأيسر ، وضرب الأول خصمه فى ذراعه اليسرى ، وحال المصاحون بينهما ، وذهب كل فريق بجريحه . ثم تهادنا لحين مجىء الناظر ، فتأخر وانتدب ابن أخيه (همد محمد) بدله . وهكذا حضر للبيت معلا فأصلح بين الشيخ إدريس وأقاربه فنجح ووحد كلمتهم [1] ، ثم ذهب للهاسريين ولكن للأسف رفض الشيخ أكد وساطته . فعاد الشيخ همد محمد إلى عمه فى أغردت وذكر له كل ما عمله من الصلح [2] . فنقضت الهدنة وعاد السلب والنهب بين الفريقين بشدة.

---

(١) اجتمعت به فى سواكن سنة ١٩١٧م واخذت عنه كثيرا . وكـــان الشيخ اكد موسى يقول بعد مقتل ابنه همد «اذا لم يمت أحد ابنى حسين همد عوور أو العمدة ادريس فلتنى لم اثار لابنى» .

(٢) بسبب هذه الخلافات يتهم الهاسريون عموم آل دقلل بالتواطؤ مع الملاويين الى اليوم .

(غزوة قِنْجار)

فى جبل « رَبَع » بقرب وادى عَدْسَبة كانت تقيم قرية أبناء قنجار ، فأتتها عصابة من الهاسريين سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨٢م) فلقيت كل إكرام وضيافة مع أن القلوب كانت مبتدئة فى الضغائن والحقد الدفين ، تتوقع الشر فى كل لحظة فقام إدريس همبس (خادم الهاسريين) وأخذ غنمه سمينة قصيرة الأذنين [1] « قُولَايِتْ » وقال أعطونا هذه الغنمة . فضربه أحد للملاويين بعصا فى يده . فانطلقت منه الغنمة ولحقت بأخواتها . وجاء رئيس القرية (جِمِع قِنْجار) وضرب بسيفه محمد إدريس أكد فجرحه فى فخذه ، ثم التفت إلى يمينه ، فرأى حامد أبو سعيدة يستعد لضربه ، فسبقه وضربه على يده أيضا فعاقهما عن القتال . فاستفاء إدريس أكد موسى (ابن العمدة ووالد العمدة الحالى سنة ١٩٥٠م) وقال اهجموا كلكم على جِمِع واضربوه واقتلوا . فلم يتمكنوا إلا من جرحه وجرح اثنين من أقاربه ، ثم حملوا جرحاهم واستاقوا كل أغنام القرية ، فتلقاهم العمدة أكد موسى ، فوبخ ابنه وعنفه على عمله وسوء تصرفه وجزائه السيء بعد الإكرام والضيافة ، وقال كان يجب أن يقتلوا الملوك إدريس محمد . وأمرهم برد الأغنام وكل ما أخذوه من القرية إلى أصحابها آل قنجار .

---

(١) يتشاءم البجة من الغنمة أو النعجة «القولايت» .

تشاجر صالح أكد إدريس حاسري وعلى بن سَقُّوتَة للملاوى أثناء رحيل القرية من سَرُوبَتْ فضرب الثانى الأول بالسيف فجرحه، وضرب رجلا آخر من مُومَّى اسمه إدريس محمد شِفْكَحَاى [1] فقتله . وفجأة نادى صالح بنتا من الحاسريين كى تدركه بسيفه ، فأتته به (خافية إياه من الناس) ، فأخذه واستله وضرب به على سقوتة على فخذه فقطعها . فتفرق سكان القرية ، ورحل كل فريق إلى قبيلته . وتوفى على سقوتة ، واستعدت كل من القبيلتين للقتال ، وانتشر الخبر بين القبائل ، وأمر كل عمدة قبيلته أن يجتمع حول قريته بمواشيها وأن تتجنب السكنى مع أحد الفريقين المتقاتلين . وكانت أنباء ظهور الإمام محمد أحمد المهدى تطوى البيد والفيافى شرقا وغربا بل فى كل أنحاء المعمورة خصوصا بعد واقعتى « الجزيرة أبا » و « جبل قدير » ، فطارت انتصارات المهدى فيهما سنة ١٨٨١م .

ولم تسلم قبائل إقليم البجة بالشرق من مناوشات وغزو عصابات .

فاجتمعت قبائل حاسرى فى عَيَتْ وعَدُوبَنَه [2]، وبيت معلا حول جبل نُبِيخْ وهَجَرْ ، وبدأ كل فريق فى اعداد آلة حربه وسنها وتنظيفها .

فأمر الشيخ أكد ابنه محمد بأن يكون على رأس الحاسريين وقيادتها لكى

---

(١) كان صديقا لصالح ادريس واشتهر بإساءته لأقاربه الملاويين حبا فى صداقة المذكور ، واذا وردت عليه أبقار الملاويين حرمها من الماء وضربها ضربا شديدا .

(٢) كلتاهما فى السهول .

تراقب طريق جبال عَيَّت إلى السهول ، كما كانت عصابة ابن عمه الشيخ أكد محمد تراقب مضيق عدارت إلى عدُوبَتَة . وأسند الشيخ إدريس محمد رئاسة عصابة المعلاويين إلى « حمد جمع بن حسين » كي تغزو هاسري[1] تَرُّوبَت . فكانت كل من العصابات على أتم استعداد في القوة المعنوية وبأيديها السيوف الجيدة والحراب والخناجر والدرق . ولم يكن فيهم إلا من أخذ تمرينا كافيا في استعمال هذه الأسلحة[2] . وأشهر أفراد عصابة حمد جمع هم : حامد كامل كَنْوَانَاي وحمد على كَمِيل ، وعلى رعد مِلِش Milien ، وداير مسمر ، وإدريس هوديد محمد حَقَراي ، وعثمان داود هُوتَرِوَاي ، وعمر ضرار شَرِيمَاي . وغيرهم . أما عصابة العامريين فكان أشهرها : حمد أكد موسى ، وعمر محمد موسى حمد ، وعلى بخيت أبسعد ، وأخويه حامد ومحمد على ومحمد حمد لباب . وعلى فرج إدريس عمر ، وحامد إدريس أبسعد ، وأبو سعيدة محمود ، ومحمد حمد سعيد ، ورشيد محمد إدريس شيك ، وغيرهم وكان أشد الناس كراهية للمعلاويين أبناء أبسعد فأنهم كانوا أقوياء وشجعان للغاية حتى إن ثلاثة من[3] أشد المعلاويين قوة استضافوا الشيخ محمود إدريس أبسعد ، فأخذ منهم أسلحتهم وأحسن استقبالهم كما هي العادة ، ثم أوعز لشبان

---

(1) كان الشيخ اكد غير واثق من عربانه اذ كانت بين اكثرهم والمعلاويين قرابة خصوصا «آل فضل وأب حشيلة وبلى وكل الحماسين» وكان يتزعمهم الشيخ على بن شاكر وهو خصم عنيد للثابتاب ، فسجنه أكد في بيته لئلا يهرب الى المعلاويين .

(٢) أول من حمل من الشبان السيف والحربة والدرقة والخنجر والعصا عبد القادر هريب بن فكاك العجيلانى ، فاستعملها كلها في يوم مقتله .

(٣) كان غرض محمود أبسعد أن يحتفظ بهم كرهائن عندما يحدث صدام بين القبيلتين ، ولما لم تحدث اى مشاجرات اطلق صراحهما .

الهاسريين وأوثقوهم بالحبال والسلاسل فى أرجلهم وأيديهم ، وأخفى كل واحد منهم بمنزل بعيد عن الآخر . وصار يرحل بهم كما رحل دقّة حاسرى . ولا يطعمهم شيئا فى النهار وقليلا من الماء وفى الليل يطعمهم قليلا من العجين ، وحرم عليهم اللحم واللبن ، ويقول لهم كلوا من أجسامكم كما جعتم . وحقيقة إن الهاسريين والملاويين كانوا فى نعمة حتى تولى رئاسة الملاويين الشيخ إدريس محمد .

يعجب للمرء كيف أن مثل هؤلاء الأقوياء المسلحين أحسن تسليح يستسلمون لأكبر خصم لهم ويثقون فيه . وأغرب من هذا أن أهليهم لم يعرفوا محل وجودهم[1] . وفجأة عادوا إلى تبيح وكأنهم بعثوا من قبورهم وهم مرضى ، ولولا أن صديقا للشيخ أكد سأل عنهم لما اعترفوا بهم[2] .

وبعد شهر توفوا من التغذية السيئة ، وأصبح أبناء أبسعد مسئولين عن موتهم . وإذا نظرت إلى من قتلوا من الملاويين تجد أكثرهم من أبناء قَفْرِى « Qanri » فمنهم دَايِرْ وحَوَاى وهِرْدِيدْ . وهم الذين ضربوا أبسعد بالسيوف فى وجوههم حتى ماتوا يوم (عيتْ) إذ خذلتهم سيوفهم ، فكان محمد عمر أبسعد رجلا جبارا وقاهرا ، وكذلك العمدة فإنه كان يأمر ويحرض لقتل كل من يعثر عليه من ذرية « همد عوُور » لأن أحمد حواى ، وهمد جمع قتلا ابنه ، وطعنه أولهم بطعنة[3] بالحربة عثمان داود (ابن أخت همد جمع) ،

---

(1) من ذرية ارى بن عمر شيك .

(2) هذه الحادثة زادت نيران الفتنة .

(3) لما سئل عثمان فى الايام الاخيرة اقسم لى انه لـم يطعن همـد انه كان صغيرا لايقدر على حمل السلاح بل كان يحمل اناء الطعام فى ذلك اليوم . واكثر الروايات تتهم حواى .

ولذلك كان القتلى من هاتين العائلتين كثيرين وما عدا غيرهم كان موته من غير قصد . وبعد دفن أبناء أرَىْ بن عمر شيك بأسبوع دخل قتال القبيلتين فى الشدة . ثم بدأ بينهما قتال عيت فى باب حافولى ، كما تواعد رجال العصابتين (وقد حدث فيه قتال كبير فى سنة ١٨٦٠ م بين العجيلاب قتل فيه عبد القادر هرب ، وحامد عبّاد ، وجرح منهم عشرون وقد قتل فيه أيضاً إدريس حامد قرّار بيد بيت معلا ، وأبناء أزبدْ قتلهم الهاسريون فى عيت بعد واقعة باب حافولى) .

قتال عيت

كان فى ربيع الأول سنة ١٣٠٠ هـ . قيل أن الشيخ إدريس محمد أمير كُهَدْ جمع أن يغزو قرية بهرتى هاسرى (وهى التى مات فيها على سقُورتة بسروبت) وقال له : « اقتل منهم أى رجل تصادفه من نابتاب هاسرى وانهب كل مواشيهم » . فقاموا ميممين سروبت ، ولكن لأمر أراده الله اضطروا لأن يقيلوا فى جبل عيت ، وقالوا عندما يظلم الليل نذهب إلى جبال (طِقّت Tiggat) . وبينما هم فى القيلولة وعلى وشك الرحيل إلى طِقّت شاهدتهم عصابة الهاسريين[1] وهى تسير فى الطريق الضيق الذى يوصلها إلى عصابة الملاوبين الكامنة . وفجأة خرجوا من مكانهم وهبطت طيور بيضاء (نحو مائة) على الملاوبين ومائة أخرى سوداء على الهاسريين ، فتفاءل الأوائل وتشاءم الأواخر[2] . ولزمت كل عصابة محلها ، وتنابذوا بأقبح السباب . فأراد

---

(١) كانت عصابة أخرى من الهاسريين تراقب مواشى أصحابها فى آبار ترورة .

(٢) هذه رواية محمد موسى همد .

حامد[1] أبسعد أن يتسلق إليهم الجبل ، فتبعه حمد أ كد من ذلك قائلا دعهم يحضروا إلينا فى السهل (أسفل الجبـــل) . فقال : كلا نحن أقوى منهم ولا يجسرون على قتالنا . وإذا بالملاويين يتسابقون إليهم من أعلى الجبل ، تحدث الصدام بين الشجعان . فكنت ترى سيوف الملاويين تقطع اللحم ، وتكسر العظم ، وتقلع الرقاب من الرؤوس ، بخلاف سيوف الهامريين فإنها كانت تنبوا ولا تقطع أى شيء . وكذلك كان الحال فى الحراب وكأنهم كانوا يضربون فى حديد بارد ، وكأن حائلا عاق الحديد عن عمل أى تأثير فى الملاويين وكأنى بالهامريين يتمثلون بقول شاعر النيل محمد حافظ إبراهيم :

لا تَلُمْ كَفِّى إذا السيف نَبَا صَحَّ منّى العزمُ والدهرُ أبَى

فسقط الهامريون فى مكانهم بين قتيل وجريح لا يعى شيئاً مما حوله ، وقد لطخت وجوههم بالدماء من كثرة الضرب بالصوارم ولولا تيقن الملاويين من قتل خصومهم لأجهزوا على الجرحى . ولم يمت أحد من الملاويين . أما قتلى خصومهم فهم أ كُدْ موسى ، وعمه محمد موسى (لم يمت) ولـكن عاش وهو مقطع الأوصال مكسور العظام لا يوجد شبر فى جسمه سليم من ضربات السيوف ، وقتل أبناء أبسعد الثلاثة (حامد وعلى بخيت ومحمد على) ، قيل

---

(1) قال لى حاج حمد ضرار ان محمد على ابسعد «اخا حامد» كان اقوى رجل فى رجال العصابتين واخبرهم بضرب السيف ومسك الدرقة ، وكان بيده سيفه «بحر وارد» وهو غير ممدوح ، فاصاب به كل من اعترضه حتى اعتلى الجبل وهو يطاردهم ، فقال لهم حمد بجمع اقتلوه بالحجارة فقذفوه حتى اغمى عليه فقتلوه .

إن إدريس محمد حمدة بيت معلا أوصى خاله حامد كلواناى كامل[1] بأن يلقى القبض على أبناء خالاته وهم الأول والثلاثة الأخيرين ، وقتل محمد تكوش بن محمد ابباب ، وعلى فرج بن إدريس . وممن تقطعت أعصابهم وعاشوا نصف أحياء : همدأ كد عامرى ، وأبو سعيدة محمود ، ومحمد حمد سعيد ، ورشيد محمد إدريس شيك . فيا خطه هؤلاء القتلى بعداد الفخر موقف الشجاعة والبسالة حتى سقطوا جميعهم فى مكان واحد ، ولم يقع الضرب إلا فى وجوههم ونحورهم متلقين القدر المحتوم برباطة جأش وثبات ، حيث خانت آمالهم فى أسلحتهم سواء السيوف أو الحراب ، وقد غنمها خصومهم[2] .

يحدث كثيراً فى قبائل بنى عامر والحباب عمل السحر والطلسم على أسلحة العدو ، فإن أناساً لهم خبرة بهذه الأعمال يتولونها ، وكل قبيلة لا تغزو مالم تضمن الساحر الذى يعقد العقد ، ويتلو أشياء بلسانه ، وهى عدة أنواع ، إلى بعضهم يعمل طلسما وحجابا لا يصاب فيه بالحديد أو الرصاص . واستعان العلاويون برجل من أقدوب (ألآمدة) اسمه « عمر طوم » أى عمر الحلو طلبوا منه أن يعمل لهم طلسما قبل الغزو حتى يضمنوا السلامة والنصر . فطلب ثورا أسود كبيرا ، ثم ذبحه وتلا عليه كلمات ، ثم أمرهم بأن يمروا من فوقه وهم أكثر من

---

(١) الثلاثة الأخيرون امهم بنت عجيل ضرار ، وهمد امه بنت نور الدين ضرار ، والعمدة أمه بنت عجيل ضرار ، وأمه كلواناى فامه بنت ضرار بن عجيل «من المجيلاب» ولهذه الأسباب وقفت هذه القبيلة على الحياد التام فى قتال هاتين القبيلتين .

(٢) قبل القتال بسنتين كانوا يتواعدون على محل الواقعة الفاصلة بينهما فى «باب حافولى» وقد تم ذلك .

ثلاثين ، فتخطاه واحدا واحدا ، ثم قال لهم اذهبوا إليهم ، فإن أسلحتهم لن تؤثر فيكم . فلما عادوا أجزلوا له المكافأة .

ولما عادت العصابة إلى « إيتليلى »[1] Eyetleli انتضى كل سيفه وافتخر بالنصر والثأر الذى أخذه . ثم جاءوا بالأسلاب إلى الشيخ ادريس محمد . وكان الوقت ليلا ، فأوقد النار ثم شاهد سيف محمد أ كد ، فقال لهم : ما هذا ، ألم أقل لكم لا تقتلوه . ثم استل آخر فوجده سيف على بخيت ، فكرر قوله . وإذا بوالدته تسمع ، فبكت على أبناء أخواتها . فقال لها : لا تجزعى بل احتفظى ببعض بكائك لابنك إدريس لأنه لا محالة ميت[2] . ثم قال لخاله حامد كلو اناى[3] لم لم تدافع عنهم . فأجابه محمد على كيل : « اتركهما هذه القرابات فإن الموقف كان موقف عصبية وأبناء عمومة لا خؤولة . فنحن أخذنا بثأر ابن عمنا (على سقوتة) ، ولكن ليس لنا بعدنا من يأخذ بثأرنا . ولذلك اقتسمنا للسابق واللاحق ، فأجابه العمدة : أنا أرسلتكم إلى بهوى هاسوى فى سروبت لقتل واحد وإذا بكم تقتلون عشرة . فأجابه محمد جمع : نحن لبسنا أكفاننا واعتبرنا أنفسنا ميتين ، وخلفنا وصايانا ، والقينا الهاسريين مستعدين لقائنا ، ودخلنا المعمعة ولم نكن

---

(١) يطلق على القرى التى تسكنها بيت معلا مع عبدتها وهذا الاسم خلص بقراهم ، وتعريبها «لايبين أو لايظهر» من كثرة المنازل وهو غير دقة معلاليت الذى قضى عليه الشيخ ادريس حامد .

(٢) قيل انها كانت تندبهم قبل القتال بثلاث سنين لأنها كانت متيقنة من قتلهم .

(٣) عرض كلواناى امام منزله وقال «ان المعلاويين قتلوا لخى ابراهيم وهو بمنزلة عشرة رجال عندى ، ولذلك تسببت فى قتل عشرة من الهاسريين بيد المعلاويين لئلا تنطفىء نيران حروبهم . وقد تحقق مراده .

نسمع أو نرى غير قعقعة السيوف ، وطعن الرماح ، وأشلاء تطير هنا وهناك ، ودماء تسيل أنهاراً ، ونحن فى وسطها غائصون لم نستفق إلا بعد القضاء على آخر رجل من خصومنا . فلولا الطلسم لما رجعنا إليكم ، فهذه منا لا تخطىء وتصيب فلا تكثرو علينا من العتاب والتثريب ، وتمثل بأبيات قالها جمع ابن عجيل على وتعريبها يقرب من أشعار الخنساء[1] .

ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجـــزا

ثم التفت العمدة إلى داير وهرديد وقال لهما : كنت أظن أنكما أعقل من فى العصابة ولكن خاب ظنى بعد عملكم هذا . نحن لم نكن نقصدهم ولكن عثرنا على بعضنا فجأة فى باب حافولى فجأة ومن غير قصد وهذا أمر الله ولولا سفاهتهم وبذاءة ألفاظهم لما اصطدمنا معهم ، وهم الذين طلبوا إلينا النزول من أعلى الجبل فنزلنا ولو وجدنا غيرهم لقتلناهم لأنهم لن يبقوا على أحد منا بعد الآن . فقال له خاله كلو اناى : لا تضيع الوقت علينا فى الكلام فلنأخذ حذرنا ولنستعد لقتال العامريين ومن يناصرهم ويحالفهم ، وسيؤلبون علينا كل القبائل التى لها معهم قرابة أو صداقة وأولهم حلفاؤنا بالأمس « عد موسى » ورئيسهم الشيخ أكد محمد[2] ، والحباب وآل الشيخ حامد ، بل وكل قبائل نابتاب إرتريا ، فالرأى

---

(1) تماضر التى كانت تبكى اخويها صخرا ومعاوية أربعين عاما خصوصا صخرا الذى قالت فيه :

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

ولولا الاطالة لذكرنا شيئا من رثاء اخت حمد على كميل للمقارنة لان شعرها فى اخيها حمد على مؤثر جدا .

(2) وفعلا قد تحققت فراسته اذ قام الشيخ أكد محمد من قريته فى عد

عندى أن نقوم بهجوم خاطف على دقة « هاسرى » ونقتل كل من نجده ، ثم نغزو عدوبنة ، ثم سرويت ، ونقضى على البقية الباقية منهم، فإن لم نفعل ذلك فسيجمعون الجموع ضدنا ، فقال له العمدة : إننى أخشى أن يبدأوا القتل بأخويك شريف وضوار ، وعمى حمد شوم لأنهم فى جوار هاسرى (أ كد موسى[1] فقال لهم حامد إبراهيم قناو لن يمسهم سوء مادام أ كد موسى حيا . فقال الشيخ إدريس سندبر أمرنا غداً إنشاء الله » وافترقوا .

أما الشيخ أ كد محمد فعاد بعد ثلاثة أيام الى الرشايدة فى عيذب وقال لهم « المروءة والنجدة ، فإن الملاويين قتلوا أبناءنا وأنتم حلفاؤنا فاسعفونا بأسلحتكم النارية» ، وأرسل معه الشيخ عبد الله ثلاثين شابا على جمالهم ، ومع كل منهم رديفا ، فأصبحوا ستين شابا : من الدنيات عشرون ومثلهم من الابراسا ومثلهم من البراطيخ .

ولنعد إلى القتلى فى عيت . فإن الشيخ أ كد حضر موسى ومعه جمع غفير من الناس لدفن القتلى وحمل الجرحى إلى دقة هاسرى[2] ، بعد الفراغ من الدفن ،

=

وبنة الى عيذب ومعه السيد عمر ابراهيم الأمين حيث كانت هناك قبائل الرشايدة ، واجتمع بالشيخ عبد الله امبارك «ناظرهم» وعقد معه محالفة ، واقسم كل منهما على المصحف لمعاونة أخيه . ولم تكن الرشايدة قد سمعت بموت الهاسريين بيد الملاويين .

(١) قال لى شريف كامل «لما جاءنا خبر قتل الهاسريين تحيرنا فى أمرنا، فأرسل الينا الشيخ اكد العشاء ، ثم قال الحقوا بأهليكم فى ظرف أسبوع اذ لن نغزو قبله . وفعلا تم ذلك ولم أر أوفى منه .

(٢) الذين شفوا من الجراح كانوا نصف احياء لكثرة جراحهم .

ونادى مناديه فى القبائل بالحضور وكان الشيخ أكد محمد أول من حضر بالرشايدة بقيادة عامر بن عيد . فلما استكمل الشيخ أكد[١] ، استعداداته خشى أن يصيبهم ما أصاب أبناءهم من الطلامسم ولذلك أرسل فى طلب رجل من الحباب اسمه إدريس بن دار (من أقدوب) فلما حضر أمره بعمل سحر أو طلسم يسلمون به من كيد ساحر الملاويين فحفر الساحر حفرتين وتلا فى كل منهما بعض الألفاظ وقذف فيهما بعض الأعشاب وأوراق الشجر ثم أوقف فى كل حفرة رجلا وقال للشيخ أكد موسى سر أنت أمام الجيش بين هذيه الرجلين ، فسار وتبعه الناس حتى آخر رجل وتوجهوا نحو الملاويين (كان يوم ثلاثاء) فوجدوهم وهم على أتم استعداد للقائهم فى وادى دلِكْ Dilik[٢].

ولنأت على وصف واقعة دلك :

واقعة دلِكْ

حالما وصل العامريون أسفل وادى دلِك بجموعهم شاهدوا الملاويين بأعلى الجبل . فجلست كل جماعة فى ركن تحت الأشجار ، وكان مع الشيخ أكد لفيف من الرشايدة ، وأمرهم باطلاق الرصاص . فلما سمع الشيخ إدريس صوت

---

(١) بعد الدفن قاد الشيخ محمد عمر أبسعد عصابة العامريين وسار خلف الملاويين فتلقاهم السيد مالك بن محمد على وهو على جواد ابيض فقال لهم «أعدلوا عن اقتفاء آثارهم اليوم وبعدها لن يموت منكم رجل وأنتم منصورون » فامتثلوا وعادوا .

(٢) قال والدي أرسل الينا اكد كى نحضر فوعدناه ووصلنا بعد أن صفوا حسابهم مع بعض وتعمدنا ذلك لان قرابتنا للفريقين لاتسمح لنا الابالحياد الدقيق .

الرصاص منع رجاله من الهبوط من الجبل إذ لم يكن يظن أن هناك رشايدة ورصاص، إذ كان يظن أن المسألة سلاح أبيض يمكن به تصفية حساب القبيلتين فخالف أمر العمدة داير بن مسمر الذى قال :

طلمت كم أمول وسبر كم قادم .

(أى عندى الظلام مثل النهار والجبل مثل السهل) ، وهبط إلى عدوه ومعه ابن عمه هرديد يقول (ماتة فش كككش — Mit Gictl Kak'ch) « أصد مائة فارس وأقف فى عرم وأمنعهم الحركة »[1] ، واتجها إلى الشيخ أكد موسى ، وأكد محمد ، وجماعتهم وسيفاهما فى يمينهما والدرقتان على كتفيهما . فلما شاهدوهما استعدوا للقائهما . فلما دنيا منهم قال السيد محمود عثمان محمد لخادمه، وكان جنديا قديماً ببندقيته « لِكَفْ إتلكف Likaff Itlakkaff » (أرم رماك الله) « أى أطلق عليهما الرصاص قاتلك الله » . فأطلق الجندى رصاصة على داير مسمر أصابت جبهته ، فتطاير مخه فى الجو ، فسقط ميتا أمام أكد محمد وأما هرديد فإنه قصد العمدة أكد موسى ، فلما دنا منه أصابه فنداب بحربته فى جبينه لتخرج من الآخر ورصاصة من رشيدى فى صدره كانت القاضية[2] ووقف بين الصفين هد على كيل بسيفه ودرقته ينادى هل

---

[1] قال والدى انهما كانا واثقين من قتل كل من جاء لقتالهما بسبب النصر الذى احرزوه فى واقعة عيت ولم يدر فى خلدهما ان هناك رصاصا ، لولاه فى ذلك اليوم لانتصر الملاويون .

[2] وهب أكد موسى سيف هرديد لناظر البلين . ويروى عن هرديد فى واقعة عيت لما ضرب هد أكد وعمه محيد موسى قال «انا وأبوى نفسن»، اى اخذت بثار نفسى وأبى .

من مبارز فخرج إليه محمد عمر كسولاى (عـد عمر[1] ، فهجم عليه حمد وإذ بكسولاى يزوغ منه ويطلق عليه حربة أصابت صدره ، ورصاصة من رشيدى أصابت جمجمته فمات لساعته[2] .

وأصيب عتيل (عطيل) ابن جميل برصاصة من محيسن بن حسان (من رشايدة ذو عمرو) ثم برز حامد كلواناى ونادى عامر حويت (حوية) من فردى حاسرى إذ كان دائما يطلب قتاله فبرز له عامر فكانت بينهما جولات عنيفة تمكن فى نهايتها كلواناى من قطع فخذ عامر حامد حويت ثم ثنى عليه وقطع رقبته وسلب منه سلاحه[3] .

انتهت واقعة ذلك بعد عيت ، ولجأت بيت معلا إلى جبل نبح . وفى واقعة دلاث لم يفز من المعلاويين إلا كلواناى الذى قتل فى واقعة عيت « محمد تمكوش » الذى كان العامريون يتغنون بشجاعته ، فضربه كلواناى فى وجهه فقطع أنفه ولسانه وفكيه ، وأما على فـوج فقد ضربه فى وجهه ورجليه محمد آدم ممر وأخيه قينخات ، وأما أبناء أبسمد فقد قتلهم « داير وحرديد وحمد على كيل ولم يبق إلا حمد أ كد فقد رفض داير قتاله ، وهرب منه قائلا له « أن غيرى سيبارزك » وفملا حصرت تهمة قتله فى حمد جمع حسين وابن أخيه . بإذا

---

(١)كان قائدا لنجدة عد عمر للعامريين . وقد انتقمت منهم بيت معلا فى واقعة «عكات ناف» اقرأ «عد عمر» .

(٢)اطلقها عليه عتيق بن سعدى «من المرازيق» .

(٣)كان منادى الشيخ ادريس يقول : لاتقاتلوهم لان عندهم رصاصا فتقهقرت بيت معلا وجلست خلف الجبل ، فادركهم كلواناى ومعه والدة حمد على سلاح ولدها وبيدها فأس كانت تدافع به عن سلب سلاحه . وقد اثنى عليها الشعراء ومنع الشيخ اكد موسى من مسها بسوء . «فنعم الام» .

أردت أن تحصر عدد القتلى من الفريقين تجده متساويا بعد واقعة ذلك ، قتل في عيت أيضا « الشيخ إدريس حامد ورار » وإذا بابنه الشيخ موسى إدريس يؤلف عصابة ، فقال الشيخ أكد يئسنا من قتل العمدة إدريس وخاله حامد كلوانای . فابحث عن أحد أبناء همد ، وكان بيد موسى مسدس اشتراه لهذا الغرض فجمعتهما الأيام في مضيق وفجأة انتضى همد جمع سيفه وإذا بموسى يطلق عليه كل الرصاصات التي في مسدسه ؛ فسقط ميتاً[1] . وبموته كان عدد الملاويين الذين قتلوا بيد قابتاب الماسريين رجلين[2] . فقط هما همد على كيل (قتله عمراي) وهذا ، أما بقية قتلى الملاويين فكانوا بأيدى عصابات وقبائل متفرقة ومرتزقة وكان اعتماد الماسريين على أولئك الشبان الشجعان الذين قتلوا في واقعة عيت . إذ لم يبق لهم بعد مقتلهم من يعتمدون عليه ، والجرحى من الماسريين أقل من أنصاف الأحياء .

قال والدى إن الشيخ أكد موسى أرسل لنا همد جمع بن موسى دبوى (من أسفدة) كي يخبرنا بوفاة أبنائه . فحضرنا بعد ظهر يوم واقعة ذلك وإذا بنا نشاهد بأعلى جبل « نسكل عاواف » الشيخ إدريس محمد يحمل الشيخ على كرار محمد نور (من رقبات) والشيخ حامد على مندر (من بعشو[3]) ، وإذا

---

(1) وقتلت العصابة معه ابن اخته همد على بخيت ولما جاء موسى بعد قتل همد جمع أجلسه الشيخ اكد موسى مكانه على السرير ويقصد بهـا «انك أحق منى بهذا المكان (الرئاسة) » .

(2) الأول صهر والدى ، والثاني صهر عمى حامد على ضرار ، وكلاهما زعيم في قبيلته ، ومرارا ما حاول أكد موسى قتلهما فلم يتمكن له ذلك فتركهما .

(3) الثالث هو على سقوتة الذى بسببه كان القتال .

يمحمود إدريس أبسعد وأكد ناصح يقولان لنا ه يا عجيلاب أدركوا إدريس قاتل أبناء بناتكم » فقلت له » إنه أيضا ابن بنتنا » فقال أكد : صدقت كلهم عندكم سيان. واستاء بقية الماسريين من ردى ولذلك حرمونا من العشاء فتذرعنا بذلك وعدنا إلى أهلنا محتجين .

أما الشيخ إدريس محمد فقد نزل من الجبـال وعجز عن السـير فحملاه بالتناوب حتى وصلوا « دِقِّ كنتيباى حباب » (حامد بك حسن) . فجاءه حامد على مندر وسلم عليه ، ثم قال « جئتك بالشيخ إدريس محمد عميد قبائل بيت معلا مستجيرا بك من الماسريين » فصمت قليلا ثم قال « إنى قبلت أن أجيره فأخبره بأن لا يخشى شيئا » و أيده أخوه همد كنتيباى ، وخالفهما أخوهما هداد حسين وقال : إذا أجرناه نعتبران شريكين فى قتل أبناء الماسريين . فقال له كنتيباى : هل بقى لديهم من يقتله وهو فى جوارى . ونادى خادمه وقال له اخرج النقارة (النحاس) وأضربها ، فلما ضربت جاءته أربعة لجوكات نظامية بأسلحتها النارية ، وتوافد شبان الحباب من كل صوب وحدب فلما تكاملوا قال لهم : يا قبائل الحباب أنا أجرت الشيخ إدريس محمد زعيم بيت معلا ، فأجابوه : هذا شرف عظيم ، كلنا نحميه وندافع عنه احتراما لساحتنا ومنازلنا وكرامتنا . وفعلا بقى فى حمايتهم زمنا ليس بالقصير .

اقطعوا يد إدريس

وأنوابها إليتنا هذا كى نضرب بها الطار والكَبُور Kebbour (عبارة عن قرعة توضع فوق طست من الماء . أو طبلة كبيرة تستعمل عند الوفاة لها صوت خاص ترقص عليه النساء بالقيد أو بدونه) . هذا ما قالته بنسات

الهاسريين . قال السيد ابراهيم محمد حامد[1] كنت أستغرق فى الضحك كلما سمعتهم يقلن ذلك . وفى أحد الإيام سألنى بعض رجالهم عن سر ضحكى فأجبتهم إنه حوارى وتلميذى يحترمنى جد ويكرمنى فخشيت عليه من أعمامه (السيمة) وهو وحيد أبويه ، فكتبت له حجابا يقيه من الحديد والرصاص ، ولذلك لن يموت لهم إلا حتف أنفه[2] ، ثم أن الحجاب مكتوب منذ عشر سنين أى فى سنة ١٨٧٣ م . فاستاءوا من كلامى ثم ذهب بعض الهاسريين إلى أبقارى فى المرعى وقتلوها كلها[3] .

حوالى أكتوبر ١٨٨٣ م سمع الشيخ إدريس محمد (عميد بيت معلا) أن كنتيباى حامد وأخاه عداد والشيخ ضرار على ضرار) عميد العجيلاب والأفلندة) والشيخ أكد موسى (عميد هاسمرى) أمرتهم الحكومة أن يحضروا إلى سواكن فى الباخرة جعفرية التى أرسلتها إليهم الحكومة إلى ميناء العقيق ، فحضروا بعد ثلاثة أسابيع من الطلب[4] ، فوجدوا سليمان باشا نيازى حكمدار شرق السودان الجديد ، فوزع عليهم عدة كساوى فاخرة ، ومنحهم كميات كبيرة من الذرة والسكر والسمن والعجوة والبن والأرز ، وطلب منهم عدم الانضمام إلى المهدية . ثم عاد المشايخ بمؤونتهم إلى العقيق وذهب كل منهم بنصيبه إلى أهله .

---

(١) كان ساكنا بأهله مع الهاسريين .

(٢) سنأتى على محاولات قتله وكيف كانت منيته .

(٣) قالوا له اعمل حجاب آخر لمواشيك ، فسكت ورددت قولى «لن تصلوا الى يد ادريس مهما أوتيتم من قوة» .

(٤) كانت الواقعة الاولى بين أمير الساحل عبد الله حامد محمود ومحمود باشا طاهر قد انتهت بانهزام الثانى يوم ١٦/١١/١٨٨٣ م .

أما الشيخ إدريس محمد فإنه سافر إلى تو كر[1] وبايع أميرها الخضر بن علي، فأعطاه بعضا من البنادق وكية كبيرة من الرصاص (التي غنمها الأنصار في وقائع « التيب » (إنْدَيْبْ) وذهب بأسلحته إلى تبح ووزعها بين رجاله .
وانتشر خبر تسلحهم هذا بين قبائل بني عامر والحباب، فخشي كنتيباي حامد من بأسهم مع أنه كانت عنده عدة عساكر من الباشبزق وبقايا رديف الحكومة المصرية وبعض من عبيده الجنديين كان يصرف لهم مرتبات شهرية في مواعيدها مما كان يتحصله من جمرك مصوع وتكلاي .

فأرسل كنتيباي حامد إلى الشيخ إدريس محمد كي يرسل إليه الأسلحة النارية ليحفظها لديه ، فاعتذر من إرسالها إليه . ولكن كنتيباي لم يقطع الطمع منه فبحث عن رسول آخر يبتعثه إلى الشيخ إدريس ، فلم يجد من يتطوع لرسالته إلا حامد شيك بن سليمان تاجر من عامر اب بيت أسفدى حباب . وكان هذا يود أن يوقع بين كنتيباي والشيخ إدريس حتى ينحاز الأول إلى الشيخ أكد موسى ، وقد نجح في مهمته . إذ ذهب إلى الشيخ ادريس محمد وهدده بكنتيباي حامد وجنوده حتى استفزه ، فرد عليه الشيخ إدريس بلهجة شديدة قائلا « يا حامد شيك أخبر كنتيباي بأنني أصبحت أميرا على كل جبال بني عامر بأمر من الأمير عثمان دقنة فإذا لم يحضر كنتيباي سريعاً ليبايعني وينقض عنه مبايعة الحبشي الرأس ألولا سأغزوه بجيوش لاقبل له بها » فاستاء كنتيباي حامد من رد عميد المعلاويين وأمر بضرب النحاس وحشدت جيوش الحباب من كل مكان ، وأرسل الشيخ ادريس أيضاً أناساً

---

(1) التي سقطت بيد الامير خضر بن على الحسنابي العمري القرشي.

يدعون أن كنتيباى مال مع المسيحيين ضد المسلمين ، ولجأ المعلاويون إلى جبل هجر واستلم محمد كنتيباى القيادة لغزو هجر وسنأتى عليهما فيما بعد .

رحلت قبيلة بيت معلا بعد واقعة ذلك إلى جبل « قرْعِدْ » ، فأرسل لهم الشيخ أكد عصابة صمد لها تحت الجبل رجلان من شجعانهم هما « محمد شيك على عالياى » ومحمد موسى أحمد عجيل ، وقتل كل منهما رجلا من المرتزقة ، ثم قذفتهما العصابة بالحجارة حتى ماتا . وكانت العصابة تحت رئاسة على ابراهيم ورار[1] .

لما وصل المعلاويون قرْعِدْ وجدوا عصابة أخرى قد سبقتهم من الأمام[2] ، فأقاموا بجبل قرعد وإذا بالشيخ إدريس يحضر فجأة فى قرعد ويجلس مع أهله . فأتته ذات يوم عصابة من الحباب بقيادة فكاك بن كنتيباى حسن ومعهم حامد كلواناى وأخوه شريف كامل وجماعة من مشايخ بنى عامر وقالوا إنهم مصالحون . فرد عليهم الشيخ ادريس إنكم ما جئتم إلا لتدبير مكيدة لتفرقتنا وتمزيق وحدتنا فقالوا[3] نحن سفراء صلح لكل من قابلهم ، وذموا القتال والحرب . فانفضت المنازل من حول العمدة ، فاضطر هو ومن بقى معه من أمثال محمد جمع وأخوانهم أن يستجيروا ثانيا بكنتيباى حامد ، فأجارهم وأكرمهم . وإذا برسول من دقلل على بكيت يأتى لكنتيباى

---

(١) اشتهرت هذه العائلة بالشجاعة وحسن البلاء ولم يقتل معلاوى الا على يد رجالها .

(٢) كانت مخيمة فى تبح .

(٣) لولا حركة هذه العصابة لاحتفظت بيت معلا بوحدتها المتضامنة .

والشيخ إدريس يقـول لهم إن دقلل يريد مقابلة عمـدة وزعماء بيت معلا وَدَفأن" ». فحضروا وتباحثوا فى شروط الصلح وعتب دقلل على الملاوبين قتل كل شبان الهامربين . وقال لهم أدركونى فى « قِنْ حَشَكِيبْ » (بقرب أدوبحا) ، [1] فاستشاروا كنتيباى فى إدراكه ، فقال لهم إنه يريد أن يصل حدود بلاده فيلقى القبض عليكم . فسمعوا نصحه وعاد الرسول إلى دقلل معتذرا بالنيابة عنهم بعدم أمانة الطريق من خصومهم [2] . فسافر دقلل مسرعا إلى أهله لأن ثورة الإمام المهدى بلغت ضواحى كسلا .

بعد شهر عاد الشيخ إدريس بجماعته وأهله إلى عاصمته « تبح » وعادت إليه القبيلة من كل مكان ، غير أنه استاء لما سمع أن جماعة من الهامربين أجاروا الملاوبين ثم غدروا بهم أمثال [3] أبناء أرَبب وآل حرودة الذين كانوا يقيمون بقرب جبل هجر وهاجمتهم عصابة الهامربين فقتلت محمد حرودة وحامد بن درغ وعلى عقيباى ، وحامد محمد جلال ، وجرحوا احمد أراب . وفقدت العصابة بعض رجالها وكلهم مرتزقة فأرسل الشيخ إدريس محمد عصابة إلى الهامربين وحاتها بقيادة حامد كلوانى ومعه جماعة من أنفاء قنرى ، فقتلوها جميعها ولم يتركوا إلا كل حوار رضيع [4] . وكان منظرها

---

(١) كان رسول دقلل رجل صادق هو الشيخ تكوش بن موسى القرراى «عمدة بيت بعشو» وهو أرفع من أن يغش أو ينغش .

(٢) كان الود بين دقلل واكد موسى مفقودا بسبب حوادث عد عمر وعد ابـــراهيم .

(٣) استاء الشيخ اكد من محمد عمر أبسعد وغيره لهذه الخيانة .

(٤) أكثرها كان ملكا لهاسرى بن اكد .

مروعا جدا وتواردت إلى أكلها العصابات من كل جهة تأكل فيها نحو ثلاثة شهور .

وأرسل الشيخ إدريس عصابة للأخذ بثأر أبناء أريب من عد موسى وطاروللى . فقتلت العصابة حامد أنفوش وأولاده وذبحت ألف ناقة من إبل الشيخ أكد محمد (عد موسى) لم يتركوا منها إلا بعيرا واحدا لأنه هو الذى كان معاهدا للشيخ ادريس فخانه بإحضار الرشايدة[1] وأشد عصابات الملاويين صرامة وقسوة هى التى كان يقودها أبو بكر محمد حفراى (أخو هرديد)[2] .

وفى سنة ١٨٨٤ م جاءت تعليمات من الأمير عثمان دقنة لكل مشايخ بنى عامر والحباب كى يحضروا لمبايعته ، فامتثلوا [3] وأخذوا البيعة . وعاد كل منهم إلى أهله إلا الشيخ أكد موسى فإنه بقى معه وأخيراً أرسله الأمير إلى أم درمان .

وتذكر كنتيباى أن الشيخ إدريس لا يزال يحتفظ بالأسلحة النارية التى ليس له أناس يعرفون استعمالها . فأقام الشيخ إدريس فى تبج بقبيلته بعد رجوعه من قوكو . وعلم من الجواسيس أن كنتيباى حامد يعد العدة لقتال

---

(١) كان الشيخ ادريس يأوى الى أكد محمد فى أهله بعد وبنة وهذا يحميه من كل سوء ، وهذا دأب النابتاب القدماء .

(٢) أعدمه الطليان فى مصوع بسبب العصابات التى كان يغزو بها ارتريا .

(٣) الا كنتيباى حامد فقد ارسل أخاه همد كنتيباى بمؤن والمشتة لجيش الانصار تحملها قافلة مؤلفة من مائتى جمل .

للملاويين فرحل الأخيروى إلى جبل هجر وجمعوا جموعهم وعصاباتهم هناك لقتال جنود كنتيباى النظامية وعصابات الهاسريين والمرتزقة .

واقعـــــة هجر

زحف الشيخ محمد كنتيباى بجنوده من دِقْ حباب حتى التقى بموسى إدريس حامد ورار[1] فالتقوا جميعهم تحت جبل هجر ، وكان الشيخ إدريس قد أخبر أهله باتفاق الخصمين على حربه بسبب الأسلحة النارية ، فقالوا له نحن مستعدون لقتالهم ، فقال لهم أرى غير هذا الرأى وهو أن أبقى أنا وعصابة هنا ، ونرسل كلو أناى بعصابة إلى هيترية لتقتل باقي أبناء الهاسريين ، وعصابة أبو بكر حفرأى لقتل حامد موسى فى عدويتة ، والثالثة تذهب إلى عَيْت وتأتينا بأبقارهم . فردوا عليه نحن قتلنا ابن حميد القوم ولا نرضى أن تموت أنت بيدهم أو بيد الحباب لأنهم يتمنون قتلك . وما هى إلا دقائق حتى هجموا عليه وربطوه وحملوه إلى مكان بعيد واستعدوا للقتال[2] بعد أن أرسلوا العصابات الثلاثة كما أمرهم ، ولم يبق إلا الأطفال والنساء وقليل من الرجال . دارت بين الفريقين مناوشات بالرصاص وقال لهم أحد الرشايدة لن ننتصر على (الملاويين ماداموا بأعلى الجبل) . فقال له الشيخ محمد على حيوتاى العايدابى أنا أقدر على تلاوة أسماء على الرصاصة وأشتت جمعهم . فأعطوه رصاصة تلا عليها عدة كلمات وأعطاها لعامر بن عيد ، وهذا أسلمها إلى حنفور بن تيفس من عائلة ذو ويعيق[3]

---

(1) كان الشيخ أكد بابدرمان وكل ادعاء بانه حضر واقعة هجـــر غير صحيح .

(2) وصلوا به الى قرية الأشراف عند السيد محمد هد ابو فاطمـــة الحسيني فاكرمهم وقال أدافع عن الشيخ ادريس كما أدافع عن أهلي وولدي

(3) قتله ابو بكر قالع من رقبات الحباب سنة ١٩٠٣ م .

فوضعها فى بندقيته وضبط نيشانه وأطلقها على من بالجبل فأصابت عمربن ضرار ابن شريعاتى وعلت دوياً كصوت للدفع ، فتفرق الناس فى الأودية والقفار ، ونهب الجيش كل ما بالمنازل ؛ وممن قاتلن فى هذه الواقعة بنت قبيل والدة محمد على كيل بفأسها ، وفر الرجال من قتالها إلا رجلا واحداً هو « على بكيت حامد[1] جنقليب » ؛ وجرح من فرسان عصابات القبيلتين محمد « عيناى » و « نوى صرت » ، واقتسموا كل ما وجدوه (النصف لكتيبياى والنصف المقاتلين) وبذا انتهت واقعة هجر .

أما العصابات الثلاث فكما أسلفنا ذهبت إحداها إلى عيت وقتلت إدريس حامد وراز[2] ، والثانية قتلت إبل عد موسى ورعاتها ، والثالثة قادها كلواناى إلى ديار الهاسريين فاستقبلها رجل مسلم من الدقة[3] واختلى بقائدها وهتفه على عمله وأفهمه أن القرية خالية من الرجال إلا جرحى واقعة « باب حانولى » وإدريس أكد موسى المريض[4] وأخيه الصغير عثمان وهما ابنا بنت حالات (نورالدين ضرار) ؛ أما كفاك ماقتلته من إخواتهما (أبناء العجيلابيات) أليس لك وللعمدة عقل . إنني هنا قد أقسمت أن أدافع عن كل القرية لحين عودة الشيخ أكد . واحتدا فى الكلام ، فجاءهما رجل ثالث[5] ووقف مؤيداً

(1) قيل انه حضر الى توكر فى المهدية وسمع الأمير خضر بن على بانه قتل امرأة فى واقعة هجر فامرها باحضاره وساله فاعترف بجريمته ، فشنقه ونهب ابقاره .

(2) ونهب ابقار الهاسريين .

(3) هو شريف كامل . وكان أكد موسى لايزال بالبقعة .

(4) هو عمى محمد نور على ضرار .

(5) قيل ان اخاه شريف قال له اهجموا عليها لان فيها رجالا شجعانا .

الشريف وقال لهما أنا سأموت قبلهما مدافعاً . وعلا صوته فذهب كلوانآى بعصابته إلى قرية « بردو »[1] لنهب أبقارهم ، فقال لهم محمد نور أنهم جماعتنا « أفلنبدة » . فذهبوا إلى أسوآى وهناك سمعوا بوجود أبناء نور الدين ضرار الخمسة ، فعادوا إلى قرية بردو وقتلوا فايد محمد لواب ، وابنه محمد ، ومحمد ، وعلى شيملة ، ومحمد فايد إدريس ومحمد حشكيش[2] ، ونور عيسى عنسبة وكلهم من الأفلنبدة إذ هرب البقية من أهل القرية واستولت عصابة كلوانآى على المواشى . ولو انضموا إلى قبيلتهم كسائر الناس لما ذهبوا ضحية الدماء أناس ليسوا من أهليهم .

ولما قتلت إبل أبناء أ كد بن هاسرى قتل فيها بكيت بُوسَتْ ، وحامد محمد عمر شيلث وإدريس عمار منذر وحامد آدم عمر مَدْمُّوتاى[3] .

وغزت عصابة من الهاسربين « فِرْمِرِى » فقتلت غلاما من عائلة « قدْبو » (محمد عؤود) .

وانتشرت عصابات الملاويين فى كل محل من عد ممرة وجلال وقرى وحد حسال ومحمدعوور ، وأوقعوا الرعب فى القرى . ومن المؤسف أن كنتيباى حامد تهدد العجيلاب بالغزو مالم يشتركوا فى وقعة هجر ، فرفضوا واستاء الحباب والهاسربون إلا الشيخ أ كد بن هاسرى فأرسل إلى والدى يعدم الحضور . وآخر من قتل من الملاويين هو موسى بن طَنُم .

---

(1) تعريبها أعرج .

(2) كانت ترعى فى قرقرت Girgirrat

(3) كانت فيها خمسون من نياق العجيلاب أخذها أصحابها قبل القتال بأسبوع .

وانتشرت المهدية في سواحل البحر الأحمر فحالت دون غزو العصابات ولنيت كل الدماء السابقة وتعاهدت القبائل على الصلح والمؤاخاة والصفح عما سلف واعتبر الأمير عثمان دقنة كل ما سبق المهدية موضوع « ملغى » .

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » .

محاولة اغتيال الشيخ إدريس محمد

حوالى سنة ١٨٩٢ م سافر الشيخ إدريس محمد إلى مصوع ثم اشترى من هناك فرس حامد دمات بن أكد . وكان معه صديقه على مَسْتَقُ جلال وموسى محمد كيل . وبعد أسابيع عادوا ، وحالما وصلوا قرورة قال الشيخ إدريس وصلنا إلى أرض العدو فاحترسوا من أن يسمع أحد بخبرنا حتى نصل توكر لأن أكد موسى له عيون تراقبنا[1] . فعبروا الحدود ليلا حتى وصلوا « حَمْدُ وكُيب » فأناخوا للاستجمام والراحة . فأراد صاحباه ، أن يوقدا نارا فقال لهما إنها ترشد العدو على محلنا ولا يوجد بيننا وبين أكد موسى عهد أو ميثاق[2] . فخالفاه وأوقـــدا النار ، وبعد ثلاث ساعات من وقودها وصلتهم عصابة الهاسريين وكانت مكونة من شَلُوك بن عقيل ، وعثمان على شيك ، وعلى حمد اياب ، وإبراهيم طِرَّايْ وعلى عجيل إدريس ، ومحمود محمد شُلْشُول (عائلة

---

(١) قيل ان اكد موسى جاءه جاسوس وأخبره بأن ادريس وصل رحيب «على بعد عشرة أميال جنوب قرورة» فاحضر عصابة كي تقابلهم فى قرورة .

(٢) كان الأمير عثمان دقنة قد اصلح بينهما ولكن اكد قال فيما بعد لن اترك ادريس محمد يقاتل ابنى لا فى التركية ولا فى المهدية . فشكاه ادريس ولكنه لم يجد شهودا ضده .

فضل جميعهم) ، وحمد بن آمنة من مواليده ، وقال لهم أ كد أدركوا إدريس فى قَرُورَة فلما عبر ساروا خلفه فجاءوه وهو جالس على فروته وسيفه فى يمينه. فوقفوا على بعد عشر ياردات منه وسلموا عليه فرد عليهم السلام . فقال له شلوك نحن من عائلة فضل . فقال لهم أهلا بكم أيها الإخوان وأبناء العمومة . فقال شلوك نعم نحن أخوان أبناء رجل واحد ولكن إذا طلب منا رئيسنا أن نغدر ونخون عشيرتنا فلا نقدر على مخالفة أمره[1] . وبينما هم فى أحاديثهم جاء من الخلف حمد آمنة واستل سيفه فشاهد إدريس ضوء السيف وظله ، فأهوى به حمد على إدريس ، وهذا تلقاه بسيفه وقال « أنا إدريس فارس الفرسان »[2] ، وحمل على حمد آمنة ففر منه ولم يدركه[3] وأصيب على مستقى فى يده أثناء قفزات إدريس خلف حمد .

قال حمد آمنة قابلت كثيرين ولكنى لم أر أسرع ضربة أو قفزة من الشيخ إدريس محمد ، ولو كان معه « دلشاى » لما سلمت منه ، لأن يده اعتادت على استعماله كثيرا[4] ، وما أظن أن ابن أنثى يقدر على قتل إدريس محمد بالسلاح الأبيض .

---

(١)وكان غرضهم أن ينتبه ويفهم أنهم رفضوا تعليمات أكد موسى ولو أن ابنه المقتول من جدة فاضلابية هى بنت حامد حمد ضرار .

(٢)لم يكن معه دلشاى بل كان سيفه «نسأقريب» «قاطع الجلود» .

(٣)شاهدت حمد هذا وكان قويا وشديدا يصفونه بالشجاعة ولكن وجد من هو أشجع منه ، ولم ينقذه الا الفرار والجرى . ولما ضربه ادريس بسيفه تلقاه حمد بسيفه الذى انشقت من حدة قطعة طويلة لأن سيف ادريس أجود من سيف حمد .

(٤) منذ بدء القتال ترك دلشاى وابنه محمد مع والدته العجيلابية فى أهلهما خوفا عليهما .

واختفى أفراد العصابة ورحل إدريس بجماعته إلى جبل « دَمبُو بَايت » ، غرب قرورة ، فوجدوا عصابة من الملاويين ، فأقاموا معها أسبوعا ثم سافر قاصداً توكر ، فلما وصل عيترية لاحت له عصابة من الماسريين فى الصباح ، فناداهم وقال لهم : « هأنا إدريس محمد طلابتكم ، تعالوا أقدموا لتأخذوا بثأراتكم نهاراً . ليست معى عصابة أو أبناء عمومة وخصوصا أنت ياحمد آمنة ذات سيدك أ كد ملك ومحمد عمر أبسعد حتى ألحقكم بأبنائكم وإخوانكم . وهاهو - فى « تَتأتربْ » بيدى (اشتراه إدريس من محمود منذر بَعَشُو) ، وسأسير أمامكم حتى أصل عدو وبنة . فرد عليه على حمد لباب « لاشأن لنا بك يصحبك السلامة من يريدك من خصومك سيلحق بك ، أما نحن فلن نسير خلفك » . فنزل فى عد وبنة عند خصمه الشيخ أ كد محمد وأقام معه أسبوعاً ، ثم سافر معه إدريس أ كد إبراهيم ورار محافظا عليه حتى أوصله إلى عيذب ، فوجد فيها عصابة من الملاويين أقام معهم أياما . وجاء جماعة من الشّتّايابْ فأكرموه وأهدوا إليه أشياء كثيرة ، وبقى متنقلا فى « مَقَدّ ام » مع عصاباته ، ثم رحلوا إلى منطقة « دَقِيتاى » لمشاهدة والدته ، فطلبا الوالد وأكرمه هو وعصابته ، وطلبوا كسوة لكل رجل منهم وزادا فأعطوه أبقارا وعشرة جمالا محملة بالدخن ، وسافر معهم رجل من كل عائلة حتى وصلوا رحيب ، ثم نبيح ، ثم مضوع ، حتى كانت السنة التى توفى فيها ، فقام من نبيح إلى توكر . ولما جاء العيد ازدانت المدينة وأقيم احتفال وسباق بين الجمـال والخيول كان فرسه الأول فى كل السباقات . وفى ذات يوم كبا به الفرس فسقط الشيخ إدريس من ظهره فأصيب برضوض شديدة كانت هى السبب فى وفاته رحمه الله رحمة واسعة .

وبموته ختمت حياة بطـــل مثل الفتوة الهاشمية أحسن تمثيل والشجاعة الطالبية . يعجز القلم عن وصفها فنال لقبيلته الحسرية والمساواة بمجد الحسام . وتسكافأت دماء الفريقين ، وقد رثاه كثيرون من الشعراء أشهرهم محمد أحمد سِتُّوىَ ، التى مطلعها :

« دمْل بَقلاَ وَدْ محمَّدتُو سقَادَ كِيدَا كَدَقسًّا » .

(الشهامة صاحبها ابن محمد داس على رقابها وجلس) .

« سِيفٌ حُرُوطٌ إنْتَ مِنتُو لَطَبْطَـكاً » .

« أنت صارم صنعة كل من الذى يجروه على مسكات » .

« إنْتَ إدريس مِنْ جَبَّىْ وَكَيْنٌ أنا إبْلِـكاً » .

(أنت إدريس وكيف تكون حالك إذا أكثرت من مديحك) .

وهى قصيدة طويلة .

ذكرنا كيف أن الشيخ إدريس محمد لم يقتل بالحديد بل وافاه أجله المحتوم وهو على صهوة جواده والآن نأتى على وفاة .

الشيخ حامد كلوانای

بعد أن كبر سنه وحل من تبح إلى ديار أبناء تَـكْلِيسْ [1] ، فى عَبَرُو وسكن بأهله معهم ، فأكرموه جـــدا وأصيب بالجدرى وهو معهم ثم مات به .

قيل إنه لما سمع بموت أبناء النابتاب بالسيوف ونجاة كل من كان جريحا

---

(۱) جدتهم هى فاطمة بنت عجيل بن على محمد ضرار «اقرأ تاريخهم فى الحباب» .

نيهم من الموت تعجب جداً ، وقال سبحان الله كل الذين ولدوا فى حدى ضرار ابن عجيل قتلوا بالسيوف ، أما الذين ولدوا منهم فى السيد حامد ناقمو تاى فقد نجوا من أن جروحهم كانت أكثر من جروح من ماتوا منهم حتى من طعنوا بالحراب فى أمعائهم أنقذوا من الموت . انظر إلى محمد موسى محمد ، وأبو سعيدة محمود وغيرهم فلا يوجد فى جسمهم مكان سليم من ضربات السيوف ، ولكن الأعمار بيد الله . وقالوا إن كاوانتاى كان عنده حجاب من رجل أقدوبى لئلا يقتل بالحديد وهو الوحيد الذى كان يقتل عامريا فى كل واقعة على الأقل (حتى فى واقعة دلاث) . وفتك بشجعان ردو ولولا أخوه شريف لقضى على البقية الباقية من العامريين فى عقر دارهم « دقة عامرى »(١) .

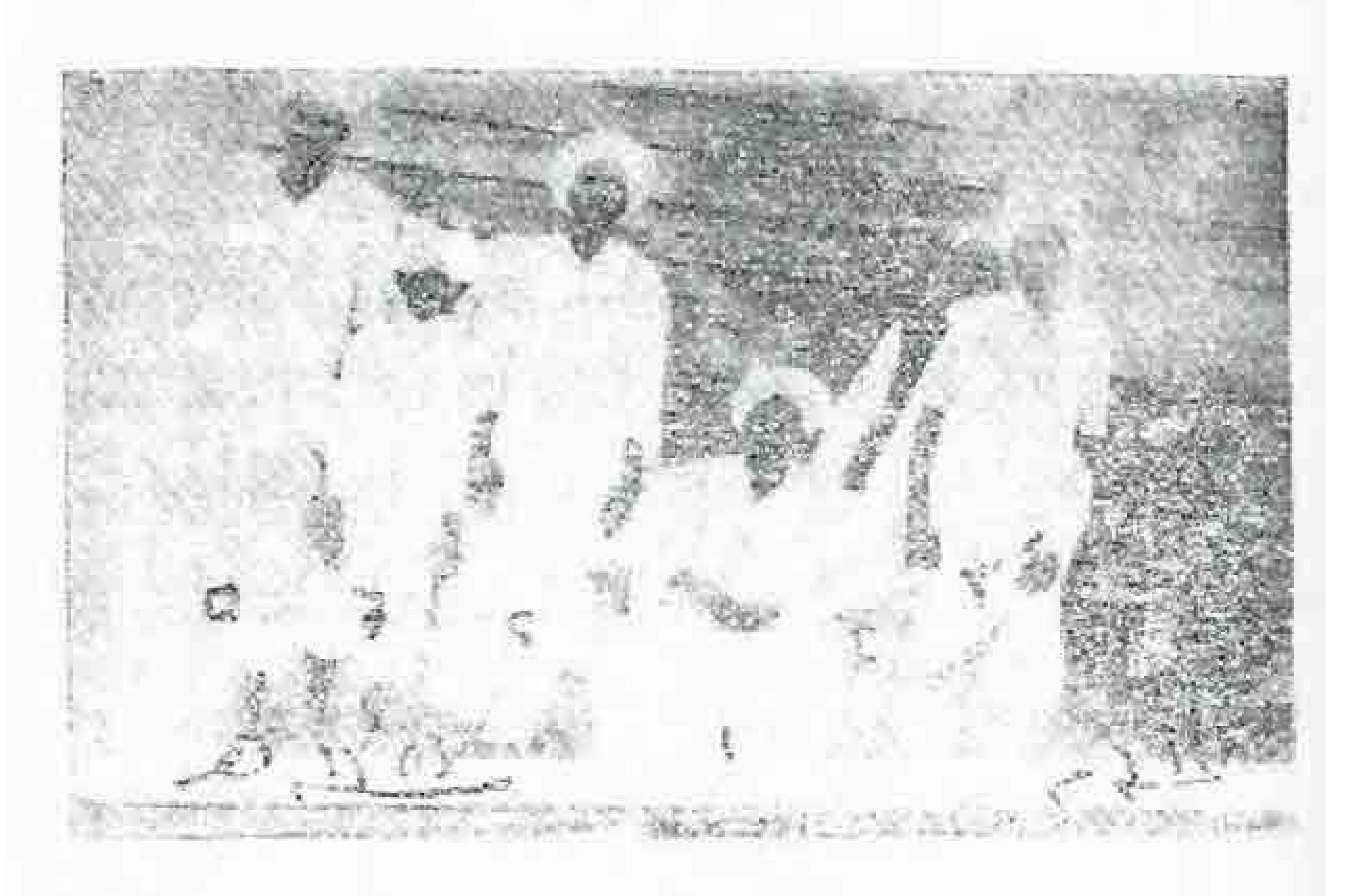
عدّ الشيخ سليمان

هم أصحاب الزعامة الدينية فى عموم قبائل الحماسين والعلاويين . قيل إنهم أناس من الصالحين هاجروا أقدّوب وسكنوا فى جبل « دبرٌ » . ووفد عليهم رجل عالم من شيخاب الهدندوة ، فسألوه عن مهنته ، فقال لهم أنا أنشر تعاليم الدين الإسلامى ودراسة القرآن فطلبوا منه أن يفتح خلوة ويدرس أبناءهم القرآن ويصلى بهم الخمسة أوقات فطلب الزواج فزوجوه منهم ، وكثرت ذريته ، وانتشر حفاظ القرآن فصار يبعث بهم إلى القرى . وأخيراً انضموا إلى العلاويين وسكنوا معهم . وهم أناس قد انقطعوا للعبادة إلى يومنا هذا .

---

(١) كان كلوانتاى يوم مقتل أخيه ابراهيم تهدد البيت محلا بأن يجلب عليهم الشرور من كل مكان حتى يسفكوا الدماء ثم تسفك دماؤهم فى النهاية وقد تم له ما أراد .

ويتزعمهم اليوم محمد بن الشيخ عثمان من ذرية الشيخ سليمان الشيخابي • ولهم إحترام خاص عند عموم بني عامر .



١ – الشيخ محمد إدريس محمد عمدة بيت « معلا » .

٢ – محمود محمد (الابن الثاني للعمدة)

٣ – إدريس حامد (ابن أخ العمدة) .

٤ – محمد كميل ضرار (ابن عم العمدة) .

٥ أحد أفراد الحاشية .

٦ – نور الدين صالح ضرار .



الشيخ إدريس محمد إدريس

ناظر عموم قبائل بنى عامر – إرتريا

الشيخ محمد بن إدريس

ولد سنة ١٢٩٤ هـ ، ولما نشب القتال بين المهديين والمصريين أرسله والده هو وجدته بنت عجيل ضرار إلى عقيتاى يوم واقعة ذلك ، فسمع أكد موسى بالخبر ، فأرسل فى طلب حامد نور الدين كى يوصلهما إلى عقيتاى حتى يكونوا بأمن من كل سوء حتى استتب الأمن فى السودان وارتريا باحتلال الجيوش الأجنبية وفصل القطرين عن بعضهما ، وخططت الحدود بين الحكومتين وأصبحت تِبِيخ وما حولها تابعة لإرتريا ، فذهب الشيخ شريف كامل إلى دقلل الحسين حامد فى أغوردت ومعه الشيخ محمد بن إدريس ، وطلب منه أن يعتبره عميدا على كل المهاجرين خلفا لوالده فوافق دقلل وقدمه لمحافظ أغردت

الذى أيد تعيينه واعترف به ثم سافر إلى السودان وحضرا فى عيترية لمقابلة الشيخ أ كد موسى ومعهما جماعة من أهلهما وطلبوا منه أن يؤيد عمودية الشيخ محمد إدريس فوافق وأرسل فى طلب السيد نافع أبوبكر (زعيم دينى) والسيد محمود إبراهيم وطلبهما أ كد أن يعملا مراسيم التعيين للعمودية ويعتبروه الشخصى ، فكسوه كساوى جديدة وعادوا به إلى أهلهم فى تبسع وحافظ الشيخ محمد على علاقات حسن الجوار وكان طيب الأخلاق حلو الحديث وكان ضعيف البصر إذ امتلأت عيناه بالماء حتى توفى سنة ١٩٥٢م .

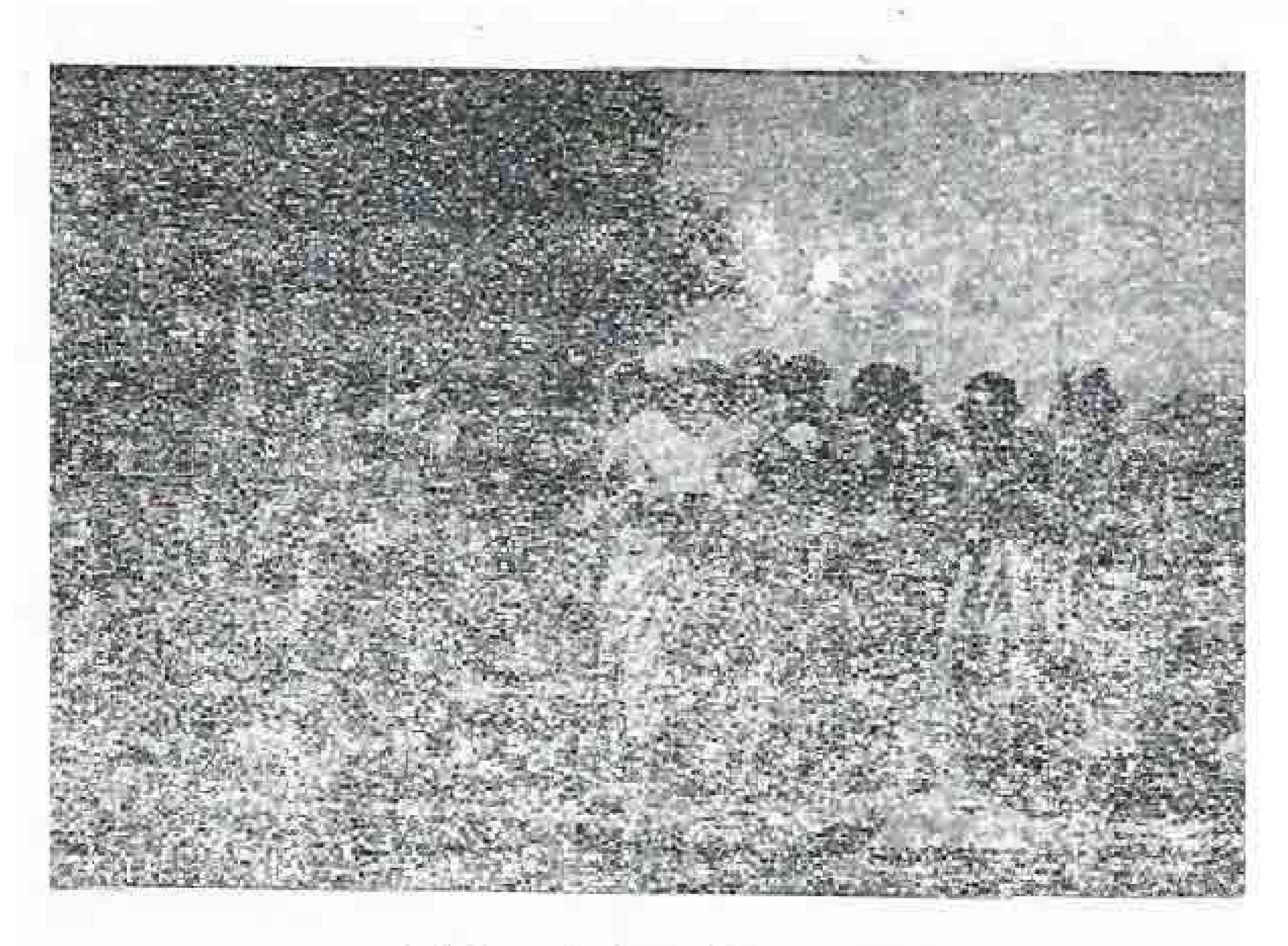
ومن وقائه حضوره إلى دقة بعد وفاة الشيخ أ كد موسى وإحضاره إلى الفراش مواشى كثيرة وسلمها لحفيده الشيخ محمد إدريس . وأصبحت بيت معلا من أغنى قبائل بنى عامر وأ كثرها ماشية .

الشيخ إدريس محمد الثانى

بعد احتلال الانجليز لارتريا سمحوا لكل قبيلة تدفع جزية أ كثر من خمسمائة جنيه أن تكون نظارة . فأصبحت بيت معلا نظارة لها عموديات وحصص ، فكان الشيخ إدريس ناظرا بعد وفاة والده فهو شهم وكريم وشجاع جدا . وفى إحدى الليالى أطلقت عليه رصاصة من مجهول فى منزله ، فاتهمت بيت معلا أحد الماسريين ، وقالت لا بد من غزوهم ثانيا ، وإذا بالشيخ شفا بن طراى بن عمر نورقاى يحضر ويقول « لقد أقسمت لأطلقن نسائى الثلاث إذا لم تدعوا السلاح وتجنحوا للسلم ، ولأبلغن الحكومتين بعملكم هذا . ولأقاتلنكم مع الماسريين » . فوضعوا سلاحهم وعادوا إلى منازلهم . وبعد أيام علموا أن أحد جواسيس دقلل جيلانى قام من أغردت

خلف الشيخ إدريس محمد ، وأطلق الرصاص عليه ، وأجرى دقلل تحقيقا دقيقا في الموضوع كانت نتيجته أنها رصاصة طائشة عن مجهول .

وأصبحت البيت معلايا السودان وهى أقلية وأغلبيتها في إرتريا. وتولى عمودية السودان سنة ١٨٩١م الشيخ على سعد فلما توفى خلفه ابنه الشيخ صالح على سعد ثم الشيخ إبراهيم أبو نارو ، فلما توفى خلفه الشيخ محمد بن حامد وسولته على عمودية كل الملاويين .



الفيف من محاربى باريا — ايماسا
بجبهة بارنتو

أبحشيلة ABHASHEILA

لما اندمجت بيت معلا فى القبائل التى وجدتها بجبال البحر الأحمر تفرعت منها عدة قبائل تتصل بها فى أحسابها وأنسابها. فمن ذلك قبيلة «أبحشيلة» ، وينتهى نسبها إلى رجل صالح من بنى شيبة هاجـــر من مكة المكرمة إلى السودان قائلا أنه خال السيد محمد والد أحمد مَمَّلَى ، فتزوج بأرملة أخيه ثم رزق منها ولدا تناسلت منه قبيلة أبحشيلة المشهورة بالتقوى حتى ظهرت مملكة بنى عامر وبدأت فى تحصيل الزكاة . فانقسمت أبحشيلة حسب مساكنها إلى أربعة أقسام قسم منها بالحباب ويسمى كنكنة (Kankana) وثانى مع عد عمر ويسمى عد فقيرَ اىْ لتوائم ، وقد انتزعهم الشيخ إدريس عامرى من آل عمر لأنهم قتلوا أخاه دُوماتْ عند جبل «وَذدِهَرا» ، وبقى قسم ثالث مع دقلل (ناظر بنى عامر) ، والقسم الرابع بقى ضمن بيت معلا ، فلما تحررت القبائل سنة ١٩٤٧م أنشأ زعمائهم نظارة فى إدَريا وعمودية فى السودان وعميدهم بالسودان هو الشيخ محمد حاج بن إدريس بن محمود بن محمد بن محمود بن حامد راوى بن محمود موسى ويكنى «سعد الله» ابن حامد ـ حسب الله ـ حامد ـ ابن حسب الله ـ محمود ـ حسب النبى ـ محمود ـ عمر ـ ابن محمد الشيبى المكى الملكنى بأبحشيلة هذا ما جمعناه من مذكرة الشيخ محمد حاج وقد اشتهر جده حاج محمود بالصلاح بعد أن كان زعيما للعصابات قيل إنه بات بإحدى عصاباته ليلة بجوار السيد حامد أحمد فافعونتاى فى قرورة ، فدنا منه محمود حاج ، فقال له السيد حامد بالتيجرى «مرحبا ود حاج راوى بوم مَشَبَه فقرًا ، وبذير مَغْبِه كراوى . وتعريبها « أهلا يابن حاج راوى ، اليوم أنت شيخ الفقهاء ، وبالأمس رئيس العصابات . ثم قال « مرحبا بود راوى .. عادم ديباتو وراوى » .

(مرحبا يابن راوى العازم على إجهاد نفسه للتقوى) .

فتقدم إليه محمود وسلم عليه ، وأخذ منه الطريقة القادرية[1] . وتعهد محمود راوى على ترك النهب . وجاء بجماعته فأخذوا مثله العهد وذهب كل منهم إلى أهله ، وبقى معه محمود فى خدمته . فسافرا إلى أداء الفريضة ، ثم عادا وملأ بادية بنى عامر من المساجد . وكان يسمى بالشيخ « الأسد » .

قال السيد إبراهيم محمود حامد للهامريين ، وكان سا كنا مع الشيخ أ كد موسى « إنى رأيت فى المنام الشيخ محمد محمود حامد يملأ دلوا من السماء (دما أحمر) ثم بنثره على كل الهامريين وبيوتهم حمانا الله وإياكم من هذا الدم » . وبعد أسبوع جاءت عصابة همد أ كد موسى ونهبت[2] أبقار محمد محمود حاج المذكور قائلين فليملأ دلوا آخر . فخرج إليهم الشيخ أ كد وشتم ابنه ووبخه وقال لهم لاتدخلوها قريتى أبعدوها عنى أنا لا أقرب أموال الصالحين فاتلكم الله ، فأكلوا منها بقرة وردوها لصاحبها فى قرى بيت معلا[3] واشتهرت فى أبحشيلة عائلة « جِمِدْ » بالشجاعة والكرم ، ولهم مراع ومناهل طيبة شلحنتى (chilhinti) . وناظر أبحشيلة فى ارتريا هو الشيخ فرج إدريس وهو ذو مزايا طيبة .

---

(١) كان فى أواسط القرن السابع عشر للميلاد «تاريخ الشيخ حامد» وطبقات ود ضيف الله — عصر المشايخ محمد فايد وأبو الرايات .

(٢) كانت عصابة همد مؤلفة من امثال محمد موسى همد وادريس ابراهيم فيج أفهو (أحمر الفم) ومحمد حامد دابيدى .

(٣) لم يشتركوا فى أى قتال . الشيخ حامد محمود قصيدة بالتيجرى يفكر فيها تلاميذ الشيخ ادريس ود الأرباب ويمدح المذكور .

عمير

هو الشيخ عمير بن محمود بن عمر بن حسب النبي بن إدريكنا . ويطلق هذا الاسم على القبيلة التي أنشأها الشيخ قلاني بن عمير وهي من بطون حماسين الجبال والسهول ، وأقربهم رحما بيت معلا . وكان قلاني تابعا لرئاستهم حتى اشتدت شوكته بمصاهرة قبيلتي « تفسكيك » الحدندوة وعجيلاب الأفلندة [1] . وكانت سلطة سواحل ما بين توكر ومصوع بيد العجيلاب ثم الحباب والمرقوميكال ، وبهذه المساهرة أمن قلاني شر قبائل السواحل [2] وكانوا يعتنون كثيرا بتربية الإبل ولذلك استطابوا السكن في ضواحي سواكن وتوكر والعقيق وانتشرت نياقهم حتى ملأت كل هذه النواحي وضرب المثل بكثرتها وكبرياء أصحابها . ومن شيوخهم المشهورين بالصرامة في الأحكام الشيخ محمود بن داود فإنه منع رد أي ناقة أو بقرة ضالة إلى صاحبها وكان إذا جاء صاحب الضالة ، يطلب منه أن يأتي بأهله ويساكنه ويتعهد باعطائه ضعف ضالته . فسكنت معه عدة قبائل مختلفة الأصول . وجاءه ذات يوم السيد الأمين حامد (أحد الشيخ حامد) باحثا عن إبل فقدت منه ، فطلب إليه أن يسكن معه إذا كان حقيقة يريد إبله ، فاعتذر له وتركها .

قيل إن بعد وفاة الشيخ محمود انتابت القبيلة مجاعة بسبب قلة المطر قضت

---

(1) تزوج الشيخ جمع بن عجيل ابنه قلاني ورزق منها ابنه جميل ، وبنته الثانية تزوجها حامد فطين بن أبو بكر بن موسى بن سلطان ناظر عموم عموم قبائل المدة .

(2) قيل ان أحد شبان اسفدة غزا عد عمير من جبل رورة وهم حول لشعت «اشـات» وطلبت مصاهرتهم ، فرفضوا معتذرين ببعد ديارهم .

على الأخضر واليابس ، وفتكت بالناس والمواشي ، فاضطروا لسكنى توكر وزراعة خور بركة[1] أيام عميدهم الشيخ جمع بن جميل بن قلانى محمود عمير. وهم أقدم أمة سكنت توكر ، ويسمونها باسمها ، فيقال « خاسا كر » أى توكر . وجاورهم من الأملندة ختمكاب وتشدق Cheddag ومن المدندوة « تولتاب » . واشتغلوا معهم بالزراعة وبيع المحصول بسواكن وعقيق حتى كانت سنة ١٨٣٥ م فوفدت عليهم عدة قبائل وانضمت إليهم خصوصا بيت معلا وأخواتها والارتيقية والحسناب والإشراف والكميلاب وفى السنين الأخيرة وفد عليهم رجل من عد حساق (ابن عمهم) اسمه حمد بن أبو أحمد فولوه رئاستهم إذ كان شجاعا ومصلحا فصار الشيخ حمد عميد التوكر ومن فيها فلما توفى انتشرت المهدية حتى كانت سنة ١٨٩١ م فخلفه ابنه الشيخ موسى حمد عميدا على كل بنى عامر الساكنة بتوكر من أصل « معلاوى » . وعلمت منه أن اسم « داسا أو خاسا »[2] جاءهم مع قبيلة قديمة من البجة كانت تسكن بسواكن بهذا الاسم .

وتوفى الشيخ موسى حمد سنة ١٩٣٢ م بعد أن نيف على الثمانين[3] ، وخلفه ابن أخيه الشيخ أبو محمد محمود حمد بتوكر والدقق ، أما فى كسلا فالعمودية بيد أخيه الشيخ حمد أزكة . أما الشيخ موسى حمد فقد اشترك فى جميع حركات المهدية بتوكر .

---

(١) ذكر الشيخ محمد عيون بن شيك المجيلابى فى قصيدة له كل ما أصابهم من البؤس والتعب .

(٢) المسعودى «كتاب مروج الذهب» وخطط المقريزى .

(٣) قاتل الشيخ موسى حمد العصابة التى قتلت الناظر ادريس دقائل حامد ولم يظفر بالقاتل بل بعصابته فقتل اثنين من العصابة .

مَعْلاَيتْ

تطلق على العائلات التى تناسلت من صلب الأخوين (كامل وكيل) وهما من أحفاد الشيخ محمود أبو بكر .

تسكن معلايت أو غالبيتها فى إرتريا والرئاسة فى ذرية كهيل ، والعمدة اليوم بإرتريا وهو الشيخ إدريس حسب شيخ . ويميلون دائما للهدوء والاعتناء بتربية المواشى . وفى ارتريا أيضا معلا قطان « رفيعة أو الضئيلة » وكان لها ولمعلايت صيت وسمعة وشهرة طيبة وقد أنهكتها الحروب القبلية .

واشتهر فى معلايت رجل اسمه « أف ألبو » وتعريبها (ليس له فم »[1] وكان يهوى بنتا من أسفدة اسمها « تَكَّة Takka » بنت دويد ، ثم تزوجها واشترط عليه أهلها أن يساكنهم ، فقبل فإذا بإخوانها يقتلون أخاه (حامد) وأخذوا أبقاره . فلم يكترث لقتله أو يهتم بثأره . وبقى متلذذا مع عروسه يبادلها كؤوس الغرام ويكره الاجتماع بالناس لئلا يفسدوا عليه حبه أو يحرضوه بكلمات تذكره الثأر والانتقام ، حتى قيل أنه تناسى أو نسى ثأره ، وصار قعيد دار تكة . فقضى سنين وهو فى نعيمه وغرامه . وفى أحد الأيام تكلمت نساء الحى معها فى سيرته وعدم اهتمامه بثأر أخيه ، وقلن لها : يا تكة أما يفكر زوجك فى أخذ ثأر أخيه حامد من أخوانك . فردت عليهم قائلة أختكن تكة قعدت بفخذيها على الثأر فلن يحـاول الانتقام أبدا . فسمع أفْ ألبُو حديثهن ، فتذكر وغطى وجهه وتناوم ، وطبعا جالت فى مخيلته أشياء كثيرة[2] .

---

(١) وقيل ليس له أسنان وهو أقرب الحقيقة .

(٢) كان شاعرا مجيدا واشعاره كلها حكم وعبر لايفهمها الا من يجيد التجربة .

تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى   ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

ولما أرخى الليل سدوله جلس بجوار النار لكي يستدفئ من شدة برد الشتاء القارص ، فقالت « تكة » : ادخل من البرد . فلم يرد عليها ، فقالت له ثم تفكر[1] ، إن البرد شديد ، تعال ونم في سريرك . فأجابها إنني اليوم كثير التفكير وأرضكم بردها لا يطاق (فعلمت أنه تذكر وسمع كل شيء) ، فوضعت له فرشه بقرب النار وقالت له إذا كنت لا تريد دخول البيت فأجلس على فراشك بدلا من الأرض ، فخاطبها بالأبيات التالية :

« كِرَى تَـكَّة أمْ بُرودْ قُرُودتُو إلَّى مِنْ رِكِنْ »

(يا ناس تكة (ذات الريق البارد) إن البرد شديد في أرضكن)[2] .

« إقِرِّزْ عِلَـيكُو اتَزِّزْ إساتْ بِي إيْ لِسْحِنْ » .

(إن بي رعشة من شدة البرد والمرتعش من البرد يستدفئ بالنار) .

(طلب منها أن تمهله حتى يدفأ جسمه ويهدأ) .

« إجْومَمْ عِلَيكُو طَنْجِبِني أسِكْ إفطِنْ » .

(بي وجوم فأمهليني حتى أفطن لأمري) .

فتحققت أنه ينوى شراً بأخوانها ولكن الوقت ليل . فغافلها وأخذ حربته[3] ، في تلك الليلة المظلمة وسار حتى لقى أخاها داود بن دويد يحلب أبقاره

---

(١) شعرت تكة أنه سمع حديثهن .

(٢) وجه الحديث اليها والى صويحباتها .

(٣) لم تكن السيوف الحالية معروفة عندنا الا بعد الحروب الصليبية .

أمام بيته ، فسلم عليه، فقال له داود ، ما الباعث لك للسير فى هذا البرد والظلام فقال أريد أن أرى حالة أبقارى . فقدم له داود اللبن لكى يشرب وطعنه بالحربة فقتله . ثم سار « أف ألبو » إلى أخيها الثانى (كُورُوبْ) فى جهة يقال لها « دَدَاق » . فلما وصله تظاهر بالارتعاش الشديد من البرد فقال له كوروب : ماذا بك ؟ قال له « برد شديد » وأوقد كُوروبْ النار وجلب الأخشاب من من أشجار بنى عمه (بيت معلا) ، فلم ترمح نفس أف ألبو لتكسير الأخشاب من الأشجار ، فقال له « يا كوروب إن مودتنا هى التى تمنعنا من معارضتك فى قطع أخشابنا فأقلع عن ذلك . فعرف كوروب أن الرجل قد تغير، وأنه يريد شرا . وقام ليحضر حربته ولكن بادره أف ألبو بطعنة نجلاء قضت عليه ، وأخذ أبقاره وأبقار أخيه حامد من أبقار كوروب وذهب إلى أهله ، ونظم قصيدته المملوءة بالحكم والأمثال وهى طويلة .

أما تسكة فإنها سمعت بمقتل أخويها فقالت لقد صبر أف ألبو على ثأر أخيه حتى هيجناه ونبهناه ثم أنشدت :

« مَسْكِينَاىْ أَفْ أَلْبُو خَارُو فَجرا كَجِيَـا » .

(مسكين أف ألبو قضى وطره ثم ذهب) .

« حُوهُ حامد قافدا اَسْكَدَتْ طِقِيتا » .

(تذكر أخاه حامد صاحب الشفة الباسمة) .

« وحَاهُوِ اميتاتْ فاقدا كِلَّهْ حِبْرَ عِقِيتَا » .

(وتذكر أبقاره أل لِعيتات[1] الجميلة المنظر) .

« إبْ يَدَو نَدْ أَنْهُوَ مَهْلَنَّ إبكون وسيفاً » .

(تركناه يذهب وحيداً من غير صاحب أو زاد) .

ونورد هنا بعض أبيات من قصيدة أف ألبو :

قال أفْ ألبو وهو من معلايت :

« لِيلِيتْ أُدُو بْنَحَا[2] إنْنَقَّ بِيَتْتْ كَرَابُو » .

(لقد كان عواه ضباع أدوبحا (مكان) عاليا جدا ليلة الأمس) .

« حِرِمْ مِلِدِرْ بيت مَعْقَبْ سَبَوُّ إبْ جِدْ نُو مَبْقَابُو » .

(حرم هو من مساكن بيت معقب (بيت معلا) وهم دائما فى حروب)

« إبْ مَهَلَكْ جَايِيوْ كوروب دقاق لَقَشْبَابُو » .

(على مهلك يا كوروب فى إيقاد النيران بأغصان دقاق) .

« فَتُو كُمْ هِيكُونْ سَعَرَه كُلُوُّ وَمَابُو » .

(إنهم يحبونكم وإلا لمنعوكم من مراعيه ومناهله) (كلأه) .

ثم قال :

« ودأبْ ألبو قِرَازْ حَارِزْنُو إِنْ مَابُو » .

(من ليس له ابن عم فهو كذبة الطين التى يجرفها أقل سيل) .

---

(1) هى أبقار عزيزة عند من يقتنيها ووسمها شرطة فى وسط أذنهـا اليمنى . واليوم هى عند الطبقة الاسطقراطية فى قبائل اقليم البجا .

(2) محل مقتل اخيه حامد ومقتل كوروب .

« حُوقَذْ ألبوات عد جَنَدِل فَاتِلايُو » .

(من ليس له ابن أم يتبختر قاتله فى الحى ويمشى الخيلاء) .

« ود رِحِيم ألبو لمب من قَرِيتو وارثايُو » .

(من ليس له ابن من صلبه يقولون من أقرب الناس لوراثته) .

« جِماَ ألبو من لاَ مَرَو بِكَابُو » .

(من ليست له زوجه من يرثيه أو يذكر محاسنه) .

« نَوَاىْ ألبو أحمد أَتَى قابرايُو » .

(من ليست له مواشى فإن حاملى جنازته يعودون سريعا)[1] ، نكتفى بهذا القدر .

---

(1) أما صاحب المواشى فانه يذبح منها للجالسين حول القبر ثلاثة أيام لئلا تنبشه الوحوش .

قنيفرو GANIFRO

كل كتب المؤرخين السابقين من العرب والأفرنج تعتبر عموم القبائل التى تسكن حول الجبال الواقعة غرب ميناء العقيق من أصول حبشية ، وتطلق عليها اسم « حماسين » ، وهذا خطأ لأن حماسين الأحباش لم يبق منها إلا أقلية ضئيلة فى كل قبيلة ، وليست لها رئاسة أو سلطة ـ التى دائما هى فى العنصر العربى ، وهو السائد فى إقليم البجا منذ ظهور البلو ـ وأول من ظهر بالجبال من سلى العرب هو السيد أحمد مغلا ، وقد تناسلت من حفيده (محمود أبومكو) كل عائلات الحماسين (بنى عامر) من أحد أبائه المدعو (حماسيناى)[1] إذ رزق ثمانية أولادهم : ١ - حامد ويلقب باسم كلب[2] ، ٢ —وأحمد[3] لقبه (كلبوى) ، وأمهما من اللايتما[4] ، ٣ — وحسن[5] ، ٤ — وحسين[6] شقيقان وأمهما من طارقيلى[7] ، ٥ — وهلال[8] ، ٦ — وأقوراى[9] ، ٧ — وشوروم[10] choroum ، ٨ — إندول[11] وهؤلاء الأربعة أشقاء

---

(١) قيل أنه كان حوارا للشيخ محمد بن قايد وزار مشايخ العركيين .

(٢) تناسلت من قبيلة قنيفرو Ganifro

(٣) ذريته هى بيت بعشو .

(٤) وقيل أنها البلو .

(٥) عد أو بيت حسن .

(٦) عد حسان .

(٧) امهما بنت أب جنتب .

(٨) تفرعت منه بيت هلال .

(٩) ذريته هم ابناء أقوراى .

(١٠) ذريته عد تشوروم .

(١١) هم بيت اندول واغلبية الاربعة الاخيرة .

وأمهم من كريكناب « عائلة بأزوقاب »[1] .

وقنيفسرو تسكن فى « عَيْدِقْ » (قرب هَجَر) . وعميدها الشيخ محمد محمود حاج ، وهم يذكرون عميدهم الأول الشيخ حاج أبو بكر الذى كان مشهورا بالعلاج وحب السلم خصوصا مع جيرانه . وخلف أحسن ذكرى . ولما توفى حل محله ابنه محمد حاج ، فاقتفى أثره ، فأحبته كل القبائل إلا بيت معلا إذ حدث أن قتل أحد رجالها أخاه محمود خطأ ، وكان يدعى حامد سقوته[2] إذ أنهم أخذوا بقرة هذا الولد ولم يكونوا يتوقعون أن يدركهم فى وادى اعيلاتة بعد أن أكلوها ، وكان محمد أداد أول من هجم عليه ، فصعد له الولد ، ولكن حامد سقوته جاءه من الخلف فقطع صابه ، وسرقت عصابة من الحباب حمير قبيلة محمد حاج فسافر إلى كنتيباى حسن بجبل « عَتَرْ » فسأله عن مقصده فعلم كنتيباى أن العصابة سافرت إلى عد تماريام ، فأمر بأدراكها وإعادتها إلى صاحبها فعاد بها إلى أهله .

ولما توفى كنتيباى حسن ذهب الشيخ محمد حاج إلى دقى حباب للتعزية ، وبينما هو عائد إلى أهله قابله محمد سقوته[3] فى وادى رحيب ، فلم يمالك العمدة

---

(1) تسكن بارتريا والاربع السابقة مقتسمة بين السودان وارتريا . كل قبائل الحماسين مجاورة لبعضها حول جبل هجر ويقال لها «ابيات طليم» «اسود» والتى تسكن منها فى السهول يقال لها ابيات قيح (احمر) أى العائلات الحمراء والسوداء .

(2) كان زعيما لعصابة مؤلفة من «احمد حواى» (اصغر) ، ومحمد اداد المشهوربأبو البر وغيرهما .

(3) أخو حامد سقوتة .

شموره وانتضى سيفه وضربه بحده فقتله بأخيه فزال ما كان بين القبيلتين من الجفاء . ولما توفى خلفه ابن أخيه الشيخ محمد محمود .

لما بدأت الحرب الاستقلالية « المهدية » سنة ١٨٨٣م بشرق السودان عين الأمير عثمان دقنه الشيخ عيسى إدريس وكانوا مخيمين فى جهة « عبدالله أرى » وأبلوا أحسن بلاء واستشهد منهم ومن الأفلندة كثيرون فى سهول « إندِ تَيب » ولهم أشعار بالبجاوية والتيجرية فى حروب جيوش الاستعمار[1] ، ولقد سمعت من الشيخ شريف كثيرا من أشعارهم الحماسية[2] .

بيت بَعَشُو

ويسكنون جبل « قَمبُوبَة Gamboubah » بين ديار الحدندوة والبلِينْ والأَمِّيتْ ، ولها فى ارتريا نظارة برئاسة الشيخ صالح على تسكوش بن منذر بن موسى أقرِزَاىْ ، وهى تنقسم إلى عائلتين « عد عمر شوم » وتتألف منهم أكثرية القبيلة ، وهم لايتحملون الضيم ، و « عد ديناى » . فكانت فى يوم من الأيام القبائل الحماسينية تحت رئاسة الناظر عمر بن شوم عمار وهو ممن وفدوا على ملك الفرنج بسنار وقدم له الهدايا وزكاة الحماسين ، فأكرمه الملك وأنعم عليه بطاقية من الذهب وكرسى للحكم ونحاس[3] « نقارة » دفنها أحد

---

(1) كان فى القرن الماضى شاعر اسمه جوج Jouj يثنى على الشيخ محمد الكد وغيره .

(2) اشتهر هذا الرجل بالوفاء لأصدقائه .

(3) يقال ان المدفونة هى النقارة الكبرى واما الصغرى فقد اخذها احد مشايخهم الى البهدور سنة ١٨٧٠م وتركها وديعة عند الشيخ ابراهيم حامد ورار . وهذا باعها للأمير جيلانى بك ارتيقة بسواكن ، وما زالت معهم حتى اليـــــوم .

أحفاده « ويدعى عمر شوم (سمى عليه) » فى واد يقال له « قبر عمّار » خوفا من عائلة هددى أبناء حسن موسى هاسرى .

وتألفت من الحماسين بارتريا نظارة بأغوردت ، ومن مشاهير بمشو الشيخ جمع بن محمد دين بن تشقراى Chageeri ، ابن هالياى بن عمر شوم فى القرن الماضى إذ سافر إلى القاهرة شاكيا من مشايخ بنى عامر لأنهم اقتسموا قبيلته وبعض القبائل التى كانت تحت سلطته ، فلم تنجح شكواه ، وانتشرت الثورة المهدية فى السودان ، ولما احتلت إيطاليا إرتريا سنة ١٨٨٤م رفع شكواه لمحافظ مصوع فأنصفه ورد إليه كل من كان معه .

أبناء بمشو مشهورين بالجود والشجاعة فمن مشاهيرهم مندر موسى ، ومحمد تسكوش ، وهتوى ومحمود وأخوه محمد شوم وعلى بن مندر المشهور بعداوته لناظر بنى عامر دقلل على بخيت وقد توعده بالرحيل من نظارته إلى أخرى[1]

فقبض عليه دقلل وسجنه فى جمية حَمَلاَيِيب (قرب عَدُوبَنَة)، فكان له صديق اسمه محمد محمد إساتات طلب من عمه أن يطلق سراحه فأطلق . ورؤساء هذه القبيلة مشهورون بالكرم واقتناء السيوف الجيدة ويكثرون فيها من الفضة بخلاف بقية أقاربهم وجيرانهم إذ لا يهتمون بذلك .

---

(١) وله فى ذلك قصائد طويلة أشهرها التى يقول فيها ساموا لى على دقلل على بخيت اطيب السلام .

قيل إن أحد أولاد بَعْشُو[1] قتل رجلا من الحاسريين «هددى» فاشتكى أخو القتيل إلى عمدة حاسرى ، فقال له اتركهم وانتظرنى . فلما جاء الصيف أدركهم الشيخ حاسرى بقراهم وأحاط بمنازلهم فاستعدوا لقتاله ، فقال لهم أنا رجل مسالم أعطونى رهائن[2] حتى يأتى الشتاء ونفصل فى دماء المقتولين . فسلموه ثلاثة من شبابهم فسجنهم فى جزيرة باكِياى . شرق العقيق . ولم يبق منهم إلا « دار شيخ بن دَامُو » وهو جد أبناء بحراى بن صديق المندمجة ذريته اليوم بالعَمَّايقة (يَهْدُر) ، ونبغت ذرية دار شيخ فى معرفة موانىء البحر الأحمر خصوصا الريس محمد إدريس نور ومحمد صالح حسين بحراى واشتهر الشاعر الحبابى من حَزَابْشُو (عمر بن باشقير)[3] بمدحه للشيخ عمر شوم حتى قيل أن من يحفظ له عشر قصائد يكون سعيدا فى حياته ونحن نحفظ هذا القدر[4] .

حوالى سنة ١٨٧٠م طرد رعاة مواشى بيت بعشو أبقار أبناء على بن عقيل شياخة هِنْتُولاى (اداد) بن أكد ، فأخذ سلاحه وخادمه (همد بافديق) وبعض أفراد حصته ، وقاموا إلى بيت بعشو . فتلقاهم تكوش بن موسى وأولاده فجرح تكوش وهنتولاى بعضهما وكذلك قليلاى « محمد تكوش »

---

(١) القاتل اسمه «شاكا» وقد قتل رجلين من هددى وفتكوا بكل ابل هددى الا ما كان بينها ابن عشار .

(٢) طلب أن يكونوا من قرية عمر شوم .

(٣) جمعنا كثيرا من أشعاره الغزلية .

(٤) لو قالوا أن من يحفظها يجيد اللغة التيجرية لكان أصوب .

جورج محمد بافديق ، وهذا ضربه بالسيف مرتين فجرحا ، وضرب على أبز بن تسكوش بافديق ، فسقطوا جميعهم . فقال تسكوش لأبنائه أوقفوا الضرب وجاء أهل الفريقين فحملوا الجرحى ولم يشفوا إلا بعد خمس سنين . ووصف تسكوش هذه الواقعة في قصائده . وأشهر قصائده هي التي يهجو فيها عبد عمر نابتاب ردا على شاعرهم المسمى « أكي دولى » وأولها هو :

« أ كَيْ دُولِي طَيَّ حُولَكْ تَكَجْلْ مى إِيتَكَجَّلْ » .

(أ كي دولى « أنا أخوك » لماذا لا تخجل أو تستحى) .

« أَبُوى بَلِعْ وسَتِي وأبوك شَلَحْ وتَهَرْ » .

(أبوى يأكل ويشرب وأبوك يضعف ويجوع) .

« نابتاب سَتَّيتْ وأتيأسنا إيكُونْ نابتابْ تُوسَلْ »[1] .

(نحن نقاتل النابتات الأصلية لا نابتات توسل) وهي طويلة .

ويقول الحباب أن حمد كابوى تزوج من بيت أسفدى حباب بابنة « إثِّي » بنت كنتيباى ناود مُسكاك ولذلك غزوا معه عد تكليس فمكنوه من استرداد نحاسه . وحفظ لهم الحباب هذه المساعدة ولما تضعضعت حالة بيت بعشو تفرقت بعض عائلاتها في القبائل الكبيرة مثل بيت هلال انضمت إلى أبناء أكد ، وبيت أندول إلى الأفلندة ، وانضم أكثرها إلى المعلاويين أيام كميل الأول . ولكن اليوم سنة ١٩٤٧م كل أخ انضم إلى أخيه وذهبت تلك السيادة المستعارة .

---

(١) هو يقصد نابتاب بيت النظارة لا النابتاب التي تتوسل بالصالحين أمثالكم ويقصد أبناء عمر وهاسرى .

دقة بَعَشُو

كان رؤساؤها الاقدمون يهتمون بتربية الإبل حتى كثرت عندهم وصارت منها مؤونتهم، فكانت تسمى فراهم «دقة بعشو». وكان كل من أبناء حماسين له دقة لا تقل منازله عن الألف. وكلها انقرضت أشهرها «دقة عمر شوم ودقة على شوم وآخر باسم محمد شوم وحسن شوم وحسين شوم وحمد شوم ومحمود شوم» فلما دالت أيامهم وانقرضت إبلهم اعتنوا بتربية البقر والغنم واتخذوا منازلهم حول «قبر عمار» فى شرق خور طقت الشرق وكانت نظارتهم قبل بعشو فى بيت محايلاى التى ورثت أراضيها فى هجر بيت بعشو، وفى السهول العجيلاب بعد قتال استمر ربع قرن.

وكانت بعشو فى حروب مع أسفدة أيام زعيمها «سعيد بن أسفداى بن نائم بن يوسف بن رشيد» وتحتفظ بيت بعشو بسيوف غاية فى الجودة ومضاء الحد أشهرها[1].

١ - واحد عند إقْراىْ بن حمد بنْحُون، ٢ — عند جمع محمد دين شقراى، ٣ — ثلاثة عند الناظر صالح على تكوش، ٤ — عند أبناء حبيب تكليس، ٥ — عند حامد على مبدر، ٦ — عند أبناء إدريس آدم محمد قرقا، ٧ — عند عِقْوىْ موسى إقرداى، ٨ — عند أبناء حمد إياى.

وهذه السيوف غنموها مثل العجيلاب من بيت محايلاى بعد واقعة هجر التى حرموهم فيها من حصد زراعتهم.

ومن مشايخهم بالسودان الشيخ محمد آدم حنجور.

---

(١) بسبب التسبب البكرى الذى بينهما.

عَدْ وَفَضِــــلْ

هم إحدى قبائل بنى عامر التى كانت تحت نير الهامربين بل هى يدهم اليمنى فى كل مصيبة تؤمهم إلا فى قتالهم للعلاويين فأنها لزمت الحياد التـــام بين القبيلتين وكانت تخرج زكاتها للشيخ حمد حـــال ، فلما هاجر إلى مصوع[1] بعد مقتل عبدالله وأ كد رفضت قبيلة فَضِل الرحيل معه وبقيت فى تبيح[2]. فلما تم الصلح بين القبيلتين تجاهل الشيخ إبْتد كلٍّ أخوة من تخلفوا عن الهجرة وهم لم يكترثوا لذلك وبقوا معززين مكرمين فى مسا كنهم لا يؤدون إلا القليل من الضريبة لأنهم كانوا حماة الهامربين من كل محارب ومقاتل حتى كانت سنة ١٩٤٧ م وطلب الشيخ عبد القادر محمد ضرار الانفصـــال عن الهامربين واستقل بعمودية كل أقاربه من سلطتهم .

وتتألف قبيلة عد فضل من العائلات الآتية :

١ — حصة « قيغاب » ٢ — حصة عوِل ٣ — ناصر ٤ — حنبر أو سَراك ٥ — طرَحْ ٦ — كَلَفْ وغيرهم من العائلات وفى الســـودان انضمت إليهم عائلة موشى وبوبر وهم كسائر قبـــائل بنى عامر يسكنون بالسودان وارتريا . ومن مشاهير هذه القبيلة فى القرن الماضى المصلح الورع التقى الشيخ حاج محمد ضرار[3] .

---

(١) لولا أن قبائل النابتاب تألبت على العلاويين لما اضطر حمد حـــال لمبارحة وطنه «تبيح» .

(٢) تظل النابتاب وأتباعهم لايقلون عن الثلاثين .

(٣) تزوج ابنته الشيخ نور الدين ضرار عجيل وكان حاج غنيا جدا وذا عصبية كثيرة أفادت العجيلاب فى عدة مواقف ، وأكثر أهل عقيتاى مـــن أبناء بنته .

وفى سنة ١٨٧٢م حدث قتال بين الهَنْدُور فى عد وبية والجيلاب ، (الأولى بقيادة القبطان مهدى محمد أحمد أبو بكر ، والثانية بقيادة عيسى دهيت الشاعر [١] ، فنثرت عصابة الجهلاب على أبقار أبناء شاكو (عائلة عَقَامَاى) فى جهة أبْسَخَبْ فاستاقتها أمامها آخذة طريق المضيق ، وكان أصحابها كامنين هناك ، فضرب لهـا أحد الشبان الدرقة وناداهـا . ولـكن الجيلاب غيروا اتجاهها إلى السهل وهناك لقوا الهندور على أتم استعداد للقائهم ، وجاءتهم نجدة من الأفلندة بقيادة « حامد نصر الدين » [٢] وابن عمه محمد بخيت مرودة [٣] واشترك معهم على شاكر [٤] .

انى شخصياً معجب جداً بالشيخ عبد القادر محمد ضرار لأنه ناضل وأكثر من الشكوى لمفتش توكر المستشرق « المستر أندروبول (Andrew Paul) حتى أقنعه بشهود ووقائع ملموسة أنه مهضوم الحقوق . فسأله المفتش هل أنت مستعد لخصومة وعداوة العامريين لك ولقبيلتك ؟ فقال له نحن كالبنزين وهم كالسيارة فهل لسيارتك أن تسير من غير بنزين . قال له كلا إنهم ضعاف عند مفارقتهم بنا .

وعموما آل حاج محمد ضرار اشتهروا بالصلاح والقراءة والكتابة .

وفى سنة ١٩٠٩م حدث بينهم وبين قبيلة سنكات كناب خلاف نشأت

---

(١) غزا من ممالك سواحل العقيق وعد وبية وهى مسافة بعيدة جدا .

(٢) قتلت العصابة آدم محمد من الأفلندة .

(٣) أدركتهما واخذت عنهما .

(٤) مات ثلاثة من أخوانه فى المضيق .

من تأثيره عدة عصابات اضطرت على أثرها الأخيرة ترك جبال العقيق لقبيلة عدد فضل[1] .

وللشيخ حاج حمد ضرار أشعار كثيرة أشهرها قصيدته التي يرثي فيها ابنه وقد قتلته إحدى قبائل الحباب فعزم على الصيام ثم استل حسامه وجاس للحباب في المضايق حتى عثر بقاتل ابنه فقتله وأنشد :

« أنا إبكون إذقت نهقت ديب وَلَدَا » .

(دعني أنا فإن الحمارة نهقت من الحنين على ولدها[2] .

« تمنت وسانيت كياد عد حده إبكيدا » .

(إذا جد السير فإن البهيمة العطشانة لا تقدر أن تسير كالشاربة) .

« تمنت خط ديب كدنت وسانيت خط ديب عدا » .

(والعطشانة تسير في الخلاء ، تضل ، والشاربة تعود إلى أهلها) .

وله أشعار أخرى في التقوى ونصائح الناس .

عدّ على هاسا

كثرت حولهم الأقاويل ونحن اعتمدنا من قولها من ألمدة . وأول من جاورهم هو رجل من سكان توكر يقال له « علي هاسا » من قرية عمهو ترأس عليهم ودرسوا القرآن عليه ، وبعد سنة ١٣٠٦هـ انضموا إلى بيت قريش لأن الجماعة

---

(١) انتصر الشيخ احمد موسى للفضل والناظر صالح ادريس نحال للسنكاتكتاب .

(٢) كان الناس يقولون له اعف عن قاتل ابنك فلا يرد عليهم .

تمسكت بهم فى تلك السنة . وكان عميدهم فى المهدية الشيخ حامد على الذى نزع المشيخة من عمير فى أيام والده ، ولما توفى حامد خلفه ابنه الشيخ أونور .

واتفق الهامريون والملاويون على غزو عد على هاسا[1] ، وهم فى حجر بأمر من الأمير محمد طاهر ابن بك دقنة[2] ، إذا أمر بمطاردة عد على هاسا ، فسارت خلفهم عصابة برئاسة محمد إدريس أبسمد فصمدوا لقتال الملاويين والهامريين[3] حتى خسر الهامريون حسن هامرى محمد ، وحامد شريف على ، وكلاهما من النابتاب . وجرح بعضهم ، فرجعوا منهزمين ، فأرسل الأمير محمد طاهر فى طلب الشيخ ضرار على لأخذ رأيه فى غسل عار الهزيمة . فقال له والدى « إن الإنتقام من هؤلاء صعب جداً لوعورة المسالك وكثرة مغاور الجبال ومخابئها التى لا يجيد معرفتها إلا « موسى إدريس حامد ورار » إذ أنه محتفظ بعصابة تؤدى غرض الأمير . ووافقه الشيخ أكد موسى على ذلك . فأحضروا موسى إدريس[4] ، وتسلم قيادة العصابة . فأدرك بعضها مقيما فى قرية عد عمر فهجم عليهم فلما فروا منه تعقبهم حتى قطع دابرهم نهائيا .

وقد خسرت بيت معلا فى حروب هذه العصابات بعضا من مشاهير رؤسائها

---

(1) رفضوا دفع الزكاة .

(2) كان يقيم فى « عد ارت قرب عد وبتة » .

(3) قال الهامريون ان حلفاءنا الملاويين لم يشتركوا فى القتال .

(4) لم أر فى الهامريين أعقل واشجع من هذا البطل ، وقد توفى بكسلا سنة ١٩٥٠ م بعد أن نيفت على المائة .

أمثال حامد محمود وإدريس حامد ، وإدريس محمود ، وكلهم من نسل الشيخ إدريس حامد ايتد كل .

عد حسن

هم أقلية ضئيلة من ذرية حماسيناي بالسودان أما فى إرتريا فإنهم يكونون عمودية تامة .

عد حسان

هو ابن حسين حماسيناى . أنشأ قبيلة وسميت باسمه ، وسكنوا بقرب جبل « عيذَتْ » . واشتهروا بالشرور وغزو كل من جاورهم أمثال بيت معلا : وكان منهم فى القرن الماضى « أبناء أبْ هَا تأْماَ » ، ورئيسهم حامد شِلُّو وأخوانه الأشقاء (محمد وحمد) قيل إن الشيخ إدريس حامد ايتد كل قتل كثيرا من رجالهم ولذلك تجدهم يبحثون عن ثأراتهم ، فقام بعض من شبان حسان ليبحث عن أبناء إدريس حامد ، وكانوا منعزلين عن قبيلتهم بزعامة أخيهم الأكبر « محمد شُومْ إدريس » ، وكان عمره خمسة وعشرين عاما ، وأخوانه السبعة الباقون كانوا أصغر منه ، ومعهم والدتهم وعبيدهم « أشُوشاَىْ وأروناى » . ومعهم جمالهم وهم مختفين تحت سفح جبل ، فيختبئون بالليل فى كهف يقفلون بابه بصخرة كبيرة ويتركون جمالهم فى زريبة محصنة جدا من الشوك خوفا من الوحوش فجاءهم ذات ليلة أبناء حسان ، فلم يجدوهم ، فقتلوا الجمل ثم استرقوا السمع ، فعرفوا محلهم ، فأحضروا حطباً فى فم الكهف وأوقدوا فيه النيران . فشعرت والدتهم بذلك وأيقظتهم وقالت لكبيرهم « محمد شوم » الموت بالسلاح الأبيض خير من الاحتراق بالنار ، فخذ سيفك يا أشاى وقاتلهم . فرعى الخير

برجله وخرج إليهم فمقر ، وعند ذلك طعنه محمد وأخوه أحمد حسان طعنتين بالحراب (في يده وظهره) . فقام حمد من عثرته وضرب محمد بالسيف فقتله ، أحمد في يده وقطعها ، فتسممت ومات منها أحمد ، وخرج خلفه العيدان فقتلا الثالث . ولهم شيخ طيب مسالم هو الشيخ محمد محمود أبو بكر بالسودان وفي إرتريا يرأسهم الشيخ عمر موسى بخيت ولما توفي خلفه الشيخ سعيد محمد أبو بكر ، ومسكن معهم بتوكر الشيخ حمد بن أبو حمد فانتخبوه (بني عامر توكر) رئيسا لهم حوالي سنة ١٨٥٠ م ثم خلفه ابنه الشيخ موسى حمد .

بيوت مقلا – بطون وأفخاذ

امدبكنة

حسن عبد النبي

الشيخ أحمد

الشيخ محمود

كامل ـــ ذريته هم فد ارجت

عيسى (ذريته هم مرديه هاما دوكر)

ش محمد

ش قمر

كامل

حامد

موسى

ش علي

ش مسرودة

(عاشر)

كردای

ناصر

كامل ـــ معلومات عن ذريته رغد حسب ود شيخ رغد البماء ، رغد كرون

محمد

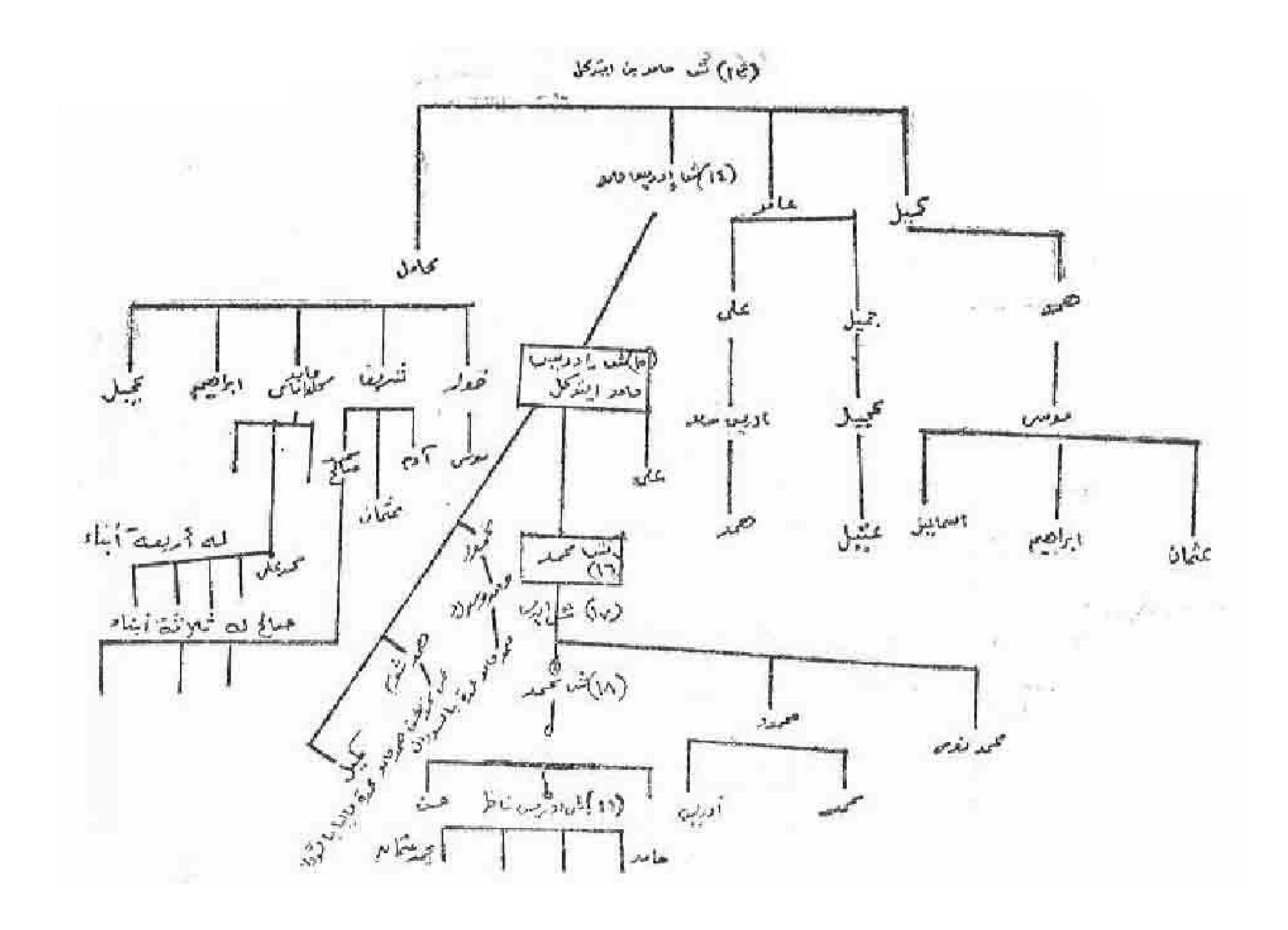
حمد جمال

فلسي (بلا ذرية)

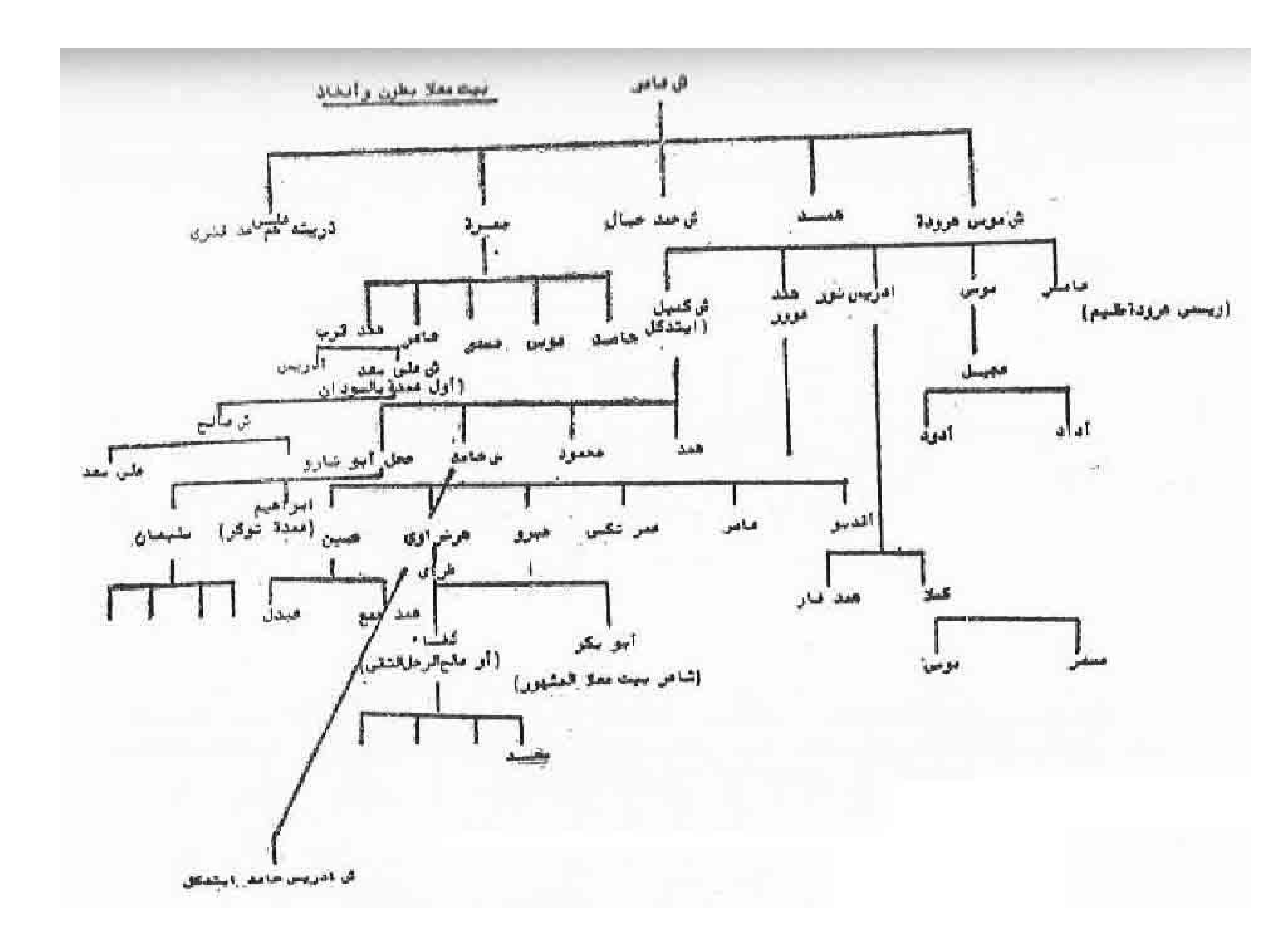
مضر

منصور

ش موسى ، تولى بعد ابيه ذريته هم فد موسى هرونة

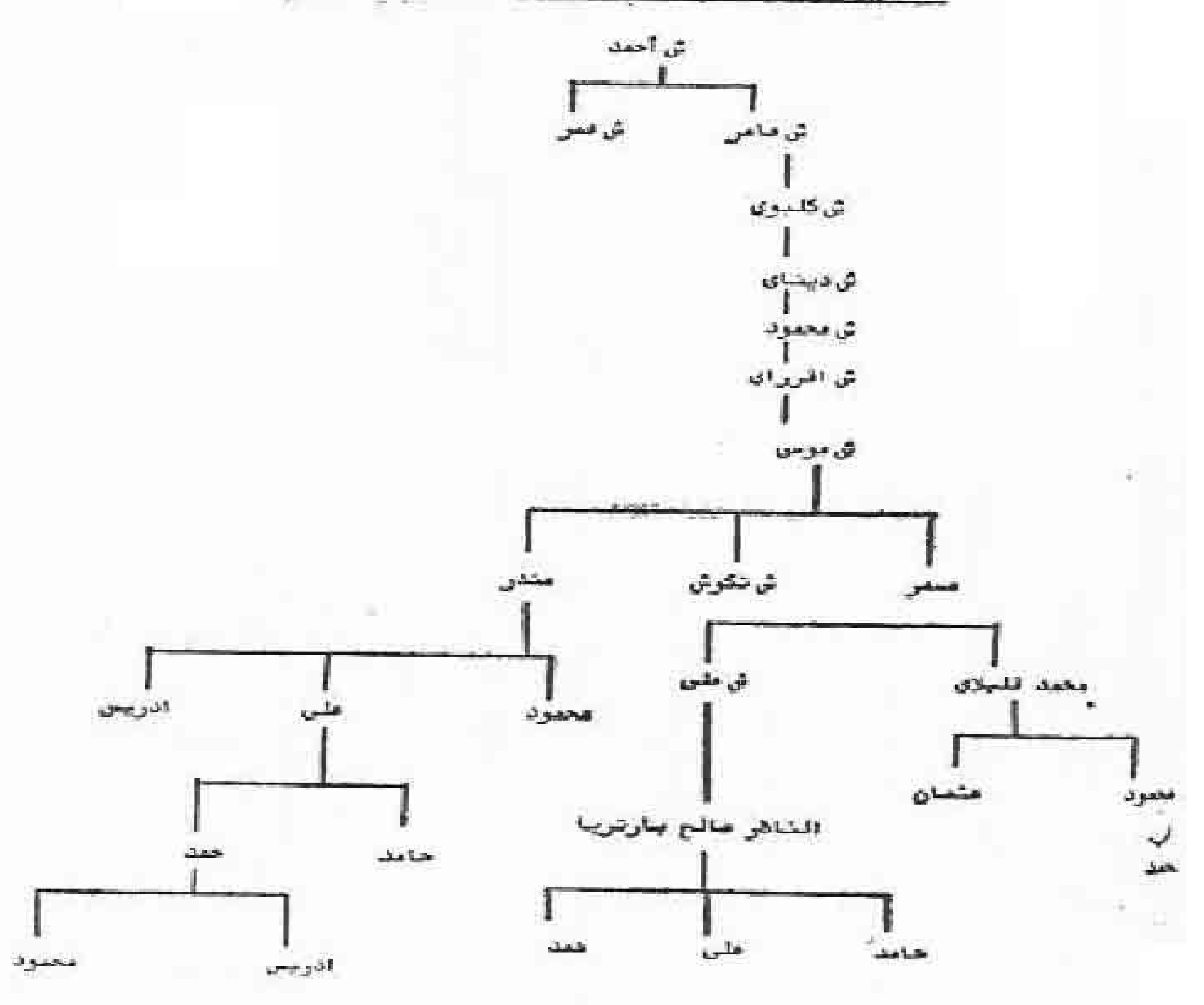


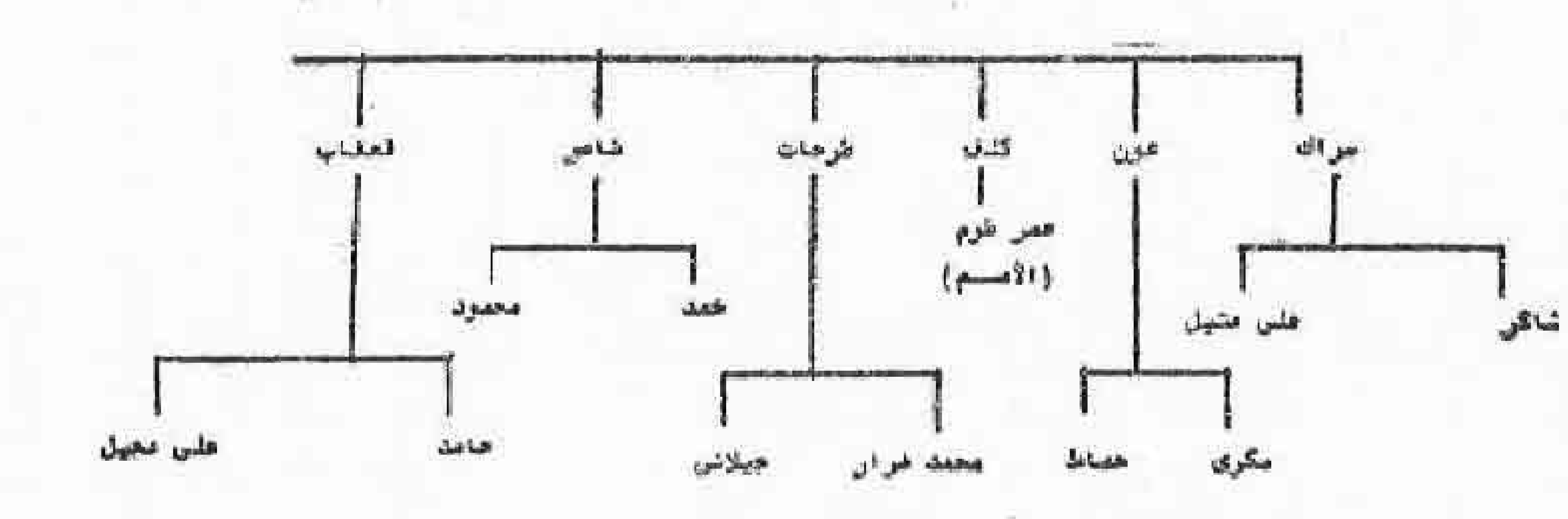
كامل
عامر
علي
جميل
موسى
ابراهيم
عثمان
اسماعيل
آدم
صالح
حامد



محمود
محمد
حسين
أبو بكر
موسى

نظارة الحماسين سنة ١٩٤٥م في بيت بعشو واخواتها بـأرتريا

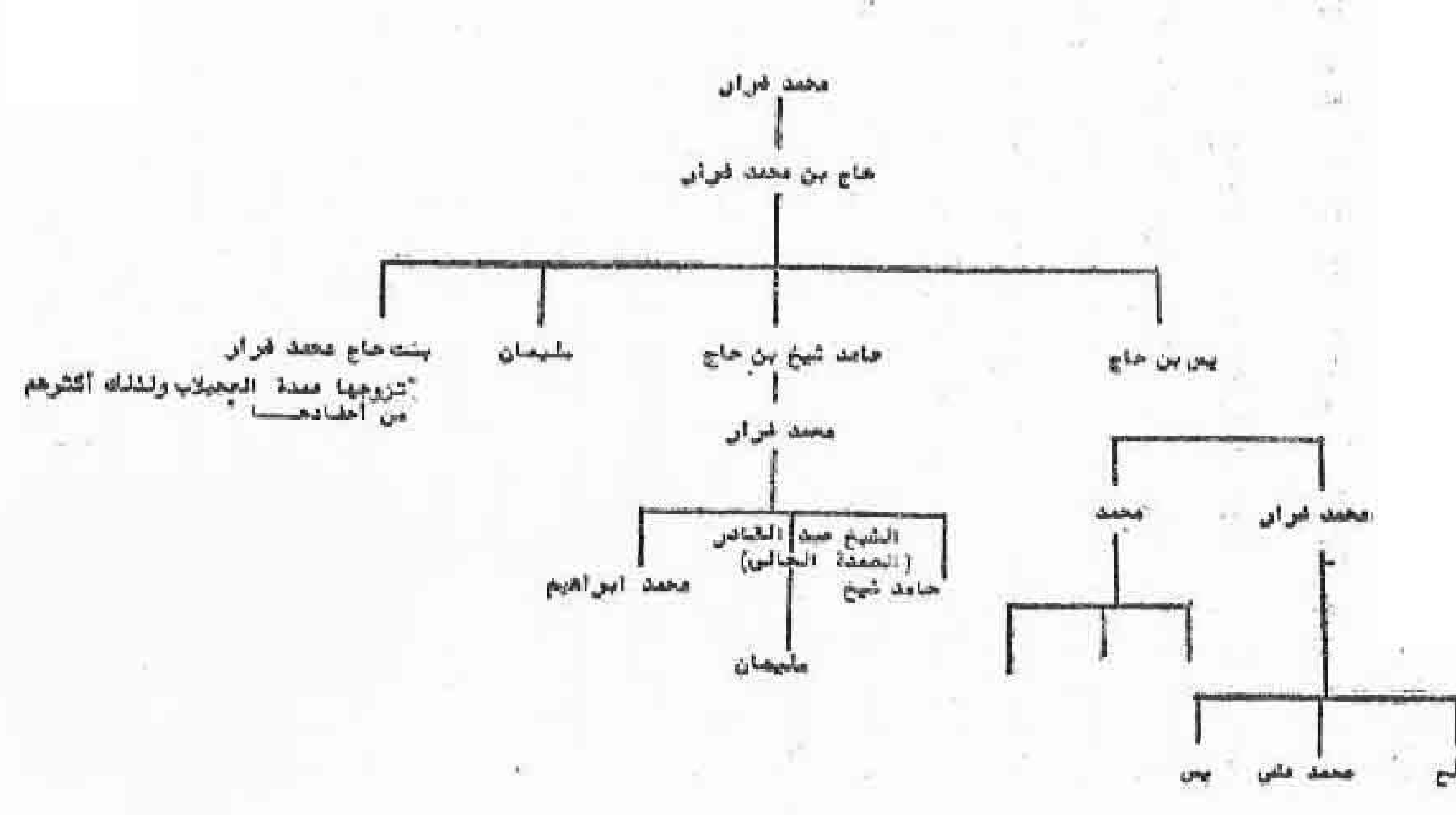




وانتهت الى آل فضل القبائل الآتية بالسودان: وهي "مهوشا وبهير وآسر" وهي قبائل كثيرة في ارتريا تتألف منها نظارة برئاسة آدم سليمان دان وهو من قائلة مهوشا [آل الشيخ يعقوب] ويرأس الشيخ آدم سليمان المذكور كل العموديات المتفرعة من كل القبائل المنتمية اليه حسبا ونسبا وهم متصفون بالكرم والشجاعة.

بيت عمودية آل فضيل بالسودان

وهم أول قبيلة تحررت من سيطرة الهاشميين بل وكل الشاختاب بزعامة الشيخ عبد القادر بن محمد فرار.



(بيت موسى)

هي من قبائل ألْمَدَة التى سكنت بأراضى الحماسين (بنى عامر) واندمجت فيهم، ولكن منشئها الأول ويسمى الشيخ كَلَسْ Kalass أبى أن ينضم إلى سكان هجر لا فى المراعى ولا فى توريد الزكاة أو الجزية أخيراً واتخذ ناحية من هجر يقال لها « إيرجى » . ولهم عمودية طيبية فى إرتريا ، أما بالسودان فهم أصحاب حصة ضمن بيت عوض البكرية .

البكرية

يطلق هذا النسب على عدة قبائل تسكن فى إقليم البجة وتنتهى نسبتهم إلى محمـــد ابن أبى بكر الصديق أو أخيه عبد الرحمن . فمن ذرية الأول قبائل العجيلاب ويسكنون على سواحل البحر الأحمر السودانى[1] ، وعاصمتهم « عقيتاى Ageitai » وهم من الأغابية ، وعمدتهم هو الشيخ محمد بن ضرار ابن على ضرار وأبناء عمومتهم فى إرتريا، قد هاجروا إليها سنة ١٨٨٠ م . ويرأسهم الشيخ إدريس سليمان محمود ، والأول يسكن سهول «شِعِبْ» والثانى « أدَرْهِمَا » وأما أخواتهم أبناء «حَيابَاىْ بن عجيل » وعمدتهم الشيخ سليمان محمد فيسكنون « وُقْميرُو » ، وفى أغردت أبناء على طالب بن عجيل وهم أبناء حسن ولات وشَقَل وبولاب وكُوكُوى ، وقود .

وأما ذرية عبد الرحمن فكلها تفرعت من « السيقولاب » سكان « تِهَمْبِىْ » بالقاش وهم تابعون لنظارة الهدندوة ، وفى السودان من فروعهم

---

(١) تابعون لنظارة بنى عامر فرع من الملهيتكناب التابعيـــن لنظـــارة الهدندوة سكان تندلاى وآبار جمام كسلا .

« بيت عوض وشلوق » وماقيت وكربكتاب وبعضهم فى إرتريا بأغوردت ، وكلهم تابعون لنظارة بنى عامر . والبكرية عموما من أكثر قبائل البجة عطفا على بعضهم . وقبل سنة ١٩٤٧م كانت قبيلة الرقبات[1] Rigbat ، تحت نظارة كنتيباى الحباب ولكنها تحررت من تلك النظارة وأصبحت ذات نظارة مستقلة بأرتريا ولها فى السودان عمودية .

محمد بن أبى بكر الصديق

نورد هنا ملخصا لحياة الإمام محمد بن أبى بكر الصديق بن عثمان (أبى قحافة) . ولد فى حجة الوداع يوم ٢٥ ذى القعدة وأمه أسماء بنت عميس . وتوفى والده وهو ابن سنتين وقد تربى فى كنف أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وكان يلقب بأبى القاسم ، ويدعى « ناسك قريش » . وتزوج بابنة يزدجر كسرى ملك فارس . وانتدبه الخليفة عثمان بن عفان ليكون بمصر تحت إمرة أبى سرح ، وغزا جزر البحر الأبيض المتوسط ، وجاء مع وفد مصر إلى المدينة المنورة مستنكراً أعمال الخليفة الذى سأل وفد مصر عمن يحبون أن يتولى إمارة مصر فقالوا محمد ابن أبى بكر فكتب له بذلك ثم عاد مع الوفد إلى مقر عمله . وبينما هم فى الطريق رأوا راكبا يدنو منهم ويبتعد فقبضوا عليه وحققوا معه ثم فتشوه فوجدوا عنده كتابا من الخليفة عثمان بن عفان إلى عامله بمصر (عبد الله بن سعد بن أبى رابى سرح) يقول له « إذا أتاك محمد ابن أبى بكر وفلان وفلان فاقتلهم وأبطل كتابهم ، واستمر فى عملك حتى يأتيك رأى . فعاد محمد والمصريين إلى الخليفة عثمان بالمدينة الذى أقسم بالله

---

(١) هم من ذرية عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق .

أنه ما كتب الكتاب ولا علم له به . وقيل أنه من عمل مروان كاتبه وعادت بعودة وفد مصر بقية وفود الأقطار ، وحاصرت منزل الخليفة . ودخـــل عليه محمد بن أبي بكر فحاوره طويلا واستحيا وخــــرج منه نهائيا . ولـكن اتهم بتحريض الغوغاء على قتله . وتطورت الأحوال وبايع محمد أمير المؤمنين على ابن أبي طالب وسار معه إلى البصرة ، واشترك في واقعة الجمل ، وحمل هودج عائشة أم المؤمنين مع عمار بن ياسر عن الميدان بعد أن عقروا الجمل ، ثم سيرها الإمام على إلى المدينة المنورة[1] ، مع أخيها محمد ، واختار معها أربعين امرأة من نساء البصرة المعروفات (في زى الرجال) . فتوجهت إلى مـكة المكرمة فحجت ثم عادت إلى المدينة المنورة ، فلما أشرفن عليها خلعت النساء ملابس الرجال ولبسن ملابسهن . فقالت عائشة يغفر الله لابن أبي طالب فقد كنت أظنهن رجالا طيلة رحلتنا .

وعاد محمد إلى البصرة ، واشترك في قتال صفين حتى كان التحكيم . ثم ولاه الإمام على أمارة القطر المصرى[2] ، إذ أن عامله الأول (قيس بن سعد) هادن شيعة الخليفة عثمان . فلما وصل محمد مصر قصد المسجد وخطب في أهلها فقال : « الحمد لله الذى هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق ، وبصرنا وإياكم كثيرا مما عمى عنه الجاهلون . إلا أن أمير المؤمنين ولانى أمركم ، وعهد إلى ماسمعتم ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . فإن يكن ماترون من أمارتى وأعمالى طاعة فأحمدوا الله على ما كان من ذلك . فإنه هو الهادى ، وإن رأيتم عاملا لى عمل بغير الحق فارفعوه إلى وعاتبونى فيه ، فإنى بذلك أسعد وأنتم

---

(1) فى غرة رجب سنة ٣٨ هـ .

(2) فى الحادى عشر من رمضان المعظم .

جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الأعمال برحمته » ثم نزل . وبعد شهر من مقدمه أرسل إلى المعتزلين يخيرهم بين الطاعة أو الخروج من مصر . وحدث خلاف بين الحكمين فطمع المعتزلة في محمد ونابذوه ، فأرسل إليهم سرية لقتالهم فقتلوا رئيسها . فأمر بنهب أموال شيعة عثمان وهدم دورهم وحبس ذراريهم . وأرسل محمد سرية أخرى مؤلفة من ألفي رجل وفيها أخوه عبد الرحمن ابن أبي بكر[1] الصديق . وعين معاوية عمرو بن العاص على مصر ، وانتدب هذا معاوية بن خديج لحرب محمد بن أبي بكر الصديق مطالباً بثأر عثمان بن عفان . فلما علم الإمام على بذلك رأى أن محمداً لا يستطيع المقاومة ، فولى على مصر الأشتر النخعى ، وكتب إليه عهداً جمع فيه سياسة الدنيا وصلاح الآخرة ، فتوفى في الطريق . وشق على محمد العزل فأرســــــل إليه على « أما فقد بلغنى موجدتك من تسريحى الأشتر إلى عملك ، وإنى لم أفعل ذلك إلا ازدياداً لك منى فى الجد ، ولو نزعت ما تحت يدك لوليتك عليك مؤونة . وأعجب إليك ولاية ، إن الرجل الذى كنت وليته أمر مصر كان لنا نصيحاً وعلى عدونا شديداً ، وقد استكمل أيامه ، ولاقى حمامه ونحن عنه راضون ، فرضى الله عنه وضاعف له الثواب . أصبر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر من ذكر الله والإستعانة به والخوف منه يكفيك ما أهمك ويعنك على ما ولاك . » فكتب إليه محمد « أما بعد ، انتهى إلى كتابك وفهمته وليس أحد من الناس أرضى برأى أمير المؤمنين ولا أجهد على عدوه ولا أرأف

---

(1) قيل انه ارسل الى محمد يقول له «اما بعد تنح عنى بدمك يا ابن ابى بكر فانى لا احب ان يصيبك منى ظفر . ان الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك وهم مسلمون فاخرج منها انى لك من الناصحين . وقيل ان عمرا قتل محمد ابن ابى بكر صبرا .

بوليه مني وقد خرجت فعسكرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا حربا وأظهر لنا خلافا وأنا متبع أمر أمير المؤمنين وحافظ له السلام » .

ثم وصل عمرو بن العاص ومعه ستة آلاف من الجنود . وأما محمد فلم يكن معه غير ألفين . واستنجد بالإمام على فبعث إليه بألفين (وصلت بعد وفاته وعادت إلى السكونة) والتحم جيش محمد بجيش عمرو وانهزم جيش الأول ولم يبق معه إلا أخاه عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلجأ إلى محل خرب وقد أعياه التعب وكده العطش حتى عجز عن حمل سيفه ، وإذا بمعاوية ابن خديج يبحث عن محل وجوده فدلته عليه عجوز ، فقال اسقونى ، فضربه معاوية بن خديج بالسيف فقتله ، ثم أدخل جثته في جوف بعير ميت وحرقه وذلك في يوم ١٤ صفر سنة ٣٨هـ وكانت ولايته خمسة أشهر وعمره ثمانية وعشرين عاما . قيل إنه لما توفى محمد بن أبي بكر الصديق أخـــــذ رأسه وجثته زمام الخادم ودفنهما خارج مدينة الفسطاط وبنى بجواره مسجدا يعرف بمسجد زمام ويزار إلى الآن .

وخلف محمد من ابنة يزدجرد ولداً هو القاسم[١] ، وبنتا عاد بهما عمهما عبد الرحمن إلى المدينة المنورة فكفلتهما عائشة أم المؤمنين .

قيل أن معاوية بن خديج أرسل قميص محمد إلى آل عثمان بن عفان بالمدينة المنورة ففرحوا بقتله . ولبست نائلة (امرأة عثمان) القميص ورقصت به بين الرجال[٢] . وقيل أن أخت معاوية أرسلت إلى عائشة خروفا مشويا وقالت لها

---

(١) ولد سنة ٣٥ هـ .

(٢) ابن اياس ـــ جزء اول .

هكذا شوى أخوك محمد بمصر . فحلفت عائشة ألا تأكل شويا قط حتى تلقى الله . ودخلت نساء المدينة على أمه أسماء بنت عميس وهي تصلي فأخبرنها، فمضت على شفتيها حتى سحت دما من ثدييها حزنا عليه .

وفي مقتله يقول أبو نواس :

يا هاشم بن خديج ليس فخركم   بقتل صهر رسول الله بالسعد

أدرجتم في إهاب العير جثته   فبئس ما قدمت أيديكم لغد

أن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت   حجرا بدارة ملحوب بنو أسد

وطردوكم إلى الوديان من وجأ   طرد النعام إذا ما تاه في البلد

وقد أصاب شراحيلا أبا حنش   يوم الكلاب فما دافعتم بيد

ويوم قلتم لزيد وهو يقتلكم   قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد

وكل كندية قالت لجارتها   والدمع ينهل من مثنى ومن وحد

ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية   عن ثأره وصفات النؤي والوتد

القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق(1)

هو أبو عبد الرحمن تزوج بابنة عمه أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ورزق منها ولدا وبنتا هى « فروة » أو أم فروة تزوجها محمد الباقر « ابن زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنه » ، ورزق منها ابنه جعفر الصادق الذى كان يقول ولدنى أبو بكر الصديق مرتين . وكان يقال له عمود الشرف والعقب من محمد فى جعفر الصادق . وكان القاسم من سادات التابعين وفقهاء الشيعة بالمدينة المنورة . توفى بالمدينة سنة ١٠١ هـ وله من العمر اثنان وسبعون عاما . قال له عمر بن عبد العزيز عند وفاته : لو كان الأمر لى لوليت ميمون ابن مهران والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق(2) الذى كان يقول دائما فى سجوده « اللهم اغفر لأبى ذنبه فى عثمان » . وللقاسم أخ اسمه عبد الله ابن محمد ولكل منهما ذرية طيبة .

فى تاريخ قبيلة الملهيتكناب ذكرنا كثيرا عن هذا الرهط . والآن نبدأ بالفخذ الذى تفرع من الملهيتكناب وهم قبيلة العجيلاب أو الأملندة أو أخواتها البكرية الساكنة بخور بركة وسهول أراضى الحباب حتى مصوع وسواحل

---

(1) قيل أن على زين العابدين بن الحسين وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق أبناء ثلاثة أخوات من بنات يزدجر ملك فارس . قال الأصمعى ان هؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علما وحلما وصلاحا وورعا وفضلا .

(2) قيل أن محمدا لمس جسد أخته عائشة أم المؤمنين يوم الجمل ليتحقق من سلامتها . فقالت من هذا الذى يمس حرم رسول الله صلعم ، أحرقه الله بالنار . فقال لها : أنا محمد ، قولى نار الدنيا يا عائشة «وكانت مستجابة الدعاء» . فقالت فلتكن نار الدنيا . ولذلك شوى جسمه بالنار .

البحر الأحمر . ويتزعم هذا الرهط اليوم سكان منطقة عقيقاى . وقبـــل البدء بالعجيلاب نذكر هنا ما وجدناه مدوناً فى مذكرة لأخينا المرحوم إبراهيم ضرار عن محمد بن أبى بكر الصديق إذ جاء فيهـــا ما يلى عن سيدنا القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، (قال) فى وفيات الأعيان : هو أبو محمد القاسم ابن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ونسبه معروف فلا حاجة إلى رفعه . وكان من سادات التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة . وكان أفضل أهل زمانه . روى عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم، وروى عنه جماعة من كبار التابعين . قال يحيى ابن سعيد : ما أدركنا أحدا نفضله على القاسم بن محمد . وقال مالك : كان القاسم من فقهاء هذه الأمة . وقال محمد بن اسحق : جاء رجل إلى القاسم بن محمد . فقال أنت أعلم أم سالم ؟ فقال ذاك مبارك سالم . قال ابن اسحق : كره أن يقول هذا أعلم منى فيكذب، أو يقول أنا أعلم منه فيزكى نفسه . وكان القاسم أعلمهما .

وأن القاسم بن محمد والدته ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس .

وتوفى سنة احدى أو اثنتين ومائة ، وقيل سنة ثمان ، وقيل سنة اثنتى عشرة ومائة بقديد ، فقال كفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيهـا — قميصى وإزارى وردائى . فقال ابنه : يا أبت ألا تريد ثوبين ، فقال هكذا كفن أبو بكر فى ثلاثة أثواب والحى أحوج إلى الجديد من الميت . وكان عمره سبعين سنة أو اثنتين وسبعين سنة رضى الله عنه . قال أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى فى أخبار حجية بن المضرب : كان القاسم بن محمد بن أبى بكر يحدث . قال لما قتل معاوية بن خديج الكندى وعمرو بن العاص أبى (يعنى محمد بن أبى بكر الصديق بمصر) جاء عمى عبد الرحمن بن أبى بكر فاحتملنى

وأخذا لى من مصر ، فقدم بنا إلى المدينة ، فبعث إلينا عائشة فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها فما رأيت والدة قط ولا والدا أبر منها . اهـ .

وكما جاء عنه فى كتاب التشريع الإسلامى أنه قد (نشر علمها وأكثر من الرواية عنها ابن أخيها القاسم بن محمد بن أبى بكر) .

وقد ذكره عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة ضمن أقرانه الستة فى منظومته لدى محبوبته .

أحبك حباً لا يحبك مثله قريب ولا فى العالمين بعيد

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد

وحبك يا أم العلاء مقيمى شهيدى أبو بكر فذاك شهيد

ويعلم وجدى القاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد

ويعلم ما أخفى سليمان كله وخارجة يبدى بنا ويعيد

متى تسألى عما أقول فتخبرى فللحب عندى طارق وتليد

عجيلاب أو أملبدة

هذان الاسمان يطلقان على قبيلة واحدة تسكن سواحل البحر الأحمر وشرق سلسلة جبال البجة جنوب توكر وضواحى العقيق حتى سهول أرض الحباب ، وأحياناً تصل بقرب مصوع (تبدأ حدودها شمالا من جبل تقدرا إلى وادى وَقْمِ وبجوار مَشْخَليبتْ) . وهى تجاور عدة قبائل أشهرها « الحماسين » وحاسرى والحباب . وقد أنشأها الشيخ محمد بن ضرار بن بَلْتَقْوَا .

ويتألف من هذه القبيلة أكثر من سبع عشرة حصّية بعضها فى السودان .

ويتولى رئاستها (سنة ١٩٢٥ م) العمدة الشيخ محمد بن ضرار بن على شقيق كاتب هذه الأحرف . أما فى جهة مصوع فيرأسها الشيخ سليمان عبد الله فكاك شيك بن عجيل . وتوجد منهم فى خور بركة بأغردت أغلبية كبيرة أنشئت منها نظارة برئاسة عبد الله محمد فرتاى ووكيله السيد عمر آدم إدريس ومساعده الشيخ محمد قبر عبد الله والقاضى محمد إبراهيم منين ، كما أن مفتش حدود بنى عامر والحدندوة هو السيد عجيل عبد الرحمن العجيلانى . وفى السودان تفرعت من الأفلندة عموديتان إحداهما بالعقيق والثانية بكسلا .

ولنعد إلى منشىء القبيلة الأول الشيخ محمد ضرار فهو ينتمى إلى عائلة يقال لها « إيلت Eylat » أو إيلت من قبيلة ملهيتكناب القاش وأمه من الحدندوة (ويلعلياب)[1] كما أن والدة أبيه ضرار وعمته فضة هى من الجميلاب فرع عمراب (غير عمراب الفايداب بأركويت وسنكات[2]) . وكان محمد ضرار وأخوانه يسكنون مع قبيلتهم فى جهة تندلاى بالقاش . وهذا الرهط ينتسب إلى سيدنا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق (رضه) .

وحدث ذات يوم أن توفى رجل مشهور من القبيلة فحاولوا أن يأخذوا بعض الأبقار إلى المقبرة كما هى عادة القبائل بالبادية لذبحها لمن اشتركوا فى

---

(١) تجد العجيلاب دائما يسمون ويل على وباركوين ونور الدين ونصر الدين ومنين وجميل واشيادين وعلى طالب وسمرة ويضعون على ابلهم نفس وسم العميراب «كولى» على صفحة الرقبة اليمنى الا نحن آل ضرار فنضعها على اليسرى .

(٢) يجمعهم الوسم والنسب الأعلى .

الحفر والدفن ، فامتنعت البقر من السير معهم . فأشار أحدهم بأخذ ثلاث من أبقار محمد ضرار والسير بها (لأنها مطيعة وأليفة) . فنفذوا ذلك بدون أن يستشيروا صاحبها الغائب . فلما جاء شاهد أبقاره في غاية التعب ، فسأل عن الأسباب ، فقالت له بنت عمه بلقتوره[1] أن أبناء أعمامك ساقوا بها أبقاراً إلى المقابر ثم ردوها عاجزة من التعب كما ترى ولقد منعته ولكنه لم يكترث لكلامي ، ولم تجد من يدافع عنك لأن أمك أجنبية (من الهدندوة) . فاغتاظ من عمل أهله وساق الأبقار الثلاث إلى البئر لتشرب من الحوض ، فكان أول من تلقاه أخو الميت ، فمنعه الماء فقتله . فتكاثر عليه الملهيتكتاب وقتلوا أخاه سمرة بن ضرار . ودارت بينهم معركة قتل فيها من الملهيتكتاب ستة[2] واثنان من إخوان محمد ضرار وهما سمرة وعبد الله[3]) . فتدخل بين القاتلين السيقولاب حيرانهم . ورحل محمد ضرار ببقية أقاربه إلى أخواله الهدندوة مستجيراً فأجاروه سنتين[4] ، وبعدها تم الاتفاق بين الشيخ موسى ودا على (ناظر الهدندوة) ودقلل أكد بن ناصح (ناظر بنى عامر) على ترحيلهم إلى الأخير إذ تعهد بحمايتهم هم ومواشيهم ، فكانوا وحطاً ليس بالقليل . وأقاموا مع دقلل فى عاصمته « هوا شايت » . وبعد بقائه سنة فى حماية دقلل رحل إلى أرض الحباب لأنه بسبب إحدى أبقاره قتل عبداً لدقلل .

---

(١) قال السيد محمد عثمان تاج السر «ان الله فتح على بالرؤية الطيبة فى ليلة مبيتى بجوار قبر فضة المذكورة بأرض الحباب فى جهة «افلاق **Aflag** وقبرها تل هناك تسكن حوله قبائل رقبات وهى بكرية ايضا .

(٢) هذه رواية زعيم الملهيتكتاب الدينى الشيخ موسى الحسن .

(٣) الأول هو جد أبناء «حسن» والثانى جد أبناء موسى لى . والمجلاب يقولون أن القتلى أربعة اثنان منا واثنان من أبناء عمنا .

(٤) ولولا فضة لما كان هناك قتال كبير فانهم يروون عنها اعتبارها كل خطأ بسيط امتهان للكرامة والمسلم لايسكت على الذل والتحقير .

وأرسل معه دقلل رجلين من أتباعه كي يرشداه إلى الطريق [1] ، فرحلوا إلى القنوب عن طريق فَلَمكَت ، ثم رَحيب ، وهناك وجدوا دِقّ كَنْتِيبَاى حَبَاب ، فأكرموه ، فسكن فى جهة « إمبُوطِى وملوط » بجوار عائلات كثيرة من الأسْفَدَة وحملوا إليه صدور مواشيهم اعترافا منهم بأنه رئيسهم

ومرت بهم ذات يوم عصابة من الهجسة معها أبقار نهبتها من الحباب فاستخلصها محمد ضرار وأخوانه من العصابة ، وطلب منه كنتيباى أن يردها إليه بعد أن يأخذ نصفها ، فرفضت عمته فضة وقالت له لو قتلتك العصابة هل يصبح كنتيباى ابن أخى ؛ فرفض إرجاعها . ثم تزوج هو وأصحابه بنات من الأسفدة عقب انهزام العصابة التى عادت إلى توكر ولما سألوها عن غزوتها قال رئيسها « أفرَى دَه نمرى Afrai da nimri » أى وجدنا رجالا سيئين قاتلونا — فسميت القبيلة « أفْرَينْدَة » ثم حولت إلى أفْلَنْدَة ، وأطلقت على كل من يسكن مع العبيلاب أو الفهيتكناب تحت رئاسة الشيخ محمد بن ضرار وذريته من بعده .

واستخلص محمد ضرار أبقارا أخرى فأرسل إليه كنتيباى يطالبه بالعشر فرض بالشروط الآتية :

١ — أن يعترف كنتيباى برئاسة الشيخ محمد ضرار على القبائل التى تسكن معه .

---

(1) عند الوداع قال له دقلل «أنت لم تستطيع العيش مع اهلك الهيتكناب فكيف تريد المعيشة فى بنى عامر . فردت عليه فضة» ان عبدك ضرب بالسوط أمامى بقرة جدنا محمد ابن أبى بكر الصديق ولم يحترم جوارنا لك» .

٢ - أن يضم إليه كل عربي يأتيه أو يساكنه من عربان الحباب .

٣ — أن يعهد الشيخ محمد ضرار بأن يمنع العصابات من غزو الحباب .

فوافق كنتيباي على هذا ، ولذا كان أكثر الألمندة من أرض الحباب إلا الذين حضروا معه من القاش أمثال « أبلهيمان — ادارمان — فرد » — وبعضهم من أشراف اليمن ، أمثال آلاوت وأخواتهم [١] . وتكاثرت ذرية شاور وثور وموسى لى وضرار وعقيباي [٢] .

وسكن الشيخ محمد ضرار في جهة « أشداي » [٣] حتى أدركته الوفاة . وله قبر كبير ظاهر . وخلف عدة أولاد أكبرهم على الذي خلفه على الرئاسة [٤]

بعد وفاة الشيخ محمد ضرار جاء كنتيباي « نجاشي البحر » وعين ابن محمد ضرار على قبائل السهول وهو « الشيخ على بن محمد ضرار » وبقي كوالده ساكنا بسهول الحباب لأن جبالهم شديدة البرد لا تطيقها المواشي أو الناس . قيل أن الشيخ محمد ضرار لما سكنها مجاورا لكنتيباي أصيب وأخوانه ومواشيه بحميات وزكام فاستأذنوا في الرحيل إلى السهول بالسواحل .

قيل أن عصابة من مفسع " إرتريا غزت الألمندة ونهبت أبقارها ولكن أدركها الشيخ على ومعه شباب أهله واسترد منها الأبقار فلما وصلوا مكانا

---

(١) هم الذين طردوا قبائل بلين من عد وبنة .

(٢) هما ذرية ولدين من شموش اتبعا الرهط من هواشليت .

(٣) مشهور بالمرعى الخصيب .

(٤) جاء كنتيباي حباب واعترف له بالرئاسة وسلمه سيف المشيخة ويسمى «شافق Shafʼg » أى «مستعجل» .

يقال له « القعقا Algaata » ، ماتوا عطشا . فوجد جماعة من أبناء تمارياّم سيفه شارِق فأخذوه وأعطوه لزعيمهم . (وقد رأيته مع حفيده كنتيباى محمود بن محمد عسكر سنة ١٩٢٥م في امبيرمى) . وهو جميل وصقيل ومموه بالفضة فلما أعجبت به قال لي « يا ابن ضرار نحن وجدناه في الخلاء وقد قطع أرجل أبقارنا لأنه كان مدفونا » .

وخلف على من الأنجال عجيل وشقل (هم ذرية محمد جهو) .

العجيــــــلاب

الشيخ عجيل بن على

اسم قبيلة العجيلاب اشتق من اسم هذا الشيخ (عجيل) ، إذ أن شهرتهم بدأت في الظهور في عصره ، إذ وجد قبائل أخرى من الحباب تريد مزاحمته على سكنى السهول وهم أخوان كنتيباى الحباب ويقال لهم « بيت بحايلاى » . وانضمت تحت لوائهم أكبر قبائل السهول التي تسكنها العجيلاب ، فكانت الحرب بينهم سجالا ، ووقف كنتيباى على الحياد بين الفريقين (١) . فورث عجيل بن على كل أراضى بيت بحايلاى وقبائل « طهوونهو (ولفهو) » وكذلك سيوفهم الافرنجية — وفي أيام الشيخ عجيل بدأت سلطة بنى عامر في الظهور .

ولم يذق عجيل طعم الراحة إذ قضى أيامه في حروب ونزاع ومشاجرات .

---

(١) أوضحنا كل ذلك في تاريخ الحباب «بيت بحايلاى» .

وقد مات عجيل فى جبل سمى باسمه [١] . أوضحنا حروبه فى بيت معلا أيضا . وخلف عجيل بن على بنتا (اسمها فاطمة [٢]) وستة أولاد هم : جمع — نصر الدين — نور الدين — ها كين حبابای — على أبى طالب . وكلهم لهم ذرية إلا نور الدين .

ولما قضى الشيخ عجيل بن على على آخر من بقى من بيت بمايلای امتلك كل أراضيهم كما غنم سيوفهم الجيدة التى كانوا يشترونها من الصليبيين .

وللحسن بن ضرار من حسن قيح (الأحمر) ابن حبابای قصائد كثيرة كلها فى مدح جده ابن على ذكر فيها جميع مواقع القتال كما مدحه ابنه الشيخ جمع بن عجيل وقد رثاه أيضا .

---

(١) قتلته عصابة من بيت معلا بعد أن أدركته الشيخوخة برئاسة زعيمها الشيخ حمد حسال .

(٢) تزوجها قلايدوس من أسفدى حباب ، ورزق منها سبعة أنجال استولوا على نظارة أسفدى بالقوة ، وأطلق على كبيرهم «كنتيباى ناصح» «اقرأ تاريخ الحباب» يفصر من لايولد فى ذريتها من رؤساء الحباب .



نفيف من العجيلاب و الاعمدة أمام باب ضريح الشيخ محمد بن امبيرمى

١ ـــ السيد عثمان عبد القادر محمد بن على

٢ ـــ العمدة الشيخ محمد على سليمان عبد الله .

٣ ـ وكيل العمدة الشيخ موسى محمد عبد الله

عائلة محمد بن فرار بن بلتقوة الملهيتكنداي ويقال لهم "محيلاب"
أو تمرو أو آلمسدة.

- فرار
  - الشيخ محمد
    - الشيخ علي
      - الشيخ عجيل
        - فاطمة
        - نصر الدين
          - محمد عجيل
          - علي دباي
          - شاهد
          - محمد فرار
          - باركوين
        - نور الدين
        - الشيخ جمع
          - الشيخ جميل
          - الشيخ عجيل
          - الشيخ فرار
        - هاكين
        - علي أبي طالب
          - تكروراي
          - قريبته بأغردت.
        - محباباي
          - محمد
          - ذبيت
          - هركلة
          - مصر
          - علي
    - شلل
  - مرة
    - عيسى
      - حسن

"تابعين محافظة مدوع بأرتريا"

كان جمع أكبر أخوانه ولذلك تولى المشيخة عقب مقتل والده ، واندلعت نيران القتال بينه وبين بيت معلا حتى صفوا حسابهم مع بعض فى واقعة رحيب (تجد ذلك مفصلا فى بيت معلا) . والشيخ جمع هو أول من أعتنى بتربية الإبل وأنشأ « دقة أفلندة » وكان عصر جمع كله قتالا مع بيت معلا ، كما كان عصر والده مع بيت بخايلاى وذهب بسبب حرب جمع وحمد حسال « دقة أفلندة ودقة بيت معلا » إذ قضوا على إبل بعضهم البعض .

وكان الشيخ جمع شاعراً كبيراً لم يترك مكانا فى أرض بنى عامر والحباب إلا وتغنى به ووصف مراعيه وقتال قبائله . كما وأنه أول من سافر من مشايخ القندوب مع هاشرى ودقال وحمد حسال إلى « أربجى » عاصمة المبدلاب وزراء الفونج . ثم سافروا من هناك لتقديم الولاء لملك السلطنة الزرقاء ، ويقال له « الملك بادى أبو دقن » ونحن اقتبسنا رحلاته المذكورة من أشعاره كما أن له أشعارا فى الحماسة والغزل غاية فى الرقة . وأكثر من ذكر حروب والده مع بيت بخايلاى وحلفائها . ولم يسلم من شعره حتى ابن أخته الشيخ حمد حسال[1] وأمه من يولاب العجيلاب .

وأشهر القبائل التى كانت تحت رئاسة العجيلاب أو متألفة منها قبيلة أفلندة هى : أشمادة — أيلوسان — أدارمان قرد — ألاوت — أفوز — دوبعات

---

(١) قتله محمد نور كساب من روءساء ابلهمان افلندة اخذا بثأر عجيل بن على د يقول جمع لم اترك فى شعرى مخبأ لأرنب فى بلاد بركة أو مقدام الا وذكرتها فى قصائدى واصفا اياها بما اشتهر به من دبة سنالم الى توكر الى مصوع ثم الى الغرب حتى أغردت .

— بحا يلاى — حتكاب — وفيات — نور — شاوز — وايرا — عقيباى — دلكى — كنكنة — ميكال — رجلانة — عجيلاب — حسن عيسى — ندلاب — بولاب — بتبو — أثلين — . وقد رحلت ثلاثة أرباع هذه القبائل إلى إرتريا فى سنة ١٨٨٦م بسبب قلة الأمطار وسوء المراعى .

وبعد احتلال إيطاليا لارتريا لم يعد منهم إلا الخمس وبقيت الأغلبية فى خور بركة بأغردت والباقى فى شعب بمصوع .

قيل أن دقلل سأل الشيخ جمع عن حبه لبلاده مقدام السواحل ، فقال له إننى أحتفظ بثلاث حسنات لمقدام ، أولها هى حينما فقدنا الأمطار فى إحدى السنين اضطررت للهروب بالقبيلة إلى أقرب الجبال فى طلب المرعى بعد أن تركنا المواشى الهزيلة والدواب . وبعد سنتين رجعنا إلى عقيتاى « وطننا » فوجدنا كل تلك المواشى قد سمنت ووضعت وازدادت فأخذ كل مواشيه ودوابه وعلمنا ان المطر نزل بكثرة بعد رحيلنا فأنقذ تلك البهائم من موت محقق .

وثانيها مثل الأولى أصبنا بقحط شديد ورحلنا إلى خور بركة وأقمنا فيها حولا ثم عدنا وكنت قد سبقت القرى بجملى إذا بى أجد فى وسط منطقة عقيتاى جبلا أحمر جديدا لم أتركه بالمنطقة فدنوت منه وإذا به جبل من الذرة الأحمر فعلمت أن التجار أحضروه من القاش ولما لم يجدوا أحدا تركوه وملأوا شوالاتهم (وهى من الحصير) من الملح وعادوا إلى أهلهم فكانت هذه أيضا من حسنات عقيتاى ونعمة الله علينا .

وثالثها هى أن مرضا أصاب أبقارى فقضى عليها وإذا بى فجأة أجد فى

الصباح نحو أربعين بقرة كلها حمراء خلف منزلي قائمة ولا تزال ذريتها تسمى « قبيخ » باقية إلى اليوم .

وكانت القبائل تختار لرئاستها الشجاع والفارس فزار دقة المجهلاب السيد حامد أحمد نافعوتاى ونزل عند الشيخ جمع فأكرمه جدا فدعى جميع الرجال والنساء وقال لهم سأبارك لكم شيخكم هذا وأجلسه على سرير ثم غطاه بثوب كبير وسقاه لبن بقر وقال له أنت « شيخ الحليب » أي اللبن يكثر في عصرك ووضع الناس عليه أوراق شجرة خضراء ولا تزال هذه العادة مستمرة إلى اليوم .

أما بعد وفاته فكانت بيد عصابة من الهدندوة سرقت بعض الأبقار فقام خلفها هو وابناه سالم [1] وجميل خلف العصابة ومعهم بعض الشبان من الأفلندة فساروا قليلا فوجدوا رعايتها مقتولين [2] وكان جمع راكبا على جمله يتشد الأشعار ويتهم الهدندوة وخيل السكيلات والأرتيقة بنهب الأبقار فكانت آخر قصائده التائية التي مطلعها :

« إدى وَدْ جاور بقّالا حليلتو وقفروت » .

(وادى ود جاور ينبت فيه أشجار التمام والهجليج)

---

(1) لم يعقب .

(2) هما سندلاى وأكاته وقباد مطعونان في نحورهم وأصيب أيضا جميل ابن جمع بلسعة ثعبان فتخلف على مسافة من القتلى . وأصح الروايات أن سالم توفى بعد سنتين في توكر بالدية المسماة باسمه وهى التى التى قتل فيها جمع وأصحابه .

« ووَلّبي جمهل أرْوُءنى ووات لِيبّيْ إتْ بَرُوتْ » .

(أرونى ابنى جميل وبقرتى اللوبى بنت المتطلقة) .

« من دَبَةْ سالم وإنْسَوْ سِيرِ ع تِجبْباْ وِيثِي لاَ أُقَيلُوتْ » .

(محال على الرجوع دون بلوغ دبة سالم) .

« فاراَيْ مَطِينا سِجادُو إجِلْ حَسْلُوتْ » .

« ها هو جملى الكثير الفرار يقدم لى رقبته كى أضع عليها الرسن » .

ثم ذكر للناهل والمراعى مادحا محاسنها وطيب روائحها فى أيام الشتاء ثم اختتمها قائلا :

إجِلْ من جاَبْاتْ ردئيت ودَحَنْ أُقيلُوتْ

« سلامة الأياب غير مضمونة لمن يريد إدراك اللصوص ورد ماله » .

حداريتنا يوُلاتْ ملوك وَاتْ شَبَلوتْ

« خبروا نزيلتنا (صديقتنا) بنت شبلوت بكل ما جاء فى قصيدتنا هذه »

دَقنا تجيلاَلْ حاَمَانْ إبكُونْ وأبَردُوتْ

« ستردينا وترقص رقصة الموت (وهو البطىء الخالى من السرعة) .

أقهَا حَليب عَبَاسِيتْ شيلاَيْ لدُول مُحَلّبوتْ

« بكتنى بفمها الذى يشبه لبن الناقة النابع البياض المحلوب حديثا »

ونكتفى بهذا القدر منها .

وأصيب جمع بعدة حراب فى صدره وجانبيه تركزت فيه فعاقته عن السقوط وبقى كأنه قنفذ من كثرة الحراب ولم يعد من أصحابه إلا تسعة أنفار .

وكانت العصابة تشك فى موته ، فجاءتهم امرأة وقالت لهم إنه ميت . وفعلا نزعت منه بعض الرماح فوقع كالطود الشامخ لضخامة جسمه ، وأخذوا منه السيف واقتسموا الأبقار ، وهذا السيف اشتراه الشيخ جمع من ابن غارى (من ملوك قدماء اليَلَوْ) ، ثم سمى باسمه « سيف جمع » ، ثم أهدته العصابة لناظر الهدندوة الذى أهداه لناظر بنى عامر ، والأخير أعطاه لناظر الحباب وإلى اليوم باق مع كنتيباى عثمان هداد إذ اشتراه من أبناء فكاك بن هداد.

ولجمع ثلاثة أبناء هم : جميل وأمه من أبناء عمير — قلاى . وسمرة وأمه من أسقدة (اشمادة) ، وسالم لم يعقب . وارتحلت القبيلة إلى دبة سالم لاقامة المأتم ثلاث سنوات ، ثم جاء دقلل فى الشتاء وتأسف لموت الشيخ جمع الذى تبرأت القبائل المتهمة من الاشتراك فى قتله ، ولكن حفيده الشيخ عجيل الذى كان يغزو ضواحى سواكن أخذ بثأره من قاتليه .

الشيخ جميل بن جمع

بعد أن أفاق من لسعة الثعبان عاد إلى أهله ولزم منزله أسبوعا « كعادة الملسوع » فلما شفى انتخبته القبيلة رئيسا لها . وحدث بينه وبين أخيه سمرة [1] اختلاف فى تقسيم الميراث فطعن الأخير الأول فقتله . وجاء ابنه جميل بن عجيل فقتل سمرة . وكان جميل يقول أن التنكير اب قتلوا والدى جمع بن عجيل .

---

(١) يسكن بالعقيق رجل من ذريته ووجدت اثنين ايضا فى اسمرة .

الشيخ عجيل بن جميل

تولى رئاسة العجيلاب والأطلندة بموافقة السيد الأمين حامد أحمد تاقُمُوتَاى . . ولم ينس عجيل ثأر جده جمع . فحالما ملك زمام القبيلة استعد لغزو التنكيراب بقرب تَأمَاى وسَلمات ولكنهم سمعوا باستعداده ، فغزوه قبل أن يغزوهم . فنهبوا قرية هرفة بن نصر الدين وقتلوا رعاة إبله وبقره ، وعادوا بها إلى « شبه » ، فأدركهم الشيخ عجيل بن جميل واسترد منهم كل ما وجده عندهم . وقد ذكر كل ذلك فى قصيدته التى يقول فيها :

« شَبَهْ جُرُوبْ دَسَقْنَا دبت فيشوب ألقينا » .

(نهبنا جبل شَبَه القصير أخذا بثأر قرية ألقينا) .

« أدِّينا بلَسْنَا وإبْ أدِّيمْ أتينا » .

(استرددنا ما نهبوه منّا ونهبنا أموالهم التى وجدناها) .

« سَمَتْ جِيُ مِتى سَمَتْ جوكت إلا عويقنا » .

(فهل سمعت جوخت « صديقته » بانتصاراتنا هذه) .

وهى طويلة ، واشتهر عجيل بكثرة بنيه [1] وتأليف العصابات فينهبون توكر وما حولها ومصوع وضواحيها . ثم يقتتلون عند تقسيم الغنائم كما حدث بين ولده : ودل على [2] وابن عمه محمد باركوين بن على أبى طالب .

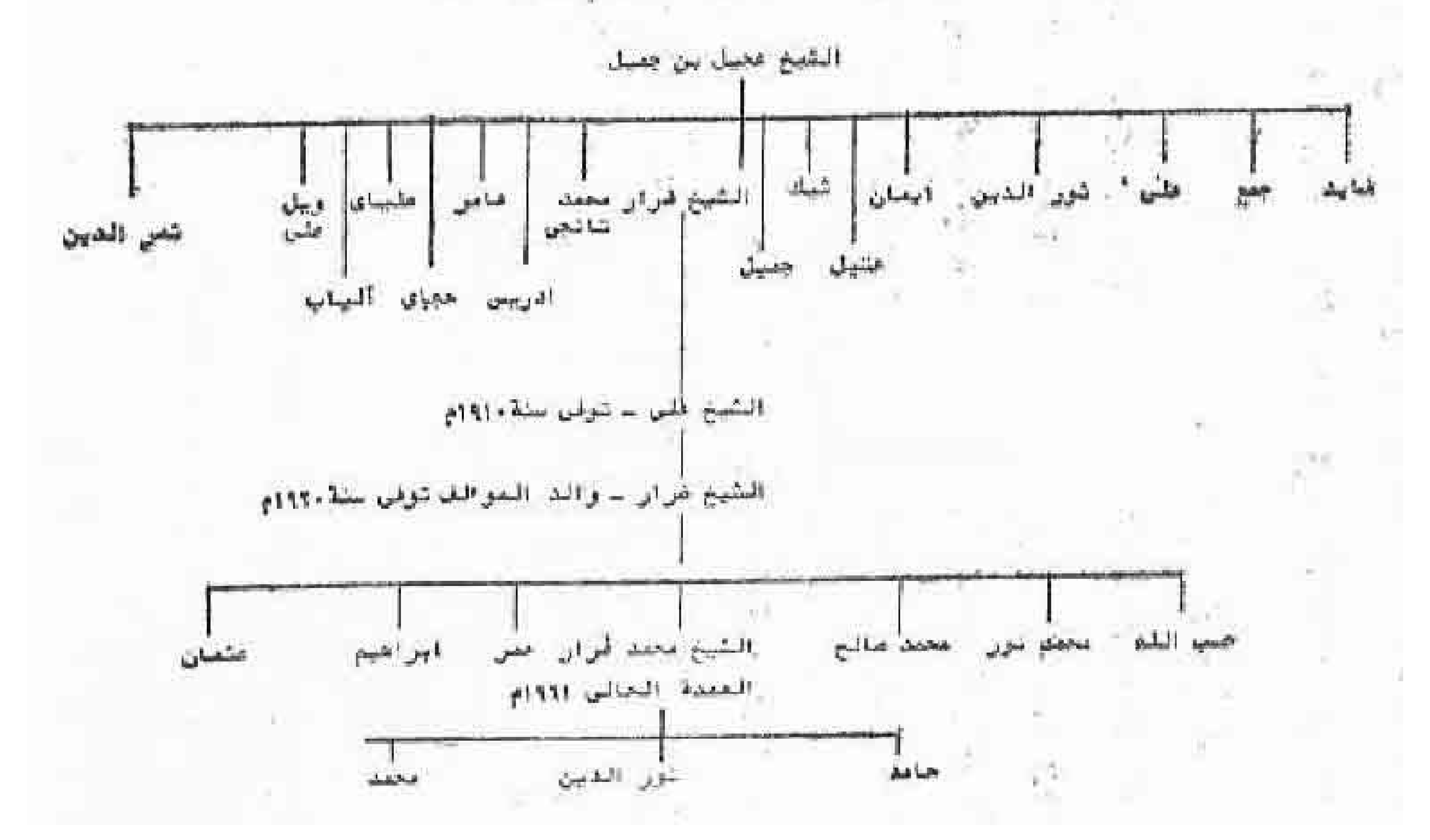
والعجيلاب لا يغزون إلا للثأر ولا يعدون الاعتداء أو القتال إلا فى ديارهم أو مواشيهم أو مياههم . وتوفى عجيل جميل عند أول الحكم التركى سنة ١٨٢٠م .

---

(١) كان له سبعة عشر ولدا .

(٢) هو ابن نصر الدين بن عجيل . نهب مرة أبقارا كثيرة من ضواحى توكر لا يمكن حصرها فى «تارو» سنة ثم أحضرها .

ذرية الشيخ عجيل بن جعيل بن وديع بن عجيل بن علي بن محمد بن فرار



الشيخ ضرار بن عجيل

بعد وفاة والده وجد نفسه أمام خصوم أشداء وأبناء عمومة أقوياء وأغنياء وهم سبعة أبناء : على طالب بن عجيل ، ومثلهم من أبناء حباباى بن عجيل، ومثلهم من أبناء نصر الدين ابن عجيل، وكل منهم كثير الأمل فى نيل المشيخة إذ كان عميد العامريين « الشيخ موسى زقرقيم » من أكبر خصومه ، وله أصدقاء وأقارب فى دقة دقال مع ناظر بنى عامر يعتمد عليهم ، خصوصا صديقه دقال « أوليّاب » ولم يكن للشيخ ضرار صديق غير السيد على بن السيد الأمين ابن الشيخ حامد ومحمد بن أ كد عامرى فلما مات الشيخ عجيل حضر الأخيران بقبائلهما ووليا العمودية للشيخ ضرار بن عجيل .

وبعد سنتين حضر دقال أوليّاب بكل بنى عامر فى عيدب وطلب حضور الشيخ ضرار بن عجيل وقال له أنت أرسلت عيسى هاسا إلى سواكن وأوقعت الفتنة بين الوبلاعكليّاب والسمرّار بسبب مقتل أخيك ولذلك لا يمكننى أن أتعاون معك وسأعين بدلك تكروراى بن على أبى طالب عجيل[1] فقال له القبائل لا نقبله وافترقوا .

وفى أيام ضرار غزا الكميلاب والسمرأر « يخياله » قرى أخوانه فقتل أربعة من العجيلاب أبناء عم ضرار وثلاثة من أخوانه كان القصاص فيها من الفرقتين عاليا ومساوياً لما قتل من العجيلاب ، وبعدها أخذوا العهود من بعضهم وتمت مصاهرتهم لبعض ، وترك جدى على ضرار رهينة عند أهل توكر لمدة

---

(1) قال حميراى بن محمود وهو من الافلندة لانتقبل غير ضرار وسنوبخك ونتفارقك الى مصوع .

ثلاث سنوات ، ثم امتنع الفريقان عن نهب بعضهما البعض إلى يومنا هذا بسبب المصاهرة مع المذكورين والأرتيقة أيضا . ولما حانت وفاة الشيخ ضرار ابن عجيل سألوه أين تحب أن ندفنك ، فقال فى قَرُورة . ولا يزال قبره بجوار نقطة البوايس هناك[1] .

الشيخ نور الدين ضرار

تولى العمودية بعد وفاة والده ولم يعش فيها أكثر من ست سنوات ثم أصيب بحمى ملاريا أخذها من زيارة لكسلا بعد اجتماع جمعية « جُور رجب » .

كان يزاحمه على الرئاسة ابن عمه فكاك بن شيك بن عجيل ولكن فاز نور الدين بالأغلبية ويوم ولايته جاءت المواشى والأغنام فى السماء صغارها وكبارها تحلب لبناً . وحزن الجميع لوفاته . وخلف نور الدين خمسة أنجال هم « عجيل وحاج وحامد ومحمد على وصالح » وخلف أخوه محمد بن ضرار ثلاثة أنجال هم : نايد ومحمد وسليمان - أما عجيل ضرار فقد ترك ذرية وكذلك إدريس ومحمد ، أما جميل وجلاديوس فلم يعقبا .

وفى أيامه حاولت عصابة برئاسة جماعة من الحاسريين مع أهل تو كر نهب أبقار العجيلاب فأدركوها عندما وصلت عَدُوبَنَة وبعد قتال مرير استردوا منها أبقارهم وهى آخر واقعة إذ ظهر الحكم التركى بعدها .

---

(1) خلف ثمانية أولاد مات منهم قبله ادريس وجلايدوس وعجيل وجميل ومحمد وعاش بعده نور الدين وعلى ومحمد والأخيران ماتا سنة ١٩١١ م ولقد أنجبت منهما كثيرا . وكل ذرية ضرار بالسودان الا واحد من ابناء عجيل ضرار بارتريا .

الشيخ على بن ضرار

هو المشهور بإسم « على بانقى » تولى الرئاسة بعقب وفاة أخيه الشيخ نور الدين ضرار وقد حضر توليه السيد أبو بكر الأمين . وكان فى صفة أبناء عمه « محمد عيون وحمد » وجمع أبناء شيك بن عجيل ولكنهم لم يصبروا على وده فحاربوه كى يولوا أخاهم فكاك بن شيك ، ومراراً ماحاولوا قتله[1] .
ثم ارتحلوا من عقيتاى وسكنوا بقرب مصوع . وفجأة بعد خمس سنين حضروا لنهب أموال أهل عقيتاى أبناء حمد ومنهم فى جبل حَيَت وداربينهم القتال ، فقتل حِرِبْ إبن عمه حامد محمد عباد وقتل حسن قياد حِرِبْ ، فقال لهم نصر الدين وعل على ونور الدين محمد ضرار إذا لم توقفوا القتال سننضم لجماعة حِرِبْ[2] ، فنحن وآل حرب نسمى ذرية جم إبن عجيل ، وحامد محمد عباد هم أبناء نصر الدين بن عجيل وذرية حرب وأهله وخصومه يسكنون فى إرتريا ، إلا رجل واحد منهم بعقيتاى . وبعض من ذرية نصر الدين أيضا يسكنون هنا بالسودان .

ولم يسلم الحبلاب من غزو الأحباش بإرتريا فقتل منهم نحو عشرين رجلا ، فأرسل الشيخ على ضرار فى أحضارهم فأقاموا سنين ، ثم ارتحلوا ثانية إلى مصوع وبقوا بها إلى اليوم ، ومنهم كثيرون من أبناء حسن ونصر الدين وحباباى ووازراء حتى كانت المهدية فى شرق السودان وجاء الأمير عثمان دقنة

---

(١) كان عدد شبابهم لايقل عن أربعين شابا مسلحين ازعجوا كل قبائل الحباب بل كل أهل ارتريا السواحل حتى منسع والبلين وشوما خصوصا فارشهم حرب (عبد القادر ابن فكاك) واخوانه السبعة .

(٢) كانت جرحاهم كثيرة وهم اقرب رحما بالمذكورين .

حاملا على كل إقليم البجة حتى مصوع ، فبايعته القبائل البنى عامرية والذين فى ضواحى الحباب ومصوع والأحباش . وترك كل عمدة ابنه رهينة[1] .

فى أيام الشيخ على ضرار بدأت هجرة الرشايدة من سواحل جزيرة العرب الشرقية سنة ١٨١٩ م وكانت لاتبرح السواحل فطردها علاء الدين باشا من أرض الحباب لقتلها جماعة من عمروى وأمرها بأن تعيش شمال محمد قول والشيخ برغوت وحـــلايب . وها هى اليوم قد وصلت أرض البطانة والدامرى[2] .

توفى جدى الشيخ على ضرار فى سنة ١٩١٠م وخلف اثنى عشر ولداً هم : والدى « أكبرهم الشيخ ضرار » ونور الدين وحامد ومحمد نور وحامد شيخاى ومحمد نور وعمر ويوسف وحسين وحسن وإدريس وإبراهيم ولـكل منهم ذرية ماعدا محمد نور وحامد شيخاى .

الشيخ ضرار بن على

تولى الرئاسة بعد والده وكساه السيد نافع أبو بكر والسيد محمود أبو بكر . كان صديقاً مخلصاً للسيد محمد عثمان تاج السر منذ ١٨٧١ م ولآل الشيخ محمد ابن على خصوصاً الشيخ عبد القادر وأنجاله فأن مودتنا لهم وراثية إلى اليوم فأنهم يسكنون بأمبيرى مصوع منقطعين للعبادة والتفقه فى الدين الحنيف .

---

(١) كان الرهينة عمى محمد نور على ضرار وعنه اخذت الوقائع حول ســـواكن .

(٢) للمجيلاب مقابر خاصة فى صفحة جبل «قنت» بجوار قبر الشيخ ابراهيم ادريس الفايدابى دفن جدى الشيخ على ضرار ووالدى واخوانه وبجوارهم مقابر الهاسريين والحباب وبجوار هذه المقابر تمر السيارات من والى تركر وقرورة .

ولما جاء الأمير عثمان دقنة وفد عليـــه الوالد مع مشايخ بنى عامر وبايعه واحتفظ ببيعته هو وأكد موسى وإدريس محمد[1] وفى سنة ١٩٢٠ م أصيب والدى بالتهاب رئوى توفى به وهو ابن ثمانين عاما[2] .

كانت لجدى سفينة وأخرى لأبناء داخلة (فرد) وثالثة لابن عمهم إبراهيم عروض ورابعة لأبناء شمـودة بن مرساى وكلهم من الأفلندة ومعهم سنبوك اسمه مبروك تملق عبد اللطيف علد الرحيم « بهدور » رحلت عليهـــا كل العجيلاب والأفلندة إلى جزيرة ابن عباس سنة ١٣٠٦ هـ ولما جاءت الأمطار بعد ستة شهور رجعوا إلى ديارهم .

قتل الرشايدة بالرصاص ثلاثة من أبناء على أبى طالب نصر الدين عجيل فاتصل والدى بكنتيباى حسن حداد وكانوا قد قتلوا معه جماعة من أبناء حمدوى سنة ١٨٧٤ م . أما كيفية ذلك فقد كانت عائلة محمود دقة حمدوى مجاورة للرشايدة عائلة « زنهات » فسار بعير رشيدى خلف أغنـام إدريس محمود دقة إلى القرية ، فلما جاء الليل ذبحه الحباب وأكلوه . وفى الصباح جاء صاحبه « عايد بن جلاّف » فوقف على محل الذبح[3] فشاهد الدم فالتفت يمنه ويسرة ،[4] فلم يجد أمامه إلا الأغنام فاستاقها أمامه ، وإذا برجل يقال له على

---

(١) هم رؤساء القبائل الكبرى فى بنى عامر تولكر «عجيلاب وهاسرى وبيت معلا» .

(٢) كان والدي قد أعد هذه السفينة لتهريب الامير عثمان دقنة الى جدة سنة ١٩٠٠ م ولكنه سجن وحجز السنبوك بسواكن . ولم يطلق سراحه الا بعد قبض الامير وسفره لمصر .

(٣) قيل أن هذه القرية سميت بميرا غير هذا .

(٤) كان معه رشيديان .

كليب إدريس محمود دقة يصيح بأعلى صوته مستنجدا بالحباب ، فأدركه الحباب فى قلب سقلا ، فأطلق الرشايدة عليهم الرصاص فأصيب إدريس محمود دقة[1] وابنه موسى ودرب بن طاهة الأفلنذى ، وشاب من دوبعات . فوجد أخوه سليمان ثلاثة من الرشايدة فدعاهم لشرب القهوة ، ثم غافلهم وضرب أحدهم بفأس على رأسه فقتله ، فهرب الإثنان منه فدفن قتيله . وفى اليوم التالى نبشوه إخوانه ودفنوه من مكان آخر وقرب القاتل بأغنامه . فهربت قبائل الرشايدة من أرض الحباب واستجارت بالمجيلاب . فقال لهم الوالد نجيركم لمدة أسبوع إذ ليست لنا قدرة على قبائل الحباب وعصاباتهم[2] . فلما انتهى نادى مناديهم « بكرة شادين يا رشايدة . ومن لم يشد فدمه فى جنبه » . فشدوا رحالهم . ولكن الحباب أدركوهم وأوقعوا فيهم القتل والذبح ومعهم أبو بكر على أبى طالب المجيلابى يأخذ بثأر أخوانه ويختفى العصابات نهارا بمنازل المجيلاب . فقال لهم الوالد والشيخ أحمد موسى إذا لم ترحلوا إلى هيقباى فأن الحباب لا يتركونكم أبدا[3] .

---

(1) أصابه عايد فى جبهته .

(2) اخذ ابن عمه بثاره مع عصابات الحباب . الرشايدة لايقاتلون الا نهارا وبالرصاص قال ردئى بن حدوت وكان يقاتلهم مع عصابات الحباب «الرشايدة اذا اظلم الليل لا يتحركون ابدا ولو نودوا بأسمائهم للنجدة لايردون» .

(3) وصف محمد بن كنتيباى اداد كل اعمال العصابات فى اشعاره . ومحمد هذا شاعر مغلق لم يتبعه غير ابو بكر بن طراى ، وكان الاول يدافع من الهاسريين ، والثانى يميره بما فعله الهاسريون من سوء الفعال مع الحباب .

فى قتـال الهامريين والملاويين التزم العجيلاب الحياد التام[1] ولذلك استياء منهم حامد محمد أوَلّ الهامرى وعير العجيلاب بتخلفهم عن نصرتهم ، وهم يردون عليه ، يكفيكم اتخاذ الرشايدة إخواناً لـكم . مات شجعانكم ولم تقتلوا إلا ثلاثة من الملاويين فقط وهم قتلوا أضعاف هذا العدد من خياركم .

ومن مآثر الوالد إعادة تربيـة الإبل وزراعة أراضى كِرْ كِرْ وبلاتات . وماء وادى عقيتاى حلو ولذيذ لا يمكن مقارنته بأى ماء آخر .

الشيخ محمد بن ضرار

تولى المشيخة عقب وفاة والده فى ديسمبر ١٩٢٠ م وكان عهده ميمـونا حتى كانت سنة ١٩٢٥م فكثرت الأمطار والسيول وعزوا جميع أراضى كِرْ كِرْ وبلاتات حتى قرب عقيتاى ، فعلم أن الهامريين والحباب أبرموا اتفاقاً لقتال العجيلاب بالرصاص[2] إذا منعوا مواشيهم من كل الأراضى المزروعة . وسمع جماعة من الرشايدة بأن القتال بدأ بين خصومهم القـدامى والعجيلاب فباعوا للآخرين عشرين بندقية مع كل واحدة خمسين رصاصة وكلها من النوع القصير بسعر جنيهين . فحضرتُ بالبر من مدوع سنة ١٩٢٥م ووجدتُ القوم مدججين بالأسلحة النارية ، فتأخر الهامريون عن كنتيباى والحباب ، فاصطدم الأخيرون بالعجيلاب وانطلق الرصاص من كل الأراضى المزروعة . ولما جاء الهامريون للقتال صباحاً اختلفوا فعادوا مقتفين أثر الحباب إلى جهة « دِرْتِتْ وعدْ وبَنَة » وبعد أيام وصل مفتش توكر للـمر

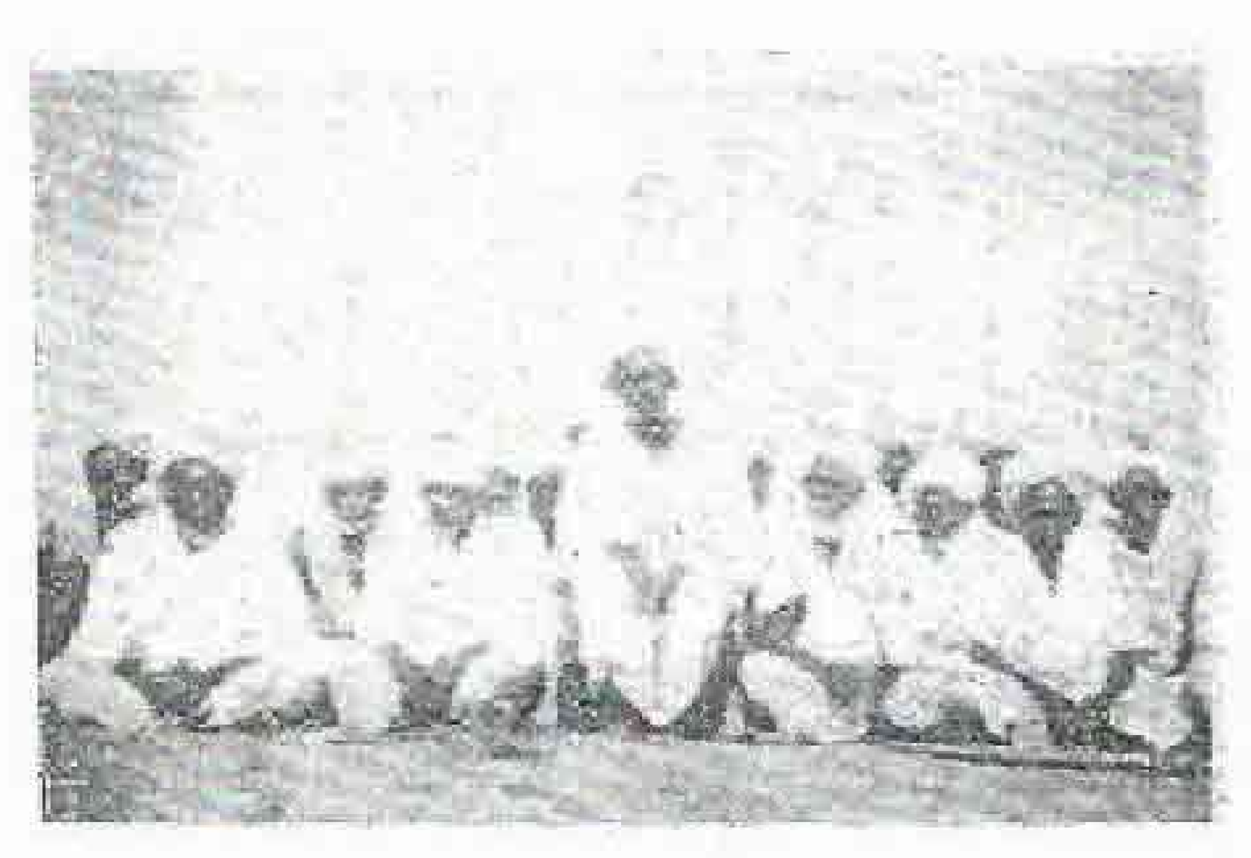
---

(1) كان فى العجيلاب أكثر من ثلاثمائة شـاب يوم قتال هذين الفريقين .

(2) كان عند كنتيباى محمود بعض البنادق والرصاص .

اسكوت G C Scott ومعه الشريف الحسن أبو الحسن ، وعمل حدوداً بين العجيلاب والهامربيين جهة « جديف » ومد سلكاً على الأعمدة الفاصلة بينهما ، وقال للحباب ليس لكم هنا أرض إذ ربما تعودون يوماً إلى اريتريا .

وأحضر الشيخ محمد ضرار ثلاثة من الخيل كما تواطئ بالمنطقة



(١) الشيخ محمد ضرار على العمدة

(٢) الشيخ نور الدين محمد ضرار الوكيل

(٣) الشيخ إدريس على ضرار بين افيف من مشايخ العجيلاب

مما يكتسب تعداد الذكر فى صحيفة الشيخ محمد بن ضرار منحه لجميع العربان التابعين له ولأقاربه من العجيلاب الحرية التامة وحق التصرف فى أموالهم ومواشيهم ، بل كانوا يعيشون بين رؤسائهم كالمستعبدين والمستعمرين ، فقسمهم إلى حصص وعين على كل حصة رئيساً عليهم لتحصيل الجزية ، وصرف التموين وتوزيعه عليهم . وكذلك فى سنة ١٩٤٢م قاسينا من عمله هذا الانجاب ثم أهله العجيلاب ، ثم بيت أسقدى حباب . فاجتهد المستبدون فى تأليب هؤلاء المساكين ضده حتى كانت سنة ١٩٤٧م « مارس » فنجحت مبادئه واعتنقها

العقلاء من رجال القبائل البنى عامرية والحباب ية وقدموا عرائض للحكومة مطالبين بالحرية من نير استبداد المذكورين ، فتم لهم كل ذلك رغم تهديد رجال هاتين القبيلتين .

كما وأن الشيخ محمد ضرار هو أول من نادى باستقلال السودان من الحكم الثنائى .

فى يوم العشرين من شوال سنة ١٣٨١هـ الموافق الاثنين ٢٦ مارس ١٩٦٢م انتقل إلى الدار الآخرة أخى الشيخ محمد بن ضرار بن على عمدة عموم العجيلاب ودفن فى قبنت حيث مقابر الأجداد بعد حياة قضاها فى نضال حتى رفع شأن العجيلاب . وكان عمره ٩٤ عاما يوم وفاته عليه رحمة الله .



عمدة العجيلاب بالسودان

الشيخ محمد بن ضرار بن على بن ضرار

العجيـــــلاب

الشيخ محمد بن ضرار

الحدود الفاصلة بين العجيلاب والهاسريين

جبل حليباي

قرورة

وادي ملعب

كركر

جبل ربيك

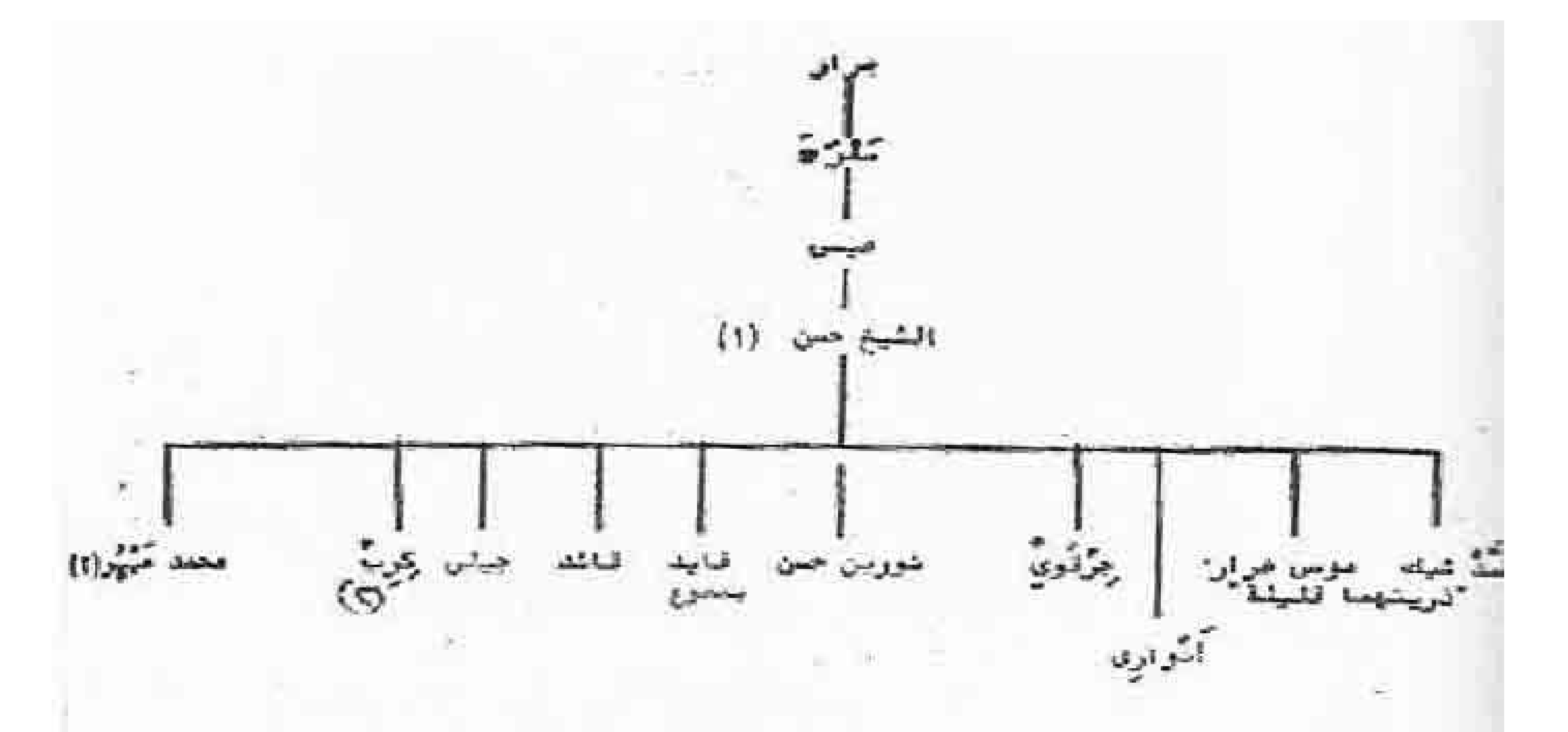
قرية ميترية

درزتين

طريق اللواري

أراضي العجيـــــلاب

جبل أتراب



غالبيتهم من السودان

الشيخ نور الدين محمد ضرار

بصفته أكبر أبناء المرحوم سنا وزعيم خشم بيت الشيخ ضرار بن على ابن ضرار بن عجيل وافقت القبائل المجاورة له وعمدها على ولايته منصب أبيه فألقيت مقاليد أمور منطقة عقيتاى على عاتقه .

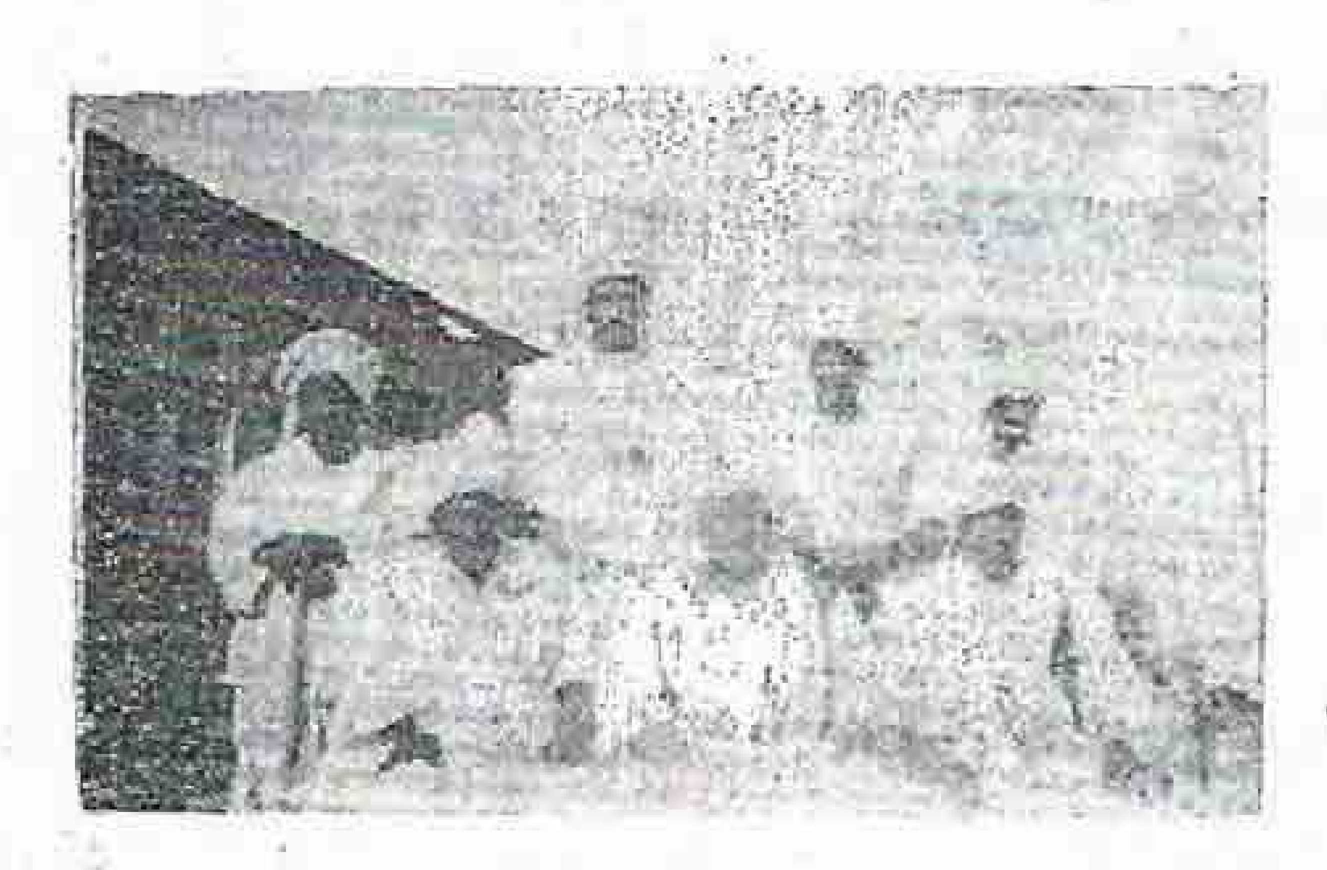
ولقد وصلت بعد الوفاة بأيام (ثلاثة) وحضرت الاحتفال بانتخابه وكسوته. ولا بأس أن يذكر الأنظمة المتبعة عند بعض قبائل « إقليم البجة » فى ولاية العمودية فى العصور الإسلاميه أى بعد القرن السابع عشر للميلاد وهذا النظام عمل به بعد عودة المشايخ الأربعة إلى أهليهم وهم : الشيخ حامد بن أحمد

---

(1) تولى رئاسة العجيلاب والأفلندة لصغر عجيل بن على بن محمد بن ضرار ثم تولاها بعده الأخير .

(2) من ذرية أبناء مسمرة وأبناء سميرة ومحمد جهر بأغردت .

نافموتاى « نفيداب »[1] والشيخ عبدالله أبوالرايات الحلنقى « عليه قبة جميلة بغرب كسلا » والشيخ محمد بن فايدبن فايد بن أبى الحسن الشاذلى[2] ، والشيخ عبد الله العرنى بأبى حراز (جد العركيين) ، والذين اشتركوا فى تنصيب الشيخ نورالدين محمد ضرار هم أحفاد الثلاثة الأول - وسنوضح للقراء ماحدث أمامنا من الطقوس والتقاليد .



١ - الشيخ حامد نوراى ناظر بيت عوض بارتريا

٢ - الشيخ نور الدين محمد ضرار وكيل عمودية العجيلاب بالسودان

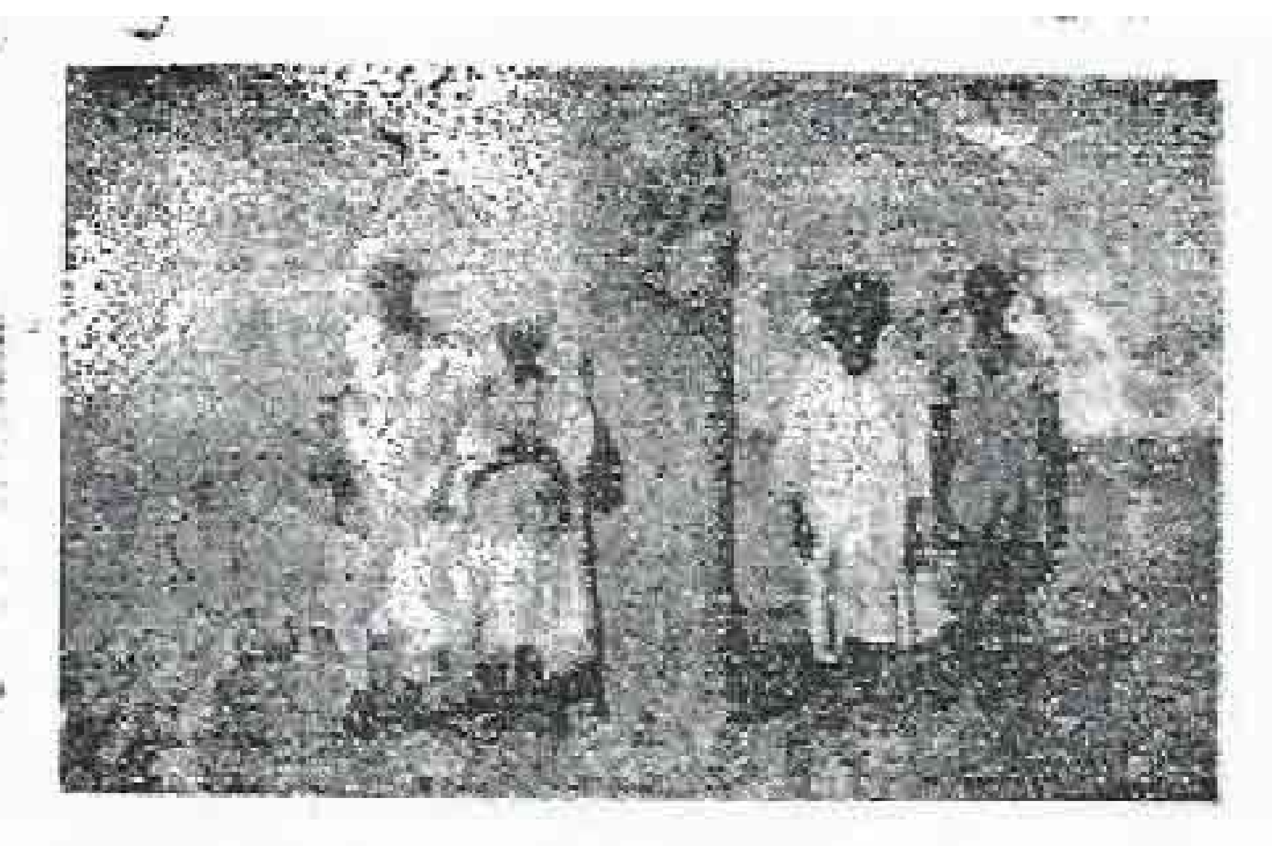
٣ - الشيخ على حسب الله نور الدين باشكاتب عمودية العجيلاب

٤ - الشيخ محمود محمد على وكيل عمودية بيت عوض بالسودان .

---

(١) توفى بجدة ويلقب بالشيخ الأسد وهو شقيق الشيخ ادريس أبومحمدين المتوفى بنهر عطبرة وعليه قبة وهو جد النفيداب .

(٢) توفى بجهة دقة دقلل «ناظر بنى عامر باغردت» وهؤلاء الأربعة درسوا معا كافة العلوم الدينية ثم عادوا الى أهليهم «اقرأ طبقات ود ضيف الله»



١ ـ الشيخ نور الدين محمد ضرار وكيل عمودية العجيلاب ورفقاؤه أمام قبر الشيخ عيسى درهيب

(تولى العمودية بالبجة)

توجد لدى بعض قبائل بنى عامر أنظمة خاصة تقيمها بعض طقوس دينية وعادات تقليدية فى غاية الدقة عند تولية عمدة حديث للقبيلة . وقد شاهدت هذه التقاليد حين ولاية والدى على قبيلتى العجيلاب والأملندة ثم ولاية الأخ المرحوم محمد ضرار على .

فقبل ولاية الوالد ضرار على لم تكن لدينا آبار غزيرة للمياه إلا تلك الشحيحة بأعلى وادى شاكات وقرورة ، فوضع « يوم ولايته » على إناء ماء وآخر لبن إبل فنبت المياه من وادى عقيتاى وبقرب ساحل البحر الأحمر المالح واعتنت القبائل بتربية الإبل . ولما تولى الشيخ محمد ضرار وضع يده فى إناء مملوء بلبن البقر وآخر بالدخن ، فأصبحت مناطق عقيتاى وبلانات وكركون صالحة للزراعة . فلما انتقل العمدة الأخير إلى جوار ربه يوم الإثنين مساء

٢٠ شوال ١٣٨١ هـ الموافق ٢٦/٤/١٩٦٢ ودفن فى مقابر أجداده فى قِنِّت Ginat والمقابر هناك « طريق السيارات بين توكر وفرورة غربا وشمال عقيترية » وقد سبقتهم إليها قبيلة النابتاب « رهط ناظر بنى عامر » والرقبات البكرية ، فلما انتهوا من الدفن وبناء قبر العمدة الراحل[1] وأدركتهم قبائل مجاورة حضروا جميعهم إلى الفراش فى عقيتاى وحضر السادة آل نافع أبوبكر ومحمود إبراهيم وآل حاج أحمد التيجانى والأشراف آل الشيخ محمد فايد الشاذلى وآل على كرار البكرية والرشايدة آل عدوق ورويدى رهط الشيخ سليم محمد والسادة البهدور (أهل العقيق وعدوبنة وجزيرة ابن عباس) وحددوا يوما لانتخاب العمدة الجديد .

قال الشيخ محمد إدريس حميد النابتاب « أيها المجيلاب أراكم تستعجلون انتخاب عمدتكم ولكننا نحن من القبائل الأخرى والزعماء الدينيين قررنا باتفاق على أن نبدأ اختياره فى آخر يوم أربعاء من شهر شوال[2] سنة ١٣٨١هـ (٤/٤/١٩٦٢ م) . فرد عليه فضيلة العلامة الشيخ سليمان على كرار[3] نحن

---

(١) تبنى قبور السيد والزعماء بشكل دائرة قطرها عشرة أمتار وارتفاعها متر واحد بنظام هندسى جميل - سألنى احد الالمان وقد جاء ليتعرف عن أسباب كبر مساحة الدائرة وحفر القبر فى الوسط فاخبرته بأنهم ربما أدخلوا اليه بعض أقاربه عند وفاتهم .

(٢) الموافق ٢٩ شوال ، الاعتقاد السائد فى قبائل بنى عامر أن أى شيء جديد يبدأ به فى آخر أربعاء من كل شهر عربى لايتغير حتى ينتقل صاحبه الى الدار الآخرة .

(٣) عمدة قبيلة رقبات فهو من اكبر علماء بنى عامر والحباب .

اليوم نوافق على كل ما أجمعت عليه القبائل الأخرى . فقال له الشيخ محمود حسن حيُوتاى وابن أخيه نصيب حامد شيخاى (كلاهما من ذرية الشيخ محمد بن فايد بن الشريف أبو الحسن الشاذلى)[1] ، ثم تكلم السيد موسى بدوى حمد ، نحن حضرنا إلى اتفاق على تولية الشيخ نور الدين بن المرحوم العمدة الراحل الشيخ محمد ضرار على ، وهو كفء ، وقد كان وكيلا وممثلا لوالده أكثر من ثلاثين عاما ، واشتهر فيها بالحزم والكرم . وحضر السيد محمد بن حاج أحمد التيجانى والسيد محمد محمود إبراهيم والسيد بشير محمد عثمان (وقالوا) نحن فى انتظار حضور أبناء السيد عمر بن نافع بن أبى بكر وان يكون حضورهم قبل يوم اثنين من شهر ذى القعدة سنة ١٣٨١ هـ ، ووافق مشايخ حصص العجيلاب وزعماؤهم وأصحاب المسئولية منهم على تولية نور الدين خلفاً لوالده وانتظار آل نافع أبو بكر لأن تقاليد ولاية عمودية العجيلاب بدأت من أيام جدهم الشيخ حامد أحمد نافعوتاى « تقيداى » إذ كسا العمده الشيخ جمع بن عجيول بن على ثم أصبحت من الطقوس المهمة والعادات التى بدونها لا يعترف بالعمودية خصوصا عند العجيلاب والنابتاب ، ويتشاءمون لمن يتولى بغيرها . وفى بعض القبائل لا يعتد بها خصوصا فى إرتريا ولكنها عند هذين الرهطين مهمة جداً .

وقد أعد مولانا الشيخ على كرار « عم العمدة الجديد » مشكوراً كل الكساوى اللازمة لهذا الاحتفال المقدس العتيق .

وفى ضحى يوم ١٩٦٢/٤/٤ م توافدت القبائل إلى عقيتاى للاشتراك فى

---

(١) اقرأ طبقات ود ضيف الله .

تنصيب العمدة الجديد . [تبتدىء الاحتفال بتلاوة من آى الذكر الحكيم بدأ بها السيد محمد على بن عمر بن نافع[1] أبو بكر ثم تلا أخوه عثمان عمر بعض الأدعية ، ثم تقدم السيد محمد حاج أحمد التيجانى « من علماء بنى عامر » وافتتح خطابه بسورة « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ثم عقبه الشريف محمود وتصيب حامد شيخاى وهما من العايداب وتليا أدعية مكتوبة ، ثم جاء الشيخ سليمان على كرار وأنشد توسلا مباركا ، ثم أعطى الملابس للسيد محمد بن محمود إبراهيم وهذا بدوره سلمها لأبناء عمومته آل نافع أبو بكر الذين قسموا الملابس ووزعوها بين الزعماء الدينيين ، وتولى هو إلباسه القميص قائلا « هذا قميص التقوى والإيمان إنشاء الله وأخيراً جىء بثوب عشارى من الدبلان ومسك مشايخ ورؤساء العجيلاب بأطرافه وأحضر السادة إناء مملوءا باللبن وآخر بالماء وثالثاً بالدخن ورابعاً بالسمن فوضع العمدة الجديد « نور الدين محمد ضرار » يده اليمنى فى اللبن واليسرى فى الدخن . ففرح المجتمعون جدا وتفاءلوا خيرا باللبن والدخن . وبقى جالساً تحت الثوب لايبدى حراكا حتى قذفه كل من الحاضرين بالأغصان الخضراء . وفى تلك الأثناء كان أصحاب المواشى خصوصا الرشايدة يأتون بألبان نياقهم ليشرب منها ويوزعها على المحتفلين حتى جاءت صلاة الظهر فأدخلوه إلى بيته ومعه أحد أبناء عمومته الشيخ محمد محمد نور الدين وبعد أسبوع خرج من الاعتكاف فرفع الفراش بعد ذلك بيوم زار منطقة عقيتاى العجيلاب والأفلندة صاحب السعادة اللواء محمد طلعت فريد ، تيمنا بقدومه السعيد على تلك المنطقة الآهلة بالسكان وكثرة المياه .

---

(1) حضرت هذا السيد وهو ابن عم ابناء السيد ادريس احمد النيشدابى كما والدى العمودية سنة ١٩١٠ م واخى محمد ضرار ١٩٢٠ م .

فهما بالغنا فى الاحتفال بمقدمة الكريم نرى أنفسنا مقصرين نحو سعادته لأنه اشترك معنا بسلاحه فى حرب تحرير إرتريا والحبشة(١) .

طلعـــة سعيدة

والتقافة بارعة من السيد ناظر بنى عامر حينما دعا سعادة اللواء محمد طلعت فريد أن يتفقد مضارب خيام بنى عامر فى السهول والجبال ، وقد بدأ سعادته بالمقيق حيث تكاثفت الجموع باستقباله والاحتفاء بمقدمه الكريم .

ابن عباس :

ثم تفضل سعادته فزار جزيرة ابن عباس وجاس خلالها وتفقد آبارهـــا ومنازلها التى تقادم عهدها . ثم مر بمنطقة عقيتاى بطائرة هيليكوبتر وإذا به يهبط فى قرورة عند حدود السودان وارتريا ، وهناك تزاحم عليه النـاس واختلط حابلهم بنابلهم وأصبح الوادى وساحة الاحتفال كأنه يوم الحشر ولم ينقطع سيل المتطلعين لرؤية سعادته من الأهالى القاطنين على جانبى الوادى وفى مضايق الجبال والتلال ، ورحب الشيخ سليمان على كرار بسعادته فى قرورة مثنيا على شهامته وبسالته فى كل المواقع التى اشترك فيها ووفائه لجنوده الذين كانوا يعملون تحت قيادته منذ مفاوضات ١٩٣٥م حتى حروب ١٩٤٠ — ١٩٤٥ م .

---

(١) لما هبطت طائرة اللواء طلعت فى العقيق ذبحت أمامه الذبـــائح وتكدست جماهير الكهول حول صيوانه وتكاكاوا عليه لتذكره اياهم «بنى عامر» بهذه الزيارة التى قال عنها خطيب الحفل «كنا فى غاية الشوق اليها» وانا لجد متفائلين بها لقد كنا فى غاية الشوق للقائكم اذ رأينا منكم أكثر مما سمعنا بأعمالكم فعلمنا «ان ليست كل الرجال تدعى رجالا» .

ولما تمت الساعة الثانى عشرة ظهر بارح قروورة فعـــاد إلينا فى العقيق وصافحنا مودعا .

ونحن نثنى على همة الشيخ ابراهيم عثمان ناظر بنى عامر الذى هيأ لأهله وقبيلته مثل هذه الزيارات السعيدة

وايـــرا WAYRA

تسكن مُوَطَتْ « بجوار منهل مِهِبَالْ » بارتويا وعمدتهم هو الشيخ محمد على بن اسماعيل بن على بن محمد بن عمر أحمد بن عمر بن حمد بن حمد وايراى المَلْهِيَة كِنَابى (١) .

حضر جدهم من بلاد القا كا بعد الشيخ محمـد بن ضرار بسنين بأولاده الثلاثة وهم أحمد وحمد وسَهَلْ ، وقيل أن ابن أخيه هو الرابع واسمه « على » قتل حمد بعد أن وصلوا عقيتاى بسبب خلاف بينهما فى الزراعة ، فأقسم والدهم على مقاطعة الزراعة وصار يتنقل فى المراعى ، فزارهم ذات يوم رجل من بيت معلا يقال له « مَنَّ » فصادقهم ورجع وإياهم إلى الشيخ عجيل بن على ثانيا فاندمجوا فى العجيلاب وأصبحوا فرعا منها ، وعاشوا فى أهنأ عيش حتى كانت مشيخة الشيخ ضرار بن عجيل ، فأساء إليهم وأهانهم ، فارتحلوا منه وانضموا إلى الحباب ، وعين عليهم كنتيباى جاويد الشيخ على بكيت بن كلاب ، فامتاء منهم الشيخ ضرار حتى أنهم لما قتلوا رجلا من الألمندة اسمه شنكيل بن تراب أوعز ضرار لابنه موسى شنكيل كى يأخذ بثأر أبيه فقتل قانع بن أحمـد

(١) جد عجيلاب الالمندة .

قَيحْ (١) . ولما احتلت إيطاليا إرتريا سنة ١٨٨٤م رحلوا من الحباب سرا إلى موطَنْ وقدموا ولاءهم لمحافظ مصوع ، فاستاء كنتيبای حامدبك حسن (٢) . ولهم عائلة كبيرة من أبناء بنتهم يسمون أبناء « صَنْدَقْ » ومنهم أبناء « أشتحقن » ، وهما من أكبر عائلات وايرا . وهم كسائر قبائل هذا الإقليم ينهبون وينهبون فمن ذلك غزوة القبيلة « جمجان » لديار وايرا (٣) واستاقوا أبقارها من جَدْجَدْ ليلا بعد أن قتلوا فيها عمر همد نور وعلى نور وعمر كبر « خير » وعلى كبر ، ورجلا من آل معلم كان ضيفا عندهم . فلما أصبح الصباح أدركهم همد نور وأبناه معه (٤) وعلى موسى وبحراى على دايد فى جبل « وَدْ بِرُوط » فقتلتهم عصابة جمجان جميعهم ، فاتهمت وايرا الشيخ ياريای همد حبيب بن حباباى وابن عمه ابراهيم همد طالب وعمر هركتة (٥) . قيل أن هؤلاء حضروا إلى همد نور وقالوا له يعاب عليك أن تسمع استصراخ أهلك ولا تقوم لنجدتكم وهم أهلك وعشيرتك وقد نهبوا « قيلاً » بقرة جدك حمد وايراى (٦) . فحضروا هذه الواقعة واستعدوا للانتقام فبعد ثلاثة شهور قامت عصابة من وايرا برئاسة قانع بن دريو وهجموا على عائلة « إيلوسْ » وهى

---

(١) هو من ذرية أحمد عمر .

(٢) ارتحلت معهم عدة عائلات مثال ميكال وأيتما وسمر عرعور ومن وذريته ودستياى «ذرية حسنة» وقيل انها من حسن وهو رجل أسفداوى تزوج بأخت حمد عمر وولد منها أبو بكر .

(٣) كان معهم بعض من أمهرا الأحباش .

(٤) هما محمد وسليمان وعلى وهيد حمداى .

(٥) اجتمعت بابنه على فى «جدجد» وكلهم من العجلاب .

(٦) كانت عصابة جمجان بأعلى الجبل ، ووايرا بأسفله . فقذفوها بالحجارة حتى قتلوهم تحت الجبل .

من جمجان تسكن جبل فلقل [1] واستاقوا منها ثلاثة مراحات من البقر [2] .

وفي سنة ١٩٣٥م أنعمت حكومة إيطاليا بلقب « كنتيبای » على الشيخ محمد نور المذكور .

وتتفرع من وابرا عدة حصص أشهرها .

١ ـ أبناء شماقلي	يرأسها الشيخ عثمان حسن حمد نور
٢ ـ أبناء دستيباى	يرأسها الشيخ عمر بن دلاش
٣ ـ أبناء إبتما	يرأسها الشيخ محمود إدريس آدم
٤ ـ أبناء دقبة	يرأسها الشيخ محمد حمد سليمان
٥ ـ أبناء فايد	يرأسها الشيخ إسماعيل آدم عبد الله
٦ ـ بيت حمد الكبرى	يرأسه الشيخ إدريس محمود آدم
٧ ـ بيت حمد الصغرى	يرأسه محمد عمر إدريس

ولايوجد منهم بالسودان إلا أفرادا قلائل كانوا مع أخوانهم العجيلاب حتى سنة ١٩٤٩م فانضموا إلى الأقلندة ولذلك غضب عليهم إخوانهم بإرتريا .

---

(١) شاهدت في هذا الجبل حدائق غناء للبرتقال والموز واليوسف افندى والجوافة والقشطة الخ سنة ١٩٢٥ م .

(٢) نظم ابراهيم ضرار وايراى قصيدة في وصف هذه الواقعة وختمها بكلمات منها «يا كنتيباى لجام ناظر جمجان للآن لم تثأر لاخواننا» فهذا اول الشـــــر .

المهدية بسواحل مصوع

بعد تنازل وزارة نوبار باشا المصرية عن كافة حقوقها بالسودان يوم (١٨٨٥/١/١٧م) ومجيء غردون باشا لتسليم البلاد لأهلها - خرج صاحب الفضيلة القاضي عبد القادر حسين « قاضي سواكن » إلى تأماى لمبايعة الأمير عثمان دقنة ، فعينه الأمير عاملا على سواحل بلاد الحباب حتى مصوع ، وهذه المحلات مشحونة بأقارب وأصدقاء فضيلته خصوصا الزعماء الدينيين من آل « درقى Dirql » وآل الشيخ حامد ، والسادة آل محمد بن علي في امبيرمي وضواحيها . فقام فضيلته وطاف بالقبائل في قراها[1] ، حتى وصل مكانا يقال له « مُوطَتْ » ففرحت القبائل بقدومه وبايعوه وقاتلوا معه جيش الراس ألولا في « طُوِرِخْ جِعِلْ » ، فانتصروا على عصابة الراس ألولا وطاردوها حتى بلغوا « جدْجدْ » بعد أن أقاموا أياما في « داجرى » ثم « جرْجر » فاستقاء كنفيباى حامد بن حسن من رحيلهم إذ أصبحوا تحت سلطة الراس ألولا ، فبعث إليهم بعصابة نهبت مابقي لديهم من الأغنام[2] ، وقتل منهم أكثر من ثلاثين رجلا في ثلاثة أيام متوالية برصاص إحدى فرق كنفيباى النظامية ، ورحل من بقي من الوايرا إلى مصوع طالبا للخدمة إذ أصبحوا فقراء . فتقدم رؤساؤهم إلى محافظ مصوع الإيطالي شاكين من كنفيباى وتصرفاته السيئة معهم[3] . فوجدوا أعمالا كثيرة ، فاقتصدوا من أجورهم واشتروا بها أبقارا من اليمن والدنا كل

---

(١) كان فضيلته يجيد البجاوية والتيجرية .

(٢) كانت أبقارهم قد انتهت بالنهب والطاعون .

(٣) تقدم معهم الشيخ عبد القادر بن الشيخ محمد علي . فتأثر مما أصابهم وأوصى نايب محمد بمساعدتهم .

فأرسل إليهم كنتيباى مندوبا لتحصيل الجزية ، فطرده « إدريس بن قانع » وقال له لن نرجع إلى قبيلتين وهما الأفلندة والحباب ، فالأولى حرضت شنكيل ابن أتراب على قتل والدى[1] . وأما الثانية فإنها ذبحت ابنى أمامى لذا أكره رؤيتهما . فانضموا إلى ضواحى مصوع .

ومن مشاهير مشايخ وايرا القدامى الشيخ محمد تهماى وابنه داود الذى نزعها منه الشيخ محمد على . وفى سنة ١٩٢٥م حضرت بمصوع احتفالا أنعمت فيه الحكومة الإيطالية بلقب « كنتيباى » على الشيخ محمد على[2] .

بيت عوض

تنتمى هذه القبيلة إلى سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه . أما تاريخها فيصعب علينا الحصول على مدونات مفيدة . ولذلك ننقله كما سمعناه من رجالها وأقاربهم فنقول : إن « مسجد المَلْهِيتْ كِتاب » ذرية محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه « أنشىء فى تِنْدِلاَىْ بالقاش لقراءة القرآن والفقه وسائر العلوم الدينية ، وكان يتخرج منه عدة تلاميذ . وكان فيه مشايخ من عائلة الفقيه يبعث المبعوث إلى القبائل الوثنية أو التى تجهل تعاليم الدين الاسلامى وليس لها محلات « خلاوى » لتدريس أطفالها القرآن الكريم وهو أهم أركان الإسلام للأطفال فكانت البعثات ترسل إلى القبائل المجاورة ويحالفها التوفيق فى مهمتها الدينية، ويجد المبعوث إكراما وإحتراما عند القبيلة أو رئيسها . فبعد إنشاء الخلوة يأتى دور صلاة الجماعة فيؤمهم هذا الشيخ الدينى وينصحهم بنصائح

---

(١) قتله احد البجة .

(٢) يذكرون كراهية جدهم للزراعة .

دينية وغالباً يتم زواجه بإحدى قريبات رئيس القبيلة فتصبح إقامته معهم واجبة ولما امتد سلطان دولة الفونج كان امراؤها يحملون الثقة فى هؤلاء الفقهاء حتى يتحصلوا لهم زكاة مواشى القبيلة التى يسكنون بينها ويفهمونهم أنها حقوق فرضها الإسلام .

ولقد طفت بهذا الإقليم فكنت أجد كثيرا من الهكويين وقد انتشروا بين القبائل وليس لهم مهمة إلا نشر تعاليم الدين الإسلامى . فالفضل كل الفضل يعود إلى ذلك المسجد الذى هو الأول من نوعه وهو مسجد تندلاى الملهيتكتاب .

وتنتسب قبيلة « بيت عوض » التى نحن بصددها إلى رجل من السهتولاب وأمه من الملهيتكتاب اسمه عوض بن اشكون اتخذ جبل هَجَر « مقر القبيلة اليوم » محلا لإقامته مجاورا قبائل الحماسين أمثال بيت معلا وإندول وهلال وقنيفرو ، وكان لها قبل عوض شيخ مشهور بالشهامة والشجاعة اسمه الشيخ موسى فتك بن ادريس بن كَميل بن كِرِ بتَاى . قيل أنهم فى عصر الشيخ ادريس جاوروا الحداربة والتبَتْ « البجة الأصلية » وكان سلاحهم الحربة السياسية والرمح حتى تولى رئاستهم الشيخ موسى فتك فاتصل بعدة قبائل وزار المدن الحضرية مثل كسلا وسواكن ومصوع واقتنى السيوف واقتدى به رجال قبيلته . وكان محمد بن موسى يحمل سيفاً جميلا بالفضة . وقيل أنه أول شاب لبس ثوب الدمور المخطط كما كان يحمل درقة سميكة . وثوب الدمور المذكور أصله هدية من دقال إبراهيم ابن دقال محمد « ناظر بنى عامر فى القرن الثانى عشر الهجرى » .

وتنقسم بيت عوض إلى عائلتين إحداهما بيت الرئاسة ويطلق عليهـا

« كربتاى » وهم البكريون ، والثانية أبناء قلبوب وهم من أسقدة - ورجل من ذرية كربتاى يقال له « دِرس » وتعريبها « صغير » وكان قصيراً قد سكن مع قبيلة وايرا وصاهرها واندمجت ذريته فيها . ولما اشتهرت بيت عوض رحل إليها كثيرون من الملهيتكناب واندمجوا فيهم .

هجـــر

هو جبل شاهق وكبير وينقسم إلى قسمين هجر الكبرى والصغرى ، فالأولى مصيف بحابلاى سابقاً ، وكانوا يزرعونها . فلما انقرضت بيت بحابلاى استولت عليها بيت عوض[1] .

أما هجر الصغرى فبقيت تحت سيطرة بيت معلا .

قال المقريزى فى خططه : إن هجر هى عاصمة للملك العام لكل قبائل البجة التى تسكن بين قوص وسواكن وباضع « مصوع » وجزائر دهلك إلى حدود أرض الحبشة . ومنها كان يقوم ملكهم إلى غزو مصر ومملكة النوبة . وليست بهجر آثار تستحق الذكر بل بها بعض كهوف تقى من بداخلها من شدة البرد والثلج واليوم يقال أن بالكهوف جنا ، وهى واقعة فى إرتريا .

ومن يقف على قمة جبل هجر يرى السفن التجارية والشراعية تمخر عباب الماء . ويوجد بالسودان من قبائل بيت عوض الخمس برأسه الشيخ محمد على محمود ، أما فى إرتريا فلها نظارة بعدة عموديات برئاسة الشيخ حامد نوارى

---

(١) كان انقراض بيت بحابلاى على يد الشيخ عجيل بن على والشيخ عمر بن شوم عمار «بيت بمشو» .

ابن مسعود بن موسى بن فتك بن إدريس بن كيل بن كريتاى بن عيسى ابن حمد بن كرب بن عوض بن شاور(٣) .

بيت قريش

هم إحدى بطون بيت عوض وقد أنشأها الشيخ قريش بن عوض اشكون ويرأسهم الشيخ محمد بن حمد بن موسى بن عيسى فليت :

وتوجد من بيت عوض عموديتان كبيرتان بالسودان وإرتريا اسمها شلوجي .

بهدور Bahdour

هذا الاسم يطلق على جزيرة « الشيخ ابن عباس » الواقعة بشرق عدوبنة وأصبح اسما لكل من سكن الجزيرة . وهم مثل سائر سكان المرافىء خليط من عدة أجناس وقبائل قد جمعتهم الصلات التجارية والمرافق الاجتماعية فأصبحوا مؤتلفين ربطت المصاهرة بينهم وأواصر القرابة حتى انصهروا فى بعضهم وتلاشت قبائلهم وجنسياتهم الأصلية بالاختلاط المتوالى فى الأفراد الواردين إليهم من البر أو البحر . وأشهر هؤلاء السكان فى عصرنا الحالى : عائلة « الشيخ على شايل عبد الرحيم وإخوانه » فأنهم من بقايا ملوك « البلو » وبيدهم عمودية الجزيرة ورئاستها . ومن أبناء عمومتهم عائلة « أبو بكر (أبكر)

---

(١) هو أحد الطلاب الثلاثة الذين أرسلهم شيخهم من مسجد الملهيتكتاب الى هجر وضواحيها . وهذا الجبل لاتعيش فيه الا الأغنام لكثرة النواميس التى تقتل الابل والبقر . وفى رحلاتهم يستعملون نوعا خاصا من الثيران وبعض الحمير . أما سكان سهول خور بركة والقاش فيعتنون بتربية الابقار والضأن وقليل من الغنم .

ابن عامر بن الشيخ على وهو أيضا من رؤساء البجة الذين تفرقوا بعد زوال ملكهم على يد الشيخ عامر النابتابى . ونبغ فى هذه العائلة عدة أشخاص بالتقوى والورع والتبحر فى العلوم الدينية والتفسير والحديث . منهم العالم المصلح الشيخ محمد آدم محمد أبكر الذى اغترفت من بحر فيضه كل البهدور وكذلك جيرانهم من العجيلاب والنابتاب (هامرى) ومن مشاهيرهم عمه القبطان « مهدى محمد أحمد » الذى كان من رواد البحار ذوى الاتصال الوثيق بتجار ثغور البحر الأحمر خصوصا فى عدن واليمن ومصوع وسواكن وجدة بل وأحيانا السويس والبصرة ، وكانت له ولبعض أقاربه سفن تمخر بين مدن ضفتى البحر الأحمر ببضائع التجار تحت ضمانته . ونال شهرة لصدقه وأمانته فى المعاملات وسنذكر بعض حوادثه فيما بعد .

ومثلهم عائلة « محمد دينقش Deenach » واشتهر منهم بالجود والشجاعة وإكرام الضيوف الشيخ على موسى أسناى إذ كان يوقد نار الأضياف ليلا ويقريهم ولو كانوا لصوصا قد حضروا لسرقة أمواله ، ولا يسألهم عن أحوالهم إلا إذا انتهت ثلاثة أيام الضيافة .

ويسكن معهم جماعة من أهل دعلك « دنا كل » وهم أقلية .

قيل أن من خصاله أنه لاينام إلا إذا اطمأن على عشاء جيرانه وقد رزقه الله ميسرة فى المال فى التجارة ينفق منها على حسن الصيت . وكان الرجل الوحيد الذى يقول « ماقيت Mageet » وهى كلمة لا يقولها إلا الكريم الشجاع ومعناها أنا أكرم مائة من الضيوف كما أقاتل مائة رجل شجاع ومن البهدور الشيخ بحراوى بن صديق « من بعشو » ، ويسكن معهم ، وقد كان كثير الاعتناء بتربية البقر بعد أن صاهر العجيلاب وصار صاكنا معهم ، واتفق

أثره في المصاهرة وتربية المواشى سائر عائلات البهدور حتى اندمجوا في بعضهم البعض ، وكانت مواشيهم في عهدة بحراى حتى جاء دقلل حامد بك سنة ١٨٦٩م وطلب منه أن يورد ضريبة على كل مواشى البهدور التى عوفوا عنها زمنا طويلا إذ كانوا في الجزيرة لا يهتمون إلا بالأغنام وقليل من أبقار اليمن . ففكر بحراى في طلب دقلل كثيرا وعلم أنه بين أمرين الأول مخالفته والرحيل حالا من أراضى عامر إلى جزيرة ابن عباس بما يقدر على أخذه وترك باقى الإبل والبقر والضأن لدقلل ، وهى مراحات جمة لا يمكنه أن يتخلى عنها[1] ، لأنها تعد بالألوف ، والرأى الثانى هو أن يرضخ ويدفع المطلوب منه بلا نزاع ، واستقر رأيه على الفكرة الأخيرة ووافقه عليها بعض من كان معه من البهدور فاعتبرهم دقلل من عموديات الألمندة والعجيلاب وأضيفت ضريبتهم على الأخيرين برئاسة خالهم الشيخ على ضرار .

واشترى دقلل حامد محمد جزيرة شرق بهدور حزة جزيرة مسامير وسماها جزيرة « دقلل » كان يستجم فيها كلما جاء من أغردت .

لا يعلم بالضبط من هو أول عميد تولى شياخة البهدور[2] ، ولكنهم يقولون أن جدهم المشهور هو الشيخ عيسى درشيب الذى كان صديقاً لابن « نق » ابن تندة « Tah - Tagda » من رؤساء قبيلة « دقد قى Dag-Dagi » الحبابية وكانا يتزاوران ويقيم كل منهما مع صاحبه شهوراً . وكان ابن نق مخلصا لعيسى ولكن الثانى كان مكارا ، إذ كان يراقب مراعيهم ومناهلهم ومحلات

---

(١) كان البهدور مثل اهل سواكن يدفعون عوائد قطعان على ما بالجزيرة من المواشى غير تابعين لاى نظارة .

(٢) كانت البهدور تسكن العتيق .

مواشيهم وإبلهم حتى عرف داخليتهم . وفى أحد الأيام أخذ الشيخ عيسى عصابة من اللَّبَتْ وطَارْ قيلى وسار بها حتى وصل « رِقوْتِ رِحَابْ » (الطريق الواسع) ، فوجد فيها إبلا كثيرة . فلما أراد أخذها حال راعيها دون ذلك. فقال عيسى للعصابة اقتلوه فقالوا له صديقك العمدة تق ، فقال لهم وإن يكن. فقتلوه واستاقوا الإبل أمامهم إلى العقيق. واستاء الشيخ تق من عيسى وهرب بقبيلته إلى ضواحى مصوع خوفا من غزوة أخرى . ولكن المنية عاجلت الشيخ عيسى وتوفى فى المكان المسمى « عيسى درهيب » غرب العقيق ويوجد على قبره عمود حجرى طويل مثل المسلة .

بهدور

كان أهل جزيرة بهدور تابعين لجزيرة سواكن مثلهم فى ذلك أهل جزيرة دهلك التابعين لمحافظة مصوع . وليس لسكان هاتين الجزيرتين أى اتصال بأهل البادية إلا ما كان فى أواسط القرن التاسع عشر حيث فتحت مدينة كسلا سنة ١٨٤١م ، سميت كل هذه الأنحاء بما فى ذلك بلاد الصومال « شرق السودان » وكان يحكمها حكمدار « أيام ولاية الخديوى اسماعيل باشا » حوالى سنة ١٨٧٢م . وألقيت مقاليد جزيرة بهدور إلى مأمور يساعده على حكمها الشيخ عبد اللطيف على شابل ، ثم بعده الشيخ عبد الرحيم إلى أن توفى بلسعة ثعبان وهو ذاهب إلى « دِقِ كتتيباى حباب » فخلفه على العمودية[1] صديقه عثمان طَوْراى . وانتظمت له أمور الجزيرة ولم يجد مزاحما على المنصب حتى شب الشيخ على شابل « أكبر أنجال عبد الرحيم » فأخذه معه وسافر به إلى مدينة

---

(١) كان أولاده صغارا فأوصى صديقه المذكور بهم .

سوا كن وقدمه إلى المحافظ وذكر أنه كان يتولى الوظيفة بالنيابة عنه لحين إدراكه سن الرشد إذ أوصاه والده أن يكون وصيا عليه . واستشهد عثمان بأمير الأرتيقة الذى كان متفقا وإياه على كل ذلك . ووافق المحافظ وعين على شايل فى وظيفة والده (الشيخ على شايل عبدالرحيم) الذى حال ولايته رحل بمنزله من الجزيرة ورحل إلى عدوبنة بعد أن اتفق مع إدريس جمع على باقى من العجيلاب على زراعة أراضى عدوبنة ، فنجحت زراعته نجاحا تاما .

وكان أصحاب المواشى من البهدور يسكنون بها مع أخوالهم العجيلاب . واستمرت البهدور على هذه الحالة وتسلل عقلاؤها من الجزيرة إلى عدوبنة شيئاً فشيئا . وفى عمودية شايل حوالى سنة ١٨٦٨م حدثت مشاجرة فى سواكن بين الشيخ على بكيت بك هُدّ[١] والقبطان للمهدى محمد أحمد أبو بكر[٢] ، وادعى الأول أن البهدور تابعة لنظارة دقلل بنى عامر وأنها من عموديات العجيلاب هى والأملندة التى ترعى فى أراضيه . فأجابه المهدى نحن مثل الأرتيقة أهل سواكن لا نتبع بنى عامر إلا إذا هم اتبعوا نظارة الهدندوة ، وتفاقم الخلاف بينهما حتى رفع المهدى شكواه إلى ممتاز باشا « محافظ سواكن » ، فدعا الباشا الشيخ على بكيت ومهدى ونظر فى أقوالهما ووعدهما بأنه سينتدب مندوبا من قبل وزارة الداخلية المصرية لينظر فى قضيتهما . قال الذى روى لى هذه الحادثة أن مهدى قال له اتفقنا مع المندوب على أن ندفع له مائة ريال (١٠ج) فكتب لنا المندوب صورة عرضحال فأخذناها إلى كاتب العرضحالات فنقلها لنا ودفعنا له نصف ريال ثم عدنا إلى المندوب بالصورة والعرضحال ، فأخذ

---

(١) هو نائب دقلل حامد بك محمد فهو شيخ مشايخ القنوب .
(٢) قبل ظهور الامام محمد أحمد المهدى .

الصورة ومزقها وقال لنا قابلوني بعرضحالكم هذا في جمعية « حلاييب » عند شيخ الجنوب على بكيت ، وسافر المندوب براً عن طريق توكر . وسافرنا نحن بحراً إلى العقيق . ووصل المندوب قبلنا بيوم . ولما جئنا في اليوم الموعود بعد أن تكامل اجتماع المشايخ قدمنا إليه العرضحال الملوم فقرأه ، ثم أعطاه الكاتب الشيخ على بكيت الدعو « حمد النور » (من الندين) فقرأه على الجميع ، فقال الشيخ على بكيت « هذه الحجج القوية والبراعة في الكتابة لم يسلم منها رجال الحكومة أمثالكم » ، وأنا سأبلغ الأمر لدقلل حامد بك وانفض الاجتماع . وسافر كل من الحاضرين إلى مقر عمله . وفي السنة الثانية حضر دقلل حامد بك بنفسه وألقى القبض على مهدى محمد أحمد وقيده بالسلاسل[1] هو والشيخ على شابل عبد الرحيم ، وحرض جنوده لأخذ كل مايقع تحت أيديهم من أموال البهدور . فانتزعوا منهم كل شيء حتى البضائع التي كانت في دكاكينهم وحوانيت غيرهم . فوقعوا في حيص بيص ، وتشاءموا بالشكوى وخصوصاً التجار وأصحاب المواشي فإن استقياءهم من المهدى كان عظيماً . وسافر محمد كلوااي[2] (شقيق مهدى) وعبد اللطيف عبد الرحيم « أخو على شابل » إلى سواكن سنة ۱۸۷۰ وقدما شكوى إلى ممتاز باشا الذى أرسل خطاباً إلى دقلل حامد كي يحضر إلى سواكن ومعه على شابل ومهدى . فحضروا جميعاً

---

(۱) بعد وصول دقلل الى أم مكبان اتاه من العقيق الشيخ عثمان سلطان من طورة أحد تجار البهدور الكبار ودفع الى دقلل ثلاث جوارى هدية نظير اخلاء مهدى . في سنة ۱۹۲٥ زرت عمدة طورة في آكات بارتريا سألنى عن آل عثمان سلطان فأخبرته عن أحوالهم وأكرمنى جداً .

(۲) أصل اسمه حامد محمد حمد أبو بكر وكان غنيا جدا وكذلك عبداللطيف عبد الرحيم .

إلى سواكن ، ووقف جيلانى بك أرتيقة « صهر دقلل حامد » فى صف البهدور لأن بعض محلات تجار الأرتيقة قد نهبت ـ ظنا من جنود دقلل أنها ملك لتجار البهدور . فحكم ممتاز باشا برد كل ما أخذ منهم وأعلن أنها من الآن فصاعدا أصبحت تابعة لمحافظة سواكن رأساً وذلك بناء على تعليمات وردت إليه من مصر فقال دقلل نحن لا نخالف الأوامر الحكومية ولكننا أصحاب حقوق فى كل ما يخرج للبادية أو البهدور إذ لهم الخيار فى البقاء أو الرحيل إلى سواكن . أما إذا خرجوا للبر فإن مشايخى يأخذون منهم الضرائب كما يأخذ موسى بك إبراهيم « ناظر الهدندوة » من كل ما يخرج من سواكن . وبعد أيام سافر ممتاز باشا ودقلل حامد بالباخرة « جعفرية » إلى مصوع[1] ومنها توجه دقلل إلى كسلا ورفع شكواه إلى سمو الخديوى رأساً . وكان موسى بك ناظر الهدندوة بمصر سنة ١٨٧١ م وقد ذهب إليها شاكياً من ممتاز باشا أيضاً إذ جعل الشيخ عبد القادر أبو زينب السكهلابى « والد الشيخ محمد عبد القادر ناظراً على كل القبائل الضاربة خيامها حول جبال سواكن وتوكر وسنكات . وسئل موسى عن حقيقة أعمال ممتاز باشا[2] فأجاب بحكمة وتحفظ كانت نتيجتها تعيين ممتاز باشا حكمدارا عاما على السودان وقبلها بمدة تعيين منزنجر باشا حكمدارا على شرق السودان . فأمر الأخير البهدور حوالى سنة ١٨٧٢م أن يرحلوا من الجزيرة وعدوينة إلى العقيق لأنه ميناء جميل الموقع . فرفض الأهالى الامتثال لأمره إلا بعضهم . فأمهلهم عاما كاملا فرفضوا . فأرسل إليهم قوة من العساكر رحلتهم إلى العقيق بالقوة « من لم يخضع بعصا موسى خضع بعصا

---

(١) طاف ممتاز باشا على سواحل البحر الأحمر والصومال .

(٢) ذكرنا خلافهما فى «الهدندوة» .

فرعون » فامتلئوا وأقاموا فى راحة تامة وعلموا قيمة الميناء التجارية . وفى سنة ١٩٣٩ م أخلوا العقيق ثانية وعادوا إلى عدوبنة وصار سكانها جميعهم من أبناء حضرموت ثم ارتحلوا بسبب حوادث الشفتة سنة ١٩٤٥م .

كان الشيخ على شايل كثير التفانى فى حب عدوبنة حتى أنه ادعى فى إحدى السفين ملكيتها . واشتبك مع الشيخ أكد محمد « عد موسى » . ولكن الأخير قال له أن المسألة بسيطة « هل ترضى أن نحتكم إلى دقال حامد ، فوافق على ذلك ولما حضر دقال فى الشتاء تقدما إليه بقضيتهما . فطلب دقال من محمد العجيلاب الشيخ على ضرار إحضار المؤرخ والشاعر الكبير محمد عيون ابن حجيل فأحضره بعد أسبوع ، وعين يوم جمعة للفصل . وأمر دقال أن تحضر جميع القبائل ، فحضرت . ثم سأل محمد عيون عن طريقة الفصل فى قضيتهما ، فقال محمد عيون إن الأراضى البنى عامرية مقسمة منذ سنين ، وكل قبيلة تعرف أراضيها منذ أقدم الأزمنة وأنشد القصيدة الآتية :

« عَيْدِبْ إِنْتِلْ دَقَلْ لَتْ أَرَا كَبْ وَقُوجَهْ » .

(أراضى عيدب هى ملك لنظار بنى عامر وجميات القوبج) .

« دِبقَبْ إِنْتِلْ عَدْ إبراهيم أَمْعِلْ لَقَاشْه قَيُوشَه » .

(زيقب تخص أولاد إبراهيم يوم يفتخرون بإكرام الضيوف) .

« وَدْ دِجِرا إِنْتِلْ عَددِيتُو قَبِر حسن ودموسى » .

(ود دجرا تخص عائلة عددى حيث فيه قبر جدهم حسن موسى) .

« قِرَارْ إِنْتِل عد عمرتو وعَنْدَلْ على ود موسى » .

(قرار ملك أبناء عمر وعندل لعلى بن موسى) .

« قَرَوْنَه إنْتَل عَدهامَرى الدنيا أَكَى حاروسة » .

(فروتة ملك لأبناء هامرى ولكن الدنيا تغيرت) .

« شَلَقْ إنتلنانو يرك إِبْ أُقُروشة » .

(سواحل البحر الأحمر هى ملك لنا « العجيلاب » بنباتها الجول اللذيذ)

« جَزيرة إنْتِلْ بَهْدُوَرْتَ إِب دَوَتْكْ خَيُوسة » .

(الجزيرة « ابن عباس » ملك للبهدور ويذهبون إليها بسنابيكم الشراعية) .

« عَدُوبَنَة دَنْ الشَيْك إنْتِلْ أَكُدْ وموسى » .

(عدوبنة هى ملك أبناء بنت الشيخ ملك أكد محمد وموسى أخوه)

سمعت من أحد ثقاة البهدور يروى عن محمد كلواناى أنهم سافروا بسنابيكهم[1] إلى مصوع ، وبعد أيام قال كلواناى اتفقنا على زيارة القطب الربانى والسيد الجليل الشيخ محمد ابن على فى قريته بأمبيرمى . فلما سلمنا عليه سألنا عن أنسابنا . فبدأ بسؤال محمد كجراى . فقال له أنا من جنود الطوبجية التركية وعربى حجازى من مدينة أملج ، بعد المدة نزلت رديف وأقمت مع البهدور أزاول التجارة . فقال له صدقت ، ثم سأل عبد اللطيف عبد الرحيم فأجابه أنهم يقولون أننا جعليون والله أعلم ، فقال له كلا بل أنتم من بقايا ملوك الحدارب[2] ، ثم سأل على موسى أسمناى « انقرضت ذريته » فقال له

---

(١) قيل أنهم كانوا خمسة سنابيك .

(٢) يطلق هذا الاسم على قبيلة «بلى» وفى جهة بنى عامر يطلق على كل من يتكلم العربية وكذلك فى كتب التاريخ .

« أنا من الدَّرِيباب » . فقال له كلا بل أنت من دِنِّعَنْ » أرتيقة ذرية الشريف علم الدين أميرسوا كن ووالدتك من الدريباب سكاب دِرْباب » والدريباب هم ذرية على أوشاش وأبدا. محمد دِبنْ » وهم من بقايا البلو . ثم سأل بحراى ابن صديق بن دار شيخ فقال له أنا من الدريباب ، فأجابه كلا أنت من ذرية رؤساء بيت بعشو . وسأل محمد آدم فقال له دريباب ، فقال له كلا أنت من بيت عوض البكريين أبناء عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وأخوالك السيقولاب والعجيلاب » « لميتكناب » . فجاء الدور على محمد كلوانای قال فقلت له « لا أدرى شيئا عن نسبي وشيخى أعلم به منى . فقال له أنت من بقايا البلويب ، وأمك بنت الشيخ ضرار عجيل ، وجدك الشيخ محمد البدوى[1] ، وقال لى ما رأيك فى هذا ، فأجبته أنهم يقولون ذلك . ثم استأذنا فى الذهاب . ويضاف إلى هذه العائلات بعض أفراد اندمجوا فيهم من عد قَّبي، أمثال الشيخ سليمان على قاضى الهدور وعثمان دَ نبرَ طَوْرَة و كلاهما من ألمدَة ، وسرور وهو من بيت معلا .

ولفيف من كرباب وقاسماب الارتيقة الذين أمهاتهم من العجيلاب أمثال آل محمد محمود وآل وحيبة ويجاورهم الكميلاب والأشراف . وكان موطن الهدور قبل العصور الحديثة « عيسى درهيب » على بعد ميلين غرب العقيق وكان أكثرهم ممن تخلفوا من مماسكة « البلويب » الذين كانوا يصطافون فى خور بركة ثم من عيسى درهيب إلى دِرْباب وهو الرأس المستطيل الواقع بين العقيق وعدو بنة ، ثم عبروا منه إلى جزيرة ابن عباس لما كثر عليهم أذى بنى عامر .

---

(1) طبقات ود ضيف الله «الشيخ محمد نايد الشريف» .

في عام ١٨٨٤ م حالما سقطت توكر واستلمت إدارتهـا حكومة المهدية الوطنية ، دعا السيد على طويل مأمور العقيق عمدة البهدور الشيخ على شايل كي يأمر الأهالي بالرحيل إلى جزيرة ابن عباس فرحلوا إليها جميعهم ، وقد بنى على طويل حوضا كبيرا لخزن الماء يكفي سكان الجزيرة نحو ثلاثة أسابيع . وكانت تمونهم الباخرة « جعفرية » أو « مخبر » من سواكن وهما محملتان بالماء والطعام حتى ١٨٩٧ م إذ استردت الحكومتان « المصرية والإنجليزية » مدينة توكر ، فخرج الشيخ على شايل بعد ذلك إلى عدوبنة . وكان هرما ، وتسلم منه أعماله ابنه الشيخ محمد على شايل حتى توفى . وفي أيام على شايل الأولى زار إيتليلي « عاصمة قبيلة معلا لفيف من تجار البهدور الشراء سمن وعسل وجلود وبيع ملابس ومصاغات ذهبية وفضية . وكان على رأس هؤلاء التجار آدم محمد أحمد ، وجابر أمان اليمنى ، وإدريس حمد محمود[1] الارتيقى ، وابن عمه حمد وجيه ومحمد عبد الكريم عبد الرحيم ، وكان عمد بيت معلا الشيخ « محمد إدريس » يتفرس في وجوههم وكل حركاتهم وأعمالهم . فسئل عنهم « آدم محمد يخطىء ويصيب ، أما جابر فقد أنجبت أمه[2] ، وإدريس حمد يسود أهله ما دام حيا ، وحمد وجيه ومحمد عبد الكريم عبارة عن آلات لاتسير إلا بمحرك ، وقد صحت فراسته كلها .

---

(١) لما توفى جيلانى بك ارتيقة سعى المذكور في تولية محمود بك ارتيقة ادارة سواكن .

(٢) كان من حملة القرآن وقد درس المرحوم خالى ادريس بك محمد على أخيه الشيخ عمر بجزيرة ابن عباس .

الشيخ محمد على شايل

تولى بعد وفاة والده سنة ١٩٠٤م ، وكان طيب الأخلاق لم تصدر منه أى اساءة لأحد من البشر « وأنه كريم ماسَب قط ولا سُبَّ » . واشتكته البهدور إلى مدير المديرية ، فطلبوا عزله وتولية أخيه جعفر [١] الذى حصر همه فى التشفى ممن كانوا سفراء سوء بينه وبين أخيه . فشكوه وطلبوا ارجاع أخيه محمد على ، فوجدوا موافقة عامة . ولذلك عاد محمد على إلى مشيخته وبقى فيها حتى توفى سنة ١٩٢٤م [٢] ثم خلفه على العمودية ابن عمه على عبد اللطيف بن عبد الرحيم .

الشيخ على عبد اللطيف

كان هو العمدة اسميا ولكن كان يسير القبيلة بمشورة أخيه الشيخ محمد عبد اللطيف حتى ظهرت إرادته الضعيفة لكل إنسان وتألبت عليه عائلة الدرباب والبلو وطلبوا عزله . فلما نجحوا ولوا مكانه ابن عمه الشيخ على عبد الكريم وكان لا يستعمل الشدة معهم ولا الحزم .

وفى سنة ١٩٤٩م انتقل إلى جوار ربه رجل بهدور الشهم الشيخ محمد ابن عبد اللطيف الذى قضى باقى حياته فى المطالبة بحقوق البهدور والبحث عن أنجح الوسائل للخلاص من نظارة بنى عامر التى امتدت على البهدور بسبب رحيلهم من الجزيرة حتى تعود لسابق انفصالها كأهل سواكن وذلك «جزيرة

---

(١) كانت مدة عموديته ثلاث سنوات .

(٢) ولم يرق رحيل المشيخة الى بيت الآخر . كل أهل جزيرة ابن عباس ومن يسكن معهم يقدر وجود من لا يحفظ القرآن بينهم ولما ظهرت المدارس دخلوها زرافات ووحدانا .

مصوع » . واتفق مع ناظر بنى عامر على استرداد حقوقهم التى نالوا بعضها وبينما هم فى طريق استرداد البعض الآخر حدثت بينهم خلافات أدت إلى عدم توحيد كلمتهم .

الشيخ على عبد الكريم

١٩٢٧ — ١٩٣٧م

كانت البهدور مستقلة عن نظارة دقلل بنى عامر بعد مشاجرته للقبطان مهدى محمد أحمد حتى تولى العمودية الشيخ على عبد الكريم الذى اشترط عليه الناظر إدريس صالح بأن يكون تحت نظارة بنى عامر وإلا اعترض على مشيخته فقبل الشيخ على عبد الكريم لئلا تذهب العمودية من بيته . وكان يسكن مع البهدور أفراد من عدة قبائل رجعوا إلى قبائلهم سنة ١٩٤٨م ولم يبق معهم إلا جماعة من أبناء عمر (نابتاب) ، وكانت لعمدة البهدور رسوم على كل طرد يرد من البحر إلى العقيق ، ولكنهم تنازلوا عنه وعن غيره من الحقوق فى صك كتبوه احتج عليه المرحوم الشيخ محمد عبد اللطيف ومنع البعض من التوقيع عليه ، وقال أنه يسلب حقوقنا وتندمج فى المجيلاب . وفى سنة ١٩٤٢م تولى الشيخ عبده على عبد الكريم وكيلا لوالده فلما توفى تولى العمودية رسميا .

الشيخ عبده على عبد الكريم

كان طيب القلب هادىء النفس يتمنى أن تعود للعقيق أيامه التجارية السابقة ولكن المرض لم يمهله فتوفى سنة ١٩٥٩ م وخلفه على المشيخة أخوه .

تاريخ قبائل الامارأر
والبشــــارين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة لتاريخ

قبائل الأمّارأرْ ــ والبِشاريين

الحمد لله الذى سخرنا للبحث عن تاريخ علم قبائل البجة التى نحن بعض أفرادها الذين لقوا كل مساعدة منهـا ، والصلاة والسلام على أبى القاسم الزاكى سيدنا محمد ﷺ .

وبعد فهذا التاريخ معرب ، لأننى أخذته وحوادثه من أفواه الناس الذين لايعرفون العربية إلا القليل منهم .

وكثيرون من الكتاب والقراء يشكرون على بعض قبائل إقليم البجة العروبة سواء أكانوا من العرب أو الأفرنج ويعتبرون عموم السكان هم البجة الأصليون المذكورون فى كتب التواريخ وذلك لجهلهم بلغتهم وعاداتهم وأخلاقهم وكل ما يكتبون مبنى على الحـــدس والتخمين ونحن لانأبه به ، ولا نعتمده لأننا نعلم من هم البجة وأين مساكنهم وأسباب رحيلهم ونزوحهم من ديارهم الأصلية . ونعرف قبائل كبيرة لايقل تعدادها عن عشرات الألوف ولكنها أصبحت اليوم فى ظرف خمسين عاماً لايتجاوز عددها ثلاثمائة شخص مثل دقا حد هاسرى ، ودقا عـــــــد الشيخ ، ودقا أم كلونى . . . الخ .

أما الذين يدونون ما يسمعون وهم يجهلون لغتنا البجاوية « تبداويت » ، أو

« التيجرية » ، وهى التى تنسب إلى الحباب وبنى عامر فإنهم مهما أوتوا من المترجمين ، أو حفظوا من الكلمات ، فإنهم يجهلون أصولنا وفروعنا ، ولن يجيدوا لغتنا ما لم تكن أمهاتهم بجاويات . فالكاتب عن قبائل البجة (إقليم البجة) الذين تبدأ حدودهم شمالا من حلايب وبئر شلاتين ، وتنتهى جنوبا عند مدينه مصوع ، وغربا على حدود أبو حمد وبربر ، وشرقا بالقضارف والحبشة ، يجب أن يتكلم اللغتين بطلاقة ، ويتغنى بأشعارهما ، ويتمثل بأمثالها ثم يكتب ما يشاء ، وتكون كتابته على علم ودراية وخبرة ومعرفة . لقد تيقنت من معرفة أصول كل القبائل ، ولذلك سأكتب عن قبائل الأمرأر والبشاريين[1] وأخوانهم من سكان حدود البجة الشمالية غير مرتبسات فى عروبتهم أو قرشيتهم مما لدى من الأدلة العلمية الماضية ، والله هو الهادى إلى الصواب .

محمد صالح ضرار

---

(1) ما أكثر معادن الذهب والزمرد والحديد والمنجنيز والمايكا والفضة ديار هاتين القبيلتين . والكتب التاريخية وحوادث من سبقونا من الأمم تروى كيف كانت الحروب بين قبائل البجة والفراعنة والبطالسة والرومان والعرب اخيرا بسبب هذه المناجم الغنية . وقد نالت الشركات الانجليزية بعض امتيازات التنقيب ثم تنازلت عنه .

الأمارأر و (البشاريين)

AMMR—AR

(أمَارْأَرْ) كلمة بجاوية مركبة من كلمتى : أمَارْ وتعريبها : عمّار : و : آرْ : ومعناها « أبناء » ؛ وفى لغة البجة تنطق : المين : ألفا : وفى لغة البجة كما فى بعض اللغات غير العربية تقدم الصفة على الموصوف ، ويقدم أيضا الفاعل على الفعل . ويعرّف المضاف فى كثير من لهجات شرق السودان « وخصوصاً فى التيهجرية والبجاوية والتجرينية الخ » . فالأمارأر هم إحدى قبائل إقليم البجة الشهيرة التى تسكن حول سهول وجبال مابين سلوم وبورتسودان حتى سواحل رواية ومحمد قول[1] .

ويتصل نسب الأمَارْأَرْ والبشاريين بالصحابى الجليل الزبير بن العوام القرشى حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبدالمطلب وقد جاء فى دائرة المعارف الانجليزية أنهم ينتسبون إلى قريش ، وأنهم من سلالة الجيش العربى الفاتح ، كما أنهم من الفرق العربية القرشية التى اكتسحت هذه الديار ، وكانت سبباً فى هداية أهلها إلى اعتناق الدين الإسلامى .

واجتمعت بكثيرين من شيوخهم « الأمَارْأَرْ والبشاريين والعامَرابْ والعَزْغوبابْ » وكلهم ذكروا لى أنهم : زبيرية : من ذرية محمد بن وراق[2] الذى ينحدر من صلب محمد بن مصعب بن الزبير بن العوام ، فاعتمدت قولهم هذا لأننى وجدته فى كتب العرب والأفرنج ، وكلهم يؤيدون هجرة ذرية

---

(١) يسكنون بين قبيلتى الهدندوة والبشاريين .

(٢) البيان والاعراب للمقريزى «طبع حمد باشا الباسل» .

المذكور حتى ابن بطوطة ذكرهم فى رحلته وقال إنهم من بنى كاهل[1] وسنفصل ذلك فيما بعد .

ولم يشذ عما ذكرناه من النسب الزبيرى إلا قنصل بريطانيا بسواكن حوالى ١٨٨٣ م المستر دونالد كامرون Mr. Donald Cameron الذى طاف مع صديقه الشيخ السيد يس عثمان بدرى إذ ذكر فى مقاله : مع قبائل شرق السودان On The Tribes of The Eastern Sudan فى مجلة المعهد العالمى البشرى :

« إنهم من نسل سيف الله خالد بن الوليد » وهذه رواية ضعيفة جداً لأن المقريزى قال فى البيان والإعراب إن علماء الأنساب اتفقوا على انقراض عقب خالد بن الوليد . وأيد ذلك رفيق بك العظم فى كتابه « أشهر مشاهير الإسلام » عن كتاب « أسد الغابة » إن ولد خالد انقرضوا وورث دورهم بالمدينة : أبناء أبى ذويب[2] . وكذلك قال السمرقندى[3] مثل كامرون خطأ . فتمسك السمرقندى باعتماد الكواهلة خوالدة « وعموماً الحسنات والحسانيـــة والعبابدة والأمارأر والعمراب[4] والبشاريون والرغوباب والسلاب وإخوانهم زبيرية من نسل عبد الله ومصعب وعروة الخ »[5] .

---

(١) نجد هذا الاسم فى الزبيرية من بنى أسد .

(٢) ورثها أيوب بن سلمة .

(٣) توجد لدى منه نسخة خطية .

(٤) انضموا الى قبائل بنـــى عامر والحباب وبعضهم اندمج فى أهـــل ســـواكن .

(٥) رسالة الجنوب بعدد حضارة السودان عدد ١١١٧ بتاريـــخ اول أكتوبر ١٩٣٢ لصاحب الفضيلة الشيخ أحمد عثمان القاضى .

وها أنا سأقدم تاريخ حياة مصعب بن الزبير لأبناء الأمارأر والبشاريين وإخوانهم المذكورين أعلاه[1] .

« مصعب »

هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد أحد أعلام التابعين الذين امتازوا بالشجاعة وعلو الهمة من بني أسد ، وقد ولد فى ٣٤ هجرية . وأمه هي أم الرباب بنت أنيف بن عبيد من بنى كلب . وشقيقته هي « رملة بنت الزبير » التى أبت الاقتران بعبد الملك ابن مروان بعد قتله مصعبا[2] .

نشأته :

نشأ مصعب بالمدينة المنورة ، وكان صديقا حميما لعبد الملك ابن مروان ، وكانا متخذين دار امرأة من نساء المدينة يقال لها « حبى » منتدى يجتمعان فيه . ولما قتل مصعب أخبرت بوفاته فقالت « تعس قاتل مصعب » فقيل لها : قتله عبد الملك . فقالت « وا بأبى القاتل والمقتول »[3] ، وقد اتصف بالمروءة والكرم منذ نعومة أظفاره .

« ملخص ثورة ابن الزبير »

ثار عبد الله بن الزبير على حكم بنى أمية بعد وفاة الحسن ابن على عليهما السلام ، فبعث إليه يزيد بن معاوية جيشا ، ثم مات يزيد قبل أن تضع

---

(١) وكل من ينتمى لهذا الرهط .

(٢) قيل ان ارملة وفدت على عبد الملك فى قضية بينها وبين سكينة بنت الحسين ، فقال لها ان مروءة أخاك حال دون زواجى بك . فقالت له انه خشى عليك منى لئلا اقتلك لخذا بثأر أخى مصعب «الاغانى» .

(٣) ابن الاثير .

الحرب أوزارها . فخلا بوفاته الجو للزبيرية وبايعه أهل الحجاز . وانقسم أهل العراق وبعض من أهل الشام . فبعث أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير عماله إلى الأمصار التي بايعته وانتدب أخاه مصعبا لغزو فلسطين وسوريا .

فسار مصعب ومعه الجيش حتى يدرك بني أمية قبل أن يتحدوا على من يولونه بعد معاوية الصغير . ولكنهم اتفقوا وولوا مروان الإمارة ، وانتصروا على شيعة ابن الزبير بالشام قبل مجيء مصعب . ولما دنا منهم مصعب تلقوه بجيوش كثيرة يقودها عمرو بن سعيد ، فاضطر أن يلتزم خطة الدفاع لئلا يفنى جيشه . فعاد به وخسائره طفيفة .

ولاية مصعب على المدينة المنورة

كانت ولاية المدينة بيد أخيه عبيدة بن الزبير منذ جلاء بني أمية عنها سنة ٦٤هـ . فسمع عبد الله بن الزبير أن أهل المدينة يتهكمون على أخيه عبيدة ولا يحترمونه حتى أضحوا يسخرون من كلامه ويهزأون بخطبه وأوامره . ومن ذلك أنه قال وهو على المنبر « قد ترون ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسة دراهم » . . « فسموه مقوم الناقة » . فأمر عبد الله بن الزبير مصعبا أن يسير إلى المدينة ويخلف عبيده الذي انتشر عنه ضعف الإرادة . فأقام عاملا عليها من ٦٥هـ حتى أواخر سنة ٦٦هـ بما عرف عنه من الحزم ، حتى كانت ثورة المختار على أخيه أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ، وهنا ملخصها ليعلم القراء وخصوصا الزبيرية الجهد الذي بذله صاحب الترجمة حتى وفق لإخمادها والقضاء على صاحبها وشيعته ، حتى بتشبيه كهولهم وشبابهم بأسلافهم الفطاحل الذي يقول فيهم الشاعر :

فمن جدودى لآبائى الألى لأبى　　إلىّ منى وأحله إلى والدى

فيا شباب الأمازار والبشاريين والعامراب إنكم وإن كنتم فى مؤخرة قافلة العلم، فلا ريب أنكم مدركون وسائرون فى ركبها يوما ما.

ثورة المختار

فى يوم ١٤ ربيع الأول سنة ٦٦ هـ ثار المختار بن أبى عبيد على أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير واستولى على الكوفة. وبعد قتال أخرج منها عامله (عبد الله بن مطيع) ودعا الناس إلى بيعة الإمام محمد بن على بن أبى طالب المشهور بابن الحنفية. وانتشرت دعوته، وكثر أنصاره، وبعث العمال إلى أرمينيا والموصل والمدائن، وأرسل المثنى بن خارجة العبدى إلى البصرة ليأخذ له البيعة من أهلها. فأجابه الرجال من قومه وغيرهم، وطمع بعد كل هذا فى أن يستولى على المدينة المنورة التى كان عليها مصعب، فأنفذ إليها جيشا، وكتب لابن الزبير أن غرضه من إرسال هذه السرية هو غزو الشام. ولم تطل حيلته على عبد الله ابن الزبير، فندب إليه جيشا مثله وتقابل الجيشان بقرب المدينة. فطلب قائد المختار أن يدخلها، فمنعه قائد ابن الزبير، وحملا على بعضهما بعضا. فانهزم جيش المختار وقتل قائده وعاد الزبيريون إلى مكة المكرمة منصورين. وفى الحال طلب ابن الزبير من ابن الحنفية أن يبايعه هو وأنصاره وكانوا بمكة المكرمة. فامتنعوا، فوضعهم فى السجن بزمزم، وتوعدهم بالقتل، وضرب لهم أجلا إن لم يبايعوا قبله أحرقهم. فكتب الإمام محمد إلى المختار طالبا أن ينجده. فبعث لهم المختار حيث أدركهم قبل حلول الأجل بيومين وأخرجهم من السجن.

ولولا كراهية الإمام محمد للقتال لسفكت دماء المسلمين ، ولنشب بين الجيش قتال عنيف . فرحل محمد بأصحابه إلى الطائف وسير مصعب ابن الزبير الحارث بن عبيد الله بن أبي ربيعة عاملا له على البصرة . وكان مركز المختار قويا جدا بين أهل الكوفة وأكثرية أهل البصرة . فلما دنا الحارث من البصرة ، قال المختار لجماعة من أهلها : — أخرجوا إلى هذا المغرور فردوه . فخرجوا إليه وأنذروه بالقتل مالم يعد . فعاد إلى مكة وأرسل المختار كتابا إلى ابن الزبير يذكر فيه عودة الحارث بعد أن قرب من محل عمله بلا داع . فغضب ابن الزبير ورده . فلما بلغ محله السابق عمل معه نفس الفصل السابق . فعاد وكتب المختار مثل كتابه الأول . فلام ابن الزبير عامله ، حتى كانت الثالثة فطن ابن الزبير لدهاء المختار وسوء ما يضمر . وعلم بذلك المختار أيضاً وكاشف الناس جميعاً بعقيدته الحقيقية التي طالما كان يخفيها حتى يأتي أوانها فجاهر بها صراحة وكتب إلى ابن الزبير : —

« من المختار بن أبي عبيد الله الثقفي خليفة الوصي محمد ابن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن أسماء[1] » ثم ملأ الكتاب بنسبه ونسب أبيه ، فغضب ابن الزبير من جرأة المختار على هذه الوقاحة ، وتيقن أن المختار وشيعته نكثوا بيعته ، وبحث مفكراً في عماله عمن ينتدبه لمحو هذه الإهانة التي لحقته . فلم يجد من يقضي له على المختار وحزبه الآخذ في الازدياد إلا أخاه مصعبا المشهور بشدة الحزم ومضاء العزيمة بين فتيان قريش . وقال عنه الدكتور زكي مبارك في كتابه (حب ابن أبي ربيعة) إن مصعبا يمثل الفتوة العربية أصدق تمثيل .

---

(1) لم اتمكن من العثور على متن هذا الخطاب في مكتبتي .

ولا أعرف شيئاً أحب إلى النفس من الحديث عن أولئك الفتيان الغطاريف الذين ملأوا الدنيا بأخبار البأس والجود ، ويكفى فى الإشادة بذكر ذلك الفتى أن يعرف القارىء أنه أخي عبد الملك ابن مروان وعدوه .

وقل أن يجد القارىء فى كتب التاريخ من لا يذكر شجاعة مصعب وإخوانه عبد الله وعمرو والمنذر الذين أتوا من ضروب الفروسية ما سارت به ركبان ذلك العصر فى الآفاق . وقد ورثوها من والدهم الزبير بن العوام فارس قريش إذا ركب ويكفيك ما أتاه كل منهم من الثبات ورباطة الجأش أمام خصمه حتى فاضت أرواحهم على أسنة الرماح وظباة السيوف . ولم يهموا أو يحاولوا الفرار قط . وكان إذا عرض على أحدهم الهرب يتقمص ويتأفف من سماعه ، ويرى أنه بئس التراث الذى يخلفه لبنيه وأحفاده من بعده . وها هى قد دارت الأيام دورتها ، ومضت الحقب والسنون ، وشاهدنا هذه الخصال فى أحفادهم الذين تجاوروهم فى هذا الإقليم ، إذ انتشرت عن هؤلاء الأبطال البجاويين البطولة بكامل معانيها فيهم وخصوصاً فى حوادث الحرب الاستقلالية . ونال إخوال الملك عثمان بن الشيخ عجيب (السادة الكميلاب) من حسن الأحدوثة والتضحية بالنفس والنفيس فى آبار إندتيب ، بقرب ميناء طوكر سنة ١٨٨٤م كيف ساروا بخيولهم هنالك للقاء القائد بيكر باشا وجنوده وهزموه هزيمة نكراء ، وكأن النصر معقوداً لواؤه تحت راياتهم[1] .

---

(١) هؤلاء الكميلاب يعتمدون فى قتالهم على الصافنات الجياد اذا تجد الخيل لدى كل رب عائلة منهم حتى من يسكنون حول مدينة بورتسودان وضواحيها .

وسنأتي على وصف تلك الحوادث في محلها . ولنعد بالقراء إلى جسد هؤلاء الشجعان ومصعب بن الزبير .

ولايته على العراقين

لما صدرت إليه إرادة أخيه عبد الله بن الزبير كي يسير إلى المختار امتثل وسار إلى البصرة في أوائل سنة ٦٧ هـ ، فقدمها متلثما[١] ، ودخل المسجد وصعد المنبر ، فقال الناس : « أمير أمير » وجاء الحارث بن أبي ربيعة فسفر مصعب عن لثامه ، فعرفوه ، وأمر الحارث بالصعود إليه ، فأجلسه تحته بدرجة ، ثم قام مصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم . . طسم[٢] تلك آيات الكتاب المبين . . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ، (وأشار بيده إلى عبد الملك بالشام) ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (وأشار بيده إلى أخيه عبد الله بالحجاز) . ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وأشار بيده إلى المختار بالعراق) . ثم قال يا أهل البصرة بلغني أنه لا يقدم عليكم أمير إلا حسبتموه ، وإني ألقب لكم نفسي : أنا الجزار[٣] . ونزل من المنبر ويمم دار الولاية فأتاه شبث بن ربعي من الكوفة هاربا من المختار

(١) ذكر صاحب كتاب الحيوان أن مصعبا كان شجاعا جوادا حسن الوجه كالقمر ليلة البدر .

(٢) البيان والتبيين .

(٣) تاريخ الأمم الاسلامية للخضري .

بسوء إدارته ومعه بعض أشراف أهل الكوفة ، فدخلوا عليه وأخبروه بما حاق بهم من الحيف والإهانة حتى وطىء عبيدهم أكتافهم ، وثاروا عليهم وسألوه المروءة والنجدة ، وأعلموه أنهم على أهبة الاستعداد لنصرته ، وأنهم محافظون على بيعة أخيه ولم ينكثوها إلا وهم مرغمون . وقدم بعدهم محمد بن الأشعث أيضا واستمده على نصرتهم ، وأن يسير معهم إلى المختار . فأدناه مصعب وأكرمه لشرفه وقال لهم : « لا أسير حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة » ثم كتب إلى المهلب عامل أخيه على بلاد فارس يستدعيه ليشترك معهم فى قتال المختار . فأبطأ وأغفل [1] ، واعتذر بتأخر شيء من الخراج لم يكن قد جمعه . والحقيقة أنه كاره الخروج لقتال المختار . فعرف نواياه مصعب . وكتب إليه مع محمد ابن الأشعث .

فلما وصله بكتاب مصعب قال له المهلب « ما وجد مصعب بريداً غيرك » فقال له ما أنا ببريد ، ولكن غلبنا عبيدنا على أبنائنا وحرمنا . فأقبل معه المهلب بالجموع والأموال . وجاءه كتاب من أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير يقول فيه « سر إلى المختار عن معك ثم لاتبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الأعجل منكما . فبث مصعب العيون لتأتيه بأنباء المختار وبعث عبد الرحمن ابن مخنف إلى الكوفة وأمره أن يخرج إليه من كان زبيريا ويثبط سواهم عن اتباع المختار . فأدى عبد الرحمن مأموريته على مايرام . أما مصعب فإنه جمع الجيوش وتكتم فى أموره حتى لا تتسرب أخبارها إلى خصمه فيفسد عليه تدابيره الحربية . وأسند قيادة الفرق إلى رجال توفرت فيهم الشجاعة والخبرة التامة بخطط القتال أمثال عبيد الله ابن على بن أبى طالب ومحمد بن الأشعث

---

(١) ابن خلدون .

وعباد بن الحصين التميمي وعمر ابن عبدالله بن معمر[1] والمهلب ابن أبي صفرة والأحنف بن قيس . وقد أحسن مصعب في اختيار هؤلاء الصناديد يعاونونه في قتال المختار لأنهم مشهورون بين العرب بحسن القيادة والصدق عند النزال مما يدل على علو همة مصعب وبعد نظره في السياسة والإمارة التي من مقتضياتها أن ينتخب الأمير من يثق فيهم ويرضون بالتعاون معه في المبدأ الذي يناضل عنه وتطمئن نفسه من عدم نكثهم للبيعة والعهد الذي قطعوه له .

استمر مصعب في حشد الجيوش وجمعها حتى وثق من أنها تكفي للقضاء على المختار وجموعه ، فقادها وسار بها ميمما أرض الكوفة بعد أن استخلف على البصرة المغيرة بن الحارث وقال له : إن لم تكن كأبيك فإنك كاف لما وليتك ، فشمر واتزر وجد واجتهد ولما وصل عند المزار[2] نصب خيامه وعسكر فيها وبلغ الخبر مسامع المختار . فقام في أصحابه وذكر لهم استعدادات مصعب وقوة جيشه وأن لاسبيل لتأييد دعوته إلا البروز لقتاله . فوافقوه وساروا بقيادة أحمد ابن شميط حتى دنا الجيشان من بعضهما فتقدم ابن الشميط إلى عباد ابن الحصين وقال له : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى بيعة المختار وانجعل هذا الأمر شورى في آل رسول الله ﷺ .

---

(1) قال عنه قطرى بن الفجاءة «زعيم الخوارج» انه شجاع بطل فارس يقاتل لنسبة وملكه . وقال عنه المهلب : انه فارس العرب وفتاها .

(2) قيل ان رجلاً اتى الى المختار وقال له : ان الله سيفتح فتحا عظيما لرجل من ثقيف عند المزار . فظن انه هو ولكن كان ذلك للحجاج بن يوسف الثقفى فى قتاله مع عبد الرحمن بن الاشعث «ابن الاثير» .

ورجع عباد وأخبر مصعبا[1] ، فقال له ارجع فاحمل عليهم . فرجع وحمل على أحمد بن شميط بأصحابه واقتفى كل قواد مصعب أثر عباد وكروا عليهم كرة صادقة ، فولى جيش المختار الأدبار ، وقتل أحمد ابن شميط . فأصدر مصعب أمره إلى عباد أن يتعقبهم بالخيل وأيما أسير بأخذه فليضرب عنقه . وكان محمد بن الأشعث أشد على المنهزمين من أهل البصرة إذ لايدرك قومه أسيراً إلا قتلوه . فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من الخيالة ، وأما الرجالة فأبيدوا إلا قليلا . فسمع المختار خبر الهزيمة التى أصابت جيشه وصوت قائده فقال « مامن الموت بد ، وما من ميتة أموتها أحب إلى من أن أموت ميتة أحمد ابن شميط[2] » .

أما مصعب فإنه سار خلف المنهزمين فى البر والبحر الفراتى وتعقبهم فى نهيراته بالسفن حتى أدركهم واستأنفوا القتال وكاد أصحاب المختار أن ينتصروا حتى بلدوا مكان القائد العام (مصعب) فجثا على ركبتيه[3] ، وبرك الناس

---

(١) كان يود ابن شميط ان يوقع الخلاف فى صفوف جيش مصعب بالمفاوضات والمجادلات التى لانهاية لها الا ايقاع الشقاق والارتباك ، وربما انضم بعض رجاله الى دعوة المختار والذى كان يدعو للامام محمد بن الحنفية والذى لو حضر الواقعة لبايعوه بجميعهم ، ولكن فطن مصعب للتحكيم وقد اختبره فى واقعة صفين امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن ابى سفيان ولذلك ضرب برأى ابن شميط عرض الحائط . لذا استشار الصارم الذكر وحصل الحكم له فيما شجر بينهم فى الخلاف ولو لم يتذرع بالحزم والشدة لاستقصوه .

(٢) هذه العادة لاتزال شائعة بين عموم قبائل اقليم البجة بشرق السودان ولهم فيها اشعار كثيرة وحالما يبرك الرجل منهم يقول ما تعريبه أنا فلان عقال الجيش .

(٣)تاريخ ابن الاثير .

حوله فقاتلوا وكروا على أصحاب المختار فحطموهم وهزموهم . وفى صباح اليوم التالى خرج مصعب لتفقد جيشه فقابله المهلب وقال له « يا له فتحا ما أهنأه ولو لم يقتل محمد بن الأشعث » . قال مصعب صدقت . وكذلك استشهد عبيد الله ابن على بن أبى طالب وكنت أحب أن يشهد هذا الفتح . أتدرى من قتله ؟ قال : « لا » قال قتله من يزعم أنه شيعة أبيه (أهل الكوفة) . ثم أمر قواده أن يضربوا نطاقاً شديداً فى الحصار حول قصر المختار لئلا يتسرب إليهم الماء والطعام . فخرج إليهم المختار فى عشرين رجلا بعد أن حض أصحابه على الاستبسال فى القتال ، وتطيب وتحنط وقاتل حتى قتل . وسقط فى أمر مصعب كل من كان فى القصر . وأراد إطلاق العرب وقتل الموالى . فأبى عليه ذلك أصحابه . فأمر بقتلهم . وجىء إليه بجبر المسكى فقال لمصعب : « الحمد لله الذى ابتلانا بالأسر وابتلاك بأن تعفو عنا ، هما منزلتان إحداهما رضاء الله والأخرى سخطه . من عفا عفا الله عنه وزاده عزاً ، ومن عاقب لم يأمن القصاص . يا ابن الزبير نحن أهل قبلتكم ، وعلى ملتكم ، ولسنا تركاً ولا ديلماً . فإنما خالفنا إخواننا من أهل مصرنا . فإما أن يكن أصبنا أو أخطأنا فاقتتلنا بيننا كما أقتتل أهل الشام بينهم ، ثم اجتمعوا ، وكما اقتتل أهل البصرة واصطلحوا واجتمعوا . وقد ملكتم فأسجحوا ، وقد قدرتم فاعفوا »[1][2] . فرق مصعب لكلامه وأراد أن يخلى سبيلهم جميعاً ووافقه الأحنف .

ولكن قام عبد الرحمن بن محمد الأشعث واعترض ما اعتزم عليه الأمير وقال له : — اخترنا أو اخترهم . وقال أشراف الكوفة مثل قوله . فأمر مصعب

---

(١) تاريخ ابن الاثير .

(٢) تاريخ ابن الاثير .

بقتلهم ولما قتلوا قال الأحنف لأهل الكوفة - « ما أدركتم بقتلهم ثأراً » وأرسلت عائشة بنت طلحة (امرأة مصعب) إليه فى العفو عنهم ، فوجدهم الرسول قد قتلوا . وجيء إلى مصعب بامرأة المختار (أم ثابت بنت سمرة) وعمرة بنت النعمان فسألهن عنه فقالت الأولى نقول فيه بقولك أنت فأطلقها . وقالت الثانية « رحمه الله كان عبد الله صالحاً »[1] ، فحبسها . وكتب يقولها إلى أخيه أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير فأمر بقتلها فقتلت ليلا . فبلغ الخبر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فهجا الزبير بأبيات منها :

فلا هنأت آل الزبـــير معيشة	وذاقوا لباس الذل والخوف والحرب
كأنهمُ إذ أبرزوها وقطعت	بأسيافهم فازوا بمملكة العرب

وقال عمر بن أبى ربيعة :

إن من أعجب العجائب عندى	قتل بيضاء حـــرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم	إن لله درها من قتـــيل
كتب القتـــل والقتال علينـــا	وعلى الغانيات جر الذيول

---

(١) قيل ان المختار كان لايوافق له على رأى ، وكان خارجيا ، ثم صار زبيريا ، ثم صار رافضيا ، ثم ادعى النبوة ، وان جبريل ينزل عليه ويأتيه بالوحى من عند الله سبحانه وتعالى . وكان له كرسى ادعى انه مثـــل تابوت بنى اسرائيل . وكانوا يحملونه على بغل اشهب ، ومر عليهم ابراهيم ابن الاشتر وهو سائر لقتال عبيد الله بن زياد وهم عكوف عليه قد رفعوا أيديهم الى السماء يدعون الله . فقال ابراهيم له لاتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . هذه سنة بنى اسرائيل اذ عكفوا على عجلهم ثم رجعوا . وسار هو الى مقصدة . وسنأتى على ذكره لانه من رجال مصعب الذين استشهدوا ولم ينكثوا بيعته او يخونوا عهدة وميثاقه .

وبعد موت المختار دانت أرض العراقين لابن الزبير ، وخضعت لسلطانه بفضل همة أخيه فتى قريش مصعب بن الزبير صاحب الآراء السديدة والسياسة الحكيمة التي سار عليها مع شعب مثل أهل العراق . ولما دخل مصعب الكوفة جيء إليه بعبيد الله بن الزَّبير[1] . الشاعر فقال له مصعب : « أية يا ابن الزَّبير (بفتح الزاي) ألست القائل :

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله تصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفا نصر مروان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال : « نعم أنا القائل لذلك وأنا الحقير لي أبي العذر ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع» فقال : « أما أنا فما أصنع بك إلا خيراً أحسن إليك قوم فاحببتهم ووالتهم ومدحتهم » . ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرماً . فكان بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره . وعمل مصعب هذا هو منتهى التعقل إذ قلوب الرجال وألسنتهم لا تكتسب إلا بالفعل الجميل (فطالما استعبد الإنسان إحسان) . وجاءه عمرو بن جرموز (قاتل أبيه الزبير ابن العوام) حتى وضع يده في يده فألقى عليه القبض وقذف به في السجن وكتب إلى أخيه عبد الله يذكر له أمره . فرد عليه عبد الله بئسما صنعت . أظننت أني أقتل أعرابياً من بني تميم بالزبير . خل سبيله . فأطلقه مصعب وهو يعلم أنه قاتل أبيه فجعل المرجع في كل أمور الدهاء إلى أخيه الأكبر صاحب السلطة العظمى والمسئول أمام الله عما يأتيه عماله .

ودخل عليه ذات يوم عبيد الله بن قيس الرقيات (شاعره) فأنشد أبياتاً منها :

---

(1) الأغـــــــاني .

على بيعة الإسلام بايعن مصعبا كراديس من خيل وجمعا مباركا

تبـارك أقرانا ويمضى أمامنـا ونتبع ميمون النقيبة ناسكا

إذا فرغت أظفاره من كتيبه أمال على أخرى السيوف البواتكا

ولما استولى مصعب على الكوفة كان إبراهيم بن الأشتر على الموصل والجزيرة ، فكتب إليه مصعب يدعوه إلى طاعته ووعده بولاية الشام وأعنة الخيل ، وأعطاه عهد الله على ذلك . وكان قبله قد كتب إليه عبد الملك ابن مروان يعرض عليه ولاية العراق . فنظر فى كلا الدعوتين وفضل دعوة مصعب وسار إليه وبعث مصعب على عمله المهلب ابن أبى صفره وعين سائر الولاة على بقية الأمصار التى أخضعها لسلطان أخيه . وأقام عاملا لأخيه على العراقيين فسمى سعاة السوء بينه وبين أخيه حتى أوغروا صدره عليه وأفهموه أن مصعبا يريد أن يستقل بملك العراقيين ، وأنه ينشر الدعوة لنفسه . فعزله عن عمله فى أواخر سنة ٦٧هـ ، وولى مكانه ابنه حمزة بن عبد الله بن الزبير الذى كانت ولايته على المصريين كبيرة عليه . فعجز عن إدارتها ، فاضطر أبوه أن يرسل مصعبا واليه على الكوفة ، وترك ابنه حمزة عاملا على البصرة فوقع خلاف بين الأخير وأهل البصرة . فكتب الأحنف بن قيس إلى أبيه يضعفه وسوء تدبيره . فعزله ورد البصرة إلى مصعب . فارتاح أهلها بولايته عليهم حتى أن وفدهم لما سار إلى الحجاز (مكة المكرمة) سنة ٦٩ هـ سألهم عبد الله ابن الزبير عن مصعب فقالوا له : — أحسن الناس سيرة ، وأقضاهم بحق ، وأعدلهم فى الحكم . فصعد المنبر وقال .

« أيها الناس إنى سألت الوفد عن مصعب فأحسنوا الثناء عليه وذكروا ما أحبه . وإن مصعبا أطبى القلوب حتى ما تعدل به ، والأهواء حتى تحول

عنه واستحال الألسن بثنائها ، والقلوب بنصحها ، والنفوس بحبها ، فهو المحبوب فى خاصته ، المحمود فى عامته ، ما أطلق الله به لسانى من الخير ، وبسط يده من البذل » ثم نزل .

فى سنة ٧٠ هـ شخص مصعب مكة المكرمة حاجاً ومعه رؤساء أهل العراق وأشرافهم ، وقدمهم إلى أخيه قائلا له : « يا أمير المؤمنين قد جئتك بسادة العراق الذين سارعوا إلى بيعتك ، وقاموا بإحياء دعوتك ، ونابذوا أهل معصيتك ، وسعوا فى قطع دابر عدوك ، فأعطهم من مال الله » فأجابه عبد الله : « جئتنى بعبيد أهل العراق وتأمرنى أن أعطيهم مال الله[1] ، لا أفعل . وايم الله لوددت أنى أصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل[2] ، من أهل الشام » فأجابه أحدهم : أتدرى يا أمير المؤمنين أن مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام كما قال الشاعر :

علقتها عرضاً وعلقت رجلا غير　　　　وعلق أخرى غيرها الرجل

« أحببناك نحن ، وأحببت أنت أهل الشام عبد الملك بن مروان » . ثم انصرفوا عنه بعد أن يئسوا من نواله ، واعتزموا على خلع بيعته ، ومخابرة خصمه عبد الملك بالوفود عليه . وأما مصعب فلم يسعه إلا الامتثال لأمر أخيه . ولو أنه كان شاعراً بالغدر الذى أضمروه بسبب بخل أخيه . فاستمر فى منصبه

---

(١) نسى عبد الله بن الزبير ان لا سلطان الا بالرجال ، ولا رجال الا بالمال — «مثل» .

(٢) كان عبد الله بن الزبير يرى عدم ثبات العراقيين على البيعة والعهد ، اذ ان كثرة الحروب والطوائف المتفرقة لم تجعل لهم حالا يستقرون عليهـا .

ورأى التخلي عن أخيه في مثل هذا الوقت العصيب الذي تألب عليه فيه الخصوم ليس من المروءة التي اتصف بها أو الشهامة التي تحلى بها منذ صباه .

أما عبد الملك بن مروان فإنه انتهز فرصة غياب مصعب بمكة المكرمة ، وأرسل أحد رجاله (خالد بن عبد الله) لينشر له الدعوة بالبصرة وليأخذ من أهلها البيعة . . فنجح فيما انتدب له . وانقسم أهل البصرة إلى زبيرية ومروانية ، واقتتلوا ثم تهادنوا واتفقوا على إخراج خالد قبل عودة مصعب فخرج .

عودة مصعب إلى البصرة

لما سمع مصعب بما حدث من بعده عاد مسرعاً وأنزل العقاب على كل الذين نكثوا ببيعة أخيه ، واستعمل معهم ضروب الشدة حتى تظاهروا بالهدوء والسكينة ، وأرسلوا إلى عبد الملك ليتقدم عليهم بجيشه فلبي الدعوة وجمع جنوده وقادها بنفسه . ولما أراد السير دخل على زوجته عاتكه بنت يزيد بن معاوية ، فقالت له : « يا أمير المؤمنين وجه الجنود وأقم فليس الرأى أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه » . فأجابها : « لو وجت أهل الشام كلهم[1] وعلم مصعب أنى لست معهم لهلك الجيش كله ثم تمثل :

ومستخبر عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والعيون سواكب

فبكت عاتكه وجواريها فقال لها : « قاتل الله كثير عزة لكأنه يشاهدنا

---

(١) كلما أرسل عبد الملك جيشا الى مصعب هزمه وشتت شمله حتى اشتد غمه وضعفت الروح المعنوية في جيشه .

حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حَصَانٌ عليها عقد دُرٍّ يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت وبكى مما عناها قطينها

وسار عبد الملك بجيشه ميمما العراق وعلى مقدمته أخواه محمد وبشر حتى نزلوا دير الجاثليق (بين الشام والعراق) .

ولم يكن مصعب أقل همة أو طموحاً من عبد الملك ، فإنه جمع جنوده وجعل على مقدمتها إبراهيم بن الأشتر حتى بلغوا معسكر الرواني ، فعند ذلك دب دبيب الغدر والخيانة بين رؤساء جيش مصعب وكاتبوا عبد الملك يتسوايامم (إلا إبراهيم ومسلم الباهلى) وهم نيف وأربعون رئيساً . فرد عليهم بالعطاء الجزيل والولايات التى سأل عليها لعابهم حتى حادوا عن سبيل شرف المبدأ والثبات على العهد .

وقد أرسل عبد الملك كتاباً إلى إبراهيم فأتى به إلى مصعب مختوما ، فقرأه فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق . فقال له مصعب « أتدرى ما فيه » قال : — « لا » قال : « يعرض عليك ولاية العراق » . فقال إبراهيم : « وما كنت لأتقلد الغدر والخيانة » . وقد كتب لأصحابك كلهم مثل الذى كتبه إلى فاطعنى واضرب أعناقهم قال : « لا يناصحنى عشائرهم » قال : فأوقرهم حديدا أو أحبسهم فى أرض كسرى » . فقال : « إنى لفى شغل عن ذلك . رحم الله أبا بحر[1] إن كان ليحذرنى غدر أهل العراق » .

---

(1) هو الأحنف بن قيس المشهور بالحلم ورجاحة العقل . سئل مرة من أين اقتبس حلمه فقال من قيس بن عاصم «رسالة ابن زيدون شرح ابن نباته» .

فلما تدانى العسكران خرج عبد الملك ودنا منه مصعب ، فعرض عليه عبد الملك ولاية العراقيين من قبله وأن يغدر بأخيه وناشده الإخاء والمودة .[1] فأجابه مصعب بأنه لن يتخلى عن أخيه وإن كان مفاوضاته لتجنب القتال لا تجدى نفعا .[2] ورجع كل منهما إلى جيشه . ثم بدأت المناوشات وهجم الزبيريون وانهزم الأمويون وحال الليل دون استمرار القتال . وفى اليوم التالى اشتد القتال ومال أكثر أهل العراق إلى جيش عبد الملك حتى إن أحد قوادهم (عتاب بن ورقاء) قتل إبراهيم بن الأشتر ، وانهزم جيش مصعب حتى بلغوا معسكره .

مقتل مصعب وابنه

فلما رأى مصعب ما أصاب أصحابه دخل على زوجه سكينة ابنة الحسين بن على ، ونزع عنه ثيابه ولبس غلالة وتوشح بثوب وأخذ سيفه . فعلمت سكينة أنه لا يريد أن يرجع . إقال عنها أحد الأدباء وقفت سكينة بين الدمقس والحرير تصلح طرتها التى ابتدعتها حتى نسبت إليها وعليها رداء معصفر فضفاض ينفح منه الطيب فيملأ الجو حينما دلفت إليها وصيفتها وأمرت إليها أن سيدها مصعبا دخل إلى غرفته . فنفرت تتهادى إلى حيث زوجها الذى كان يتقلب على رؤوس الحراب فى طلب المجد فرأته واقفا بقامته الشماء ، وقد لبس غلالة وتوشح بثوبه وأخذ سيفه . فصاحت من خلفه وقالت : واحزناه عليك يا مصعب . فالتفت إليها فرأى فى عينيها الساحرتين ما كانت تخفيه فى قلبها

---

(1) فقد كانا صديقين منذ ثلاثين عاما .

(2) لأن كلا منهما خرج لتوحيد الامارة لرهطة «اما زبيرية أو اموية » بعد استخلاصها من خصمه .

فقربها وقال : « أوَ كُلُّ هـذا الحب فى قلبك ؟ » فقالت : « أى والله وما كنت أخفى أكثر » . فابتسم وقال « لو كنت أعلم أن هـذا كله لى عندك لـكانت لى ولك حال » . ثم ألقى آخر نظرة على البيت الذى يحبه والشخص الذى يهواه ، وانفلت من بين يديها وخرج والابتسامة لم تفارق ثغره . وأتبعته بنظرها حتى توارى شبحه من خلال دموعها ، ثم اختفى وراء الأفق حيث سار إلى المعركة الفاصلة وضاح الجبين ، لم يكترث لقولها الذى كاد أن يثنيه عن أداء واجبه . ولولا تدرعه بالحزم واتصافه بالشهامة وعلو الهمة لما ذهب قولها جزافا . وكان كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر :

ألا إن الأُلى بالطف من آل هاشم[1] تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

فتقدم مصعب بفئته القليلة ، فتلقاه ابنه عيسى وقال له : يا أبت إن القوم سيقتلوننا ، فإن أحببت أن نأتيهم . وقد عرض علينا محمد ابن مروان الأمان لما شاهد خذلان جيشنا . فقال له : والله لا تتحدث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك ، فاذهب أنت ومن معك إلى عمك ودعنى فإنى مقتول[2] فقال عيسى لا أحدث عنك قريشاً أبداً .. فقال له : إذن تقدم أمامى حتى احتسبك فتقدم حتى قتل ، وقاتل مصعب حتى كثرت جراحه وكلت يده من

---

(١) لما رفض الحسين بن على النزول على حكم عبيد الله بن زياد قاتله حتى استشهد هو واخوانه العباس وجعفر وعبد الله وعثمان وابو بكر ومحمد الأصغر . وقال احد الشعراء يرثى ابراهم بن الاشتر .

فمن يـك أمسى خائنـا لاميره فما خان ابراهيم فى الموت مصعبا

(٢) الحقيقة انه شعر بقتله يوم رفض أخوه عبد الله ان يعطى اصحابه من دنانير بيت مال المسلمين .

الضرب بالسيف . وهجم عليه عبيد الله بن ظبيان فسبقه مصعب بضربة سيف على البيضة فنشب فيها ، فجعل مصعب يقلب السيف ولا ينتزع منها . فخارت قواه . ثم جاء رجل من خلفه فقتله . فحمل ابن ظبيان رأسه ورأس ابنه عيسى إلى عبد الملك فسجد شكراً لله . ولما رفع رأسه قال للقاتل لولا منيتك لألحقتك سريعاً به إذ كانت الحرمة بيننا قديمة ، ولكن الملك عظيم وأنشد شاعر الشام (يزيد بن الرقاع) :

ونحن قتلنا ابن الحوارى مصعباً أخا أسد والمذحجى اليمانيا

ولما بلغ خبر وفاته زوجته سكينة بنت الحسين قالت ترثيه :

فإن تقتلوه تقتلوا الماجد الذى يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية إلى القوم حتى أوردوه حماما

قيل أن مصعبا لم يبق معه إلا سبعة رجال . وجاء إليه كاتبه (ابن أبى فروه) وقال له : جعلت فداك قد تركك القوم ، وعندى خيل فاركبها وانج بنفسك . فدفعه فى صدره وقال « ليس أخوك بالعبد فيحاول الهرب من القتال » .

وبوفاته انتهت الوقائع والحروب بين العراقيين والشاميين .

بعد وفاة مصعب

استولى عبد الملك على أرض العراقيين ولم يبق لابن الزبير إلا الحجاز . وطار خبر وفاة مصعب إلى مكة المكرمة فصعد أخوه عبد الله ذات يوم المنبر والكآبة بادية على وجهه ، والعرق يرشح فى جبينه ويحمر تارة ، ويصفر تارة ، وهو صامت لا يتكلم ، حتى قال أحد الحاضرين لجاره : ماله لا يتكلم ، أتراه

يهاب المنطق ، فوالله إنه للخطيب الأديب[1] ، فما تراه يهاب ؟ قال « أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب . ثم قال خطبته المشهورة[2] .

وأولها « الحمد لله الذى له الخلق والأمر ، وملك الدنيا والآخرة يعز من يشاء ويذل من يشاء الخ . إلى أن يقول أن أهل العراق أسلموه (مصعب) وباعوه بأقل ثمن . لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيار الصالحين . إنا والله ماتموت حتف أنوفنا ، ماتموت إلا طعناً بالرماح وتحت ظلال السيوف . والله ماتموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبى العاص . والله ماقتل منهم رجل فى جاهلية ولا فى إسلام قط . ألا إنما الدنيا عارية من الملك إلا على الذى لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه فإن تقبل الدنيا على ألا آخذها أخذ الأشر البطر . وإن تدبر على لا أبكى عليها بكاء الصرع للهبل . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » .

فقام رجل من بنى أسد وأنشد :ـ

لعمرك إن الموت منا لمولع   وكل فتى رحب الذراع أريب
فإن يك أمسى مصعب نال حتفه   لقد كان طب العود غير هيوب

---

(١) هذا ما حدث للمرحوم سعد باشا زغلول يوم تأبين أخيه فتحى زغلول باشا .

(٢) قيل لعبد الله بن الزبير ان يفر من قتال الحجاج . فقال بئس الشيخ انا فى الاسلام اذا واقعت قوما فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم ، وقد قتل معه فى مكة المكرمة ابنة الزبير ، واما والده الزبير فقتل بوادى السباع فى حرب الجمل ، اما جده العوام فقد قتل فى حرب الفجار ، وخويلد فى حرب خزاعة .

جمـيـل المحيا يزهي ألقرن غربه وإن عضه دهر نفير زهوب

أتاه حمام الموت وسط جنوده فطاروا سلالا واستقى بذنوب

ولو صبروا نالوا حيا وكرامة ولـكنهم ولوا بغـير قلوب

وختم حياة هذا الشهم شهيد الوفاء والبسالة كما قيل فيه من الأعداء والأصدقاء .

قيل أن عبد الملك بن مروان سأل جلساءه : من أشجع الناس فأكثروا في ذكر الشجعان ، فقال لهم : أشجع الناس مصعب بن الزبير إذ جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد ابن عبد الله بن العباس . وولي العراقين ثم زحف إلى الحرب فبذلت له الأمان والحياة والولاية والعفو عما أخلص في يده . فأبى قبول ذلك وأطرح كل ما كان مشغوفا به من مال وأهل وراء ظهره . وأقبل بسيفه يقاتل مابقي معه إلا سبعة نفر حتى قتل كريما متى تغدو قريش بكريم مثله .

حمى نفسه أن يقبل الضيم مصعب فمات كريمـا لم تذم خلائقه

من أقوال مصعب المأثورة

التواضع من مصائد الشرف فالناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون . ويحفظون أحسن ما يكتبون . ويكتبون أحسن ما يسمعون . فإذا أخذت الأدب فخذه من أقوال الرجال فإنك لا تسمع منهم إلا مختارا .

هم المانعون الجار حتى كأنمـا لجارهم بين السماكين منزل

بها ليل في الإسلام ساروا ولم يكن كأولهـم في الجاهلية أول

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

لقد فرغنا من تاريخ حياة جد قبائل البجة الشمالية (كما ذكرنا) عن طريق هجرة العرب ، والأسباب التى اضطرت هذا العنصر العربى على استيطان القطر السودانى السعيد ، أما عن الآباء والأجداد الذين تتألف منهم القبائل فإننا آسفون إذ لا يمكننا حصر ذلك بدقة لأنه كما قال من سبقونا من المؤرخين أمثال زيدان ، حيث قال : ـ فنجد فى بعض القبائل قلة عدد الآباء أو حذف بعض الأجداد بسبب النسيان أو تشابه الأسماء ، وأحيانا تنتمى القبيلة إلى زعيمها المشهور . والقبائل السبع التى ذكرناها أطلق عليها أسماء منشئيها إلا الأخيرة (عامراب) التى هاجر جدها عامر بيئته من مجاورة أخيه عمار وأطلق عليه اسم درق . وهو الزعف الذى كانت تضعه ذريته فى أعناقها لتميز نفسها عن وثنى أرض الحبشة الساحلية .

ونحن فى كتابنا عن قبائل البجة (شرق السودان) نعتمد الأنساب التى يقدمها لنا أصحابها ، ونقدم ما يؤيدها بما لدينا من المراجع ، لأن بعض هذه الأنساب وجدناها مكتوبة فى أوراق بالية ، وبعضها وصلت إلينا من نسابى ومؤرخى القبائل الذين لا تخلو منهم أى قبيلة ، بل فى بعضهم كثيرون من القراء يحتفظون بالأنساب فى طى مصاحفهم ، وبعضهم يحفظه عن ظهر قلب ، وبعضهم ينشده لك وقد نظمها أحد أجدادهم ، ويصف كل جد بما اشتهر به كما عمل شعراء الحباب والعجيلاب .

وفى عموم قبائل البجة يندر التسمية باسم المرأة وذلك لا يكون إلا فى أبناء الرجل الذى يتزوج بامرأتين أو ثلاثة . فلدى البشاريين أم ناجى وأم على وهذا نظام سارت عليه القبائل العربية .

فقد كان لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثلاثة أولاد باسم محمد من ثلاث أمهات محمد الأكبر وأمه خولة بنت جعفر من بنى حنيفة ، فسمى محمد بن الحنفية ، وكان يقال لابن هارون الرشيد محمد الأمين بن زبيدة .

وفى بعض القبائل نجد رجالا يلقبون بأسماء أو صفات فتنسى الأسماء الأصلية وتبقى الألقاب[1] .

وهذا كثير جدا فى قبائل البجة ، وأحيانا يترجمون الاسم العربى إلى البجاوى إذ أنهم لايحسنون النطق العربى فهذا أحمد (باركوين) جدالهدندوة فسمى ابنه جعفر الطيار وسمته البجه كيلاى Kilai وتعريبها طائر ، وكذلك والده واسمه محمد فلعظم مكانته لدى البجة لقبوه بلقب وهدأ Wohada الزعيم أو الناظر وهو الذى أوجد القبيلة ولذلك نسبت إليه فقيل هدايدوه[2] كما وأن لفظه « أوكير » تعريبها الخير وكلمة كجو تعريبها الخضر .

لما استولى الخديوى محمد على باشا على السودان ١٨٢٠ غَيَّر لقب ملوك جميع الممالك السودانية المصرى وأطلق على هؤلاء الملوك لقب ناظر ، فقيل لملك بنى عامر ناظر بنى عامر ولملك الهدندوة ناظر الهَدَنْدَوَة ، وهكذا ألغيت

---

(١) فكان يقال لسيدنا حمزة بن عبد المطلب : أسد الله . وفى الهدندوة رجل شجاع مطاع بين القبائل ضاع اسمه وبقى لقبه وهو : هـــداى دوم Hadai Doum هجم بعصابته حوالى ١٨٤٢م على قوز رجب وأحـــرق منازل الجيش المصرى التركى ونهب وغنم خيل فرسان المغاربة الذين كانوا معسكرين فيها انتقاما للشيخ الناظر وهدأ محمد ديـــن وفقيـــه موســـى بن الهيتكتاب الذى اعتقل بالخرطوم وماتوا هناك بالجدرى .

الملكة وبقيت النظارة . وصار الناظر (الغير حازم) لأتفه الأسباب يضمه المفتش ، أصغر مفتش ، في السجن مهما علا من الرتب والنياشين .

أمارأر

هي إحدى قبائل إقليم البجة التي تسكن بين المشاربين والهدندوة ، وتنقسم إلى عائلتين كبيرتين إحداهما من ذرية عمار ابن محمد بن كاهل زعم من الزبيرية الذين اتخذوا جبل اكراربي Akra - Ribi عصمة لهم . ولعمار هذا سبعة أنجال تألفت منهم الأمارأرهم :

١ — فاضل ٢ — فضل ٣ — رغسيب ٤ نهد (نهض)

٥ — عامل ٦ — محمد ٧ — سعد .

فمن الأول تألفت قبيلة الفاضلاب :

تطلق الفاضلاب على ذرية فاضل بن عمار ، وهذا له ولدان هما حافظ وقد انقرضت ذريته ولم يبق منها إلا حصة صغيرة تسكن وادى لكيتوه Lakaito وأمور Amour وقليل منهم في عقامت Aoamat . والثاني من أبناء فاضل : الأولى عائلة : إيدنيب Eidaneib ويسكنون جبل أكراربأى Akra-Ribai[1] ، والثانية عائلة حمدأياب Himmadayab[2] ، وهم أكبر حصة في بدنة[3] الفاضلاب . وهم بيت الرئاسة . واشتهر منهم بعض الرجال بالكرم والشجاعة وحب الخير حتى انقضت منهم كل قبائل الأمارأر

---

(١) وتعريبها الجبل القوى .

(٢) الحمداب .

(٣) عمودية .

والأتمن Atman[1]، وأشهرهم الشيخ محمود بك علي وأولاده أمثال محمد درب كاتي Darabkati والشيخ نقر[2] ، (بجيل) والشيخ آدم رحمة ، والشيخ أبو حوة محمد سعدون .

محمود بك على

لا أدرى من أى النواحى أكتب عنه لأن كل أعماله تمثل البطولة والشهامة لاسيما وأنه نشأ فى عصر كثرت فيه المشاغبات والحروب وخصوصا الحرب الاستقلالية (التى أعلنها الإمام محمد أحمد المهدى) والتى تولى قيادتها فى شرق السودان الأمير عثمان دقنه .

وكان محمود بك على عالى الهمة يريد أن يتخلص من رئاسة ناظر الأتمن . فحضر واقعة سنكات يوم أول عيد الفطر سنة ١٣٠٠ هـ . وإليه يرجع أكثر الفضل فى رحيل أكثر المصطافين بسنكات إلى مدينة سواكن عن طريق قبائل الأمارأر وهذا طريق بعيد وشاق وأسكن الناس محملوه خشية أن يقعوا فى أيدى الهدندوة الذين بايعوا ابن ابنتهم الأمير عثمان دقنه لئلا يفنوهم . وقد كان الإتفاق بينه وبين محمد بك توفيق[3] ، على فصله من نظارة الأتمن واعتماده نظارة منفصلة عنها .

---

(١) او العثمانيون اى ابناء عثمان بن الشيخ عجيب المانجلوك .

(٢) اجتمعت به وهو كهل فلقيت منه اكراما كثيرا وكذلك ابن أخيه الشيخ على شيك درب كاتي .

(٣) ارسل ابنه على محمود مع توفيق للاشتراك فى واقعة شباب فقتل على ... ، واستاء والده ، وتنكر المهدية والامير عثمان دقنه .

ثم جاء سليمان باشا نيازى حكمدار شرق السودان ، فاعترف له بذلك وطلب منه ألا ينضم لنظارة الأمن فى أزبباب ، إذ كانت ضالعة مع الأمير لأن زعيم الأمن فى تلك الجهة تابعاً لطريقة القادرية التى يتزعمها الشيخ الحسن ابن حاشى الذى اشترك فى فتح الخرطوم وفى قتل الجنرال غردون .

فانضم الشيخ محمود على إلى الحكومة ودخل بأهله مدينة سواكن وناصب المهدية العداء . واعتمدت عليه الحكومة فى كل حركاتها كما أنعمت على أنجاله برتب الضباط الحربية وأعطتهم قيادة الخيل والجمال للاستطلاع ومعرفة أحوال معسكر الخصوم[1] . ولكنهم لم ينجحوا تماما . وهذه سنة الله التى فطر عليها عموم قبائل البجة فإنها يستحيل أن تكون عونا على بعضها أو تتحد مع أى خصم أجنبى ضد أى قبيلة بجاوية أخرى ، فعندهم القومية البجاوية . لا يمكن أن يتساهلوا فيها ، وما عداها من المسائل مثل العقائد والحرية والطائفية والجهاد فكلها فى الدرجة الثانية . فإذا امتهنت كرامة أى بجاوى (ولو كان من قبيلة معادية لهم ولقبيلتهم) فإن كل البجة يقفون فى صفه ويهبون للدفاع عنه ، وهم لا يعترفون إلا بعصبيتهم القبلية . انظر إذا نشب قتال بين عائلتين من قبيلتهم يقفون على الحياد ، ويمنعونهما من القتال ولو ماتوا بينهما . وإن كانا قبيلتين فتأتى الثالثة للصلح والتوفيق ولا تنضم لأحداهما . وإذا جاءت الحكومة أو قبيلة لا تنتمى إلى البجة فإنهم يصمدون ويقاتلون مع إخوانهم ، فإذا لم يفعلوا ذلك فإن الحكومات السابقة وعدتهم أن تقضى عليهم بعد إخوانهم وكذلك القبيلة الأجنبية (مثل الرشايدة وغيرها) ممن يجاورهم من متكلمى العربية .

---

(١) كثيرا ما علموا عن أماكن ضعف الأنصار فكانوا لا يرشدون أو يبلغون عنها .

انظر إلى هؤلاء الحكام حتى المفتشين منهم قضوا هذه السنين الطويلة وطافوا كل الجبال والسهول والوديان والمضايق والكهوف ورأوا ما فيها من الآثار ولكنهم للآن لا يعلمون عن حقيقة أحوال قبائل البجة وعاداتها وشئونها الداخلية . ولقد أخذ عنى كثيرون من المستشرقين فكنت أرى من واجبى بصفتى بجاوى أن لا أطلعهم إلا على القشور التى لا مضرة من نشرها أو معرفتها . كما وأنه توجد بعض محلات لا تخلو من آثار فنضطر لإخفائها لأنها موجودة فى أحسن المواقع .

القاضىلاب

للشيخ محمود بك على زعيم القاضىلاب مواقف تمثلت فيها الشهامة بكامل معانيها أشهرها يوم أن استجار به قاتل ، والشيخ لا يعلم شيئاً عن أهل القاتل والمقتول ، فقال المستنجد : « إننى قتلت ابن عمى وجئت إليك كى يرد نى من أهله الذين يتعقبون أثرى » .

فقال له « لا بأس عليك أنت آمن عندنا » . وأرسله مع ابنه إلى مكان خفى وقال له احتفظوا به .

فلما جاء أهل القتيل قابلهم بحفاوة وترحاب ، وأكرمهم جداً . ولما قدم لهم الطعام لم يأكلوا ، فقال : — « ألا تأكلون » فقالوا نحن جئنا خلف قاتل وعلمنا أنك أجرته فنريد منك أن تسلمنا إياه أولا . فقال لهم : — «اطمئنوا وسأسلمه لكم ليلا ، وأجعله فى مكان كذا ، وأربطه لكم بحبل فى الشجرة » . فارتاحوا لكلامه إلا شيخاً منهم . وأكلوا الطعام وأخذوا قسطهم من الراحة ثم ودعوه . فلما جاء الليل ذهبوا إلى الشجرة فوجدوا فيها شخصاً ملفوفاً

فى ثياب مربوط فى الشجرة ربطا محكما . فسارعوا لقتله إلا ذلك الشيخ فإنه قال لهم . انتظروا حتى نتبين حقيقة شخصيته . فأطلقوا منه الحبال، ثم كشفوا عن وجهه فوجدوه اليكباشى حمد درب كاتى ابن محمود بك على ، فبهتوا وتعجبوا من وفاء الرجل للمستنجد به . واستعاضوا للعار الذى كان ينتظرهم بين القبائل إذا قتلوا ابن الرجل الذى أكرم وفادتهم وأحسن مقابلتهم . فأطلقوا سراح حمد درب كاتى الذى قال لهم، اقتلونى بقتيلكم فإن أبى اختارنى لأكون الفداء . فقالوا لا شأن لنا بقتيلكم وبقاتلنا . هيا قم معنا إلى والدك . فلما اجتمعوا به شكروه جدا وتنازلوا عن أخذ الثأر وقبلوا منه الدية . فكساهم ثيابا وأعطاهم زاداً يبلغهم أهلهم . ولو لم تكن لمحمود بك على غير هذه الخصلة لكفى .

وبذل مجهودا جبارا لدى ولاة الأمور حتى يكون منفصلا بنظارته تابعا لمديرية البحر الأحمر وكسلا وأن تكون نظارة الأتمن تابعة لمديرية بربر لأن عاصمتهم (أرياب) قريبة من بربر .

فكانوا يعدونه بالوفاء حالما تنتهى المهدية ويعود السودان كله للعهد القديم . وله موقف آخر وهو يوم سفر الأمير عثمان دقنه إلى كسلا عقب وفاة الإمام محمد أحمد المهدى ١٨٨٥ م ومعه جيشه الجرار لقتال الحبشة وإعلان وفاة المهدى . ولم يبق معه غير بعض الخفراء والنساء والأطفال . وعلم كتشنر باشا بذلك فهجم واستاق النساء والأطفال إلى سواكن ، وقال إن هذه غنائم سنبعث بها إلى مصر فى الباخرة القادمة . فتصدى له الخليفة الصافى من أهل سواكن ، وكذلك محمود بك على وقالا لا نسمح لك بإخراجهن بناتنا لأنهن إخواتنا وبناتنا : فأما أن ترسلنا جميعا أسرى أو تتركهن . فاستاء من

معارضتهما واتصل بمصر . فصدرت إليه التعليمات من اللورد كرومر أن يسلمهن لأهلن . وفعلا ارجعن بواسطة أقاربهن إلى معسكرين سالمات .

ولولا أن تحلت القومية البجاوية لساقرن وعدهن ء بل اسالت دما بين أهل سواكن والجيش .

وعلم كتشنر أن لا اعتداء على أى بجاوى ضد أخيه البجاوى . وذلك استياء من أبناء محمود بك على وموقفهم الذى وقفوه ضده فى حادث النساء . فحدث بينهم خلاف — خرجوا على أثره من سواكن وانضموا لجيش الأمير عثمان دقنه ، فتلقاهم بترحاب واحتفال عظيم ، وضرب لهم النحاس أسبوعا كاملا فى هندوب ، ثم سلمهم إدارة بلاد الأمارأر وقيادتها الحربية ونقل الأمير قيادته إلى تو كر .

وبعد أعوام اعتقل المدير الشيخ محمود بك على لأن أولاده أقلقوا راحة الجيش فى ضواحى سواكن وقتلوا بعض الجنود والفرسان والخيل . ولما أطلق من السجن قال للناس لا صداقة لحاكم ، انهم كما رأيتم اعتبرونا نحن الذين قاتلنا معهم الأمير عثمان دقنه ، أعداء لهم . والحقيقة إننا نحن البجة يجب أن نقف صفا واحدا ضد أى أجنبى . ثم ألقى القبض على الخليفة الصافى وأرسل معتقلا إلى مصر أيضا لأنه دافع عن النساء والأطفال[1] .

---

(١) بعضهم يتهم آدم زهرة «جهره» بتزوير خطاب ضد الخليفة . وآدم هذا كان بيده ختم السيد محمد عثمان تاج السر الميرغنى يضر به الناس بدون علم السيد .

وبعض حوادث طلب انفصال الأمارار عن نظارة الأمين سنذكرها فى حوادث النظارة إن شاء الله .

توفى الشيخ محمود بك على زعيم الفاضلاب فى يوم ٢٢ ديسمبر ١٨٨٩م وكان مواليا للحكومة طولة مدة حياته مزملا أن يتخلص من نظارة الأمين . وهذا ما لا يمكن حدوثه ومنحته الحكومة مرتبا شهريا لا يزيد عن ثلاثين ريالا (ثلاثة جنيهات مصرية) . وله مواقف مشرفة جدا منها أنه تعهد لتوفيق بك إيصاله هو وجنوده من سنكات إلى سواكن[1] . ولكن توفيق لم يوافق . وقال له إنى أرسلت فى طلب ألف جندى ومائتين من الفرسان ... ولها وستة مدافع جبلية وأخرى سريعة الطلقات .[2] وبعد وفاته خلفه ابنه حمد درب كاتى .

عشيب ESHEIB

هو عشيب بن عمار الذى تزوج ابنته مريم الشيخ عجيب المانجلوك كبير وزراء دولة الفونج (السلطنة الزرقاء) ورزق منها ابنه عثمان ، وسنأتى على تفصيل ذلك فيما بعد .

---

(١) كان الشيخ محمود يريد أن يمر به فى اراضى الامارار وهى ثلاثة أضعاف المسافة العادية .

(٢) كان توفيق بك يجهل الاوضاع فى مصر التى كانت محتلة بالجيوش الانجليزية والهندية ومنهمكة فى تجريد المصريين من كل سلاح فى أيديهم . أما جيوش السيد أحمد عرابى فقد ارسلت الى مجاهل كردفان وتوكر وبادية سنكات . والحكام الانجليزى الجديد بمصر يريد أن تندلع نار الحرب حتى يشترك فى استرجاع السودان وضمه لاملاكه كما ضم مصر قبله .

والمشيباب هم حصتان صغيرتان إحداهما على ضفاف نهر أتبره يرأسها الشيخ محمود أبو عائشة ، والحصة الثانية بجبل إزبا Erba .

وبعضهم يقيم للزراعة بجهة هَيتْت Hayate وأموز وغيرها ، ويرأسهم الشيخ عيسى محمد شيك وكلهم ذرية شماس بن عشيب ، وليس لأخوه عبد المعين أى ذرية . وانضمت إليهم عائلة يقال لها ليلناب Leelanab [1] وهم أبناء بنت المشيباب وأصلهم من بقايا البلويب المشهورين .

NAHAD نَهَدْ

كانت ذريته كثيرة جداً قبل المهدية ويسكنون فى جهة إنْدَه Indeh وقد قاتلوا الأنصار حتى لم يبق منهم اليوم إلا جماعة قليلة حول نهر أتبره .

AAMIL عامل

استوطنت ذريته مع المُوسَياب المجاورين لهم ولهم أراضى صغيرة بالنسبة لقلتهم .

SAAD سعد

ارتحلت ذريته إلى أرض الحدندوة فمنهم جماعة بجبل أوكِرْ Owkr وجماعة بأرض القاش ، ويرأسهم الشيخ وكيل وهاج المرحوم . وهم اليوم أقلية فى تلك الجهات وربما انضمت جماعة منهم إلى الهيْكوتياب Haykotyap.

---

(١) تطلق على الكثير الزغاريد وهى كلمة بجاوية .

محمد أو حماد HUMMAD

يقال لقرية حمّداب Hummadab وهم حصة صغيرة تسكن وادى أكّات Akkat القريبة من محطة سلوم إلى حدود جبل أوبو Obo ، ويمضهم بجهة القاش وخور بركة . وهم تابعون لعمودية الفاضلاب ، ويرأسهم الشيخ أبو حوه آدم .

فيما هى قبائل « أمارأر » التى كانت تتألف منها سبع عموديات كبيرة قضت عليها الحروب الأهلية بينهم وبين البشاريين فى القرن السابع عشر للميلاد فقد كانت حدود الأمارأر متصلة بحدود البشاريين ونشب بينهما قتال عنيف استمر عدة سنين التزم فيه أبناء بنتهم (الأتمن) الحياد[1] التام مع أن ناظر الفاضلاب عرض عليهم الاشتراك فى القتال ، ولكن ناظر الأتمن رد عليه بأنهم يخشون بأس البشاريين لأنهم أغلبية ساحقة ومسلحون بأسلحة جيدة ، فتحججوا عن القتال الذى خسر فيه الأمارأر خيرة رجالهم الأجاويد وشبانهم الصناديد .

وحدثت فى القرن التاسع عشر الميلاد واقعة أخرى بين الفاضلاب والحامداب (حمدندوه) قتل فيها جماعة من الفريقين . وفى هذه المرة جاءت نجدات الأتمن ، ولكن تم الصلح بين القاتلين . ثم جاءت المهدية وقاتلوا جيوش الأنصار فى كل مكان فكانت هذه ثالثة الحروب التى ضعضعت قوائم وأفقرتهم من المال والأنفس .

---

(١) يقول الشيخ محمد ابراهيم ان الأتمن كانوا ضعافا جدا اثناء القتال فأرسلوا أثناء القتال عصابة منهم لكى تنهب بعض ابل البشاريين . وفعلا نجحوا واخذت بعض عموديات الأتمن من هذه الابل .

قتال الفاضلاب والهَدَندَوَة[1]

حوالى ١٨٧٠ م حدث خلاف بين عائلة فى الفاضلاب والأمارأر يقال لها إيدَامْبيتْ Eydambit وعائلة من الهدندوة تسمى حامداب . وكان يرأس الأولى عمدتها الشيخ على آدم رحمه ، والثانية إبراهيم حمددو Hamad - Dow عمدتها المشهور باسم حمد دو أور Hamad - Dow-Or والسبب هو خلاف نشأ بين حامد حمد دو أور (أخو العمدة) الثانى وجماعة من الإيداميبت على الآبار فأخذ حامد حمد من الأخيرة ناقتين وتمكن الفاضلاب أيضاً من خطف ناقة من الحامداب (هى ناقة محمد محمود الحامدابى) ، فذبح صاحبها إحدى ناقتى الفاضلاب ، فاستاءت كل من القبيلتين لما سمع بذبح الناقة ، ولكن رؤساؤهما تماسكا أعصابهم واتفقا على إزالة الخلاف بالحسنى ، ودعيا لاجتماع رؤساء القبيلتين فى هَرّان Harran فحدث تراشق بالعصى والحجارة قتل فيه محمّدين موسى كرب من الحامداب . وتوسط المشايخ فأوقفوا القتال والتراشق ودفنوا القتلى وتأجل الاجتماع لفرصة أخرى لنظر القضايا جميعها فيه .

عاد المصلحون إلى قبائلهم ، واستاء الحامداب لقتل محمدين ، وجمعت كل أقاربها فى أرض الفاضلاب إيتدار Eyet - Dar . وكان الفاضلاب رحلوا فى طلب المراعى إلى شواطئ البحر الأحمر حيث أن الأمطار كانت غزيرة ، والكلأ كثيف جداً بخلاف أراضيهم الغربية التى أحرق أشجارها خصومهم لما لم يجدوا أحداً فى إيتدار Eyet - Dar . فلما سمع بإحراقها الشيخ على آدم

---

(1) هاتان القبيلتان مجاورتان لبعضهما ومشتركتان معاً فى مراعيهما ومياههما .

رحمه رحل بقبيلته إلى محل الحرائق ، فوجدوا الحامداب واشتبكوا معا فى قتال عنيف انتهى بقتل ـ جماعة من الفريقين . ثم عاد الحامداب إلى ديارهم (جبيت وسنكات) واستنجدوا بأهاليهم من المدندوة ، كما استنجد الفاضلاب بالأغمن ، وصارت كل قبيلة تقتل كل من تجده من الأخرى حتى كانت المهدية[1] ١٨٨٣ م ، فاتبعها الحامداب وأنكرها الفاضلاب ؛ وألقى الأمير عثمان دقنه كل الدماء والحوادث التى كانت بين القبائل بعد مجيئه وتعيينه أميراً على شرق السودان[2] .

---

(١) اعلن الامام المهدى القتال بالكتب والرسائل حتى كانت واقعة الجزيرة أبا ١٨٨١م بينه وبين أبو السعود باشا واشترك فيها أربعون مجاهدا من شيوديناب المدندوة بقيادة السيد ابراهيم ابن الحاش (لم يعد منهم الا أربعة اشخاص) .

(٢) فكانت دماء عهد الحكم التركى موضوعه (ملغاة) .

« أمارأر »

أتمن

وهنا نبدأ بالقسم الثانى من الأمارأر وهم الأتمن Atman وهم ذرية عثمان ابن الشيخ عجيب ابن عبد الله جماع . قال نعوم بك شقير مؤرخ السودان فى أواخر القرن الماضى نقلا عن الشيخ إبراهيم عبد الدافع عن العبدلاب :

انتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية المجاور لجبل سَقَدى على مقربة من سِنّا . وكان كبيرهم « عمارة دُنْقَسْ » وفى جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له السيد عبد الله جماع . فاتحد عمارة وعبد الله المذكوران على ضم كل المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من أيدى النوبة . وهاجما القوم فى سوبة ، فتغلبوهم شر قتله ، وأخربا سوبا ثم سارا إلى قرّى فقتلا ملكها ، واستوليا على البلاد كلها ، وذلك كان سنة ٩١٠ هـ — ١٥٠٥ م .

لما تم لعمارة وعبد الله النصر على النوبة ، اتفق رأيهما بأن يكون عمارة هو الملك الأعظم فى مكان ملك سوبا لأنه الكبير المقدم ، ويكون عبد الله فى مكان ملك قرى ويلقب شيخا . فجلس عبد الله فى قرّى وذهب عمارة واختط مدينة سنار وجعلها كرسى مملكته وكان عمارة وعبد الله كالأخوين إلا أن رتبة عمارة أعلى من رتبة عبد الله . فكانا إذا حضرا معاً يتقدم عمارة على عبد الله . وإذا غاب عمارة قام عبد الله مقامه . ولم تزل هذه المادة متبعة فى أسلافهما إلى انقضاء المملكة .

وقد نقل العبدلاب عاصمتهم من قرى إلى الحلفاية وامتدت سلطتهم من أربجى إلى الشلال السادس . وتوفى عبد الله جماع حوالى ٩٦٥ م . وكان يقال إن الشيخ عبد الله جماع يلقب بالسيد لأن نسبه من جهة والده يتصل بالإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، وكانت والدة الشيخ عبد الله من أشراف الرفاعيين وله من الأولاد تسعة أصغرهم هو الشيخ عجيب .



ثلاثة شبان من الأمارأر يمثلون الفتوة البجاوية

الشيخ عثمان بن عجيب

هو الشيخ عجيب[1] بن عبد الله جماع الملقب بالمانجلوك أى مانجل الآك ومنه لقب «مانجل» الذى يخاطب به شيوخ العبدلاب إلى اليوم . وعرف العبدلاب بأولاد عجيب أيضا نسبه إليه . وكان رجلا صالحا دينا . وقد حج إلى بيت الله الحرام عن طريق سواكن . فلما وصل الشيخ عجيب إلى سواكن تلقاه أهلها بالحفاوة والإكرام . وضرب له الأرتيقة النحاس أسبوعا كاملا . ورفعوا له شكوى بسبب صعوبة المياه ، فأنشأ لهم الصهريج الكبير الموجود لخزن المياه .

ونزل الشيخ عجيب فى ضيافة الشيخ قول الأرتيقى هو وجميع من كانوا معه ، فلما استقر به المقام تكلم مع الشيخ قول عن رغبته فى الزواج فعرض عليه أخت زوجته « مريم بنت عشيب ابن عمار » . وكانت مع أختها بسواكن فأرسلوا إلى أبيها وعمها الشيخ فاضل كى يحضروا من أكردباى ، فلما حضروا وافقا على الزواج وتم عقد القران .

ثم سافر الشيخ عجيب إلى جده ثم مكة المكرمة وأنشأ فيها رواق السناريين ثم زار المصطفى ﷺ بالمدينة المنورة وأنشأ فيها أيضا رواق السناريين[2] . وخلد للسودانيين أحسن الذكرى بهذين الروافين اللذين بناهما بإذن الحكومة العثمانية « تركيا » .

---

(١) والدته هى بنت الشريف حماد أبو زيفانه .

(٢) وجعلها وقفا للحجاج السودانيين (هل بحثت حكومة السودان عن هذين الرواقين وقررت احياء معالمها بعد أن نالت البلاد استقلالهـا وأعادت بناءهما ، وتحسين حالتيهما) .

فلما أتم مناسك الحج عاد إلى سواكن واضطر أن يترك زوجه بسواكن حتى تضع حملها . وأخبروا والدها بأنها إذا وضعت ولداً أن يسموه عثمان .

وكان كما قال ، فوضعت ولداً فأرسل إليه والده سيفا جيداً وطاقية ذهبية وككر « كرسيا » ونحاسا « نقارة » فنشأ فى كنف أجداده وأخواله .

أما الشيخ عجيب فلم يكن بينه وبين ملك سنار « الملك عدلان » أية مودة وصفاء نية ، ولذلك خرج عليه الشيخ عجيب وتقاتلا بجيشهما فى مكان يقال له كَلْكول « بين الميلَفُون والخرطوم » فقتل الشيخ عجيب وفر أولاده إلى دنقلا ، ثم أمنهم الملك عدلان وعين الشيخ عجيل بن عجيب فى قَرّى مكان والده ، والفضل فى ذلك التعيين يعود للشيخ إدريس ود أرباب .

الشيخ عثمان بن عجيب :

اعتنى جده فاضل بتربيته وكان منصباً خطيراً ينتظره وينتظر بنيه . فلما بلغ أشده زوجوه بفاطمة بنت إيلَقَدْ Eylaqad الكميلابية . فرزق منها أربعة أولاد هم أحمد كُرُبْ Kurup ومحمد نور ، وقويلاّى Qwilai [2] . وتطلق كلمة أتمن على ذرية هؤلاء الأربعة . وهى لا تستعمل إلا عند تمييز أبناء البنت أخوالهم وهم الأمارأر . ويطلق على الجميع فى كافة أنحاء البجة ولدى الحكومة

---

(١) كانت أرملة ولها ولد من زوجها الاول اسمه احمد الجعفرى من ذرية جعفر الطيار بن على بن ابى طالب وقد اندمجت ذريته فى الكميلاب .

(٢) وتعريبها قصير الاذن وهذا يدل على نسيان اسمه العربى وبقاء هذا اللقب .

أيضا أمَّارأر[1] ، مع أن الأغلبية اليوم هي من الأتمتج ، [illegible]
الأراضى وغيرها اللهم إلا فى النظارة لأنهم يحتفظون بعلاماتهم [illegible]
والنحاس والسكر والطاقية .

على بن عثمان

هو جد عموم عموديات العَلْياب ، وقد رزق ستة أولاد هم عثمان المرغوب
وعيسى ومَنقيب وهؤلاء الثلاثة أمهم من بشار اياب الهدندوة . وتامع وواقد
(أو كما يسمونه وَقَدْ Waqad وأمهما نفيسة بنت نَهَدْ ، وكذلك قرشى بن على
وأمه سوا كنيه ،ورزق على عثمان ستة أولاد هم مَنُوفِلْ Manoufil وأرْفوب
Arfoub ومَهَجُنْ Mahajun وسعيد وعلى هَيكَلْ Haykal[2] ، ومبارك .

أرفُوباب ARFOUYAB

تألفت من أرفوب بن عثمان المرغوب عمودية أرفوباب وهدتها الشيخ
أوكير عيسى جبرين ، وهو مشهور بالصبر والنظر فى العواقب . واشتهر فيها
الشيخ عيسى صبرين وابنه الشيخ حسين . ويسكنون وادى يُويَدَرْ Yoydar
ومنتشرون فى كل الأنحاء حتى أرض بنى عامر والهدندوه . ولهم ميل فطرى
للمجازفات التجارية وتتفرع منهم عدة حصص أشهرها جبريناب وصندوقاب
وحامد هداب .

مَنُوفَلاب MANOUFALAB

يسكنون حول وادى اوكو Oko بجوار السكرْياب والمصواب
(بشاريين) . وهذا الوادى مشهور بأراضيه الخصبة . وقد شاهدته وكان

---

(١) يقولون ان ابن بنت القوم — منهم .

(٢) وتعريبها الميمون .

الخلاف بين سا كتيه على أشده بسبب جودة الطمى و كثرة المياه فيه . دائما يكثر الخلاف بين سكانه من المنصوراب والسكرماب .

واليوم عمدة المنوفلاب هو الشيخ محمد أبو عائشة .

منوفلاب MANOUFALAB

اشتهر رجل بالتقوى والصلاح اسمه الشيخ محمد إبراهيم [١] ، من المنوفلاب وكان تابعا لطريقة الشيخ الحسن ودحاشي خليفة الطريقة القادرية بجهة قوز رجب وأرباب . وساعده الشيخ الحسن ببعض المصاحف ، فأخذها وسكن جهات مشهورة بخصوبة أراضيها . وفتح عدة خلاوى لدراسة القرآن . وكان لديه نحو خمسمائة طالب أجادوا القرآن وحفظوه من ظهر ، وكلما تخرجت جماعة تولى كل منهم إنشاء خلوة في قريته . ولذلك استفاد كثيرون من المنياب والمنوفلاب وجيرانهم من القراءة والكتابة، فأفادوا واستفادوا . هذا في الأمارأر في الشمال الغربي . أما أمارأر الشمال فقد بقوا على حالتهم الطبيعية حتى قيض الله لهم إنشاء مدينة الشيخ برْ غُوث (حمد عاولى) عروس البحر ، وقد كان ظهورها وتعميرها على حساب سواكن التي زال اسمها من بين موانيء البحر الأحمر . وأول خط مواصلات وضع هو شريط السكة الحديد الممتد منها إلى كافة أنحاء السودان ، وقد قررت وزارة الحكم الذاتي إزالته من سلوم إلى سواكن . وقد احتج نواب شرق السودان على ذلك ، ولكن وزير المواصلات صمم على إزالته . ولقد كان نافعا للحجاج وغيرهم من البحارة . ولقد وعدوا بطريق سيارات أسفلت وإنشاء مدينة للحجاج في محطة أسوتريه ، وهذه المدينة

---

(١) هو خلاف الشيخ محمد ابراهيم الناظر الذى ناله حيف بسبب تشابه اسمه لاسم هذا الشيخ فاعتقلته الحكومة .

ستكون مفيدة للأمارأر أيضا خصوصا إذا أنشىء فيها سوق صغير لكافة لوازم الحجاج وبعض أهل سواكن يكرهون الشيخ برغوث ويقولون إنه سبب خراب مدينتهم العتيقة عليها العفاء . هذا من جهة أمارأر بورتسودان الذين يتمنون أن يستمر عمران مدينتهم فى تقدم سريع إذ أنهم تنسموا ريح التمدن والعلوم والمعارف منذ ظهور بورتسودان بين الموانىء ، خصوصا زيارة الخديوى عباس لها سنة ١٩٠٨ وزيارة الملك جورج الخامس لها سنة ١٩١٢ وسيأتى جيل من أبناء الأمارأر يبزون أبناء كافة القبائل فى كل الميادين الإجتماعية والعمرانية بفضل إقبالهم على العلوم والمعارف ولو بعد قرون على رغم أولئك الذين يكرهون تقدمهم وعدتهم ممن يودون خراب بورتسودان وهو من رابع المستحيلات مادام ذلك الأســد رابضاً فى فم المرسى متوسدا الثرى فى ضريحه مع البرغوث .

والمنوفلاب يعتنون بتربية الإبل جــدا ، وتوجد عائلة منهم تسكن حول نهر عطبره .

مُهجَن MOHJAN

وتفرعت من مهجن عمودية المهجن وهى تسكن حــول وادى درواث وهيبت وتسمى أراضيهم تيلْدول Tipildul ومعناها الأراضى المرتفعة . ويرأسهم الشيخ أوكير عيسى موسى وهو رجل حازم وتقيمهم حصة العيسابياب[1] وبعض الوقداب والفرشاب سكان أمور .

على أو هيكل

هو ابن عثمان المرغوب ، وهو جد الكيلاب والعبدلهيب وهم أكبر قبائل

---

(١) هم ذرية عيسى بن على بن عثمان ومنهم تناسل أشراف سواكن .

الأمن بعد السندرابيت والعبد الرحمانات ، ولهم ميل إلى المنازعات ، كما أن لهم ميلا إلى الشجاعة وإكرام الضيف . وإذا رد ضيفهم فى الإناء بعض الفضلات اعتبروه جائعا وأتوه بالزيادة حتى يقضى على كل ما أمامه من لبن ولحم ويرد إليهم الإناء خاليا من كل شىء . واشتهر منهم فى الزمن الماضى الشيخ محمد دبلوب ، والشيخ محمد على عيسى وولده الشيخ أحمد بن آدم وهو أفضل رجل ظهر منهم وعمدتهم اليوم الشيخ على محمد دبلوب، واشتهر بالتقوى والصلاح وتفرعت منهم عدة حصص مثـــــل موساى دواب ، وعيساى دواب ، وكربندواب ، والسمداب ، والرحمانات ، وأبو القاسمات ، والجهاداب ، وعبد الهب ، وقويلى شاماب (وهم من البلويب) . وانضمت لعمودية السكيلاب حصة العيداب . والسكيلاب يسكنون حول جبيت المعادن إلى ما بعد حداى[1] .

منيب

ابن على بن عثمان وهو جد بدنة المنياب ، وهم ذرية على منيب وعوض كير منيب . فتفرعت من الأول : حامداب ومسعودى والهى والأوصاب . وأما ذرية عوض كير منهم الشاكرات والسعوداب وهم يسكنون الجهة الجنوبية من جبيل دروديه Dar urabah وكلولبت ، ويزرعون حول هبيت وحصة منهم تسكن حول عطبره . وأشهر رؤسائهم السابقين الشيخ موسى ابن عدلان ، وعمدتهم الشيخ محمد سمرة .

---

(١) انضمت أغلبية الوقداب الى عمودية السندراييب وهم مشهورون بحبهم للبيع والشراء فى البادية والحضر وانضمت اليهم عائلة النافعاب .

أحمد كُرُبْ KURUB

ابن عثمان بن عجيب ، تألفت منه قبيلة كبيرة اسمها كرباب Kurbab غير أنهم أقل من سائر الأتمن . وهم من أحسن الناس منطقا ، وألطفهم معشرا ، وأشدهم بأسا . واشتهروا بمصاهرتهم المجاذيب (جمليون) . ويقال إن كرب توفى وزوجه حامل . فلما وضعت حملها كان ولدا ، وأوصى والده بأن يسمى كُرُب على أبيه . ورزق كرب بسبعة أنجال هم عيسى وأبين Abeen وكَرَاى وعلى حاج وعسيب ومحمدين ، ومن هؤلاء تألفت الحصص الآتية : وقداب : مَلَكَاى دواب Malakai-Dewab ، سعدوناب ، على هدلاب . وهم جماعة الشيخ حسن باأورى الذى كان عمدة فى منتهى الشهامة والدفاع عن أهله ، وقد عزلته الحكومة وخفضت العمودية إلى حصه .

ويتولى عمودية عموم الكرباب اليوم الشيخ حمد على حمد محمد (وهو من عائلة هون التى تنسب إلى شنقير بن عيسى بيت العمودية) ومنهم الشاتراب ، ويسكنون إرْبا Erba . وكذلك الأبيتاب والقرر سكان أمور ، والحداب انضموا للشتَرْأز (هدندوه) ومنهم حصة عسيب وعلى حاج ، وهم من أقلية . والكرباب عموما هم غالبية سكان بورتسودان . ومما يوصف له أنهم للآن لم يلتفتوا لإدخال أبنائهم فى المدارس . ويقيم عمدتهم بين محمد قول وسلالة وأوكو حيث أن لهم زراعة طيبة هناك بجوار المنصوراب . وصادراً ما حدث بينهما خلاف على تحديد الأرض الزراعية . وآخر ما كان ما شاهدته فى رحلتى إلى منجم بِرْكَاتِيْب Birkateib الذى يديره الشيخ أبوبكر سعيد باعشر نيابة عن الشركة ، فقد وصلنا أوكو والقبيلتان على وشك الصدام . وقد اصطفت كل جماعة فى جهة استعداداً للنزال . ومازلنا نسعى بينهما حتى قبلا الهدنة . وأقسموا لحين حضور النظار والعمد فيما هم فيه مختلفون .

كُرْبـاب[1]

واشتهر في الزمن السابق من الكرباب رجل في منتهى التقوى والصلاح اسمه الشيخ اكوين هوف ، له قبر يزار شمال بورتسودان تجتمع فيه كل سنة كافة قبائل الكرباب للاحتفال بحوليته في يوم ٢ شوال فيمكثون حول ضريحه نحو عشرة أيام كلها لهو ولعب وطروب وسباق خيل وجمال ثم ينصرفون كل الى مقر عمله وشغله .

ومن العجيب أن هـذا القبر على ساحل البحر والمياه حوله حلوة ولذيذة الطعم .

نــــــور

ابن عثمان بن عجوب الذى تناسلت منه قبيلة « النوراب » وهم يسكنون أربعات ودرُور ووادى عكات (أكات) . وقد رحلت اليوم غالبيتهم إلى ضواحى طوكر . ويرحلون فى الصيف إلى أراضى القاش حتى نهر أتبره . وهم مشهورون باستعمال الثيابيت والعصى الطويلة ، ودائما يصيبون بها الهدف حتى إن أحدهم قتل بها أسدا . ورزق نور ولدان هما سعد وفاضل . وذرية الأخير قليلة ، ويقال لها فاضل نوراب ، وهم يرحلون حيث المطر والمرعى . أما سعد فله من الأنجال : أرتُول Artoul وزيدان ووكين وونّاس Wannas . فمن الأول غالبية النوراب مثل عليدواب (بيت عمودية) ، وإيلاقاب ، والشاشاب والوكيناب . ومن مشاهير رجالهم الشيخ أبو فاطمه حسن وإليه يعود الفضل فى رحيلهم إلى أراضى البجة الخصبة . وكذلك الشيخ على آدم الذى اكتشف مرسى الشيخ برغوث ١٩٠٣ م حينما زارها الأسطول

---

(١) هم أبناء أحمد كـرب .

الفرنسي[1] . وهم يسكنون سهول شواطئ بور تسودان ، ولهم رسوم على كل سنبوك يرسو في موانيهم . قال عنهم الرحالة بروخهارت[2] الالوزانى : لما رست سفينتنا في مرسى توَارْتِيت جاءتنا جماعة من النوراب وقدموا لنا كبشا سمينا وألبانا كثيرة لم نجد أناء نضعها فيه لكثرتها .

وفي ١٩٤٣ اجتمعت في تندلاى برجل منهم اسمه الشيخ عبدالقادر النوراني له جمل أصيل يقال له هَلْبَت Halbat ، طلبنا منه أن يسابق جمل رجل من الرشايدة أقلق راحتنا بافتخاره بسرعة عدو جمله فرضى عبد القادر . وقام الجملان من أروما قاصدين تندلاى . وإذا بهَلْبَت ينال قصب السبق . وقد كتب مراسل صحيفة حضارة السودان عن ذلك . والحقيقة أن النوراب في جهة توكر والقاش هم أحسن من يعتنى بالجمال غير البشارية[3] . وعمدتهم الشيخ عثمان أبو فاطمة حسب . ويتولى الوكالة بالقاش الشيخ بيرق عمر شريف وهو ذو خلق سام وفاضل اشتهر بحسن السمعة والمحافظة على مركزه الأدبي . وله خبرة بكافة شئون القبائل . ومنهم الشاب الأديب على افندى منيب بشركة شل ، والعصامى الأستاذ منيب صاحب محطة (استراحة) توارتيت المقامة بين بورتسودان وسواكن . وسيكون لهذه الاستراحة شأن يذكر يوما من الأيام خصوصا موقعها الجميل على الساحل المشهور بكثرة أسماكه (توارتيت وفي المدن الراقية تنصب خيام ويقضى الناس فيها أوقات الراحة الأسبوعية حيث تكون التسلية الوحيدة بعد عناء العمل) .

---

(١) اوضحنا ذلك في بورتسودان .

(٢) قام من سواكن قاصدا جـده .

(٣) هذه الجمال تمتاز عن كل ما سواها خصوصا .. بانير . و « كلاى واوا » .

قـويـلاى QIWILAI

تطلق على ذرية قويلاى[1] بن عثمان بن عجيب وأصبح اسمهم . امارأو بسبب تناسلهم من حفيده عمار . وكل ابن بنت ينشأ ويتربى فى كنف أخواله ينسب إليهم . ورزق قويلاى اثنا عشر ولدا هم موسى وسعد أبو قديلوى Abu-Qadiloy ورحمه وسلطان وعلى وعبد الرحمن وسالم وسليمان وعبد الرحيم حامد (والأخير أمه بنت سعد الهدندوية) ومحمد ، وفقراى (وأمه من سنتيراب بشاريين) .

وتفرعت منهم عموديات وحصص بأسماء كل منهم وكلهم يسكنون فى ضواحى متقاربة لبعضهم إلا جماعة من أبنـــاء سعد فإنهم سكنوا بربر . واشتهروا فيها بالجود والكرم . وأشهرهم خلف الله بن طالب وإخوانه والحسن وأحمد وطه ولهم سمعة حسنة بين بربر وأتبرة .

ومن ذرية سعد (قديلوباب) جماعة يسكنون شمال أربعات بغرب الكرباب ولهم بئر عذبة تسمى ايت EYT وأشهر رجالهم هو الشيخ عمر حمد .

ومن ذرية رحمة : الرحماناب وأشهر رجالهم الشيخ على هوجر للرحوم . وأما سلطان فقد انقرضت ذريته . وأما على فمن ذريته ــ الهيبياب Heepyap وتعريبها الأراك . ويسكنون مع فايداب الهدندوة واللهيتكناب . وشاهدت رجلا منهم يقال له الشيخ محمد الأمين بن اسماعيل بن محمد ابن عبد الله المشهور بالهيبيابى لأنه أول من استعمل فرع الأراك فى السواك .

---

(١) وتعريبها قصير الاذنين .

(٢) تسكن معهم حصة ــ سعياباب .

(٣) هم ذرية محمد الهيب بن على المذكور .

وقد شاهدته فى ١٩٣٣ وقد نيف على الثمانين عاما ، وهو طلق اللسان فصيح العربية ، ينذر أن يتكلم البجاوية . وله معرفة تامة بالقراءة والكتابة . ويحتفظ بين دفتى مصحفه بسلسلة نسبه العبيد لابى ، وسلسلتها عند ذكر تاريخ نظار الأماوأر إذ وجدناها تتفق مع التى يحتفظ بها ناظر الأماوأر الحالى (١٩٣٠) الشيخ أحمد حمد محمود [1].

عبد الرحمـــــانــاب

نطلق على ذرية عبد الرحمن قويلاى ، وهم من أشـــد قبائل الأمارأر وأعزهم نفسا وأشجعهم ، ويزاحمون الموسياب على حسن الأحـدوثة والسمعة الحسنة خصوصا عند اجتماع المجالس القبلية .

وتتألف منهم عدة حصص مثل «عليتدواب – وحامدنلدواب ومعدوناب والمسعوداب والسعيداب وغيرهم » ، ويسكن بعضهم فى أربعات ، والبعض فى جهة أمور ولهم آبار وزوائع خصبة .

واشتهر منهم رجال صناديد أمثال الشيخ آدم سعدون الذى شاع عدله فى الأحكام ولو على نفسه ، وكذلك كان المرحوم والده الشيخ حمد بن حماد وغيرهم .

وانضمت إليهم ذرية سالم « سالماب » وسلمان « سلماناب » أصحاب الأراضى الخصبة فى جهة هييت ووادى شعباتيم .

« عبد الرحيمـــاب »

هى ذرية عبد الرحيم ، وتهتم بتربية الإبل الأصلية . وفى إحدى السنين اعتبرت حصة تابعة لعبد – الرحمناب ولكن أخيرا تقرر أن تكون

---

(١) توفى عام ١٩٤٨ وخلفه ابنه الشيخ ارباب احمد .

عمودية منفصلة ترعى أينما يكون المرعى جيـــدا ، فتارة يرحلون إلى أرض المدندوة . وأخرى إلى البشاريين والموسياب . ويرأسهم الشيخ صبار محمد .

حامداب قويلى

هم ذرية حامد بن قويلاى ، واشتهروا بقتالهم لجيوش الأنصار فى وقائع إبيت و « موك » التى اشترك فيها معهم الفاضلاب ، وكان النصر حليفهم إذ كانت قيادتهم منظمة جدا برئاسة الشيخ كُرُبْ بن حامد والشيخ محمـد بن قويلاى . وعمدتهم اليوم هو الشيخ عيسى على كرب . وتتألف منهم عـدة حصص أشهرها « عمر هاسباب » « عبد اللينْدواب ، ومحمـد عيسى دواب ، عبد اللاَّيابْ : وعيساى دواب وموساى دواب ، وأ كريماب ، وركايابْ ، وهولقدواب ، وحلنقاب : وسميداب : وبرشاب : وكيراب : وشيدن .

الشافعـــاب

هم ذرية شافع بن حامد بن قيـــلاى ، واشتهروا بالصبر والأناة . وانتشرت سمعتهم بسبب عميدهم الشيخ محمد قيلاى الذى فاق أقرانه فى المجالس والاجتماعات خصوصا فى الخلافات القبلية ، وله أشعار فى الفخر والحماسة والحـكم والمواعظ .

وخيامهم منصوبة حول وادى هييت المشهور بعذوبة مائه . ومن حصصهم الشاطراب والدليلاب والهون والرقداب ومركزهم الأصلى جبل « أسُوتْرِبَه » وطوق خور أربعات ، وبعضهم بأرض المدندوة .

ويتولى العمودية اليوم الشيخ محمود أبو آدم .

مُوسَيابْ

وتطلق على ذرية موسى بن قويلاى وهم بيت نظارة الأمارأر ، وقد رزق

موسى ولدان هما محمد وعقيم انتقلت ذرية الأول إلى أرض الهدندوة . وأما الثانى فقد نشأ مع أخواله فى سواكن ، ودرس القرآن ، ثم تولى رئاسة للوسياب . وتفرعت من ذريته عدة خصص هى الحمداب (بيت النظارة) وحمد اويدواب ، والحكم والحاكاب والعيسياب ، والحامد أقاب والسعد أقابAQMAB والفقراب .

ويسكنون اربات وأمور وإربا وعقامب ، واشتهر منهم بالتقوى والصلاح الشيخ الفكى سعد وابنه القاضى الحالى الشيخ محمد شريف سعد .

والناظر الحالى لعموم قبائل الأمارأر هو الشيخ أحمد بن حمد بن محمود ابن حمد هساى (غضبان) بن محمد بن موسى بن محمد بن عقيم بن موسى بن قويلاى بن عثمان بن الشيخ عجيب الماجلوك ابن السيد عبد الله جماع .

الشيخ قويلاى بن عثمان

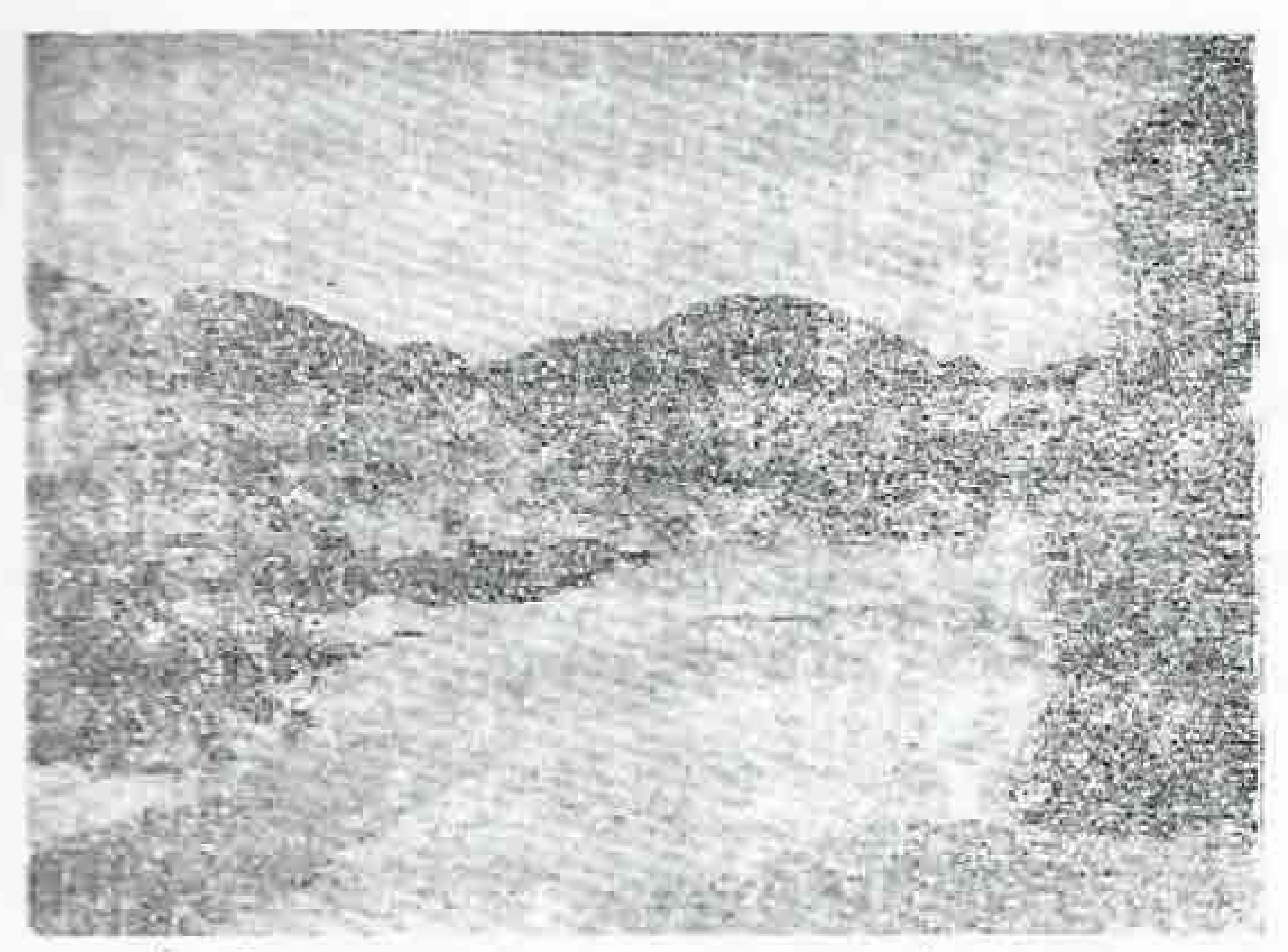
كان أصغر أخوانه وتولى عليهم الرئاسة وانفصل عن الفاضلاب . وبذل همه فى البحث عن الشهـــــــرة ، وإذا بابنه حامد يقتل رجلا ثانيا وثالثا ، وفى كل مرة كان الوالد يدفع الدية وهى من الماشية على حسب مكانة المقتول . فتبرأ منه والده ولكن أخوه موسى دفـــع الدية كاملا أجرم ، وقال إن أعمال حامد الإجرامية تضطر البجة كى ترحل مناز وتخلى لنا الأرض التى نريد أن نحتلها بعد رحيلهم . فلما حانت منية قويلاى أوصى بأن يكون خلفه ابنه موسى .

وقد كانت حوادث القتال على الأرض مع البجة كلها فى أيام الشيخ قويلاى بن عثمان . وهذا أمر أراده الله أن يكون حتى تخلو بادية عتباى من سكانها الأصليين بما كان يحدث فيها من المشاجرات وسفك الدماء ، حتى إن

عثمان المرغوب بن على قتل رجلا من شجعان البجة، ثم اختفى عن أعين الناس ومعه عصابة مؤلفة من سبعة أشخاص كانوا ينهبون كل مايقع تحت أيديهم . فاشتكى منه زعيم البجة (وهو من البلويب) للشيخ قويلاى ، وقال له إن ابن أخيك عثمان المرغوب قتل منا رجلا فسلمه لنا كى نقتله . فاعتذر بعدم مقدرته على قبضه ، وعرض عليه أن يقتل من يشاء من أولاده إلا موسى . فقالوا له نحن نريد القاتل أو موسى . فقال لهم أمهلونى حولا كى أفكر فى الموضوع . فرضوا . أما هو فقد دعا إليه عثمان المرغوب وقال له يا ولدى إن البجة أكثر منا عدة وعددا ، وأشد قوة . وإننى خيرتهم بين أبنائى إلا موسى فقالوا لابد من عثمان أو موسى ، والرأى عندى أن تزيد العصابة التى تحتك من أبناء الأمارأر والبشاريين وتبدأون الهجوم من جهة جبيت للمادن ثم تطاردهم فى المحلات التى تسكنها منهم أقلية . ولكن عثمان وعصابته بدأوا هجومهم الأبلى فى جهة جبيت المجاورة لقرى الشيخ قويلاى وقتلوا نحو اثنى عشر رجلا من البجة، فحالفهم التوفيق ، وأقلقوا راحة البجة حتى إنها اجتمعت فى مكان واحد لقتال الشيخ قويلاى . فاستنجد بالبشاريين والكميلاب والعبابدة والكواهلة (المجاورين للبشاريين) ونشب القتال بين الفريقين ، فانهزمت البجة ، وطاردها حتى عبر وادى أمور الذى كان حدا فاصلا بينهما ، وورثت القبائل ديارهم فى شمال صحراء البجة .

الشيخ موسى بن قويلاى

تولى رئاسة الأمن بعد وفاة والده وتزوج بامرأة من أهل سواكن هى بنت أحمد صبور ، ورزق منها ولدا اسمه عقيم ، ثم قتل موسى فى قتال عنيف حدث بينه وبين حاكولاب الهدندوة ثم تولى بعده النظارة الشيخ واكد.



منظر لخور أربعات الذى يجرى فى أرض قبيلة الأمارأر
وهو الذى تمتد منه شبكة مياه الشرب لمدينة بورتسودان

الشيخ قويــلاى

يقول الشيخ محمد إبراهيم إن الشيخ قويلاى كان كثير الدهاء فى الحرب والقتال ومن دهائه أن إحدى القبائل زحفت إلى بلاد الأمارأر كى تستولى عليها . فأرسل قويلاى إلى عموم الأمارأر كى يجتمعوا فى صعيد واحد ويكمنوا فى الجبال والأودية . ووصل الغزاة إلى هيوت ونصبوا فيها خيامهم واستعدوا لقتال الأمارأر . فقال قويلاى لرجاله من يأتينا بأخبــار هؤلاء القوم ويعرفنا عددهم وقوتهم. فقال له أخوه على، أنا اتطوع لكى آتيك بخبرهم وأحوالهم فقال له قويلاى أنت رجل شجاع ومتسرع وأخشى أن تشتبك معهم فتفضحنا . فتبرع كُرُب ، فقال لا أوافق لأنك قوى ولا يمكنك الافلات منهم. فقالوا له تركنا لك اختيار الرجل الذى نود أن توكل إليه هذه المهمة.

فقال سأتولاهم بنفسى . وفعلا قام متنكراً واندمج فى الغزاة وطاف بمجالسهم ومجتمعاتهم حتى علم ابن بقيم قائدهم . فانتهز فرصة بعد حاشيته عنه وطعنه بحربته فى صدره وهو مضطجع ، فصرخ القائد وانزوى فى الجمع وانسل من بينهم ولحق بقومه . واتهمت العصابة بعضها البعض ، ودار بينها قتال شديد حتى لاح الصباح ، وقد كثرت القتلى . وهجم قويلاى بجماعته على فلول العصابة وفرقها تفتيلا وغنم كل ما كان لديهم .

ولما دفن الشيخ قويلاى دفن فى هيبت .

الشيخ واكد

ابن عيسى بن كرب ، وكان رجلا عادلا وحكيما ازدهرت فى أيامه قبيلة الأثمن ، وابتدأت فى طرد البنجة حتى كبر سنة ه فلما أشرف على الموت نادى كل رؤساء الأمازأر وقال لهم ه : إننى كبرت وصرت عاجزا عن إدارة القبيلة ودعوتكم كى تختاروا رجلا من بينكم تولونه نظارتكم من بعدى . فقالوا له نقترح الشيخ سعد بن على بن عيسى بن على . فقال لهم إنه رجل حرب وجلاد ولا يصلح القبيلة الحربى أو الصارم فى أحكامه بل القبائل تحتاج إلى سياسى محنك يزن الأمور ويبحثها من جميع نواحيها . فاقترحوا سعد بن عبد الرحمن . فلم يوافق ، وقال لهم إنه رجل يحب المال ، ومثله ربما يضيعكم بالشىء التافه . فعرضوا عليه محمد بن الطماع (جد السكيلاب) ، فلم يقبل وقال إنه رجل فى يديه الخير والشر ، فإن أعطاكم خيرا لابد من أن يعطيكم شرا . فاقترحوا عليه حامد بن سلمان ، فلم يوافق ، وقال إنه لا يستمع برأى أى إنسان والاستبداد بالرأى فيه هلاك القبيلة . فقالوا له ليس لدينا بعد هؤلاء من نرشحه للرئاسة فالرأى إليك . فقال لهم إنى أعلم أن الشيخ موسى بن قويلاى وقفاً بسوا كن عند أخواله اسمه عقيم . وقد سلم على ذات يوم وأنا متكئ فتأملت كفه

وسررت من هيئته وتبحره فى العلوم ، فإننى اخترته لكم إذ لا يوجد من يحمل الرئاسة غيره ، فاذهبوا وأحضروه من سواكن . ولما توفى الشيخ واكد خلفه الشيخ عقم .

الشيخ عقم[1]

أول ناظر أجاد القراءة والكتابة وحكم الأمارأر بالكتاب والسنة ، وازدهرت فى أيامه كل قبائل الأمارأر ، وازدادت مواشيها وكثر تعداد سكانها . وابتدأت البجة فى الرحيل من عيقباى . ولم ترحل النظارة من بيت عقم إلى يومنا هذا .

وفى ذريته عائلة اسمها : عيسياب : تكون تكاد الممثلة للطبقة الإرستقراطية فى فى الأمارأر إذ أنها تترفع عن الصغائر : وقد اجتمعت بأحد شبانهم بجهة أتبره المسمى الشيخ محمد هدّل بن أحمد محمد شيك وكيل الناظر فى تلك الجهة فسررت من حديثه ولقائه وتفانيه فى حقوق الأمارأر .

وتوفى الشيخ عقم ودفن فى جبل كُوكْريب Kokreib وخلفه ابنه محمد .

الشيخ محمد

ابن عقم تولى نظارة الأمارأر وتزوج امرأة من البشاريين من أتبره . وفيما هو فى منزله أتته امرأة وأخبرته بأن البشاريين قد جمعوا جموعا كثيرة ويريدون غزو الأمارأر وهم على وشك القيام بذلك ، وقد قرروا أن يدعوك أنت ومن معك من أهلك لتناول الطعام والقيلولة معهم حتى المساء . فلا تقبل دعوتهم . ويجب أن تقوم فى الحال إلى قبيلتك وعشيرتك وتستعد لملاقاتهم . فقام الشيخ محمد من ساعته إلى رجل من شيودبناب Shib:de nab

---

(1) أى بحلىء النجم .

(حَدَندَوَة) اسمه الفقيه على بن بلال ، وطلب منه أن يدعو له بالنصر والتوفيق على خصومه الذين استعدوا لغزو أهله . فقال له الفقيه على : أنا أطلب لك من الله أن يعين راحلتك على السير السريع حتى لا يدركوك . ثم أعطاه حجرا أبيض وقال له : أعطه لأحد رجال قبيلتك ممن لا يخطئون الهدف . فإذا اصطدم هذا الحجر بإنسان أو دابة فأنتم لاشك منصورون . فرحل الشيخ محمد لساعته وأدرك أهله وكانوا مجتمعين فى وادى أوريرOwreir . فأخبرهم بأن العدو على أثره ، وأمر بعضاً من رجاله الجهورى الصوت كى ينادوا القرى من رؤوس الجبال للقتال والاجتماع فى أورير . فلما تكامل عددهم نادى رجلا من الأمارأر وسلمه الحجر وقال له عندما ترى طلائع البشاريين تظهر من عقبة درس Diris واقدامهم عسى أن تصيب الهدف . فلما ظهرت الطليعة قذفها الأمارأرى Ammar - Areipi بالحجر ، فأصابت رجل ناقة القائد فكسرها . فسقط القائد فى محل يقال له أفوى Afoy وتعريبها « الموقف » وقال لهم عودوا من حيث أتيتم . فعادوا بدون قتال ، ولم يحدث فى أيام الشيخ محمد بعدها قتال حتى توفى ودفن فى وادى أقت Agout فى مكان يقال له مندبلو Mirdaylo بجوار قبر أخيه محمد حمد . وتولى النظارة بعده ابنه موسى .

الشيخ موسى

حالما تولى الشيخ موسى ابن محمد عَقَيْمْ نظارة الأمارأر ، اختار (أرباب) عاصمة لعموم قبائله وجعلها مقر بيت النظارة .

وفى أيامه قامت عصابة من الأمارأر لغزو بشارى نهر أتبره برئاسة سعدون بن محمد جياب JAYAB ، فأخذوا كل ما وقع تحت أيديهم ، فقامت خلفهم نجدة من البشاريين ، فشعر الشيخ موسى محمد بأنها تعقبهم ، فقال الشيخ سعدون اختر بين أمرين إما أن تقابل النجدة وتقاتلها أنت وأهلك

الفاضلاب فتفوزوا بالشجاعة والفخر ، وإما أن تأخذوا أنتم الغنائم ونحن نقاتل البشاريين . فأجابه الشيخ سعدون هيهات أن تمكنكم من نخر القتال لاسيما وأننا على أتم استعداد له . فتق أننا نحن الفاضلاب سنصعد لقتال البشاريين وأنتم الأنمن اهربوا بالغنائم (وهذه مكيدة من الشيخ موسى لاستفزاز الفاضلاب والبشاريين (وكانوا أكثرية) ، فكان قتلى الفاضلاب كثيرين جدا . وبعد هذه الواقعة أصبحت الفاضلاب بدنة واحدة (عمودية) بعد أن كانت أكثر من سبع عموديات .

وبعد وفاة الشيخ موسى خلفه ابنه محمد .

الشيخ محمد بن موسى

كانت أيامه كلها حروبات وقتال مع البشاريين وغيرهم. قتل في إحداها عمه حمد بن عقم بيد البشاريين، وكانت الواقعة سجالا بينهما . فلما توفي دفن في أربابا وخلفه ابنه على النظارة .

وتفاءلت بنظارة الشيخ موسى كل قبائل الأمارأر وتحسنت أحوالها ، وازدادت في المواشي والنقوس ، ونزلت بأراضيها الأمطار بلا انقطاع . فلما توفي اجتمع كل العمد والأعيان وقالوا لن ندفنه في الأرض إذ أننا نتفاءل به . فقال لهم ابنه محمد إنه جيفة فمن يشتريه منكم بجلد ماعز لأنني أريد دفنه في الأرض . فقالوا له لك الخيار . فلما انتهوا من دفنه طلبوا من ابنه محمد أن يتولى النظارة ، فقال لهم إذا وليتموني فلا تطالبوا مني ما كان يعمله والدي في حياته من الطيبات لأني مقر بعجزي وضعفي . فارتضوه وتولى النظارة .

الشيخ حمد هسّاى HASSAI[1]

تولى النظارة بعد والده الذى ترك له الحروب والغزوات فقاتل العبابدة والبشاريين وغيرهم .

وكانت الأولى أقوى من الأمارأر ، واعتادت أن تغزوهم سنويا وتعود بغنائمها سالمة إلى أهلها بدون أن يتعقبها أحد من شجعان الأمارأر .

وفى إحدى السنين جاءت عصابة من العبابده لتنهب إبل البشاريين من جهة الباك أو أوناك Back . فسمع بها سكان الباك ، فاستجاروا بالشيخ حمد هسان فى أرباب . فأجارهم وأمر بضرب النحاس . فاجتمعت إليه كل القبائل القريبة والبعيدة خصوصا البشاريين والكميلاب . فاجتمع لديه خلق كثير بكامل أسلحتهم وأكثرها الحراب .

وكانت عصابة العبابدة مقيمة فى الزراعة المجاورة للباك ، فأمرهم رئيسهم الشيخ عقيد العبابدى بأن يعودوا إلى ديارهم وفى هذه الأثناء أخذت جماعة منهم بعض المواشى من أصحاب الزراعة لطعامهم فجاء إلى الشيخ عقيد صاحب[2] الماشية وطلب تسليمها إليه . فقال له جئنا لأهم منها وقد أكلتها العصابة فما كان منه إلا أن ذهب إلى أرباب حيث الرجال مجتمعون واشتكى الناظر . ثم وقف فوق النحاس واستعر العرض وقال : أيها الرجال إن العصابة التى أخذت أموالى أقلية ضئيلة ونحن أقوى وأشد منها فلا تخشوهم ، فقوموا معى نحمل عليهم حملة واحدة صادقة وبعدها نحن المنصورون . فانتقى الناظر سبعة وكذلك فعل أخوه الشيخ على والجمهور معهم واقتفوا أثر العصابة ، فأدركوها بوادى

---

(1) هساى : تعريبها الغضبان لانه لم يجد راحة فى سنى نظارته .

(2) هو رجل من العتميلاب .

روورشم Rorasham شمالى جبل قُرَتْ Gurat فتقدم الشيخ لمبارزة الشيخ عقيد وقتله وسلب منه سيفه[1] . واختلط الفريقان ببعضهما وانتصر الأمارأر . وقد أثنى بعض شعراء العبابده على شجاعة الشيخ حمد هساى . وفى آخر أيامه افتتح محمد على باشا السودان وقدم الشيخ حمد هساى الولاء للحكمدار ، ثم توفى بجهة ابرة بقرب منازل البطران (البشاريين) وهو يتفقد شئون قبيلته التى أصبحت مرهوبة الجانب طيلة أيام نظارته .

الشيخ طاهر

ابن حمد هساى ، تولى النظارة بعد وفاة والده وجاءته دعوة من حكمدار السودان فسافر إلى الخرطوم وقدم ولاءه ، وأنعم عليه الحكمدار بكسوة شرف وسمح له بأن يتحصل الجزية من كل قبيلة أجنبية تسكن فى أراضيه . ولم تطل حياة الشيخ طاهر فتوفى ودفن فى أرباب . ثم تولى بعده أخوه الشيخ طه .

الشيخ طه

ابن حمد هساى الذى حصلت فى أيامه عدة خلافات بين الأمارأر أنفسهم الضاربة خيامهم حول سواكن . ثم أنعمت عليه الحكومة المصرية برتبة البكوية لولائه لها وعدم اتباعه للأمير عثمان دقنه . كما أنعمت على ابنه الشيخ أحمد برتبة البكباشى وعلى ابنه الشيخ طاهر برتبة اليوزباشى وذلك حوالى ١٨٨٥ م .

وتوفى الشيخ طه فى أرباب قبل الحرب الإستقلالية وانتشارها بشرق السودان . والشيخ طه رفض أن يدفع الجزية للحكومة التركية فأرسل إلى كسلا وتعين مكانه الشيخ محمد .

---

(١) رأيت هذا السيف عند الشيخ نصر محمود بك على .

الشيخ محمد

ابن حمد حسان تولى بعد عزل أخيه ، فكان محبا لقبيلته ويعطف على الفقراء ، ويعتذر بأنهم عاجزون عن دفع الجزية . وأخيرا استاءت منه الحكومة المصرية وعزلته عن النظارة لأنه صار يتهاون في تحصيل الجزية وعينت مكانه أخاه .

وفود الأمير عثمان دقنه ١٣٠٠ هـ

نزل الأمير عثمان دقنة في أرباب عند عودته من الإمام المهدى (بعد فتح الأبيض) . فلم يجد ناظر الأمارأر بأرباب لأنه ذهب لتحصيل الجزية . وجلس يوما عند الفقيه أحمد القلهاوى Qulhawi ونابعه الفقيه أحمد وكل من كان حاضرا . وترك الأمير مع الفقيه منشورا من المهدى إلى الشيخ حمد محمد يتضمن إمارته على كل قبائل الأمارأر ويطلب منه الجهاد في سبيل الله .

الشيخ حمد محمود حساى

بعد عودته إلى أرباب وجد كل قبيلته وعشيرته على استعداد للجهاد فأنكر عملهم وقال لهم : تسرعتم في البيعة : ولم يزد على ذلك .

وبقى في أهله حتى كانت ١٣٠٣ هـ أرسل إليه الأمير عثمان دقنه كي يحضر بأهله ورجاله إلى تيتلها Tsilha أو سلهان . فامتثل وانتشر الجدرى فيها فمات به الكثيرون من المقاتلين والرهائن .

عندما يستولى الإستعمار على البلاد فإن مثل هؤلاء الرجال يقضون مضجعه ولا يريحونه : ولذلك كان يلفق[1] الخطابات ويرسلها مع الجواسيس إلى

(١) كان المستعمرون الانجليز يلفقون هذه الخطابات حتى يشكوا قادة الثورة المهدية في زعماء القبائل وفي أمرائها .

المذكورين . ويوصى هؤلاء الجواسيس بأن يجتهدوا فى عدم إيصالها لأصحابها حتى تقع فى يد الأنصار فتقدم للأمير عثمان . أما المنونة باسمه فإنه لا يعلم عنها شيئا بل لا يجيد قراءتها ولكنها كما قلت إحدى مكائد الإستعمار للتخلص من الرجال العاملين .

وهذه الخطابات كانت تصاغ فى صيغة ردود على خطابات من هؤلاء الزعماء وأقرب أمثلة لذلك ما يلى :

إلى حضرة المخلص الأمين الشيخ فلان بن فلان - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلنا جوابكم وفهمنا مافيه ونشكركم على المعلومات القيمة التى ذكرتموها لنا وعلمنا ما تعانونه وأخوانكم من الجوع والمرض أنتم وأهلكم . ونحن إن شاء الله قريبا سنحضر لاستخلاصكم من الأشقياء . فقط استمروا فى الكتابة إلينا كلما وجدتم فرصة ... الخ .

وعندما يقع مثل هذا الخطاب فى يد الأمير يحاكم صاحبه بالإعدام . وقد أرسلت الحكومة الإنجليزية عدة خطابات كان أحدها إلى الشيخ حمد محمود ناظر الأمارأر ، وآخر إلى الشيخ حسب عبدالله يريب[1] ، زعيم قبيلة النوراب فحكمت عليهما المحكمة بالقتل[2] . فقام بعد قتلهما الأمارأر قومه رجل واحد وقاتلوا جيوش الأنصار أينما وجدوها خصوصا فى جهات جبيت المعادن وهييت وأمور ، حتى إن الأمير عثمان دقنه اضطر أن يرسل جيشا عرمرما من الأنصار المسلحين بالرصاص بقيادة الأمير مكى على حامد الجيلانى لقتالهم فى هييت . وبعد تلك الواقعة هدأ الحالة ، ثم جاءت سرية من جهة أبو حمد وطلبت من

---

(١) تعريبها مطـــر .

(٢) اجتمع مشايخ الامارأر على ذلك لدى الخليفة عبد الله فدعا الامير الى أم درمان للتحقيق معه .

الأمارأر زكاة الإبل ، فرفضوا أن يعطوها بعيرا ، وقاتلوها قتالا شديداً حتى هزموها. وعادت من حيث أتت. وقد أبلى زعماء العشائر أحسن بلاء وقادوا تلك الجحافل إلى النصر وأخذ الثأر. وكذلك فعل البشاريون في جهة حلايب[1].

وقد خلف الشيخ حمد محمود ولدين هما محمد وأحمد الناظر الحالي ١٩٤٨ م وبقيت إدارة الأمارأر في يد وكيل الناظر الشيخ حمد دربكاتي بسواكن، فلما تم فتح السودان طلب مدير سواكن كل عمد الأمارأر في ١٩٠٠، فلما اجتمعوا قال لهم المدير أنا عملت لكم هذا الاجتماع لكي تنتخبوا ناظرا من بينكم – إما من الفاضلاب أو الموسياب. وكان المدير يريد منهم أن يختاروا محمود بك على. ولكن كانت الأغلبية من عمد الأتمن. فقالوا نريد أن يكون العمدة من الموسياب (وكانوا أحد عشرة عمدة، والفاضلاب عمودية واحدة). فرفض المدير قولهم. وقال سنؤجل انتخاب الناظر لمدة سنة وانعشم أن تتفقوا. فلما انتهى الحول دعاهم المدير إلى اجتماع في نقطة هندوب. وكان الأتمن قد اتفقوا أن يكون المتكلم في الإجتماع الشيخ محمد إبراهيم. فلما عقد الاجتماع افتتحه المدير وقال: إن مسألة تأجيل النظارة ليست من مصلحة القبائل والحكومة ولذلك أحب أن تختاروا من بينكم ناظراً لهذا المنصب. فرد عليه الشيخ محمد إبراهيم نحن الموسياب جميعنا اتفقنا على انتخاب الشيخ محمد بن حمد محمود. فسأل المدير بقية العمد فأيدوا الشيخ محمد إبراهيم. وكما قلت إن الحكومة كانت تريد المنصب لابن الشيخ محمود بك على لأن والده وقف في صفها طيلة سنين المهدية وساعدها بالبوليس الراكب (هجانة وخيالة). فقدرت له هذه الخدمات، ونسيت أن للقبائل أصولا وعقائد لا يمكن التخلى

---

(1) اقرأه من البشاريين.

عنها خصوصا مسألة ولاية النظارة والعمودية . ودارت فى الاجتماع عدة مناقشات حادة بين العمد والمدير الإنجليزى ونائبه المصرى محمد بك إبراهيم وسائر هيئة الحكومة ، وقرروا تأجيل الاجتماع للغد . وعلم الشيخ محمد قويلاى أن الصدام بدأ بين العمد والحكومة فركب راحلته وذهب إلى أسوتريه .

فلما أظلم الليل أمر المدير بإلقاء القبض على الشيخ محمد إبراهيم ، فاحتج باقى العمد ، فأمر المدير القبض على العمد أيضا ووضعت فيهم السلاسل والأغلال ، وأرسلوا بالبوليس إلى سواكن[1] وسجنوا . فأدركهم الشيخ أونور على لباب (عمدة العبد الرحمناب) ، فقالوا له ابعد عنا واكتب خطابا للشيخ خلف الله طالب ببربر واذكر له جميع ما حصل لنا حتى يرفع شكوى لمدير بربر بأننا تابعون لمديريته وأصبح مدير سواكن يتصرف فينا بصنوف الظلم حتى نتنازل عن حقوقنا الوراثية ، وفعلا تم ذلك . واحتج مدير بربر وطلب إرسالهم إلى بربر للنظر فى قضيتهم . فلما اجتمعوا به قال لهم إننى أعرض عليكم أن تكون القبائل التى تصب ماء وديانها فى البحر الأحمر تابعة للشيخ محمود بك على ، والتى تصب وديانها فى النيل تحت نظارة الشيخ محمد حمد[2] ، فرفضوا وقالوا نحن لا نقبل أى تقسيم لأننا إحدى عشر عمودية ، والفاضلات عمودية واحدة ، فليس من العدل أن يكون الواحد أكثر من الإحدى عشر .

البكباشى أحمد محمود دلى

بعد خروجه من سواكن سافر إلى أم درمان لمقابلة خليفة المهدى فلما وصل البقعة نزل عند الأمير يعقوب (أخى الخليفة) . ثم قابل الخليفة وطلب

---

(١) تريد الحكومة الارهاب حتى يقبلوا نظارة الفاضلاب ولكن هؤلاء العبدلاب لا وزراء الفونج) لا يريدون التنازل عن حقوقهم الوراثية .

(٢) كان مغرما بضرب العود البلدى (الربابة والباسنكوب) والطرب .

منه أن يكون أميراً عاماً على عموم قبائل الأمارأر وأن يكون مقره في مندوب، وألا تكون عليه سلطة غير سلطة الخليفة. وفوض إليه أخذ العشور من التجار الذين يخرجون ببضائعهم من سواكن، وأن يكون له حق الإشراف على سواحل البحر الأحمر التي شمال سواكن. ثم غادر الأمير أحمد محمد أم درمان آتياً إلى سواكن سنة ١٣٠٧ هـ وبينما هو في الطريق شعر بتقطع جسمه من مرض الجدري[1] فتوفي بعد أن أبلغ أهله[2]. وعين الخليفة عبد الله بدلا منه أخاه الأمير طاهر محمود بك.

وقد أدركت بعض أبناء محمود بك وأحفاده، فلا أكون مغالياً إذا قلت أنهم كما قال الأقدمون «كلهم يتسابقون على الخيرات».

ومن شبان هذه القبيلة صديقي جعفر أفندي إبراهيم طلاب الذي أوقف حياته على خدمة قبيلته حتى يساهموا كسائر الحضريين في كل الأعمال والمهن، ولم تمنعه غيرته هذه من المساهمة في الأعمال الخيرية التي يتطلبها الوطن السعيد[3].

بشاريون أو بشارين

BISHARIN

تقطن هذه القبيلة في شمال القطر الشرقي حتى سواحل البحر الأحمر وعلى ضفاف نهر العطبره. وتنتمي إلى قبيلة بني أسد القرشية، وجدهم هو محمد

---

(١) يقول ابراهيم باشا فوزي: ان موت احمد محمود لم يكن الا من سم دسه له الخليفة عبد الله في الصم.

(٢) حال وصوله الى هندوب اعلن ان طريق التجارة بين بربر وسواكن آمن تحت حمايته.

(٣) ذكر المستر جاكسون شجاعة والده وحسن بلائه يوم دافع عن اهله. (القلاقل حول بورتسودان وهزموا جيش الانصار لا كتاب عثمان دقنة).

ابن وراق من سلالة مصعب بن الزبير بن العوام وقد كثر تعدادهم وتخلفوا عن متابعة السير مع أقاربهم الكواهلة واستطابوا الإقامة مع بنى عمهم العبابدة فى بادية عيتباى Aetbai ، واتخذوا جبل علبه Elba مقرا لإقامتهم ، وصاهروا البجة حتى كانت أيام شيخهم محمد بن كاهل ، فتزوج من الحدارب (ملوك البجة) ورزق سبعة أولاد وهم بشار وعمار وعامر وكال وكميل ومسلم ومرغوب [1] .

ويروى أن محمد وبنيه تشاجروا مع عائلة بجاوية تجاورهم فى جبل علبه وانتصروا عليها وطردوها من جوارهم . وهكذا فعل العبابدة مع أكثرية البجة الذين اضطروا للرحيل والإقامة حول محمد قول : (بأنديب) وجبيت للمعادن وأربعات وأقام أبناء محمد كاهل وأحفاده فى مكانهم ما عدا كال ومرغوب وذريتهما إذ رحلوا إلى العطبرة ، فوجدوا ذرية مسلم قد سبقوهم ومنعوهم من مجاورتهم . وساعدهم زعيم البطاحين ، فأرسل زعيم الكمالاب إلى البشاريين فى طلب النجدة . فلبى نداءه الشيخ أحمد بن عمران بن عيسى برجاله على النجب ومعهم بعض من العبابدة . فقاتلوا البطاحين والمسلمين . واستولى أحمد عمران على جزيرة بعلوك Baalouk وتاكو واتخذها عاصمة لقبيلته ، وهى مقر الناظر إلى يومنا هذا . ومن بعلوك كانت تسير العصابات لقتال عائلة شبوديناب الهدندوية فى القرن الماضى . وللبشاريين ميل فطرى إلى إظهار البسالة والشجاعة فى كل مواقعهم . وكانوا يتولون ضمان القوافل التى تسير بين مصر والسودان وسواكن وكسلا .

---

(1) للبشاريين علاقات وخلافات كثيرة مع الهدندوة ، واغلب حوادثهم مع تلك القبيلة . وعلى القارىء أن يراجع ما كتب عن ذلك فى الفصل الخامس بقبيلة الهدندوة من هذا الكتاب .

اما نشأة القبيلة فكما ذكرنا فهم ابناء الزبير كما فصلنا ذلك فى الحديث عن قبيلة الامارار .

وكانت أراضيهم التى ينتشرون فيها الآن تكوّن مملكة البجة الشمالية ، فمحيت وحلّت محلها مملكة البشاريين حتى عهد الفتح التركى للسودان سنة ١٨٢٠م فأمر محمد على باشا باستبدال كلمة الملك بالنظارة ، وصار يطلق على الملك « ناظر » ، واستمر ذلك إلى يومنا هذا .

ولما قوى البشاريون استطاعوا كما ذكرنا طرد القبائل البجاوية (السكان الأصليين) من تلك الأراضى ، فارتحلت عنهم إلى الجنوب حتى بلغت بأيديب Baideid) وهى ميناء محمد قول [1] ، واستقرت هناك نهائيا . وكان ملوك البجة السابقين من عرب بَلِىّ الذين رأينا أنهم هاجروا إلى السودان منذ أقدم أزمنة التاريخ . وفى جبالهم معادن الذهب والزمرد والحديد . وكذلك يستخرج من بحرهم الصدف واللؤلؤ والكوكيان . وقد أقيمت فى ميناء دُنقوناب Dongonab زراعة للصدف الذى يستخرج منه اللآلىء . كما توجد شركات وطنية وإفرنجية لاستخراج المعادن التى سبق أن ذكرناها .

وفى سواحل البشاريين الجنوبية يقع ميناء « شنعاب » وهو ذو موقع جميل تأمن السفن فيه من الأنواء والعواصف .

وتنقسم قبيلة البشاريين إلى عدة عائلات :

(عالياب) أو (عَلياب)

وهم ذرية على الذين تناسلت منهم عائلات آقاب ، وسّ أراب ومحمد علياب ، وكَربيلاب وحمد عمَراب وهم أكثر عائلات البشاريين فى جهة عيتباى ، وعمدتهم هو الشيخ عبد الرسول عبد الله . ويسكنون حول جبل عيس Aeis .

---

(١) هو محمد قول رجل من قبيلة الارتيقة كان يشتغل بالتجارة (راجع تاريخ قبيلة الارتيقة فى كتابنا تاريخ سواكن والبحر الاحمر (طبع الدار السودانية) .

(حمد أوراب HAMAD ORAB)

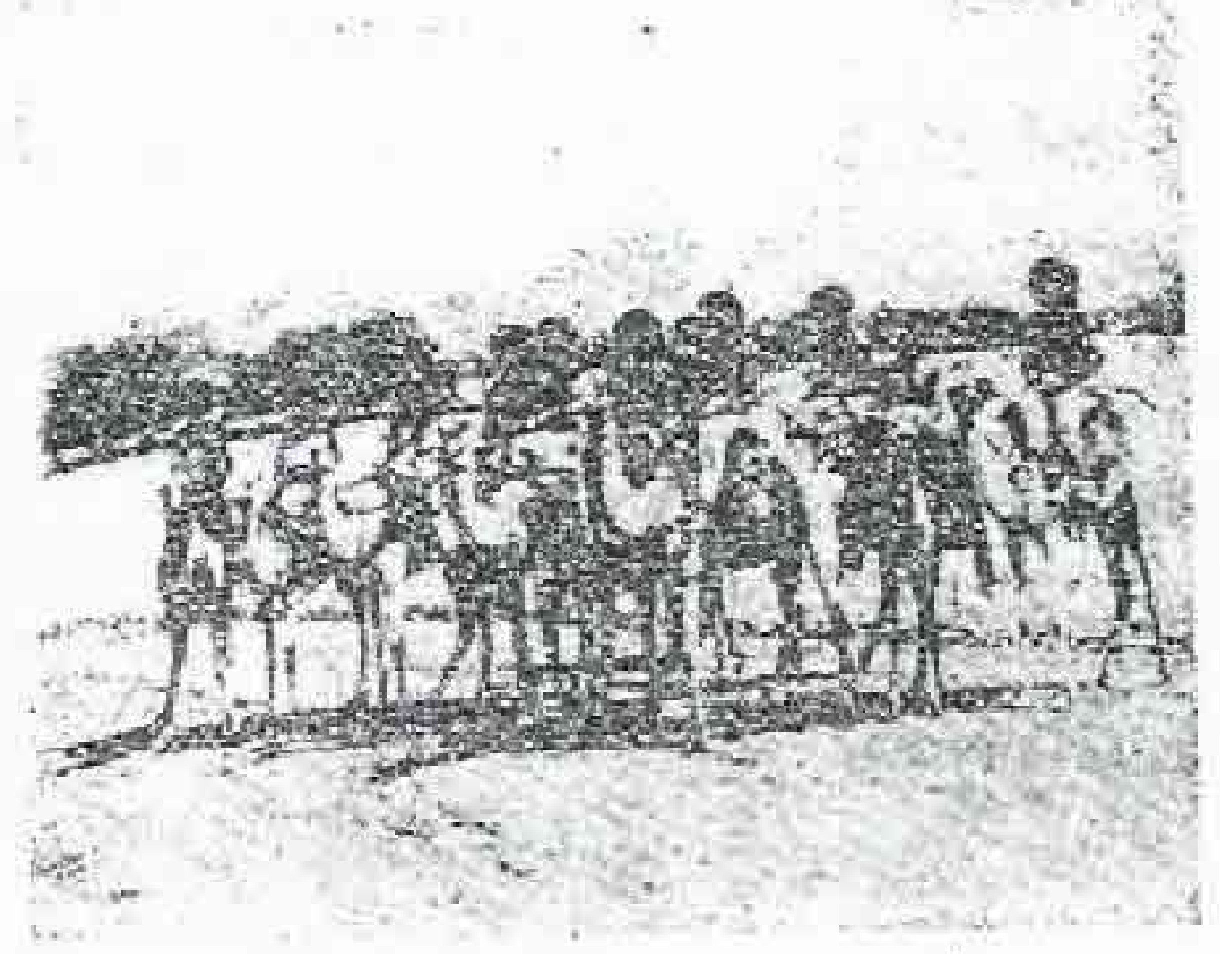
تفرعت منهم عمَّرْ وتشباب ، وحمد كوراب ، وقمهاتاب ويقيمون فى حلايب (علبى) وجبل علبه ويجاورهم عائلة ـ عامراب ـ وعمدتهم هو الشيخ حمد بطْران .

(شنتيراب SHANTIRAB)

تفرعت من شنتير عائلة سعداب وساأماب وشايش وقهياب وعمدتهم هو الشيخ محمد تيته جبْرين .

(إيرَاياب EI RAYAB)

هم ذرية إيرا (أبيض) من اتك ويسكنون بين محطة المبيدية وأبو حمد ويندر فيهم من يجيد الخطاب باللغة البجاوية إذ يتكلمون العربية كسائر قبائل العرب الساكنة على ضفاف النيل وعمدتهم الشيخ موسى طاهر .



لفيف من أبناء البشاريين على ظهور جمالهم السريعة القوية التى كانت تحمل أثقال القافل والبهارات وسلع الدنيا القديمة من ميناء عيذاب البجاوية إلى مدينة قوص المصرية

فهذه العائلات يقال لها ـ « أبناء أم على » وأما بيت النظارة فيقال لهم « أبناء أم ناجى » : وهم ناجى « كادت ذريته أن تنقرض » ، ومنصور : جد المنصوراب ، وعيسى ، وهو الثالث الذى تناسلت منه عائلة « حمـداب وناعاب » . يتولى نظارة البشاريين اليوم الشيخ أحمد كرار أحمد الذى ضم إلى قبيلته أبناء عمومته من الكالاب والرغوباب والنفيداب . وهؤلاء الأخيرين هم من ذرية السيد أحمد نافع (نافعوتاى) سكن مع البشاريين بعد أن فارق أهله عند شيخ حامد ابن أحمد . ويرأس هذه العائلات الشيخ محمود كرار أحمـد شيخ مشايخ البشاريين .

انتهى الجزء الأول من كتاب (تاريخ شرق السودان ـ ممالك البجة ـ قبائلها وتاريخها) والذى اشتمل على :

أقاليم البجة وأصلها ، مملكة قبائل بنى عامر « قبائلها وحوادثها وتاريخها » وتاريخ قبائل الأمارأر والبشاريين .

ويليه الجزء الثانى والذى يشمل على :

تاريخ قبيلة الحلنقة فى بلاد التاكا (كسلا) ، وتاريخ مملكة الحدندوة ، وقبائل الرشايدة (أو الزبيدة)